

جامع البيان

عن
تأويل آي القرآن

تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٢٢٠ هـ

الجزءان

٢٨ - ٢٩

دار الفكر

جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣١٠ هـ

الجزء الثامن والعشرون

دار الفکر

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

المكاتب ، البناية المركزية - هاتف ، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ت. ، ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل ، حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف ، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً ، فاكسي - تليكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

بيروت
لبنان



فهارس الجزء الثامن والعشرون
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

تو ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ

تو ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ
تو ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ
تو ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ

تو ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ
تو ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ
تو ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ
تو ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ و ستمالہ

فهارس

الجزء الثامن والعشرين من جامع البيان لمحمد بن جرير الطبري

١ - فهرس الآيات

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---------------|--|--------|-------|--|--------|
| سورة المجادلة | سورة الحشر | | | | |
| ١ | قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها . . . | ١ | ١ | سُبِّحَ لله ما في السموات وما في الأرض . . . | ٢٧ |
| ٢ | الذين يظاهرون منكم من نسائهم . . . | ٦ | ٢ | هو الذي أخرج الذين كفروا . . . | ٢٧ |
| ٣ | والذين يظاهرون من نسائهم . . . | ٧ | ٣ | ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء . . . | ٣١ |
| ٤ | فن لم يجد فصيام شهرين متتابعين . . . | ٩ | ٤ | ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله . . . | ٣١ |
| ٥ | إن الذين يحادون الله كبتوا . . . | ١١ | ٥ | ما قطعتم من لينة أو تركتموها . . . | ٣٢ |
| ٦ | يوم يبعثهم الله جميعا . . . | ١٢ | ٦ | وما أفاء الله على رسوله . . . | ٣٥ |
| ٧ | ألم تر أن الله يعلم ما في السموات . . . | ١٢ | ٧ | ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى . . . | ٣٦ |
| ٨ | ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى . . . | ١٣ | ٨ | للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا . . . | ٤٠ |
| ٩ | يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم . . . | ١٥ | ٩ | والذين تبوءوا الدار والإيمان . . . | ٤٠ |
| ١٠ | إنما النجوى من الشيطان . . . | ١٥ | ١٠ | والذين جاءوا من بعدهم يقولون . . . | ٤٤ |
| ١١ | يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا . . . | ١٦ | ١١ | ألم تر إلى الذين نافقوا . . . | ٤٥ |
| ١٢ | يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول . . . | ١٩ | ١٢ | لئن أخرجوا لا يخرجون معهم . . . | ٤٦ |
| ١٣ | أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم . . . | ٢٢ | ١٣ | لأنتم أشد رهبة في صدورهم . . . | ٤٧ |
| ١٤ | ألم تر إلى الذين تولّوا قوما غضب الله . . . | ٢٢ | ١٤ | لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة . . . | ٤٧ |
| ١٥ | أعدّ الله لهم عذابا شديدا . . . | ٢٣ | ١٥ | كمثل الذين من قبلهم قريبا . . . | ٤٨ |
| ١٦ | اتخذوا أيمانهم جنة فصدّوا . . . | ٢٣ | ١٦ | كمثل الشيطان إذ قال للإنسان . . . | ٤٨ |
| ١٧ | لن تغني عنهم أموالهم . . . | ٢٤ | ١٧ | فكان عاقبتهم أنهما في النار . . . | ٥١ |
| ١٨ | يوم يبعثهم الله جميعا . . . | ٢٤ | ١٨ | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . . | ٥١ |
| ١٩ | استحوذ عليهم الشيطان . . . | ٢٥ | ١٩ | ولا تكونوا كالذين نسوا الله . . . | ٥٢ |
| ٢٠ | إن الذين يحادّون الله ورسوله . . . | ٢٥ | ٢٠ | لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة . . . | ٥٣ |
| ٢١ | كتب الله لأغلبن . . . | ٢٥ | ٢١ | لو أنزلنا هذا القرآن على جبل . . . | ٥٣ |
| ٢٢ | لا تجد قوما يؤمنون بالله . . . | ٢٦ | ٢٢ | هو الله لا إله إلا هو . . . | ٥٤ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|-------|---|--------|-------|---|--------|
| ٢٣ | هو الله الذي لا إله إلا هو . . . | ٥٤ | ١٠ | يا أيها الذين آمنوا هل أذلكم . . . | ٨٩ |
| ٢٤ | هو الله الخالق الباري المصور . . . | ٥٦ | ١١ | تؤمنون بالله ورسوله . . | ٨٩ |
| | سورة الممتحنة | | ١٢ | يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات . . . | ٩٠ |
| ١ | يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوؤي . . . | ٥٧ | ١٣ | وأخرى تحبونها نصر من الله . . . | ٩٠ |
| ٢ | إن يثقفوكم يكون لكم أعداء . . . | ٦١ | ١٤ | يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله . . . | ٩٠ |
| ٣ | لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم . . . | ٦١ | | سورة الجمعة | |
| ٤ | قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم . . . | ٦٢ | ١ | يسبح لله ما في السموات وما في الأرض . . | ٩٣ |
| ٥ | ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا . . . | ٦٣ | ٢ | هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم . . . | ٩٣ |
| ٦ | لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة . . . | ٦٣ | ٣ | وآخرين منهم لما يلحقوا بهم . . . | ٩٥ |
| ٧ | عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين . . . | ٦٤ | ٤ | ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . . | ٩٥ |
| ٨ | لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم . . . | ٦٥ | ٥ | مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها . . . | ٩٧ |
| ٩ | إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم . . . | ٦٧ | ٦ | قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم . . . | ٩٨ |
| ١٠ | يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات . . . | ٦٧ | ٧ | ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم . . . | ٩٨ |
| ١١ | وإن فاتكم شيء من أزواجكم . . . | ٧٤ | ٨ | قل إن الموت الذي تفرون منه . . . | ٩٩ |
| ١٢ | يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات . . . | ٧٧ | ٩ | يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة . . . | ٩٩ |
| ١٣ | يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما . . . | ٨٢ | ١٠ | فإذا قضيت الصلاة فانتشروا . . . | ١٠٢ |
| | سورة الصف | | ١١ | وإذا رأوا تجارة أو كلفوا انفضوا إليها . . . | ١٠٣ |
| ١ | سبح لله ما في السموات وما في الأرض . . . | ٨٣ | | سورة المنافقين | |
| ٢ | يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . . . | ٨٣ | ١ | إذا جاءك المنافقون قالوا . . . | ١٠٦ |
| ٣ | كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون . . . | ٨٣ | ٢ | اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا . . . | ١٠٦ |
| ٤ | إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا . . . | ٨٥ | ٣ | ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا . . . | ١٠٧ |
| ٥ | وإذا قال موسى لقومه يا قوم . . . | ٨٦ | ٤ | وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم . . . | ١٠٧ |
| ٦ | وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل . . . | ٨٧ | ٥ | وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم . . . | ١٠٨ |
| ٧ | ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب . . . | ٨٧ | ٦ | سواء عليهم أستغفرت لهم . . . | ١١٠ |
| ٨ | يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . . . | ٨٧ | ٧ | هم الذين يقولون لا تنفقوا على من . . . | ١١١ |
| ٩ | هو الذي أرسل رسوله بالهدى . . . | ٨٨ | ٨ | يقولون لئن رجعنا إلى المدينة . . . | ١١٢ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|--------------|--|--------|--------------|---|--------|
| ٩ | يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ... | ١١٧ | ٢ | فلذا بلغن أجلهن فأمسكوهن ... | ١٢٨ |
| ١٠ | وأنفقوا من ما رزقناكم ... | ١١٧ | ٣ | ويرزقه من حيث لا يحتسب ... | ١٢٨ |
| ١١ | ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ... | ١١٧ | ٤ | واللأني يثنى من المحيض من نسائككم ... | ١٤٠ |
| سورة التغابن | | | ٥ | ذلك أمر الله أنزله إليكم ... | ٤٤ |
| ١ | يسبح لله ما في السموات وما في الأرض ١١٩ | | ٦ | أسكنوهن من حيث سكتن من وجدكم ... | ١٤٤ |
| ٢ | هو الذي خلقكم فمنكم كافر ... | ١١٩ | ٧ | سيجعل الله بعد عشر يسرا ... | ١٥٠ |
| ٣ | خلق السموات والأرض بالحق ... | ١٢٠ | ٨ | وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ... | ١٥٠ |
| ٤ | يعلم ما في السموات والأرض ... | ١٢٠ | ٩ | فذاقت وبال أمرها ... | ١٥٠ |
| ٥ | ألم يأتكم نبي الذين كفروا من قبل | ١٢٠ | ١٠ | أعد الله لهم عذابا شديدا ... | ١٥١ |
| ٦ | ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات .. | ١٢٠ | ١١ | رسولا يتلو عليكم آيات الله ... | ١٥١ |
| ٧ | زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ... | ١٢١ | ١٢ | الله الذي خلق سبع سموات ... | ١٥٣ |
| ٨ | فآمنوا بالله ورسوله والنور ... | ١٢١ | سورة التحريم | | |
| ٩ | يوم يجمعكم ليوم الجمع ... | ١٢٢ | ١ | يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك | ١٥٥ |
| ١٠ | والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ... | ١٢٢ | ٢ | قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ... | ١٥٩ |
| ١١ | ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله : ... | ١٢٣ | ٣ | وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ... | ١٥٩ |
| ١٢ | وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول . . | ١٢٣ | ٤ | إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ... | ١٦٠ |
| ١٣ | الله لا إله إلا هو ... | ١٢٣ | ٥ | عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا ... | ١٦٣ |
| ١٤ | يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم ... | ١٢٤ | ٦ | يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم .. | ١٦٥ |
| ١٥ | إنما أموالكم وأولادكم فتنة ... | ١٢٦ | ٧ | يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم .. | ١٦٦ |
| ١٦ | فاتقوا الله ما استطعتم ... | ١٢٦ | ٨ | يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله | ١٦٦ |
| ١٧ | إن تقرضوا الله قرضا حسنا . . | ١٢٨ | ٩ | يا أيها النبي جاهد الكفار ... | ١٦٩ |
| سورة الطلاق | | | ١٠ | ضرب الله مثلا للذين كفروا . . | ١٦٩ |
| ١ | يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ... | ١٢٨ | ١١ | وضرب الله مثلا للذين آمنوا ... | ١٧١ |
| | | | ١٢ | ومريم ابنت عمران ... | ١٧٢ |

٣ - فهرس الموضوعات

| الصفحة | |
|--------|---|
| ٦٥ | تأويل قوله « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم » ... الآية، وبيان الذين عُنُوا بهذه الآية . |
| ٦٧ | ما كان يفعله رسول الله بالنساء المهاجرات من الامتحان . |
| ٦٩ | تحريم المؤمنات على المشركين والمشركات على المؤمنين وما يجب بذله لزواج كل . |
| ٧٨ | ما كان يأخذه رسول الله من البيعة على النساء عند إسلامهن . |

تفسير سورة الصف

| | |
|----|--|
| ٨٣ | ما وبخ الله به الإنسان على قوله فعلت ولم يفعل . |
| ٨٨ | تأويل قوله « هو الذي أرسل رسوله بالهدى » وبيان أنه لا ينافي إظهار الدين أن يكون بعده جحد . |
| ٩٢ | الحوار بين الذين اتبعوا عيسى وما فعلوا بعد رفعه . |

تفسير سورة الجمعة

| | |
|-----|---|
| ٩٥ | تأويل قوله تعالى « وآخرين منهم » ... الآية والخلاف في المراد بهؤلاء الآخرين . |
| ١٠١ | عدد الأذان في يوم الجمعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . |
| ١٠٣ | تأويل قوله « وإذا رأوا » ... الآية، وبيان أسباب النزول . |

الصفحة

تفسير سورة المجادلة

| | |
|----|---|
| ٧ | تأويل قوله تعالى « قد سمع الله » . وبيان المرأة التي نزلت فيها هذه الآيات . |
| ١٢ | النجوى ، ومعنى كون الله مع من يتناجى . |
| ١٦ | المجالس التي أمر الله بالتفسيح فيها . |
| ١٩ | ما كان أوجب الله تعالى من الصدقة أمام مناجاة الرسول . |
| ٢٢ | تأويل قوله « ألم تر إلى الذين تولوا قوما » ... الآية . وأنها نزلت في المنافقين الذين تولوا اليهود . |

تفسير سورة الحشر

| | |
|----|--|
| ٢٧ | خروج بني النضير من المدينة وما فعله المؤمنون من التخريب في أرضهم |
| ٣٥ | حكم الفتيء وما يجب في تقسيمه . |
| ٤٠ | ما فعله الأنصار من إيثار الغير على أنفسهم . |
| ٤٤ | تأويل قوله « والذين جاءوا من بعدهم » . ومن المراد بهم : |

| | |
|----|--|
| ٤٩ | المعابد الذي تحمّل عليه الشيطان حتى كفر بعد عبادة ستين سنة . |
|----|--|

تفسير سورة الممتحنة

| | |
|----|---|
| ٥٨ | ما كتبه حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة عند ما أراد رسول الله فتحها . |
|----|---|

| الصفحة | الصفحة |
|--|---|
| ١٤٠ عدة الآيسة والتي لم تحض ، وعدة الحامل المتوفى عنها زوجها . | ١٠٦ تفسير سورة المنافقين |
| ١٤٦ الخلاف في النفقة لا تكون لكل مطلقة أو للمبتوتة الحامل . | ١٠٨ طرف من تاريخ عبد الله بن أبي وما فعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . |
| ١٥٣ ما ورد في أبعاد السموات والأرض . | ١١٩ تفسير سورة التغابن |
| تفسير سورة التحريم | ١٢٤ تأويل « يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم » وبيان أسباب النزول . |
| ١٥٥ ما كان حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه : | تفسير سورة الطلاق |
| ١٦١ تأويل قوله « إن تتوبا إلى الله » . . . الآية . | ١٢٨ بيان الطلاق السني والبدعي ، وذكر طرف من العدد . |
| ومرجع الضمير في الآية . | ١٣٦ ما يجب للمطلقة من السكنى . |
| ١٦٧ التوبة النصوح . | ١٣٦ حكم الإثماد عند المراجعة . |

٣ - فهرس القوافي

| الصفحة | القافية | الصفحة | القافية |
|--------|-----------------|---------|---------------|
| ٣٣ | ق بَرَقَرَقُ | ج ٤٢ | هَجَا |
| ١١٧ | ل مُخَوِّلِ | ٤٢ | كَلَجَا |
| ٥٧ | م نَهِيمُ | ٤٢ | مَنَجَا |
| ٤٣ | ن مُهَيِّنَا | ٥١ | وَالنَّحْمَرُ |
| | | ٣٤ | مُسْتَطِيرُ |

| مطلع الحديث | الصفحة | مطلع الحديث | الصفحة |
|--|--------|--|--------|
| بينما النبي ﷺ جالس مرة مع أصحابه ... | ١٥٤ | أتدرون ما هذا؟ هذه العنان ... | ١٥٤ |
| جاءت أميمة بنت رقيقة إلى النبي ... | ٧٩ | أتيت رسول الله ﷺ في نساء نبايعه قالت ... | ٨٠ |
| جاءت نسوة إلى النبي ﷺ يبایعنه فقال ... | ٧٩ | أدرکت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع ... | ٧٩ |
| جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ ... | ١٤ | أن أميمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله ... | ٧٩ |
| حدثتني فاطمة بنت قيس أخت ... | ١٤٧ | أن خويلة ابنة ثعلبة، وكان زوجها أوس ... | ٢ |
| خرجت مع عمي في غزاة، فسمعت عبد الله ... | ١٠٩ | أن عائشة فطنت إلى قولهم، فقالت ... | ١٤ |
| ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ عليهن يومئذ ... | ٧٨ | أن عبد الله بن عبد الله بن أبي أتي رسول الله ... | ١١٦ |
| سألت رسول الله ﷺ عن أولات الأحمال أجلهن | | أن غلاماً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: ... | ١١٤ |
| أن يضعن ... | ١٤٣ | أن غلاماً لحاطب بن أبي بلتعة جاء ... | ٤٥ |
| طلقت امرأتي وهي حائض؛ قال: فأني ... | ١٣١ | أن النبي ﷺ دخل بيت حفصة فإذا هي ... | ١٥٧ |
| ﴿فاذا قضيت الصلاة، فانتشروا﴾ ... | ١٠٣ | أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه ... | ١٥ |
| قال النبي ﷺ: ما ترى؟ دينار؟ قال ... | ٢١ | أنه طلق امرأته حائضاً، فأني عمر ... | ١٣١ |
| قوله ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل | | أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر ... | ١٣١ |
| الله لك﴾ ... | ١٥٧ | إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد ... | ٤٢ |
| كانت خولة بنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت ... | ٤ | إن الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين ... | ١١٢ |
| كانت محنة النساء أن رسول الله ﷺ أمر ... | ٧٨ | إن خويلة ابنة الدليج أتت النبي ﷺ ... | ١ |
| كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية ... | ٣ | إنه وجدت امرأة من نساء رسول الله ﷺ ... | ١٥٦ |
| كان المنافقون يسمون المهاجرين الجلابيب ... | ١١٤ | إني عند الله مكتوب لخاتم النبيين ... | ٨٧ |
| كان النبي ﷺ في ظل حجرة قد كاد يقلص ... | ٢٥ | أما قرية. أعطت ... | ٣٥ |
| كان اليهود يأتون النبي ﷺ فيقولون ... | ١٤ | بايعت رسول الله ﷺ في نسوة من المسلمين ... | ٨٠ |
| كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فقال ... | ١٠٩ | بريء من الشح من أدى الزكاة، وقرى ... | ٤٤ |
| لا نورث ما تركناه صدقة. | ٣٨ | بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير بن العوام ... | ٥٨ |
| لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات ... | ٨٨ | بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ... | ١١٥ |
| لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة، أسر ... | ٥٩ | بلغني أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير ... | ٢٩ |
| لما هادن رسول الله ﷺ المشركين كان ... | ٧١ | بينما رسول الله ﷺ يخطب الناس يوم الجمعة ... | ١٠٤ |

| الصفحة | مطلع الحديث | الصفحة | مطلع الحديث |
|--------|--|--------|---|
| ٤٥ | وما يدريك يا عمر لعله قد شهد مشهداً... | ٩٦ | لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال... |
| ١١٣ | يا رسول الله إن والدي يؤذي الله... | ٧١ | من أتانا منكم فنرده إليكم... |
| ٢٣ | يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان... | ١٥ | هؤلاء يهود، جاء ثلاثة نفر منهم... |
| | | ١٠٤ | والذي نفسي بيده لو اتبع آخركم أولكم... |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(۵۸) سُوْرَةُ الْحَجَّادِ الْمَكِّيَّةِ
وَأَنبَاءُهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ) يا محمد (قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) والتي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها امرأة من الأنصار :
واختلف أهل العلم في نسبها واسمها ، فقال بعضهم : خولة بنت ثعلبة ، وقال بعضهم : اسمها خويلة بنت ثعلبة :

وقال آخرون : هي خويلة بنت خويلد . وقال آخرون : هي خويلة بنت الصامت : وقال آخرون : هي خويلة ابنة الدليج ، وكانت مجادلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها ، وزوجها أوس بن الصامت مراجعتها إياه في أمره ، وما كان من قوله لها : أنت على كظهر أمي ، ومحاورتها إياه في ذلك ، وبذلك قال أهل التأويل ، وتظاهرت به الرواية :

ذكر من قال ذلك ، والآثار الواردة به

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سمعت أبا العالية يقول : « إن خويلة ابنة الدليج أنت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه ، فقالت : يا رسول الله ، طالت صحبتي مع زوجي ، ونفضت له بطني ، وظاهر مني ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَرُمْتُ عَلَيْكَ ، »

فقلت : أشكو إلى الله فاقني ، ثم قالت : يا رسول الله طالت صميتي ، ونفصت له بطني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَرُمْتُ عَلَيْهٍ ، فجعل إذا قال لها : حرمت عليه ، هتفت وقالت : أشكو إلى الله فاقني ، قال : فنزل الوحي ، وقد قامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر ، فأومأت إليها عائشة أن اسكتي ، قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات ، فلما قضى الوحي ، قال : ادْعِي زَوْجَكَ ، فتلاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ، وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) . . . إلى قوله (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) : أي يرجع فيه (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا) أَتَسْتَطِيعُ رَقَبَةً ؟ قال : لا ، قال : (فَقَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ) قال يا رسول الله ، إني إذا لم آكل في اليوم ثلاث مرّات خشيت أن يعشو بصرى ، قال : (فَقَن لَّمْ يَسْتَطِيعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) قال : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا قال : لا يا رسول الله إلا أن تعينني ، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا « أن خويلة ابنة ثعلبة ، وكان زوجها أوس بن الصامت قد ظاهر منها ، فجاءت تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت ظاهر مني زوجي حين كبر سني ، ورق عظمي ، فأنزل الله فيها ما تسمعون (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) فقرأ حتى بلغ (لَعَفُوْا غُفُورًا . وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ، ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) يريد أن يغشى بعد قوله ذلك ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْرَرَ مُحْرَرًا ؟ قال : مالي بذلك يدان ، أو قال : لا أجد قال : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قال : لا والله ، إنه إذا أخطأه المأكل كل يوم مرارا يكل بصره ، قال : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ قال : لا والله ، إلا أن تعينني منك بعون وصلاة ، قال بشر ، قال يزيد : يعني دعاه ، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ، فجمع الله له ، والله غفور رحيم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قول الله : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) قال : ذاك أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة ابنة ثعلبة قالت : « يا رسول الله كبر سني ، ورق عظمي ، وظاهر مني زوجي ، قال : فأنزل الله (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ) . . . إلى قوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) يريد أن يغشى بعد قوله (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا) فدعاه إليه نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل تستطيع أن تعتيق رَقَبَةً ؟ قال : لا ، قال : أف تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال : إنه إذا أخطأه أن يأكل كل يوم ثلاث مرّات يكل بصره ، قال : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ قال : لا ، إلا أن يعينني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعون وصلاة ، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ، وجمع الله له أمره ، والله غفور رحيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي حمزة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية : أنت عليّ كظهر أمي حرّمت في الإسلام ، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت ، وكانت تحته ابنة عمّ له يقال لها خويلدة بنت خويلد وظاهر منها ، فأُسْقِطَ في يديه وقال : ما أراك إلا قد حرّمت عليّ ، وقالت له مثل ذلك ، قال : فانطلقى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه ، فأخبرته ، فقال : يا خويلدة ما أمرنا في أمرِك بشيء ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا خويلدة أبشري ، قالت : خيرا ، قال : فقرأ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) . . . إلى قوله (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا) قالت : وأي رقبة لنا ، والله ما يجد رقبة غيري ، قال (فَهَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ) قالت : والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرّات لذهب بصره ، قال (فَهَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) قال : من أين ؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها ، قال : فرعاه بشطر وسق ثلاثين صاعا ، والوسق ستون صاعا ، فقال : لِيُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَلِيُرَاجِعَ عَنْكَ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ » . . . إلى قوله (فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) ، وذلك أن خولة بنت الصامت امرأة من الأنصار ظاهر منها زوجها ، فقال : أنت عليّ مثل ظهر أمي ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن زوجي كان تزوجني ، وأنا أحبّ ، حتى إذا كبرت ودخلت في السن قال : أنت عليّ مثل ظهر أمي ، فتركني إلى غير أحد ، فإن كنت تجد لي رخصة يا رسول الله تنعشني وإياه بها فحدثني بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أمرت في شأنك بشيء حتى الآن ، وَلَكِنْ ارْجِعِي إِلَى بَيْتِكَ ، فَإِنْ أَوْمَرْتُ بِشَيْءٍ لَا أُغْنِمُهُ عَنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فرجعت إلى بيتها ، وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب رخصتها ورخصة زوجها (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) . . . إلى قوله (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها ، فلما أتاه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أردت إلى يمينك التي أفسمت عليكها ؟ فقال : وهل لها كفارة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تستطيع أن تعتق رقبة ؟ قال : إذا يذهب مالي كله ، الرقبة غالية وأنا قليل المال ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا والله لولا أني آكل في اليوم ثلاث مرّات لكل بصرى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تستطيع أن تطعم سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ قال : لا والله إلا أن تعينني على ذلك بعون وصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني معيّنك بِخَمْسَةِ عَشَرَ صَاعًا ، وأنا دأع لك بالسبر كة ، فأصلح ذلك بينهما . قال : وجعل فيه تحرير رقبة لمن كان مؤسرا لا يكفر عنه إلا تحرير رقبة إذا كان مؤسرا من قبل أن يتماسا

(١) الذي في الدر : وأنا أحب الناس إليه .

فإن لم يكن موسراً فصيام شهرين متتابعين ، لا يصلح له إلا الصوم إذا كان معسراً ، إلا أن لا يستطيع ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، وذلك كله قبل الجماع :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي معشر المدني ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال « كانت خولة ابنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت ، وكان رجلاً به لم ، فقال في بعض هجراته^١ : أنت على كظهر أمي ثم ندم على ما قال ، فقال لها : ما أظنك إلا قد حرمت عليّ ، قالت : لا تقل ذلك ، فوالله ما أحب الله طلاقاً ، قالت : انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله ، فقال : إني أجدني أستحي منه أن أسأله عن هذا ، فقالت فدعني أن أسأله ، فقال لها : سليه ؛ فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا نبي الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي ، وأحب الناس إليّ ، قد قال كلمة والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً ، قال : أنت على كظهر أمي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما أراك إلا قد حرمت عليك ، قالت : لا تقل ذلك يا نبي الله ، والله ما ذكر طلاقاً ، فرادت النبي صلى الله عليه وسلم مراراً ، ثم قالت : اللهم إني أشكو اليوم شدة حالي ووحدي ، وما يشق عليّ من فراقه ، اللهم فأنزل على لسان نبيك ، فلم ترم^٢ مكانها حتى أنزل الله (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) إلى أن ذكر الكفارات فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أَعْتَقِ رَقَبَةً ، فقال : لا أجد ، فقال : صُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ قال : لا أستطيع ، إني لأصوم اليوم الواحد فيشق عليّ ؛ قال : أطعم ستين مسكيناً ، قال : أما هذا فنعم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن أبي إسحاق (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) قال نزلت في امرأة اسمها خولة وقال عكرمة اسمها خويلة ابنة ثعلبة وزوجها أوس ابن الصامت جاءت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إن زوجها جعلها عليه كظهر أمه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما أراك إلا قد حرمت عليك ، وهو حينئذ يغسل رأسه ، فقالت : انظر جعلت فداك يا نبي الله ، فقال : ما أراك إلا قد حرمت عليك ، فقالت : انظر في شأني يا رسول الله ، فجعلت تجادله : ثم حوّل رأسه ليغسله ، فتحوّلت من الجانب الآخر ، فقالت : انظر جعلني الله فداك يا نبي الله ، فقالت الغاسلة : أقصري حديثك ومخاطبتك يا خويلة ، أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متربداً ليوحى إليه ، فأنزل الله (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) . . . حتى بلغ (ثُمَّ يَتَعَوَّدُونَ لَمَا قَالُوا) قال قتادة : فحرمها ، ثم يريد أن يعود لها فيطأها (فَتَسْحَرِيرُ رَقَبَةٍ) . . . حتى بلغ (بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) قال أيوب : أحسبه ذكره عن عكرمة ، أن الرجل قال : يا نبي الله ما أجد رقبة ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أنا بيزائديك ، فأنزل الله عليه : (صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَا) فقال : والله يا نبي الله ما أطيق الصوم ، إني إذا لم آكل في اليوم كذا وكذا أكلة لقيت ولقيت ، فجعل يشكو إليه ، فقال : ما أنا بيزائديك ، فنزلت : (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَيَأْطِعْ سِتِينَ مِسْكِينًا) .

(١) الهجرة . بكسر الهاء : اسم من الهجر بفتحها ، وهو صومه لزوج .

(٢) لم ترم مكانها : لم تهرجه . رام المكان يرميه : من باب ضرب .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى، قال : ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عز وجل (الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) قال : تجادل محمدا صلى الله عليه وسلم، فهي تشتكي إلى الله عند كبره وكبرها حتى انتفض وانتفض رحمها.

حدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) قال محمدا في زوجها قد ظاهر منها، وهي تشتكي إلى الله، ثم ذكر سائر الحديث نحوه.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، قال : ثنا أبي، قال : ثنا أبان العطار، قال : ثنا هشام بن عروة، عن عروة، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : كتبت إلى تسألني عن خويلة ابنة أوس بن الصامت . وإنها ليست بابنة أوس بن الصامت، ولكنها امرأة أوس، وكان أوس امرأ به لم، وكان إذا اشتد به لمدته تظاهر منها، وإذا ذهب عنه لمدته لم يقل من ذلك شيئا، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه وتشتكي إلى الله، فأنزل الله ما سمعت، وذلك شأنهما :

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا وهب بن جرير، قال : ثنا أبي، قال : سمعت محمد بن إسحاق، يحدث عن معمر بن عبد الله، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال : حدثني خويلة امرأة أوس بن الصامت قالت : كان بيني وبينه شيء، تعني زوجها، فقال : أنت على كظهر أمي، ثم خرج إلى نادى قومه، ثم رجع فراودني عن نفسي، فقالت : كلا والذي نفسي بيده حتى ينتهي أمري وأمرك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقضي فيّ وفيك أمره، وكان شيخا كبيرا رقيقا، فغلبته بما تغلب به المرأة القوية الرجل الضعيف ثم خرجت إلى جارة لها، فاستعارت ثيابها، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلست بين يديه، فذكرت له أمره، فما برحت حتى أنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قالت : لا يقدر على ذلك، قال : إنا سنغينه على ذلك بفرق من تمر، قلت : وأنا أعينه بفرق آخر، فأطعم ستين مسكينا.

حدثني أبو السائب، قال : ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن تميم، عن عروة، عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) . . . إلى آخر الآية.

حدثني عيسى بن عثمان الرملي، قال : ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، قالت : تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتناجي النبي صلى الله عليه وسلم أسمع بعض كلامها، ويخفي على بعض كلامها إذ أنزل الله (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال : ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة بن الزبير، قال : قالت عائشة : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام

خولة ابنة ثعلبة ، ويخفى على بعضه ، وهي تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول : يا رسول الله أكل شبابي ، ونثرت له بطني ، حتى إذا كبر سني ، وانقطع ولدي ، ظاهر مني ، اللهم إني أشكو إليك ، قال : فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) قال : زوجها أوس بن الصامت :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، إن خولة تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيخفى على أحياننا بعض ما تقول ، قالت : فأنزل الله عز وجل (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن جميلة كانت امرأة أوس بن الصامت ، وكان امرأ به لم ، وكان إذا اشتد به لومه ظاهر من امرأته ، فأنزل الله عز وجل آية الظهار :

حدثني يحيى بن بشر القرقي ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموي ، قال : ثنا خَصِيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان ظهار الجاهلية طلاقاً ، فأول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت من امرأته الخزرجية ، وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك ، فلما ظاهر منها حسبت أن يكون ذلك طلاقاً ، فأنت به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله إن أوساً ظاهر مني ، وأنا إن افترقنا هلكنا ، وقد نثرت بطني منه ، وقدمت صحبتته ، فهي تشكو ذلك وتبكي ، ولم يكن جاء في ذلك شيء ، فأنزل الله عز وجل (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) . . . إلى قوله : (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتقدر على رقبة تعتقها ؟ فقال : لا والله يا رسول الله ، ما أقدر عليها ، فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنه ، ثم راجع أهله . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَاوِلُكَ فِي زَوْجِهَا) .

وقوله (وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) يقول : وتشتكى المجادلة ما لديها من الهم بظهار زوجها منها إلى الله ، وتسأله الفرج (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) يعني تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمجادلة خولة ابنة ثعلبة (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتجاوراناه ، وغير ذلك من كلام خلقه ، بصير بما يعماون ، ويعمل جميع عباده :

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿١٠﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره: الذين يحرّمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم ، فيقولون هنّ : أنتن علينا كظهور أمهاتنا ، وذلك كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية .

كذلك حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، قال : كان الظهار طلاقاً في الجاهلية ، الذي إذا تكلم به أحدهم لم يرجع في امرأته أبداً ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه ما أنزل .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة سوى نافع ، وعامة قراء الكوفة خلا عاصم : (يَظَاهِرُونَ) بفتح الياء وتشديد الظاء وإثبات الألف ، وكذلك قرءوا الأخرى بمعنى يتظاهرون ، ثم أدغمت التاء في الظاء فصارتا ظاء مشددة : وذكر أنها في قراءة أبيّ (يَتَظَاهِرُونَ) وذلك تصحيح لهذه القراءة وتقوية لها : وقرأ ذلك نافع وأبو عمرو وكذلك بفتح الياء وتشديد الظاء ، غير أنهما قرآه بغير ألف : (يَظْهَرُونَ) . وقرأ ذلك عاصم (يَظَاهِرُونَ) بتخفيف الظاء وضم الياء وإثبات الألف .

والصواب من القول في ذلك عندي أن كلّ هذه القراءات متقاربات المعاني . وأما (يَظَاهِرُونَ) فهو من تظاهر ، فهو يتظاهر . وأما (يَظْهَرُونَ) فهو من تظهر فهو يتظهر ، ثم أدغمت التاء في الظاء فقبل : يظهر . وأما (يَظَاهِرُونَ) فهو من ظاهر يظاهر ، فبأية هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ فصيب .

وقوله (مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ) يقول تعالى ذكره ما نساؤهم اللاتي يظاهرن منهنّ بأمهاتهم ، فيقولوا هنّ : أنتن علينا كظهر أمهاتنا ، بل هنّ لهم حلال :

وقوله (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ) لا اللاتي قالوا هنّ ذلك :

وقوله (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) يقول جلّ ثناؤه : وإن الرجال ليقولون منكراً من القول الذي لا تعرف صحته ؛ وزورا : يعني كذبا :

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) قال : الزور : الكذب (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ) يقول جلّ ثناؤه : إن الله لذو عفو وصفح عن ذنوب عباده إذا تابوا منها وأنابوا ، غفور له أن يعاقبهم عاينها بعد التوبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَحَرِيرٌ رَّقِيبَةٍ مِّن قَبْلُ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾

ﷺ يقول جلّ ثناؤه : والذين يقولون لنسائهم : أنتن علينا كظهور أمهاتنا .

وقوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) اختلف أهل العلم في معنى العود لما قال المظاهر ، فقال بعضهم : هو الرجوع في تحريم ما حرّم على نفسه من زوجته التي كانت له حلالاً قبل تظاهره ، فيحلها بعد تحريمه ليأها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا)
قال : يريد أن يغشى بعد قوله :

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) قال :
حرّمها ، ثم يريد أن يعود لها فيطأها .

وقال آخرون نحو هذا القول ، إلا أنهم قالوا : إمساكه إياها بعد تظهيره منها ، وتركه فراقها عود منه

لما قال عزم على الوطء أو لم يعزم : وكان أبو العالية يقول : معنى قوله (لِمَا قَالُوا) : فيما قالوا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سمعت أبا العالية يقول في قوله
(ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) : أي يرجع فيه .

واختلاف أهل العربية في معنى ذلك ، فقال بعض نحوي البصرة في ذلك المعنى : فتحرير رقبة من قبل أن

يتماسا ، فمن لم يجد فصيام ، فإطعام ستين مسكينا ، ثم يعودون لما قالوا إنا لانفعله فيفعلونه هذا الظاهر ،

يقول : هي على كظهر أمي ، وما أشبه هذا من الكلام ، فإذا أعتق رقبة أو أطعم ستين مسكينا عاد لما قد

قال : هو على حرام يفعله : وكأن قائل هذا القول كان يرى أن هذا من المقدم الذي معناه التأخير .

وقال بعض نحوي الكوفة (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) يصلح فيها في العربية : ثم يعودون إلى ما قالوا ،

وفما قالوا ، يريدون النكاح ، يريد : يرجعون عما قالوا ، وفي نقض ما قالوا : قال : ويجوز في العربية أن

تقول : إن عاد لما فعل ، تريد : إن فعل مرة أخرى ، ويجوز إن عاد لما فعل : إن نقض ما فعل ، وهو كما

تقول : حلف أن يضربك ، فيكون معناه : حلف لا يضربك ، وحلف ليضربك :

والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال : معنى اللام في قوله (لِمَا قَالُوا) بمعنى إلى أو في ، لأن معنى

الكلام : ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه ، وإن قيل معناه : ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا ،

أو في تحليل ما حرّموا فصواب ، لأن كل ذلك عود له ، فتأويل الكلام : ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على

أنفسهم مما أحله الله لهم .

وقوله (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا) يقول : فعله تحرير رقبة ، يعنى عتق رقبة عبد

أو أمة ، من قبل أن يماس الرجل المظاهر امرأته التي ظاهر منها أو تماسه .

واختلف في المعنى بالمسيس في هذا الموضع نظير اختلافهم في قوله (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِّنْ قَبْلِ

أَنْ تَتَمَسَّوْهُنَّ) وقد ذكرنا ذلك هنالك .

وسند ذكر بعض ما لم يذكره هنالك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَالَّذِينَ

يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) فهو الرجل يقول لامرأته : أنت على كظهر أمي ،

فإذا قال ذلك ، فليس يحلّ له أن يقربها بنكاح ولا غيره حتى يكفر عن يمينه بعقوبة رقية « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتأسا » والمس : النكاح « فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا » وإن هو قال لها : أنت على كظهر أمي إن فعلت كذا وكذا ، فليس يقع في ذلك ظهار حتى يحنث ، فإن حنث فلا يقربها حتى يكفر ، ولا يقع في الظهار طلاق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : ثنا أشعث ، عن الحسن أنه كان لا يرى بأسا أن يغشى المظاهر دون الفرج .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : قال سفيان : إنما المظاهرة عن الجماع ولم ير بأسا أن يقضى حاجته دون الفرج أو فوق الفرج ، أو حيث يشاء ، أو يباشر .

وقال آخرون : عني بذلك كل معاني المسيس ، وقالوا : الآية على العموم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا وهيب ، عن يونس ، قال : بلغني عن الحسن أنه كره للمظاهر المسيس .

وقوله (ذَلِكُمْ تُوَعَّظُونَ بِهِ) يقول تعالى ذكره : أوجب ربكم ذلك عليكم عظة لكم تتعظون به ، فتنبهون عن الظهار وقول الزور (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بأعمالكم التي تعملونها أيها الناس ذوخبرة لا يخفى عليه شيء منها ، وهو يجازيكم عليها ، فانتبهوا عن قول المنكر والزور .

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَأَسَّأَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : فمن لم يجد منكم ممن ظاهر من امرأته رقية يحررها ، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتأسا ، والشهران المتتابعان هما اللذان لا فصل بينهما بإفطار في نهار شيء منهما إلا من عذر ، فإنه إذا كان الإفطار بالعذر ففيه اختلاف بين أهل العلم ، فقال بعضهم : إذا كان إفطاره لعذر فزال العذر بنى على ما مضى من الصوم .

وقال آخرون : بل يستأنف ، لأن من أفطر بعذر أو غير عذر لم يتابع صوم شهرين .

ذكر من قال : إذا أفطر بعذر وزال العذر بنى وكان متابعا

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال في رجل صام من كفارة الظهار ، أو كفارة القتل ، ومرض فأفطر ، أو أفطر من عذر ، قال : عليه أن يقضى يوما مكان يوم ، ولا يستقبل صومه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، بمثله .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا يحيى ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب في المظاهر الذي عليه صوم شهرين متتابعين ، فصام شهرا ، ثم أفطر ، قال : يتم ما بقي :

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد بن المسيب في رجل صام من كفارة الظهار شهرا أو أكثر ثم مرض ، قال : يعتد بما مضى إذا كان له عذر .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا سالم بن نوح ، قال : ثنا عمر بن عامر ، عن قتادة ، عن الحسن في الرجل يكون عليه الصوم في قتل أو نذر أو ظهار ، فصام بعضه ثم أفطر ، قال : إن كان معذورا فإنه يقضى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : إن أفطر من عذر أتم ، وإن كان من غير عذر استأنف .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حجاج ، عن عطاء ، قال : من كان عليه صوم شهرين متتابعين فرض فأفطر ، قال : يقضى ما بقي عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح وعمر بن دينار في الرجل يفطر في اليوم الغيم ، يظن أن الليل قد دخل عليه في الشهرين المتتابعين أنه لا يزيد على أن يبدله ، ولا يستأنف شهرين آخرين :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : إن جامع المعتكف وقد بقي عليه أيام من اعتكافه قال : يتم ما بقي ، والمظاهر كذلك .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : إذا كان شيئا ابتلى به بنى على صومه ، وإذا كان شيئا هو فعله استأنف ، قال سفيان : هذا معناه .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن عامر في رجل ظاهر ، فصام شهرين متتابعين إلا يومين ثم مرض ، قال : يتم ما بقي :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل عن الشعبي بنحوه .

حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا : ثنا هشيم ، عن إسماعيل ، عن الشعبي في رجل عليه صيام شهرين متتابعين ، فصام فرض فأفطر ، قال : يقضى ولا يستأنف .

ذكر من قال : يستقبل من أفطر بعذر أو غير عذر

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في رجل عليه صيام شهرين متتابعين فأفطر ، قال : يستأنف ، والمرأة إذا حاضت فأفطرت تقضى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : إذا مرض فأفطر استأنف ، يعني من كان عليه صوم شهرين متتابعين فرض فأفطر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : يستأنف .

وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال : يبني المفطر بعذر ، ويستقبل المفطر بغير عذر ، لإجماع

الجميع على أن المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين بعذر ، فثله ، لأن إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قبل الله ، فكل عذر كان من قبل الله فثله .
 وقوله (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَأُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا) يقول تعالى ذكره : فمن لم يستطع منهم الصيام فعليه إطعام ستين مسكينا ، وقد بينا وجه الإطعام في الكفارات فيما مضى قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته .
 وقوله (ذَلِكَ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) يقول جل ثناؤه : هذا الذي فرضت على من ظاهر منكم ما فرضت في حال القدرة على الرقبة ، ثم خففت عنه مع العجز بالصوم ، ومع فقد الاستطاعة على الصوم بالإطعام ، وإنما فعلته كي تقر الناس بتوحيد الله ورسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ويصدقوا بذلك ، ويعملوا به ، وينتهوا عن قول الزور والكذب (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وهذه الحدود التي حدّها الله لكم ، والفروض التي بينها لكم حدود الله فلا تتعدّوها أيها الناس (وَلِلْكَافِرِينَ) بها ، وهم جاحدو هذه الحدود وغيرها من فرائض الله أن تكون من عند الله (عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : عذاب مؤلم :

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين يخالفون الله في حدوده وفرائضه ، فيجعلون حدودا غير حدوده ، وذلك هو المحادّة لله ولرسوله .

وأما قتادة فإنه كان يقول في معنى ذلك ، ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يقول : يعادون الله ورسوله .

وأما قوله (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فإنه يعنى : غيظوا وأخزوا كما غيظ الذين من قبلهم من الأمم الذين حادّوا الله ورسوله ، وخزّوا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

خزّوا كما خزى الذين من قبلهم .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : معنى (كُبِتُوا) أهلكوا .

وقال آخر منهم : يقول : معناه غيظوا وأخزوا يوم الحندق (كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

يريد من قاتل الأنبياء من قبلهم .

وقوله (وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) يقول : وقد أنزلنا دلالات مفصلات ، وعلامات محكمات تدل على حقائق حدود الله .

وقوله (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) يقول تعالى ذكره : ولجاحدى تلك الآيات البينات التى أنزلناها على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنكرها عذاب يوم القيامة مهين : يعنى مذل فى جهنم .
القول فى تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : وللكافرين عذاب مهين فى يوم يبعثهم الله جميعا ، وذلك (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) من قبورهم لموقف القيامة (فَيُنَبِّئُهُمُ) الله (بِمَا عَمِلُوا ، أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ) يقول تعالى ذكره : أحصى الله ما عملوا ، فعده عليهم ، وأثبتته وحفظه ، ونسيه عاملوه والله على كل شئ شهيد : يقول : (وَاللَّهُ) جل ثناؤه (عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) عاملوه وغير ذلك من أمر خلقه (شَهِيدٌ) ، يعنى شاهد بعلمه ، ويحيط به ، فلا يعزب عنه شئ منه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فترى (أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) من شئ ، لا يخفى عليه صغير ذلك وكبيره ، يقول جل ثناؤه : فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم ، ثم وصف جل ثناؤه قربته من عباده وسماعه نجواهم ، وما يكتُمونه الناس من أحاديثهم ، فيتحدثونه سرا بينهم ، فقال (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) من خلقه (إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) يسمع سرهم ونجواهم ، لا يخفى عليه شئ من أسرارهم (وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ) يقول : ولا يكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك (وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ) يقول : ولا أقل من ثلاثة (وَلَا أَكْثَرُ) من خمسة (إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) إذا تناجوا (أَيْنَمَا كَانُوا) يقول : فى أى موضع ومكان كانوا :

وعنى بقوله (هُوَ رَابِعُهُمْ) بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه ، وهو على عرشه :

كما حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا نصر بن ميمون المضر وب ، قال : ثنا بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن الضحاك ، فى قوله (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) ، : : : إلى قوله (هُوَ)

مَعَهُمْ) قال : هو فوق العرش وعلمه معهم (أَيُّهَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

وقوله (ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : ثم يخبر هؤلاء المتناجين وغيرهم بما عملوا من عمل مما يحبه أو يسخطه يوم القيامة (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله بنجواهم وأسرارهم ، وسرائر أعمالهم ، وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليم .

واختلفت القرء في قراءة قوله (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) فقرأت قرء الأمصار ذلك (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى) بالياء ، خلا أبي جعفر القاري ، فإنه قرأه (مَا تَكُونُ) بالتاء . والياء هي الصواب في ذلك ، لإجماع الحجة عليها ، ولصححتها في العربية .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا فَالْأَرْضُ ۖ

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى) من اليهود (ثُمَّ يَعُودُونَ) فقد نهى الله عز وجل إياهم عنها ، ويتناجون بينهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى) قال : اليهود . قوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ) يقول جل ثناؤه : ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه من النجوى (وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) يقول جل ثناؤه : ويتناجون بما حرم الله عليهم من الفواحش والعدوان ، وذلك خلاف أمر الله ومعصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلفت القرء في قراءة قوله (وَيَتَنَاجَوْنَ) فقرأت ذلك عامة قرء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين والبصريين (وَيَتَنَاجَوْنَ) على مثال يتفاعلون ، وكان يحيى وحزرة والأعمش يقرءون (وَيَتَنَاجَوْنَ) على مثال يفتعلون ، واعتل الذين قرءوه (يَتَنَاجَوْنَ) بقوله : (إِذَا تَنَاجَيْتُمْ) ولم يقل : إذا انتجيتم .

وقوله (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا جاءك يا محمد هؤلاء الذين نهوا عن النجوى ، الذين وصف الله جل ثناؤه صفتهم ، حيوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية ، وكانت تحيتهم التي كانوا يحيونه بها التي أخبر الله أنه لم يحبه بها فيما جاءت به الأخبار ، أنهم كانوا يقولون : السام عليك .

ذكر الرواية الواردة بذلك

حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقلت : السام عليكم ، وفعل الله بكم وفعل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا عائشة إن الله لا يحب الفاحش ، فقلت : يا رسول الله ، ألسنت ترى ما يقولون ؟ فقال : ألسنت ترى تزييتي أردت عليهم ما يقولون ؟ أقول : عليكم ، وهذه الآية في ذلك نزلت (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحييك به الله ويَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ، حَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « كان اليهود يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون : السام عليكم ، فيقول : عليكم ، قالت عائشة : السام عليكم وغضب الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يحب الفاحش المتفحش ، قالت : إنهم يقولون : السام عليكم ، قال : لا أتى أقول : عليكم ، فنزلت : (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحييك به الله) قال : فإن اليهود يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : السام عليكم ، : حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحييك به الله) قال : كانت اليهود يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : السام عليكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قواه (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحييك به الله) . . . إلى (فبينما هم ينصرون) قال : كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حيوه : سام عليكم ، فقال الله : (حسبهم جهنم بما كانوا يعملون) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحييك به الله) قال : يقولون : سام عليكم ، قال : هم أيضا يهود .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (حيوك بما لم يحييك به الله) قال : اليهود كانت تقول : سام عليكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري « أن عائشة فطنت إلى قولهم ، فقالت : وعليكم السامة واللعنة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله ، فقالت : يا نبي الله ألم تسمع ما يقولون ؟ قال : أفلم تسمعي ما أردت عليهم ؟ أقول : عليكم . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك « أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينهما هو جالس مع أصحابه ، إذ أتى عليهم يهودي ، فسلم عليهم ، فردوا عليه ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما قال ؟ قالوا سلم يا رسول الله ، قال : بلى قال : سأتم عليكم ، أي تسامون دينكم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أقبلت سأتم عليكم ؟ قال : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا وعليك » : أي عليك ما قلت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيك به الله) قال : « هؤلاء يهود ، جاء ثلاثة نفر منهم إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فتناجوا ساعة ، ثم استأذن أحدهم ، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : السام عليكم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليك ، ثم الثاني ، ثم الثالث » قال ابن زيد : السام : الموت .

وقوله جل ثناؤه : (ويَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) يقول جل ثناؤه : ويقول حيّوك بهذه التحية من اليهود : هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيعجل عقوبته لنا على ذلك ، يقول الله : حسب قائل ذلك يا محمد جهنم ، وكفاهم بها يصلونها يوم القيامة ، فبئس المصير لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إذا تَنَجَّيْتُمْ) بينكم (فلا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) لكن (تَنَاجَوْا بِالْبِرِّ) يعني طاعة الله وما يقربكم منه (والتَّقْوَى) يقول : وباتقائه بأداء ما كلفكم من فرائضه واجتناب معاصيه (واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يقول : وخافوا الله الذي إليه مصيركم ، وعنده مجتمعكم في تضييع فرائضه ، والتقدم على معاصيه أن يعاقبكم عليه عند مصيركم إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَرِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : إنما المناجاة من الشيطان : ثم اختلف أهل العلم في النجوى التي أخبر الله أنها من الشيطان ، أي ذلك هو ، فقال بعضهم : عني بذلك مناجاة المنافقين بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنما النجوى من الشيطان)

لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) كان المنافقون يتناجون بينهم ، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ، ويكبر عليهم ، فأنزل الله في ذلك القرآن (لَا تَمَنَّا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا) ... الآية .

وقال آخرون بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله عز وجل (لَا تَمَنَّا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) قال كان الرجل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحاجة ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع ذلك من أحد : قال : والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد ، وكان إبليس يأتي القوم فيقول لهم : إنما يتناجون في أمور قد حضرت ، وجموع قد جمعت لكم وأشياء ، فقال الله (لَا تَمَنَّا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) ... إلى آخر الآية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : كان المسلمون إذا رأوا المنافقين خلوا بتناجون ، يشق عليهم ، فنزلت (لَا تَمَنَّا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) . وقال آخرون : عني بذلك أحلام النوم التي يراها الإنسان في نومه فتحزنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن داود البلخي ، قال : سئل عطية ، وأنا أسمع الرؤيا ، فقال : الرؤيا على ثلاث منازل ، فمنها وسوسة الشيطان ، فذلك قوله (لَا تَمَنَّا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ) ومنها ما يحدث نفسه بالنهار فيراه بالليل ؛ ومنها كالأخذ باليد .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني به مناجاة المنافقين بعضهم بعضا بالإثم والعدوان ، وذلك أن الله جل ثناؤه تقدم بالنهي عنها بقوله (إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) ثم عما في ذلك من المكروه على أهل الإيمان ، وعن سبب نهيه إياهم عنه ، فقال : (لَا تَمَنَّا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) فبين بذلك إذا كان النهي عن رؤية المرء في منامه كان كذلك ، وكان عقيب نهيه عن النجوى بصفة أنه من صفة ما نهى عنه .

وقوله (وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وليس التناجي بضر المؤمنين شيئا إلا بإذن الله ، يعني بقضاء الله وقدّره .

وقوله (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : وعلى الله فليتوكل في أمورهم أهل الإيمان به ، ولا يحزنوا من تناجي المنافقين ومن يكيدهم بذلك ، وأن تناجيهم غير ضارهم إذا حفظهم ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا

(١) المراد من هذه العبارة أن عدم تأني النهي عن الرؤيا المنامية ، وتقدم النهي عن المناجاة بمعنى المسارة ، يوضحان ما اختاره ، من أن النجوى معناه المسارة ، تأمل .

فَانْشُرُوا بِرَفْعِ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ)
يعنى بقوله تَفَسَّحُوا توسعوا من قولهم مكان فسيح إذا كان واسعا .
واختلف أهل التأويل في المجلس الذي أمر الله المؤمنين بالتفسيح فيه ، فقال بعضهم : ذلك كان مجلس
النبي صلى الله عليه وسلم خاصة :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله
(تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ) قال : مجلس النبي صلى الله عليه وسلم . كان يقال ذلك خاصة .
حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ
لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ) . . . الآية ، كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنّوا بمجلسهم عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول ، في قوله
(إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ) قال : كان هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله خاصة
يقول : استوسعوا حتى يصيب كل رجل منكم مجلسا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي أيضا مقاعد للقتال .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ)
قال : كان الناس يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقبل لهم : (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا
فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا) .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (إِذَا قِيلَ لَكُمْ
تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) قال : هذا مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، كان الرجل يأتي فيقول : افسحوا لي رحمكم الله ، فيضن كل أحد منهم بقربه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم الله بذلك ، ورأى أنه خير لهم .
وقال آخرون : بل عني بذلك في مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ)
قال : ذلك في مجلس القتال .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ ، وَلَمْ يَخْصُصْ بِذَلِكَ مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ مَجْلِسِ الْقِتَالِ ، وَكَلَّا الْمَوْضِعِينَ يَقَالُ لَهُ مَجْلِسٌ ، فَذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْمَجَالِسِ مِنْ مَجَالِسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَجَالِسِ الْقِتَالِ .

وَاخْتَلَفَتْ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْأَمْصَارِ (تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ) عَلَى التَّوْحِيدِ خَيْرَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعَاصِمٍ ، فَكِلَاهُمَا قَرَأَ ذَلِكَ (فِي الْمَجَالِسِ) عَلَى الْجَمَاعِ . وَبِالتَّوْحِيدِ قِرَاءَةُ ذَلِكَ عِنْدَنَا لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَاءِ عَلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ (فَافْسَحُوا) يَقُولُ : فَوسِعُوا (يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ) يَقُولُ : يُوَسِّعُ اللَّهُ مَنَازِلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ (وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَإِذَا قِيلَ ارْتَفَعُوا ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِذَلِكَ : وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ قَوْمُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوٍّ ، أَوْ صَلَاةٍ ، أَوْ عَمَلٍ خَيْرٍ ، أَوْ تَفَرَّقُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَوْمُوا : وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنِي عَمِّي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا) إِلَى (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) قَالَ : إِذَا قِيلَ : انشُرُوا فَانْشُرُوا إِلَى الْخَيْرِ وَالصَّلَاةِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ (فَانْشُرُوا) قَالَ : إِلَى كُلِّ خَيْرٍ ، قِتَالِ عَدُوٍّ ، أَوْ أَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ حَقٍّ مَا كَانَ .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا) يَقُولُ : إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى خَيْرٍ فَأَجِيبُوا : وَقَالَ الْحَسَنُ : هَذَا كُلُّهُ فِي الْغَزْوِ .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : ثَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : (وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا) كَانَ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ تَنَاقَلَ رِجَالٌ ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَنْ يَرْتَفِعُوا إِلَيْهَا ، يَقَوْمُوا إِلَيْهَا .

وَحَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا) قَالَ : انشُرُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : هَذَا فِي بَيْتِهِ إِذَا قِيلَ انشُرُوا ، فَارْتَفَعُوا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ لَهُ حَوَائِجٌ ، فَأَحَبُّ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ آخِرَ عَهْدِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : (إِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا) .

وَإِنَّمَا اخْتَرْتُ التَّأْوِيلَ الَّذِي قُلْتُ فِي ذَلِكَ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ انشُرُوا ، أَنْ يَنْشُرُوا ، فَعَمَّ بِذَلِكَ الْأَمْرَ جَمِيعَ مَعَانِي النُّشُورِ مِنَ الْخَيْرَاتِ ، فَذَلِكَ عَلَى عَمُومِهِ حَتَّى يَخْصُهُ مَا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ : وَاخْتَلَفَتْ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ (فَانْشُرُوا) بضم الشين ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَاءِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ بِكسرها

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان بمنزلة يعكفون ويعكفون ، ويعرّشون ويعرّشون ، فبأى القراءتين قرأ القارئ فصيـب .

وقوله (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) يقول تعالى ذكره : يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم فيما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل لهم تفسحوا ، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها ، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يوتوا العلم بفضل علمهم درجات ، إذا عملوا بما أمروا به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) إن بالعلم لأهله فضلا ، وإن له على أهله حقا ، ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل ، والله معطي كل ذي فضل فضله .

وكان مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير يقول : فضل العلم أحبّ إلى من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع وكان عبد الله بن مطرف يقول : إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوما وصلاة وصدقة ، والآخر أفضل منه بونا بعيدا ، قيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : هو أشدّهما ورعا لله عن محارمه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به .
وقوله (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة ، لا يخفى عليه المطيع منكم ربه من العاصي ، وهو مجاز جميعكم بعمله المحسن بإحسانه ، والمسيء بالذي هو أهله ، أو يعفو :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمُ صَدَقَةٌ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، إذا ناجيتم رسول الله ، فقدّموا أمام نجاكم صدقة تتصدقون بها على أهل المسكنة والحاجة (ذاك خيرٌ لكم) يقول : وتقديمكم الصدقة أمام نجاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خير لكم عند الله (وأطهر) لقلوبكم من المآثم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمُ صَدَقَةٌ)

قال : ثم هُؤوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا ، فلم ينجاه إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قدم ديناراً فتصدق به ، ثم أنزلت الرخصة في ذلك :

حدثنا محمد بن عبيد بن محمد المحاربي ، قال : ثنا المطلب بن زياد ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : قال علي رضي الله عنه : إن في كتاب الله عز وجل آية ما عمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديكم نجواكم صدقة) قال : فرضت ، ثم نسخت :

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل بن عباد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديكم نجواكم صدقة) قال : هُؤوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا ، فلم ينجاه إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قدم ديناراً صدقة تصدق به ، ثم أنزلت الرخصة :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثاً ، عن مجاهد ، قال : قال علي رضي الله عنه : آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي ، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم ، فكنت إذا جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم ، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديكم نجواكم صدقة) :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديكم نجواكم صدقة) قال : سألت الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسئلة ، فوعظهم الله بهذه الآية ، وكان الرجل تكون له الحاجة إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة ، فاشتد ذلك عليهم ، فأُنزل الله عز وجل الرخصة بعد ذلك (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديكم نجواكم صدقة) قال : إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديكم نجواكم صدقة) . : إلى (فإن الله غفور رحيم) قال : كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة ، فلما نزلت الزكاة نسخ هذا :

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فقدموا بين يديكم نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ؛ فلما قال ذلك صهر كثير من الناس ، وكفوا عن المسئلة ، فأُنزل

الله بعد هذا (فإذا آلم تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) فوسَّعَ اللهُ عليهم ، ولم يضيق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن أبي المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن علي بن علقمة الأنمري ، عن علي ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما تَرَى ؟ دينار ؟ قال : لا يطيقون ، قال : نصف دينار ؟ قال : لا يطيقون ، قال : ما تَرَى ؟ قال : شعيرة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إنَّكَ لَزَهِيدٌ ، قال علي رضي الله عنه : فبي خفف الله عن هذه الأمة : وقوله (إذا ناجيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) فزلت (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ) لثلاث ينادي أهل الباطل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيشوق ذلك على أهل الحق ، قالوا : يا رسول الله ما نستطيع ذلك ولا نطيعه ، فقال الله عز وجل (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ، فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وقال : (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ، إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) ، من جاء يناديك في هذا فاقبل مناجاته ، ومن جاء يناديك في غير هذا فاقطع أنت ذلك عنه لاتناجه : قال : وكان المنافقون ربما ناجوا فيما لا حاجة لهم فيه ، فقال الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) قال : لأن الحديث يدخل في ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال في المجادلة : (إذا ناجيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فنسخها الآية التي بعدها ، فقال (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ، فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

وقوله (فإن لم تجدوا) يقول تعالى ذكره : فإن لم تجدوا ما تتصدقون به أمام مناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإن الله غفور رحيم) يقول : فإن الله ذو عفو عن ذنوبكم إذا تبتم منها ، رحيم بكم أن يعاقبكم عليها بعد التوبة ، وغير مؤاخذكم بمناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تقدّموا بين يدي نجاكم إياه صدقة .

القول في تأويل قوله تعالى

ءَاشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَأَذِنُوا فَعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : أشق عليكم وخشيتم أيها المؤمنون بأن تقدموا بين يدي نجواكم رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات الفاقة ، وأصل الإشفاق في كلام العرب : الخوف والحذر ، ومعناه في هذا الموضع : أخشيتم بتقديم الصدقة الفاقة والفقير .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَشْفَقْتُمْ) قال : شق عليكم تقديم الصدقة ، فقد وُضِعَتْ عنكم ، وأمروا بمناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صدقة حين شق عليهم ذلك ؛ حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل بن عباد المكي ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَشْفَقْتُمْ) أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ، فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ) فريضتان واجبتان لأرجعة لأحد فيهما ، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة في النجوى ، وقوله (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) يقول تعالى ذكره : فإذا لم تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ، ورزقكم الله التوبة من ترككم ذلك ، فأدوا فرائض الله التي أوجبها عليكم ، ولم يضعها عنكم من الصلاة والزكاة ، وأطيعوا الله ورسوله ، فيما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه : (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول جل ثناؤه : والله ذو خبرة وعلم بأعمالكم ، وهو محصيا عليكم ليجازيكم بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر بعين قلبك يا محمد ، فترى إلى القوم الذين تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وهم المنافقون تَوَلَّوْا اليهود وناصحوهم .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) إلى آخر الآية ، قال : هم المنافقون تولَّوا اليهود وناصحوهم .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) قال : هم اليهود تولاهم المنافقون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ) قال : هؤلاء كفرة أهل الكتاب اليهود والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود ، وقرأ قول الله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) حتى بلغ (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) لئن كان ذلك لا يفتعلون وقال : هؤلاء المنافقون قالوا : لاندع حلفاءنا وموالينا يكونون معنا لنصرتنا وعزنا ، ومن يدفع عنا نخشى أن تصيبنا دائرة ، فقال الله عز وجل (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ) حتى بلغ (فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ) وقرأ حتى بلغ (أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) قال : لا يبرزون .

وقوله (مَا هُمْ مِنْكُمْ) يقول تعالى ذكره : ما هؤلاء الذين تولَّوا هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم منكم يعني : من أهل دينكم وملتكم ، ولا منهم ، ولا هم من اليهود الذين غضب الله عليهم ، وإنما وصفهم بذلك منكم جل ثناؤه لأنهم منافقون إذا لقوا اليهود ، قالوا (إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا .

وقوله (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ويحلفون على الكذب ، وذلك قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : نشهد إنك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدقين به ، ولا مؤمنين به ، كما قال جل ثناؤه (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل منهم عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر بلغه عنه ، فحلف كذبا .

ذكر الخبر الذي روى بذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بَعْثَيْنِ شَيْطَانٍ ، أَوْ بَعْثَيْنِ شَيْطَانٍ ، قَالَ : فَدَخَلَ رَجُلٌ أَزْرَقٌ ، فَقَالَ لَهُ : عَلَامَ تَسْبِيئِي أَوْ تَشْتَمِي ؟ قَالَ : فَجَعَلَ يَحْلِفُ ، قَالَ : فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمَجَادِلَةِ (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ، وَالْآيَةُ الْآخَرَى :

القول في تأويل قوله تعالى :

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾

ﷻ يقول تعالى ذكره: أعدّ الله لهؤلاء المنافقين الذين تولّوا اليهود عذابا في الآخرة شديدا (لأنهم ساء ما كانوا يعملون) في الدنيا بغشهم المسلمين. ونصحهم لأعدائهم من اليهود. وقوله (اتّخذوا أيمانهم جنة) يقول جل ثناؤه: جعلوا حافهم وأيمانهم جنة يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذرائعهم، وذلك أنهم إذا اطّلع منهم على النفاق، حلفوا للمؤمنين بالله لأنهم لهم (فصدّوا عن سبيل الله) يقول جل ثناؤه: فصدّوا بأيمانهم التي اتّخذوها جنة المؤمن من سبيل الله فيهم، وذلك أنهم كفروا، وحكم الله وسبيله في أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل، أو أخذ الجزية، وفي عبدة الأوثان القتل، فالمنافقون يصدّون المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم لأنهم مؤمنون، ولأنهم منهم، فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم، ويمتنعون به مما يمتنع منه أهل الإيمان بالله. وقوله (فلهم عذاب مهين) يقول: فلهم عذاب مُدِلّ لهم في النار:

القول في تأويل قوله تعالى:

لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

ﷻ يقول تعالى ذكره: لن تغني عن هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم، فيفتدوا بها من عذاب الله المهين لهم ولا أولادهم، فينصروهم ويستنقذونهم من الله إذا عاقبهم (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول: هؤلاء الذين تولوا قوما غضب الله عليهم، وهم المنافقون أصحاب النار، يعنى أهلها الذين هم فيها خالدون، يقول: هم في النار ما كثون إلى غير نهاية:

القول في تأويل قوله تعالى:

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾

ﷻ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين ذكرهم هم أصحاب النار، يوم يبعثهم الله جميعا، فيوم من صلة أصحاب النار. وعنى بقوله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) من قبورهم أحياء كهيئاتهم قبل مماتهم، فيحلفون له كما يحلفون لكم كاذبين مبطلين فيها.

كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (فَيَحْلِفُونَ لَهُ) قال: إن المنافق حلف له يوم القيامة كما حلف لأوليائه في الدنيا:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) ... الآية، والله حالف المنافقون ربهم يوم القيامة، كما حلفوا أوليائه في الدنيا:

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب البكري ، عن سعيد بن جبير ، قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم في ظل حجرة قد كاد ينفك عن الظل » ، فقال : « إِنَّهُ سَيَأْتِيَكُمْ رَجُلٌ ، أَوْ يَطْلُعُ رَجُلٌ بَعَثَ شَيْطَانٌ فَلَا تُكَلِّمُوهُ » فلم يلبث أن جاء ، فاطلع فإذا رجل أزرق ، فقال له : « عَلَامَ تَشْتُمِنِي أَنْتَ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ » ؟ قال : فذهب فدعا أصحابه ، فحلفوا ما فعلوا ، فنزلت (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ، فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) .

وقوله (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ) يقول : ويظنون أنهم في أيمانهم وحلفهم بالله كاذبين على شيء من الحق ، (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) فيما يحلفون عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) غلب عليهم الشيطان (فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) يعني جنده وأتباعه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) يقول : ألا إن جند الشيطان وأتباعه هم المالكون المغبونون في صفقتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿١٢﴾ كَذَّبَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ رَسُولِهِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين يخالفون الله ورسوله في حدوده ، وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يقول : يعادون الله ورسوله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) قال : يعادون ، شاقون .

وقوله (أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يحادّون الله ورسوله في أهل الذلة ، لأن الغلبة لله ورسوله .

وقوله (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) يقول : قضى الله وخط في أم الكتاب ، لأغلبن أنا ورسلي من حادّتي وشاقّتي .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) ... الآية ، قال : كتب الله كتابا وأمضاه .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) يقول : إن الله جل ثناؤه ذو قوة وقدرة على كل من حادّته ورسوله أن يهلكه ، ذو عزة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه ، أو عاقبه ، أو أصابه في نفسه بسوء .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) لا تجد قوما يصدقون الله ، ويقرّون باليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله وشاقّهما وخالف أمر الله ونهيه (وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ) يقول : ولو كان الذين حادّوا الله ورسوله آباءهم (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) وإنما أخبر الله جل ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم » ليسوا من أهل الإيمان بالله ولا باليوم الآخر ، فلذلك تولّوا الذين تولّوهم من اليهود .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادّون من حادّ الله ورسوله : أى من عادى الله ورسوله .

وقوله (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ) يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، كتب الله في قلوبهم الإيمان .

ولمّا عُنِيَ بذلك : قضى لقلوبهم الإيمان ، ففي بمعنى اللام ، وأخبر تعالى ذكره أنه كتب في قلوبهم الإيمان لهم ، وذلك لما كان الإيمان بالقلوب ، وكان معلوما بالخبر عن القلوب أن المراد به أهلها ، اجتزى بذكرها من ذكر أهلها .

وقوله (وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) يقول : وقوَاهم بِبِرْهَانٍ مِنْهُ ونور وهدى (وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول : ويدخلهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ما كثرين فيها أبدا (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعتهم إياه في الدنيا (وَرَضُوا عَنْهُ) في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ) يقول : أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ) يقول : ألا إن جند الله وأولياؤه (هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول : هم الباقون المنجّحون بإدراكهم ما طلبوا ، والتسوا ببيعتهم في الدنيا ، وطاعتهم ربهم .

آخر تفسير سورة المجادلة

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْارْبَعُ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

يعنى بقوله جل ثناؤه (سَبِّحَ لِلَّهِ) صلى الله ، وسجد له (مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) من خلقه (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : وهو العزيز في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيتهم إياه ، الحكيم في تدبيره إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) الله الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، وهم يهود بنى النضير من ديارهم ، وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم ، حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذرائعهم ، وعلى أن لهم لما أفلت الإبل من أموالهم ، ويخلوا له دورهم ، وسائر أموالهم ، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، فخرجوا من ديارهم ، فخرج إلى الشام ، ومنهم من خرج إلى خيبر ، فذلك قول الله عز وجل (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : النضير حتى قوله (وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ) : ذكر ما بين ذلك كله فيهم

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قيل : الشام ، وهم بنو النضير حتى من اليهود ، فأجلاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر ، مرجعه من أحد :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري (مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : هم بنو النضير قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشام ، وعلى أن لهم ما أفلت الإبل من شيء إلا الحاققة ، والحلقة : السلاح ، كانوا من سبط لم يصيبهم جلاء فيما مضى ، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء ، ولولا ذلك عذبهم في الدنيا بالقتل والسب :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد ، في قوله (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : هؤلاء النضير حين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، قال : نزلت في بني النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله عز وجل به من نعمته ، وما ساط عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم ، فقال (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) . . . الآيات .

وقوله (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) يقول تعالى ذكره : لأول الجمع في الدنيا ، وذلك حشرهم إلى أرض الشام .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قوله (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : كان جلاؤهم أول الحشر في الدنيا إلى الشام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : تَجِيءُ نار من مَشْرِقِ الأرض ، تَحْتَشُرُ الناس إلى مغاريها ، فتبيت معهم حيث باتوا ، وتَقِيلُ معهم حيث قالوا ، وتأكل من تَخْتَأَفُ .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : « بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أجلى بنى النضير ، قال : امْضُوا فَهَذَا أَوَّلُ الْحَشْرِ ، وَإِنَّا عَلَى الْآثَرِ » .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : الشام حين ردتهم إلى الشام ، وقرأ قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مَصْدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) قال : من حيث جاءت ، أدبارها أن رجعت إلى الشام ، من حيث جاءت ردوا إليه .

وقوله (مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا) يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظننتم أن يخرج هؤلاء الذين أخرجهم الله من ديارهم من أهل الكتاب من مساكنهم ومنازلهم ، (وَوَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ) وإنما ظن القوم فيما ذكر ذلك أن عبد الله بن أبي جماعة من المنافقين بعثوا إليهم لما حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالثبات في حصونهم ، ويعدونهم النصر .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، أن رهطا من بني عوف ابن الخزرج منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعه ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس ، بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ، وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا لذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل بهم .
وقوله (فَأَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) يقول تعالى ذكره : فَأَنَاهُمُ أمر الله من حيث لم يحتسبوا أنه يأتيهم ، وذلك الأمر الذي أناهم من الله من حيث لم يحتسبوا ، قذف في قلوبهم الرعب بنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم في أصحابه ، يقول جل ثناؤه : وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ .

وقوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) يعني جل ثناؤه بقوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ) بنى النضير من اليهود ، وأنهم يخربون مساكنهم ، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الحشبة فيما ذكر في منازلهم مما يستحسنونه ، أو العمود أو الباب ، فيزعون ذلك منها بأيديهم وأيدي المؤمنين .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) جعلوا يخربونها من أجوافها ، وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : لما صالحوا النبي صلى الله

عليه وسلم كانوا لا يعجبهم خشبة إلا أخذوها ، فكان ذلك خرابها . وقال قتادة : كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ، وتخربها اليهود من داخلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، قال : احتملوا من أموالهم ، يعني بني النضير ، ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، قال : فذلك قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) وذلك هدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله عز وجل (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) قال : هؤلاء النضير ، صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما حلت الإبل ، فجعلوا يقلعون الأوتاد يخربون بيوتهم .

وقال آخرون : إنما قيل ذلك كذلك ، لأنهم كانوا يخربون بيوتهم لينتقوا بتقضها ما هدم المسلمون من حصونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) فاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) قال : يعني بني النضير ، جعل المسلمون كل ما هدموا شيئا من حصونهم جعلوا ينقضون بيوتهم ويخربونها ، ثم يبنون ما يخرب المسلمون ، فذلك هلاكهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) يعني أهل النضير جعل المسلمون كل ما هدموا من حصونهم جعلوا ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، ثم يبنون ما خرب المسلمون .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق سوى أبي عمرو (يُخْرِبُونَ) بتخفيف الراء ، بمعنى يخرجون منها ، ويتركونها معطلة خرابا ، وكان أبو عمرو يقرأ ذلك يخربون بالتشديد في الراء ، بمعنى يهدمون بيوتهم . وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري أنهما كانا يقرآن ذلك نحو قراءة أبي عمرو . وكان أبو عمرو فيما ذكر عنه يزعم أنه إنما اختار التشديد في الراء لما ذكرت من أن الإخراب : إنما هو ترك ذلك خرابا بغير ساكن ، وإن بني النضير لم يتركوا منازلهم ، فیرتحلوا عنها ، ولكنهم خربوها بالنقض والهدم ، وذلك لا يكون فيما قال إلا بالتشديد .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندی قراءة من قرأه بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء عليه . وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يقول : التخريب والإخراب بمعنى واحد ، وإنما ذلك في اختلاف اللفظ لا اختلاف في المعنى .

وقوله (فاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) يقول تعالى ذكره : فاتعظوا يا معشر ذوى الأفهام بما أحل الله

بهؤلاء اليهود الذين قذف الله في قلوبهم الرعب ، وهم في حصونهم من نعمته ، واعلموا أن الله وليّ من والاه ، وناصر رسوله على كلّ من ناوأه ، ومحلّ من نعمته به نظير الذي أحلّ بنى النضير . وإنما عني بالأبصار في هذا الموضع أبصار القلوب ، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الإبصار بالعيون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : ولولا أن الله قضى وكتب على هؤلاء اليهود من بنى النضير في أمّ الكتاب الجلاء ، وهو الانتقال من موضع إلى موضع ، وبلدة إلى أخرى : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) : خروج الناس من البلد إلى البلد :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) وإخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى . قال : ويقال الجلاء : القصر ، يقال منه : جلا القوم من منازلهم ، وأجليتهم أنا .

وقوله (لَعَذَّبُهمْ فِي الدُّنْيَا) يقول تعالى ذكره (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) من أرضهم وديارهم ، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي ، ولكنه رفع العذاب عنهم في الدنيا بالقتل ، وجعل عذابهم في الدنيا الجلاء (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) مع ما حلّ بهم من الحزى في الدنيا بالجلاء عن أرضهم ودورهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : كان النضير من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى ، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) وكان لهم من الله نقمة (لعذبهم في الدنيا) أي بالسيف (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) مع ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَلَاءَ) أهل النصير ، حاصرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوا نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أراد ، ثم ذكر نحوه وزاد فيه : فهذا الجلاء . وقوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يقول تعالى ذكره : هذا الذي فعل الله بهؤلاء اليهود ما فعل بهم من إخراجهم من ديارهم ، وقذف الرعب في قلوبهم من المؤمنين ، وجعل لهم في الآخرة عذاب النار بما فعلوا هم في الدنيا من مخالفتهم الله ورسوله في أمره ونهيهِ ، وعصيانهم ربه فيما أمرهم به من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) يقول تعالى ذكره : ومن يخالف الله في أمره ونهيهِ ، فإن الله شديد العقاب :

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥١﴾

هـ يقول تعالى ذكره : ما قطعتم من ألوان النخل ، أو تركتموها قائمة على أصولها .

اختلف أهل التأويل في معنى اللينة ، فقال بعضهم : هي جميع أنواع النخل سوى العجوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة : (ما قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ) قال : النخلة .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية (ما قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا) قال : اللينة : ما دون العجوة من النخل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، في قوله (ما قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ) قال : اللينة : ما خالف العجوة من التمر .

وحدثنا به مرة أخرى فقال : من النخل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله (ما قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ) قال : النخل كله ما خلا العجوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (ما قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ) واللينة : ما خلا العجوة من النخل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) ألوان النخل كلها إلا العجوة :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة دون العجوة :
وقال آخرون : النخل كله لينة ، العجوة منه وغير العجوة :
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : نخلة . قال : نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هي مغنم المسلمين ، ونزل القرآن بتصدق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكير ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : اللينة : النخلة ، عجوة كانت أو غيرها ، قال الله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : الذي قطعوا من نخل النضير حين غدرت النضير .

وقال آخرون : هي لون من النخل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : اللينة : لون من النخل .
وقال آخرون : هي كرام النخل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان في (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : من كرام نخلهم . والصواب من القول في ذلك قول من قال : اللينة : النخلة ، وهن من ألوان النخل ما لم تكن عجوة ، وإياها عني ذو الرمة بقوله :

طِراقُ الخَوَافِي وأَقِيعُ فَوْقَ لِينَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيْشِهِ بِتَرَقُّقٍ^١

(١) البيت لدى الرمة (اللسان : ريع) والرواية فيه « ريمة » في موضع « لينة » واللينة : النخلة ، وكل شيء من النخل سوى العجوة فهو من اللين . وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى : « أتبتون بكل ريع آية » ، وشرحناه هناك شرحا مفصلا ، فارجع إليه في (١٩ : ٩٣) .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : اللينة من اللون ، واللينان في الجماعة واحدها اللينة . قال : وإنما سميت لينة لأنه فعلة من فعّل ، وهو اللون ، وهو ضرب من النخل ، ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت إلى الياء . وكان بعضهم ينكر هذا القول ويقول : لو كان كما قال لجمعوه : اللوان لا اللينان . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : جمع اللينة لين ، وإنما أنزلت هذه الآية فيما ذكر من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قطع نخل بني النضير وحرّقها ، قالت بنو النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه ، فما بالك تقطع نخلنا وتحرّقها ؟ فأنزل الله هذه الآية ، فأخبرهم أن ما قطع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ترك ، فعن أمر الله فعل :

وقال آخرون : بل نزل ذلك لاختلاف كان من المسلمين في قطعها وتركها :

ذكر من قال : نزل ذلك لقول اليهود للمسلمين ما قالوا

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان ، قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم يعني بنى النضير تحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل ، والتحريق فيها ، فنادوه يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحرّيقها ؟ فأنزل الله عز وجل (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) :

ذكر من قال : نزل ذلك لاختلاف كان بين المسلمين في أمرها

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا) : : الآية ، أى ليعظهم ، فقطع المسلمون يومئذ النخل ، وأمسك آخرون كراهية أن يكون إفساداً ، فقالت اليهود : آله أذن لكم في الفساد ، فأنزل الله (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا) قال : نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هي مغنم المسلمين ، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقي ، قال ابن المبارك ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير ، وفي ذلك نزلت (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) : : الآية ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ^(١)

(١) البيت لحسان بن ثابت (معجم ما استمعجم للبكري : رسم البويرة ٢٨٥) قال البويرة ، بضم أوله ، وبالراء المهملة ، حل لفظ التصدير ، وهى من تيماء . قال أبو صبيدة في كتاب الأموال : أسرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير ، وقطع زهو البويرة ، فنزل فيهم : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ، وليخزي الفاسقين » . قال حسان : « هان على مدرة . . . البيت » . قال ذلك حسان ، لأن قريشاً هم الذين حملوا كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة ، حل نقض المقد بهنه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى خرج معهم إلى المنندق ، وعند ذلك اشتد البلاء والخوف على المسلمين ، اه .

وقوله (فَبَاذُنِ اللَّهِ) يقول : فبأمر الله قطعتم ما قطعتم ، وتركتم ما تركتم ، وليغيظ بذلك أعداءه ، ولم يكن فسادا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان (فَبَاذُنِ اللَّهِ) : أي فبأمر الله قطعتم ، ولم يكن فسادا ، ولكن نقمة من الله ، وليخزي الفاسقين .

وقوله (وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) وليذل الخارجين عن طاعة الله عز وجل ، المخالفين أمره ونهيه ، وهم يهود بنى النضير .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

الله يقول تعالى ذكره : والذي رده الله على رسوله منهم ، يعني من أموال بنى النضير ، يقال منه : فاء الشيء على فلان : إذا رجع إليه ، وأفاته أنا عليه : إذا رددته عليه . وقد قيل : إنه عني بذلك أموال قرىظة (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) يقول : فما أوضعتم فيه من خيل ولا في إبل وهي الركاب . وإنما وصف جل ثناؤه الذي أفاءه على رسوله منهم بأنه لم يوجب عليه بخيل من أجل أن المسلمين لم يلقوا في ذلك حربا ، ولا كلفوا فيه مئونة ، وإنما كان القوم معهم ، وفي بلدهم ، فلم يكن فيه إيجاب خيل ولا ركاب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ) فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) . . . الآية ، يقول : ما قطعتم إليها وأديا ، ولا سرتم إليها سيرا ، وإنما كان حوائط لبنى النضير طعمة أطعمها الله رسوله ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «أُيِّمًا قَرْيَةً أَعْظَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَهِيَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَأُيِّمًا قَرْيَةً فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ عَنْوَةً فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِرَسُولِهِ وَمَا بَقِيَ غَنِيمَةٌ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهَا» .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، في قوله (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) قال : صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل فذك وقرى قد سماها لا أحفظها ، وهو محاصر قوما آخرين ، فأرسلوا إليه بالصلح ، قال : (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) يقول : بغير قتال . قال الزهري : فكانت بنو النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لم يفتحوها عنوة ،

بل على صلح ، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين لم يعط الأنصار منها شيئاً ، إلا رجلين كانت بهما حاجة :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان (وما أفاء الله على رسوله منهم) يعني بنى النضير (فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) قال : يذكر ربههم أنه نصرهم ، وكفاهم بغير كراع ، ولا عدة في قريظة وخيبر ، ما أفاء الله على رسوله من قريظة ، جعلها لمهاجرة قريش .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وما أفاء الله على رسوله منهم) فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال : أمر الله عز وجل نبيه بالسير إلى قريظة والنضير وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد ، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها . قال : والإيجاف : أن يوضعوا السير وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان من ذلك خيبر وفدك وقرى عريضة ، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع ، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتواها كلها ، فقال ناس : هلا قسمها فأنزل الله عز وجل عذره ، فقال (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلوله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ثم قال : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . . . الآية :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) يعني يوم قريظة .

وقوله (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) أعلمك أنه كما سلط محمداً صلى الله عليه وسلم على بنى النضير ، يخبر بذلك جل ثناؤه أن ما أفاء الله عليه من أموال لم يوجف المسلمون بالخيل والركاب ، من الأعداء مما صالحوه عليه له خاصة يعمل فيه بما يرى : يقول : فمحمد صلى الله عليه وسلم إنما صار إليه أموال بنى النضير بالصلح إلا عنوة ، فتقع فيها القسمة (والله على كل شيء قدير) يقول : والله على كل شيء أراده ذو قدرة لا يعجزه شيء ، وبقدرته على ما يشاء سلط نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على ما سلط عليه من أموال بنى النضير ، فعازره عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ

السَّيْلُ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥﴾

﴿٥﴾ يعني بقوله جل ثناؤه (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) الذي رده الله عز وجل على رسوله من أموال مشركي القرى .

واختلف أهل العلم في الذي عني بهذه الآية من الألوان ، فقال بعضهم : عني بذلك الجزية والحراج .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة بن خالد ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال : قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ) حتى بلغ (عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ) ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم قال : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) . . . الآية ، ثم قال : هذه الآية لهؤلاء ، ثم قرأ (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) حتى بلغ (لِلْفُقَرَاءِ - وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ - وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) ثم قال استوعبت هذه الآية المسلمين عامة ، فليس أحد إلا له حق ، ثم قال لن : عشت لياتين الراعي وهو يسير حمره نصيبه ، لم يعرق فيها جبينه :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : ثنا معمر في قوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) حتى ^١ بلغني أنها الجزية ، والحراج : خراج أهل القرى :

وقال آخرون : عني بذلك الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوهم من أهل الحرب بالقتال عنوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله وللرسول) ما يوجف عليه المسلمون بالخيال والركاب ، وفتح بالحرب عنوة ، (فليله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وأبْنِ السَّبِيلِ كَيْتَلًا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) قال : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه .

وقال آخرون : عني بذلك الغنيمة التي أوجف عليها المسلمون بالخيال والركاب ، وأخذت بالغلبة ، وقالوا كانت الغنائم في بدو الإسلام لهؤلاء الذين سهاهم الله في هذه الآيات دون المرجفين عليها ، ثم نسخ ذلك بالآية التي في سورة الأنفال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وأبْنِ السَّبِيلِ) قال

(١) لعل لفظ « حتى » زائد من النسخ .

المال الذي جعله الله لأصناف شتى ، كان معلوماً بذلك أن المال الذي جعله لأصناف من خلقة غير المال الذي جعله للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، ولم يجعل له شريكا :

وقوله (وَلِذِي الْقُرْبَى) يقول : ولذي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب واليتامى ، وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا مال لهم ، والمساكين : وهم الجامعون فاقة وذل المسئلة ؛ وابن السبيل : وهم المنقطع بهم من المسافرين في غير معصية الله عز وجل .

وقد ذكرنا الرواية التي جاءت عن أهل التأويل بتأويل ذلك فيما مضى من كتابنا .

وقوله (كَيْسَلًا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) يقول جل ثناؤه : وجعلنا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف ، كيلا يكون ذلك النية دولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم ، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه ، وهذا مرة في أبواب البر وسبيل الخير ، فيجعلون ذلك حيث شاءوا ، ولكننا سننا فيه سنة لا تغير ولا تبدل .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى أبي جعفر القارئ (كَيْسَلًا يَكُونُ) (دَوْلَةً) نصبا على ما وصفت من المعنى ، وأن في يكون ذكر النية . وقوله (دَوْلَةً) نصب خبر يكون ، وقرأ ذلك أبو جعفر القارئ (كَيْسَلًا يَكُونُ دَوْلَةً) على رفع الدولة مرفوعة بكون ، والخبر قوله : بين الأغنياء منكم : وبضم الدال من (دَوْلَةٍ) قرأ جميع قراء الأمصار ، غير أنه حكى عن أبي عبد الرحمن الفتح فيها .

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك ، إذا ضمت الدال أو فُتحت ، فقال بعض الكوفيين : معنى ذلك : إذا فتحت الدولة وتكون للجيش يهزم هذا هذا ، ثم يهزم الهازم ، فيقال : قد رجعت الدولة على هؤلاء ؛ قال : والدولة برفع الدال في الملك والسنين التي تغير وتبدل على الدهر ، فتلك الدولة والدولة . وقال بعضهم : فرق ما بين الضم والفتح أن الدولة : هي اسم الشيء الذي يتداول بعينه ، والدولة الفعل .

والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك (كَيْسَلًا يَكُونُ) بالياء (دَوْلَةً) بضم الدال ونصب الدولة على المعنى الذي ذكرت في ذلك لإجماع الحجة عليه ، والفرق بين الدولة والدولة بضم الدال وفتحها ما ذكرت عن الكوفي في ذلك .

وقوله (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) يقول تعالى ذكره : وما أعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه من أهل القرى فخذوه (وَمَا أَنهَاكُمُ عَنْهُ) من الغلول وغيره من الأمور (فَاَنْتَهُوْا) وكان بعض أهل العلم يقول نحو قولنا في ذلك غير أنه كان يوجه معنى قوله (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) إلى ما آتاكم من الغنائم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) ، وَمَا أَنهَاكُمُ عَنْهُ فَاَنْتَهُوْا) قال : يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول .

وقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ) يقول : وخافوا الله ، واحذروا عقابه في خلافكم على رسوله بالتقدم على ما نهاكم عنه ، ومعصيتكم إياه (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) يقول : إن الله شديد عقابه لمن عاقبه من أهل معصيته لرسوله صلى الله عليه وسلم :

القول في تأويل قوله تعالى :

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : كيلا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بن الأغنياء منكم ، ولكن يكون للفقراء المهاجرين : وقيل : عني بالمهاجرين : مهاجرة قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ما أفاء الله على رسوله) من قريظة جعلها المهاجرة قريش : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أنزى ، قالوا : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهما في الزكاة :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) قال : هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر ، خرجوا حبا لله ولرسوله ، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة ، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها .

وقوله (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) ، وقوله (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) موضع يبتغون نصب ، لأنه في موضع الحال ، وقوله (وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يقول : وينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) يقول : هؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤١﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ) يقول: اتخذوا المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فابتنوها منازل، (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ) يعني: من قبل المهاجرين، (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ): يحبون من ترك منزله، وانتقل إليهم من غيرهم، وعُني بذلك الأنصار يحبون المهاجرين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قال: الأنصار نعت. قال محمد بن عمرو: سفاطة أنفسهم. وقال الحارث: سخاوة أنفسهم عند ما روى عنهم من ذلك، وإيثارهم إياهم ولم يصب الأنصار من ذلك شيء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)، ولا يجيدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) يقول: مما أعطوا إخوانهم هذا الحى من الأنصار، أسلموا في ديارهم، فابتنوا المساجد والمسجد، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، فأحسن الله عليهم الثناء في ذلك، وهاتان الطائفتان الأولتان من هذه الآية، أخذتا بفضلها، ومضتا على مهاتهما، وأثبت الله حظهما في الشيء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عز وجل (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) قال: هؤلاء الأنصار يحبون من هاجر إليهم من المهاجرين. وقوله (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا) يقول جل ثناؤه: ولا يجد الذين تبوءوا الدار من قبلهم، وهم الأنصار في صدورهم حاجة، يعني حسدا مما أوتوا، يعني مما أوتي المهاجرون من الشيء، وذلك لما ذكر لنا من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا رجلين من الأنصار، أعطاهما لفقريهما، وإنما فعل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث أن بني النضير خلكوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء، فقسدها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سياك بن خراشة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) المهاجرون . قال ، وتكلم في ذلك : (يعنى أموال بني النضير) بعض من تكلم من الأنصار ، فعاتبهم الله عز وجل في ذلك فقال : (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم «إِنَّ إِيخْوَانَكُمْ قَدْ تَرَكَوا الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ وَخَرَجُوا إِلَيْكُمْ فَقَالُوا : أَمْوَالنا بينهم قطائع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قال : هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ الْعَمَلَ فَتَكْفُونَهُمْ وَتُقَاسِمُونَهُم الثَّمَرَ ، فقالوا : نعم يا رسول الله .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا سليمان أبو داود ، قال : ثنا شعبه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا) قال : الحسد . قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (حَاجَةً فِي صُدُورِهِمْ) قال : حسدا في صدورهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، مثله . وقوله (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وهو يصف الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) يقول : ويعطون المهاجرين أموالهم ليثارا لهم بها على أنفسهم (وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) يقول : ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم ، والخصاصة مصدر ، وهى أيضا اسم ، وهو كل ما تخللته ببصر كالكوة والفرجة في الحائط ، تجمع خصاصات وخصاص ، كما قال الراجز :

- قَدْ عَلِمَ الْمُقَاتِلَاتُ هَجَا .
- وَالنَّاطِرَاتُ مِنْ خِصَاصِ لُجَا .
- لَا وَرِيْنَهَا دُلْجَا أَوْ مُنْجَا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : «جاء

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز لم أجد لها في معاني القرآن للفراء ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ولا في اللسان ، ولست على بينة من صحة بعض ألفاظها . والمؤلف استشهد بها في هذا الموضع على أن الخصاص جمع خصاصة . وفي (اللسان : الخصاص) : الفرج بين الأثافي والأصابع ، وقالوا الحروق المصفاة والمنخل خصاص . وخصاص المنخل والباب والبرقع وغيره : خلله ، واحده : خصاصة (وكله بفتح الخاء) .

رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليضيفه ، فلم يكن عنده ما يضيفه ، فقال : ألا رجل يضيف هذا رحمة الله ؟ فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته : أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نومي الصبية ، وأطعمي المصباح ، وأريه بأنك تأكلين معه ، واتركيه لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت ، فنزلت (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن فضيل ، عن غزوان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، أن رجلا من الأنصار بات به ضيف ، فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه ، فقال لامرأته : نومي الصبية وأطعمي المصباح ، وقرّبي للضيف ما عندك ، قال : فنزلت هذه الآية (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ) يقول تعالى ذكره : من وقاه الله شح نفسه (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) المفلحون في الجنة . والشح في كلام العرب : البخل ، ومنع الفضل من المال ؛ ومنه قول عمرو بن كلثوم :

تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِرَتْ عَمَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مُهَيِّنًا

يعني بالشحيح : البخيل ، يقال : إنه لشحيح بين الشح والشح ، وفيه شحة شديدة وشحاحة . وأما العلماء فإنهم يرون أن الشح في هذا الموضع إنما هو أكل أموال الناس بغير حق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا المسعودي ، عن أشعث ، عن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، قال : أتى رجل ابن مسعود فقال : إني أخاف أن أكون قد هلك ، قال : وما ذاك ؟ قال : أسمع الله يقول (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ) وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء ، قال : ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ذلك البخل ، وبئس الشيء البخل . حدثني يحيى بن إبراهيم ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن جامع ، عن الأسود ابن هلال قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إني أخشى أن تكون أصابتي هذه الآية (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ) فأولئك هم المفلحون) والله ما أعطى شيئا أستطيع منعه ، قال : ليس ذلك بالشح ، إنما الشح أن تأكل مال أخيك بغير حقه ، ولكن ذلك البخل :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن طارق بن عبد الله بن عبيد بن جبير ، عن أبي الهياج الأسدي ، قال : كنت أطوف بالبیت ، فرأيت رجلا يقول : اللهم قني شح نفسي ، لا يزيد على ذلك ، فقلت له ، فقال : إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ، ولم أزن ، ولم أفعل شيئا ، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف .

حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، قال :

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي (انظره في شرحي الزوزني والتبريزي على المعلقات) واللحز : الضيق الصدر السيئ الخلق اللئيم . والشحيح : البخيل : الحريص . والجمع الأشعة والأشعاء ، والفعل : شح يشح . والمصدر : الشح ، وهو البخل منه حرص . يقول : ترى الإنسان الضيق الصدر البخيل الحريص مهينا لما له فيها ، أي في شربها ، إذا أمرت عليه الخمر ، أي أديرت عليه . وقد استشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ثنا مجمع بن جارية الأنصاري ، عن عمه يزيد بن جارية الأنصاري ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «بَرِيءٌ مِنَ الشُّعْ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ ، وَقَرَى الضَّيْفَ ، وَأَعْطَى فِي النَّائِبَةِ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، قَالَ : ثنا زياد بن يونس أبو سلامة ، عن نافع بن عمر المكي ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمر ، قال : إن نجوت من ثلاث طمعت أن أنجو . قال عبد الله بن صفوان ما هن أنبيك فيهن ، قال : أخرج المال العظيم ، فأخرجه ضرارا ، ثم أقول : أقرض ربي هذه الليلة ، ثم تعود نفسي فيه حتى أعيده من حيث أخرجته ، وإن نجوت من شأن عثمان ، قال ابن صفوان : أما عثمان فقتل يوم قتل ، وأنت تحب قتله وترضاه ، فأنت ممن قتله ؛ وأما أنت فرجل لم يقلك الله شع نفسك ، قال : صدقت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله عز وجل (وَمَنْ يُوقِ شُعَّ نَفْسِهِ) قال : من وقى شع نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئا ، ولم يقربه ، ولم يدعه الشع أن يحبس من الحلال شيئا ، فهو من المفلحين ، كما قال الله عز وجل .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ يُوقِ شُعَّ نَفْسِهِ) قال : من لم يأخذ شيئا لشيء نهاه الله عز وجل عنه ، ولم يدعه الشع على أن يمنع شيئا من شيء أمره الله به ، فقد وقاه الله شع نفسه ، فهو من المفلحين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : والذين جاءوا من بعد الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين الأولين (يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) من الأنصار . وعني بالذين جاءوا من بعدهم المهاجرون أنهم يستغفرون لإخوانهم من الأنصار . وقوله (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا) يعني غمرا وضرنا . وقيل : عني بالذين جاءوا من بعدهم : الذين أسلموا من بعد الذين تبوءوا الدار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : الذين أسلموا نعتوا أيضا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثم ذكر الله الطائفة الثالثة ، فقال :

(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا) حَتَّى بَلَغَ (إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) إِنَّمَا أَمَرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِسَبِّهِمْ .
وَذُكِّرْنَا « أَنْ غَلَامًا لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ جَاءَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ فِي حَيِّ النَّارِ ، قَالَ : كَذَبْتَ إِنَّهُ شَهِيدٌ بِدِرٍّ وَالْحُدَيْبِيَّةِ » وَذُكِّرْنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَغْلَظَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّهُ قَدْ شَهِدَ مَشْهَدًا أَطَّلَعَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَأَشْهَدَ مَلَائِكَتُهُ لِي أَنَّ قَدْ رَضِيتُ عَنْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ، فَلْيَعْمَلُوا مَا شَاءُوا » فَمَا زَالَ بَعْضُنَا مُنْقَبِضًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، هَائِبًا لَهُمْ . وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ :
وَالِى أَهْلِ بَدْرٍ تَهَالِكُ الْمَتَاهِلُكُونَ ، وَهَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الثَّنَاءَ :
حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا) قَالَ : لَا تُورِثْ قُلُوبُنَا غِلًّا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ دِينِكَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثَنَا سَفْيَانُ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مَسْلَمٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، قَالَ : كَانَ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ : الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِأَحْسَنِ) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) وَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ أَنْ يَكُونَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ .
وَقَوْلُهُ (لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ مَخْبِرًا عَنْ قِيلِ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ أَنَّهُمْ قَالُوا : لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِكَ يَا رَبَّنَا .
قَوْلُهُ (إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) يَقُولُ : إِنَّكَ ذَوْرَافَةٌ بِخَلْقِكَ ، وَذُو رَحْمَةٍ بِمَنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ مِنْ ذُنُوبِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر بعين قلبك يا محمد ، فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذكر عبد الله بن أبي ابن سلول ، ووديعه ، ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَرْبِ أَنْ اثْبَتُوا وَتَمَنَّعُوا ، فَإِنَّا لَنَنْصُرَنَّكُمْ ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ قَاتِلْنَا مَعَكُمْ ، وَإِنْ خَرَجْتُمْ ، خَرَجْنَا مَعَكُمْ ، قَرَّبَصُوا لِذَلِكَ مَنْ نَصَرَهُمْ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْلِيَهُمْ ، وَيَكْفِ عَنْ دِمَائِهِمْ عَلَى أَنْ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْحَلَقَةُ .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن اسحاق ، عن يزيد بن رومان .
وقال مجاهد في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني
الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ نَافَقُوا) قال عبد الله بن أبي ابن سلول ، ورفاعة أو رافعة بن تابوت . وقال الحارث رفاعه بن
تابوت ، ولم يشك فيه ، وعبد الله بن نبتل ، وأوس بن قَيْظِي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن اسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو
عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا) يعني عبد الله بن أبي ابن سلول
وأصحابه ، ومن كان منهم على مثل أمرهم .

وقوله (يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) يعني بني النضير .
كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن اسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو
عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)
يعني : بني النضير .

وقوله (لَئِنْ أَخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ) يقول : لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم ، وأُجْلِيتُمْ
عنها لنخرجنَّ معكم ، فنُجلى عن منازلنا وديارنا معكم .

وقوله (وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا) يقول : ولا نطيع أحدا سألنا خذلانكم ، وترك نصرتكم ،
ولا كنا نكون معكم (وَلَئِنْ قُوْتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ) يقول : وإن قاتلكم محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن
معه لننصركم معشر النضير عليهم .

وقوله (وَاللَّهُ يَشْهَدُ لَهُمْ لَكَاذِبُونَ) يقول : والله يشهد إن هؤلاء المنافقين الذين وعدوا بني النضير
النصرة على محمد صلى الله عليه وسلم (لَكَاذِبُونَ) في وعدهم إياهم ما وعدوهم من ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَئِنْ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوْتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ
الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره : لئن أخرج بنو النضير من ديارهم ، فأَجْلُوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين
وعدوهم الخروج من ديارهم ، ولئن قاتلهم محمد صلى الله عليه وسلم لا ينصروهم المنافقون الذين وعدوهم
النصر ، ولئن نصر المنافقون بني النضير ليولنَّ الأدبار منهزمين عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه
هاربين منهم ، قد خذلوهم (ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ) يقول : ثم لا ينصر الله بني النضير على محمد صلى الله عليه
وسلم وأصحابه ، بل يخذلهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُبَرَىٰ مُخَصَّصَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره للذين آمنوا به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنتم أيها المؤمنون أشد رهبة في صدور اليهود من بني النضير من الله : يقول : هم يرهبونهم أشد من رهبتهم من الله (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) يقول تعالى ذكره : هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشد من رهبتهم من الله من أجل أنهم قوم لا يفقهون ، قدر عظمة الله ، فهم لذلك يستخفون بمعاصيه ، ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم .

وقوله (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قُبَرَىٰ مُخَصَّصَةٍ) يقول جل ثناؤه : لا يقاتلكم هؤلاء اليهود بني النضير مجتمعين إلا في قري محصنة بالحصون ، لا يبرزون لكم بالبراز ، (أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) يقول : أو من خلف حيطان .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة والمدينة (أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) على الجِماع بمعنى الحيطان . وقرأه بعض قراء مكة والبصرة (مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ) على التوحيد بمعنى الحائط .

والصواب من القول عندي في ذلك أنها قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب . وقوله (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ) يقول جل ثناؤه : عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضا شديدة (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا) يعني المنافقين وأهل الكتاب ، يقول : تظنهم مؤتلفين مجمعة كلمتهم ، (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ) يقول : وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضا .

وقوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) يقول جل ثناؤه : هذا الذي وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين ، وذلك تشبث أهوائهم ، ومعاداة بعضهم بعضا من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قُبَرَىٰ مُخَصَّصَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) ، بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) قال : نجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم ، مختلفة أهوائهم ، مختلفة أعمالهم ، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) قال : المنافقون يخالف دينهم دين النصير : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) قال : هم المنافقون وأهل الكتاب . قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، مثل ذلك : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) قال : المشركون وأهل الكتاب . وذكر أنها في قراءة عبد الله (وَقُلُوبُهُمْ أَشْتَتْ) بمعنى : أشدّ تشتتا : أى أشدّ اختلافا . القول في تاويل قوله تعالى :

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : مثل هؤلاء اليهود من بنى النصير والمنافقين فيما الله صانع بهم من إحلال عقوبته بهم (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : كشبههم .

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالذين من قبلهم ، فقال بعضهم : عنى بذلك بنو قينقاع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد ابن جببر ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعنى بنى قينقاع .

وقال آخرون : عنى بذلك مشركو قريش ببدر :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) قال : كفار قريش .

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : إن الله عز وجل مثّل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب بما هو مديهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذّبي رسوله صلى الله عليه وسلم ، الذين أهلكهم بسخطه ، وأمر بنى قينقاع ووقعة بدر ، كانوا قبل جلاء بنى النصير ، وكل أولئك قد ذاقوا وبَالَ أَمْرِهِمْ ، ولم يخص الله عز وجل

منهم بعضا في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض ، وكلّ ذائق وبال أمره ، فمن قربت مدته منهم قبلهم ، فهم ممثلون بهم فيما عُنُوا به من المثل .

وقوله (ذاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) يقول : نالهم عقاب الله على كفرهم به :

وقوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم في الآخرة مع ما نالهم في الدنيا من الخزي عذاب أليم ، يعنى : موجه .

وقوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي

أخافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : مثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود من النصير النصره ، إن قوتلوا ، أو الخروج معهم إن أُخرجوا ، ومثل النصير في غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد ، وإسلامهم إياهم عند شدة حاجتهم إليهم ، وإلى نُصرتهم إياهم ، كمثل الشيطان الذي غرّ إنسانا ، ووعدته على اتباعه وكنزها بالله ، النصره عند الحاجة إليه ، فكفر بالله واتبعه وأطاعه ، فلما احتاج إلى نُصرته أسلمه وتبرأ منه ، وقال له : « إني أخاف الله رب العالمين » في نُصرتك .

وقد اختلف أهل التأويل في الإنسان الذي قال الله جل ثناؤه (إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ) هو إنسان بعينه ، أم أريد به المثل لمن فعل الشيطان ذلك به ، فقال بعضهم : عني بذلك إنسان بعينه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت عبد الله بن نهيك ، قال : سمعت عليا رضي الله عنه يقول : « إن راهبا تعبد ستين سنة ، وإن الشيطان أراد فإعياه ، فعمد إلى امرأة فأجنها ، ولها إخوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس فيداويها ، فجاءوا بها ، قال : فداواها ، وكانت عنده ؛ فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته ، فأتاها فحملت ، فعمد إليها فقتلها ، فجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك ، إنك أعيتني ، أنا صنعت بك هذا فأطعني أنجك مما صنعت بك ، اسجد لي سجدة ، فسجد له ؛ فلما سجد له قال : إني برىء منك ، « إني أخاف الله رب العالمين » فذلك قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) قال : كانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب ، قال : فزل الراهب ففجر بها ، فحملت ، فأتاها الشيطان ، فقال له اقتلها ثم ادفنها ، فإنك رجل مصدق بسمع كلامك ، فقتلها ثم دفنها ؛ قال : فأقنى الشيطان لإخوتها في المنام ، فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم ؛ فلما أحبلها قتلها ، ثم دفنها في مكان كذا وكذا ؛ فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدرى أقصا عليكم

أم أترك؟ قالوا: لا، بل قصصنا علينا؛ قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك؛ قالوا: فما هذا إلا لشيء، فانطلقوا فاستعدوا مسلحهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فلقبه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنا أنجيك مما أوقعتك فيه؛ قال: فسجد له؛ فلما أتموا به ملكهم تبرأ منه، وأُخذ فقتل».

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ) . . . إلى (وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) قال عبد الله بن عباس: كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته، وكان يؤتي من كل أرض فيسئل عن الفقه، وكان عالما، وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت حسنة من أحسن الناس، ولهم أرادوا أن يسافروا، فكبر عليهم أن يخلفوها ضائعة، فجعلوا يأترون ما يفعلون بها؛ فقال أحدهم: أدلكم على من تتركونها عنده؟ قالوا: من هو؟ قال: راهب بني إسرائيل، إن ماتت قام عليها، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه؛ فعمدوا إليه فقالوا: إنا نريد السفر، ولا نجد أحدا أوثق في أنفسنا، ولا نحفظ لما ولّينا منك لما جعل عندك، فإن رأيت أن نجعل أختنا عندك فإنها ضائعة شديدة الوجد، فإن ماتت فقم عليها، وإن عاشت فأصلح إليها حتى نرجع، فقال: أكفيكم إن شاء الله؛ فانطلقوا فقام عليها فداواها حتى برأت، وعاد إليها حسنها، فاطلع إليها فوجدوها متصنعة، فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها حتى وقع عليها، فحملت، ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها؛ قال: إن لم تقتلها افتضحت وعرف شبهك في الولد، فلم يكن لك معذرة، فلم يزل به حتى قتلها؛ فلما قدم لإخوتها سألوها ما فعلت؟ قال: ماتت فدفنتها، قالوا: قد أحسنت، ثم جعلوا يرون في المنام، ويخبرون أن الراهب هو قتلها، وأنها تحت شجرة كذا وكذا، فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها تحتها قد قتلت، فعمدوا إليه فأخذوه، فقال له الشيطان: أنا زينتك لك الزنا وقتلها بعد الزنا، فهل لك أن أنجيك؟ قال: نعم، قال: أفطيعني؟ قال: نعم، قال: فاسجد لي سجدة واحدة، فسجد له ثم قتل، فذلك قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ) الآية»

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: «كان رجل من بني إسرائيل عابدا، وكان ربما داوى المجانين، فكانت امرأة جميلة، فأخذها الجنون، فجىء بها إليه، فتركت عنده، فأعجبته، فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان فقال: إن علم بهذا افتضحت، فاقتلها وادفنها في بيتك، فقتلها ودفنها، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه، فقال: ماتت، فلم يهتموه لصلاحه فيهم، فجاءهم الشيطان فقال: إنها لم تمت، ولكنه وقع عليها فقتلها ودفنها في بيته في مكان كذا وكذا، فجاء أهلها، فقالوا: ما نهمك، فأخبرنا أين دفنتها، ومن كان معك، فوجدوها حيث دفنها، فأخذ وُسْجَن، فجاءه الشيطان فقال: إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فتخرج منه، فاكفر بالله، فأطاع الشيطان، وكفر بالله، فأُخذ وقُتل، ف تبرأ الشيطان منه حينئذ، قال: فما أهل هذه الآية إلا نزلت فيه

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) .

وقال آخرون : بل عني بذلك الناس كلهم ، وقالوا : إنما هذا مثل ضرب للنصير في غرور المنافقين إياهم :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ) عامة الناس .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَلِتُنَظَّرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنْتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره : فكان عقي أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه ، فكفر بالله أنهما خالدا في النار ما كثران فيها أبدا (وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) يقول : وذلك ثواب اليهود من النصير والمنافقين الذين وعدوهم النصرة ، وكل كافر بالله ظالم لنفسه على كفره به أنهم في النار مخلدون .

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (خَالِدِينَ فِيهَا) فقال بعض نحوي البصرة : نصب على الحال ، وفي النار الخبر ؛ قال : ولو كان في الكلام لكان الرفع أجود في « خالدين » قال : وليس قولهم : إذا جئت مرتين^١ فهو نصب لشيء ، إنما فيها توكيد جئت بها أو لم تجئ بها فهو سواء ، إلا أن العرب كثيرا ما تجعله حالا إذا كان فيها للتوكيد وما أشبهه في غير مكان ؛ قال (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) ، وقال بعض نحوي الكوفة : في قراءة عبد الله بن مسعود : (فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِي النَّارِ) ؛ قال : وفي أنهما في النار خالدين فيها نصب ؛ قال : ولا أشهى الرفع وإن كان يجوز ، فإذا رأيت الفعل بين صفتين قد عادت إحداها على موضع الأخرى نصبت ، فهذا من ذلك ؛ قال : ومثله في الكلام قولك : مررت برجل على نأيه متحملا به ؛ ومثله قول الشاعر :

وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا شَرِيقًا بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّحْرُ^٢

(١) تحرر هذه العبارة فإن فيها من التحريف والتصحيح مالا يخفى .

(٢) البيت في (اللسان : ترب) غير منسوب . والرواية فيه « شرق » بالرفع . والمؤلف أورده منصوبا ، وأعربه حالا والزعفران : مما يستعمله العرب في الطيب وزينة النساء . والترائب : موضع القلادة من الصدر . واللبات : جمع لبة ، وهي موضع للنحر . والثغرة ثغرة النحر ، وهي الهزمة بين الترقوتين . وقال : « والزعفران . . . البيت » . والبيت من شواهد الفراء في معانيه

لأن التائب هي اللبث هاهنا ، فعادت الصفة باسمها الذي وقعت عليه ، فإذا اختلفت الصفتان جاز الرفع والنصب على حُسْنٍ ، من ذلك قولك : عبد الله في الدار راغب فيك ، ألا ترى أن « في » التي في الدار مخالفة لتي التي تكون في الرغبة ؛ قال : والحجة ما يُعرف به النصب من الرفع أن لا ترى الصفة الآخرة تتقدم قبل الأولى ألا ترى أنك تقول : هذا أخوك في يده درهم قابضا عليه ، فلو قلت : هذا أخوك قابضا عليه في يده درهم لم يجوز ، ألا ترى أنك تقول : هذا رجل قائم إلى زيد في يده درهم ، فهذا يدل على أن المنصوب إذا امتنع تقديم الآخر ، ويدل على الرفع إذا سهل تقديم الآخر .

وقوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ووحده ، اتقوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وقوله (وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يقول : ولينظر أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال ، أمن الصالحات التي تنجيه أم من السيئات التي توبقه ؟
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اتَّقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) : مازال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد ، وغد يوم القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعني يوم القيامة . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعني يوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قرأ قول الله عز وجل (وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعني يوم القيامة الخير والشر ؛ قال : والامس في الدنيا ، وغد في الآخرة ، وقرأ (كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ) قال : كأن لم تكن في الدنيا .

وقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ) يقول : وخافوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : إن الله ذو خبرة وعلم بأعمالكم خيرا وشرها ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم على جميعها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولا تكونوا كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم (فأنساهم أنفسهم) يقول : فأنساهم الله حظوظ أنفسهم من الخيرات .

القرآن (الورقة ٣٣٠) قال عند قوله تعالى : فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها : وهي في قراءة عبد الله بن مسعود « خالدان في النار » ، وفي قراءتنا « خالدين فيها » نصب ، ولا أشبه الرفع وإن كان يجوز . وقد نقل المؤلف كلام الفراء كله في توضيح المسألة ، على مذهب أهل الكوفة ، فنكتفي بهذه الإشارة هنا .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) قال : نَسُوا حقَّ الله ، فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ؛ قال : حظَّ أنفسهم : وقوله : (أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين نسوا الله ، هم الفاسقون ، يعني الخارجون من طاعة الله إلى معصيته .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره : لا يعتدل أهل النار وأهل الجنة ، أهل الجنة هم الفائزون ، يعني أنهم المدركون ما طلبوا وأرادوا ، الناجون مما حذروا .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦١﴾

وقوله (لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) يقول جل ثناؤه : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ، وهو حجر ، لرأيتَه يا محمد خاشعاً : يقول : متذللاً ، متصدِّعاً من خشية الله على قساوته ، حذراً من أن لا يؤدِّي حقَّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن ، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفٌّ ، وعنه ، عما فيه من العبر والذكر مُعْرَضٌ ، كأن لم يسمعها ، كأن في أذنيه وقرا . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) قال : يقول : لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدَّع وخشع من ثقله ، ومن خشية الله ، فأمر الله عز وجل الناس إذا أنزل عليهم القرآن ، أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ، قال : (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتاده ، قوله (لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) . . . الآية ، يعذر الله الجبل الأصم ، ولم يعذر شقَّ ابن آدم ، هل رأيتم أحدا قط تصدَّعت جوانحه من خشية الله (وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ) يقول

تعالى ذكره : وهذه الأشياء تشبهها للناس ، وذلك تعريفة جل ثناؤه إياهم أن الجبال أشد تعظيما لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها .
 وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يقول : يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها ، فينبوا ،
 وينقادوا للحق .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : الذي يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس ، هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والألوهية إلا له ، عالم غيب السموات والأرض ، وشاهد ما فيهما مما يرى ويحس (هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) يقول : هو رحمن الدنيا والآخرة ، رحيم بأهل الإيمان به .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ
 الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له ، الملك الذي لا ملك فوقه ، ولا شيء إلا دونه ، القدوس ، قیل : هو المبارك .

وقد بينت فيما مضى قبل معنى التقديس بشواهد ، وذكرت اختلاف المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته .
 ذكر من قال : عني به المبارك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (القدوس) : أي المبارك .

وقوله (السَّلامُ) يقول : هو الذي يسلم خلقه من ظلمه ، وهو اسم من أسمائه .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (السَّلامُ) : الله السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعني العتكي ، عن جابر بن زيد قوله (السَّلامُ) قال : هو الله ، وقد ذكرت الرواية فيما مضى ، وبينت معناه بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته . وقوله (الْمُؤْمِنُ) يعني بالثؤمن : الذي يؤمن خلقه من ظلمه .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الْمُؤْمِنُ)

أمن بقوله أنه حق :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْمُؤْمِنُ) أمن بقوله أنه حق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جويبر عن الضحاك (الْمُؤْمِنُ) قال : المصدق

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الْمُؤْمِنُ) قال : المؤمن :

المصدق الموقن ، آمن الناس بربهم فسماهم مؤمنين ، وآمن الرب الكريم لهم بإيمانهم صدقهم أن يسمى بذلك الاسم .

وقوله (الْمُهِتَمِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : المهيمن : الشهيد : ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : (الْمُهِتَمِينَ) قال : الشهيد ، وقال مرة أخرى : الأمين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (الْمُهِتَمِينَ) قال : الشهيد . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْمُهِتَمِينَ) قال : أنزل الله عز وجل كتابا فشهد عليه :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْمُهِتَمِينَ) قال : الشهيد عليه : وقال آخرون : المهيمن : الأمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك (الْمُهِتَمِينَ) الأمين . وقال آخرون : (الْمُهِتَمِينَ) : المصدق :

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الْمُهِتَمِينَ) قال : المصدق لكل ما حدث ، وقرأ (وَمُهِتَمِينَ عَلَيْهِ) قال : فالقرآن مصدق على ما قبله من الكتب ، والله مصدق في كل ما حدث عما مضى من الدنيا ، وما بقي ، وما حدث عن الآخرة . وقد بينت أولى هذه الأقوال بالصواب فيما مضى قبل في سورة المائدة بالعلل الدالة على صحته ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (الْعَزِيزُ) : الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الْعَزِيزُ) أي في نقمته إذا انتقم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْعَزِيزُ) في نقمته إذا انتقم .

وقوله (الْجَبَّارُ) يعني : المصلح أمور خلقه ، المصرفهم فيما فيه صلاحهم . وكان قتادة يقول : جبر خلقه على ما يشاء من أمره :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْجَبَّارُ) قال : جبر خلقه على ما يشاء :

وقوله (الْمُتَكَبِّرُ) قيل : عُنِيَ به أنه تكبر عن كل شر :
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الْمُتَكَبِّرُ) قال : تكبر عن كل شر .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، قال : ثنى رجل ، عن جابر
ابن زيد ، قال : إن اسم الله الأعظم هو الله ، ألم تسمع يقول : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ
الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها لله وتبرئة
له عن شرك المشركين به .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : هو المعبود الخالق ، الذي لا معبود تصاح له العبادة غيره ، ولا خالق سواه ، البارئ
الذي برأ الخلق ، فأوجدهم بقدرته ، المصور خلقه كيف شاء ، وكيف يشاء .
وقوله (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) يقول تعالى ذكره : لله الأسماء الحسنى ، وهي هذه الأسماء التي سمى الله
بها نفسه ، التي ذكرها في هاتين الآيتين (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : يسبح له جميع
ما في السموات والأرض ، ويسجد له طوعا وكرها (وَهُوَ الْعَزِيزُ) يقول : وهو الشديد الانتقام من أعدائه
(الْحَكِيمُ) في تدبيره خلقه ، وصرفهم فيما فيه صلاحهم :

آخر تفسير سورة الحشر

(٦٠) سُورَةُ الْمُتَجَنِّدِينَ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ
الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي
تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) يعني أنصارا .

وقوله (تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) يقول جل ثناؤه : تلقون إليهم مودتكم إياهم ، ودخول الباء في قوله (بِالْمَوَدَّةِ) وسقوطها سواء ، نظير قول القائل : أريد بأن تذهب ، وأريد أن تذهب سواء ، وكقوله (وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ) والمعنى : ومن يرد فيه إلحادا بظلم ؛ ومن ذلك قول الشاعر :
فَلَمَّا رَجَتِ بِالشُّرْبِ هَزَّ لَهَا الْعَصَا شَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الْإِزَامِ نَهِيمٌ
بمعنى : فلما رجت الشرب .

(وقد كفروا بما جاءكم من الحق) يقول : وقد كفر هؤلاء المشركون الذين نهيتكم أن تتخذوهم أولياء بما جاءكم من عند الله من الحق ، وذلك كفرهم بالله ورسوله وكتابه الذي أنزله على رسوله .
وقوله (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ) يقول جل ثناؤه : يخرجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإياكم ، بمعنى : ويخرجونكم أيضا من دياركم وأرضكم ، وذلك لإخراج مشركي قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة .
وقوله (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ) يقول جل ثناؤه : يخرجون الرسول وإياكم من دياركم ، لأن آمنتم بالله .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٣٠) عند قوله تعالى «تلقون إليهم بالمودة» . قال : دخول الباء في مودة وسقوطها سواء ، هذا بمنزلة أظن أنك قائم ، وبأنك قائم ، وأريد أن تذهب ، وأريد بأن تقوم . وقد قال الله : «ومن يرد فيه بإلحاد بظلمه فادخل الباء . والمعنى : ومن يرد فيه إلحادا ، أنشدني أبو الجراح : «فلما رجت بالشرب . . . البيت» معناه : فلما رجت أن تشرب . اه . والإزاء : الخوض الذي تشرب منه الإبل . والهم صوت زجر وتوعد . وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت في سورة الحج عند قوله تعالى «ومن يرد فيه بإلحاد» الجزء (١٧ : ١٣٩) . ووقع في متن البيت هناك «الأداء» في موضع «الإزاء» هنا ، خطأ مطبعيا ، فلتصلح الكلمة كما هنا «الإزاء» وهو الخوض .

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي) من المؤخر الذي معناه التقديم ،
 ووجه الكلام : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما
 جاءكم من الحق إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي ، وابتغاء مرضاتي (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا
 بالله ربكم) . ويعنى بقوله تعالى ذكره : (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي) : إن كنتم خرجتم من
 دياركم ، فهاجرتم منها إلى مهاجرتكم للجهاد في طريق الذي شرعته لكم ، ودينى الذى أمرتكم به ، والتماس
 مرضاتى .

وقوله (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : تسرون أيها المؤمنون بالمودة إلى المشركين بالله (وأنا أعلم بما أخفيتم) يقول : وأنا أعلم
 منكم بما أخفى بعضكم من بعض ، فأسره منه (وما أعلنتم) يقول : وأعلم أيضا منكم ما أعلنه بعضكم
 لبعض (وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) يقول جل ثناؤه : ومن يسر منكم إلى
 المشركين بالمودة أيها المؤمنون فقد ضل : يقول : فقد جار عن قصد السبيل التي جعلها الله طريقاً إلى الجنة
 ومحجة إليها :

وذكر أن هذه الآيات من أول هذه السورة نزلت في شأن حاطب بن أبى بلتعة ، وكان كتب إلى
 قريش بمكة يطلبهم على أمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخفاه عنهم ، وبذلك جاءت الآثار
 والرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري ، والفضل بن الصباح قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار
 عن حسن بن محمد بن علي ، أخبرني عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : بعثني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير بن العوام والمقداد ، قال الفضل ، قال سفيان : نفر من المهاجرين
 فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها ؛ فانطلقنا تتعادي بنا
 خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة ، فوجدنا امرأة ، فقلنا : أخرجى الكتاب ، قالت : ليس معي كتاب ، قلنا :
 لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، وأخذنا الكتاب ؛ فانطلقنا به إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل علي ،
 كنت امرأ مخلصاً في قريش ، ولم يكن لي فيهم قرابة ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات ، يحمون
 أهلهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن ألتجئ فيها يدا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً
 ولا ارتداداً عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد صدقك الله ،
 فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك
 لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعصموا ما شئتم فقد غفرت لكم زاد الفضل

في حديثه ، قال سفيان : ونزلت فيه (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) . . . إلى قوله (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدِّهِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان سعيد بن سنان ، عن عمرو بن مرة الحملي ، عن أبي البختري الطائي ، عن الحارث ، عن علي رضي الله عنه قال : « لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي مكة ، أسرَّ إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة ، فيهم حاطب بن أبي بلتعة ، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر ، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن النبي صلى الله عليه وسلم يريدكم ، قال : فبعثني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس ، فقال : ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخ ، فَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بِهَا امْرَأَةً وَمَعَهَا كِتَاب ، فَخَذُّوه مِنْهَا ، فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : هاتِي الكتاب ، فقالت : مامعي كتاب ، فوضعنا متاعها وقتشنا ، فلم نجد في متاعها ، فقال أبو مرثد : لعله أن لا يكون معها ، فقلت : ما كذب النبي صلى الله عليه وسلم ولا كذب ، فقلنا : أخرجني الكتاب ، وإلا عربناك ، قال عمرو بن مرة ، فأخرجته من حجزتها ، وقال حبيب : أخرجته من قبلها ، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا الكتاب : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة ، فقام عمر فقال : خان الله ورسوله ، ائذن لي أضرب عنقه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَلَيْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ؟ قال : بلى ، ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فَلَغَلَّ اللَّهُ قَدْرَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم ، فأرسل إلى حاطب ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا نبي الله إني كنت امرأ ملصقا في قريش ، وكان لي بها أهل ومال ، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله ، فكتبت إليهم فذلك ، والله يا نبي الله إني لمؤمن بالله وبرسوله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ، فَلَا تَقُولُوا لِحَاطِبٍ إِلَّا خَسِيرًا ، فقال حبيب بن أبي ثابت : فأنزل الله عز وجل (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ) . . . الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) . . . إلى آخر الآية ، نزلت في رجل كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة من قريش ، كتب إلى أهله وعشيرته بمكة ، يخبرهم وينذرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر إليهم ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحيفته ، فبعث إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأثاه بها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب

وجعل لها جُعلاً، على أن تبلغه قريشا، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فقال: أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بكتاب إلى قريش يُحذّرهم ما قد اجتمعنا له في أمرهم، فخرجا حتى أدركاها بالحليفة، حليفة ابن أبي أحمد فاستنزلاها فالتمسا في رحلها، فلم يجدا شيئا، فقال لها على بن أبي طالب رضي الله عنه: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِّبنا، ولتخرجين إلى هذا الكتاب، أولنكشفنك؟ فلما رأت الجدل منه، قالت: أعرض عني، فأعرض عنها، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب فدفعته إليه فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا، فقال: يا حاطب ما حملك على هذا فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت امرأ في القوم ليس لي أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد، فصانعتهم عليه، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فلا ضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَتَدَّ غَفَرْتُ لَكُمْ، فأنزل الله عز وجل في حاطب (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) . . . إلى قوله (وَالْيَكُفُّ) . . . إلى آخر القصة .

حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عروة قال: «لما أنزلت: (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) في حاطب بن أبي بلتعة، كتب إلى كفار قريش كتابا ينصح لهم فيه، فأطاع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك، فأرسل عليا والزبير، فقال: اذهبا فإنكما ستجدان امرأة بمكان كذا وكذا، فأنيا بكتاب معها، فانطلقا حتى أدركاها، فقالا: الكتاب الذي معك، قالت: ليس معي كتاب، فقالا: والله لاندع معك شيئا إلا فتشناه، أو نخرجينه، قالت: أولستم مسلمين؟ قالوا: بلى، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن معك كتابا قد أيقنت أنفسنا أنه معك؛ فلما رأيت جدتهما أخرجت كتابا من بين قرونها، فذهبا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى كفار قريش، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقل: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: ما حملك على ذلك؟ قال: أما والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت، ولكني كنت امرأ غريبا فيكم أيها الحي من قريش، وكان لي بمكة مال وبنون، فأردت أن أدفع بذلك عنهم، فقال عمر رضي الله عنه: ائذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا ابن الخطأب، وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَأَنِّي غَافِرٌ لَكُمْ، قال الزهري: فيه نزلت حتى (غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)

أُولِيَاءَ) . . . إلى قوله (بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) في مكاتبة حاطب بن أبي بلاتعة ، ومن معه كفار قريش يحدّوهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . من قتادة ، قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولِيَاءَ) . . . حتى بلغ (سَوَاءَ السَّبِيلِ) . ذُكر لنا أن حاطبا كتب إلى أهل مكة يخبرهم سير النبي صلى الله عليه وسلم إليهم زمن الحديينة ، فأطلع الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك . وذُكر لنا أنهم وجدوا الكتاب مع امرأة في قرن من رأسها ، فدعاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : مَا حَمَلَكَ عَلَى الدِّي صَنَعْتَ ؟ قال : والله ما شَكَّكْتُ في أمر الله ، ولا ارتددت فيه ، ولكن لي هناك أهلا ومالا ، فأردت مصانعة قريش على أهلي ومالي : وذُكر لنا أنه كان حليفا لقريش لم يكن من أنفسهم ، فأنزل الله عز وجل في ذلك القرآن ، فقال (إِنْ يَشَقِّقُوكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَنْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ ، وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ يَشَقِّقُوكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَنْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٥٦﴾
لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : إن يثقفكم هؤلاء الذين تسرون أيها المؤمنون إليهم بالموعدة ، يكونوا لكم حربا وأعداء (وَيَنْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بالقتال (وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ) .
وقوله (وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) يقول : وتمنوا لكم أن تكفروا بربكم ، فتكونوا على مثل الذي هم عليه .

وقوله (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : لا يدعونكم أرحامكم وقرباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله ، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالموعدة ، فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة ، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ ، إن أنتم عصيتموه في الدنيا ، وكفرتكم به .

وقوله (يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) يقول جل ثناؤه : يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة بأن يدخل أهل طاعته الجنة ، وأهل معاصيه والكفر به النار .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة (يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) بضم الياء وتخفيف الصاد وفتحها ، على ما لم يسم فاعله : وقرأه عامة قراء الكوفة خلعا صم بضم الياء وتشديد الصاد

وكسرها^١ بمعنى : يفصل الله بينكم أيها القوم : وقرأه عاصم بفتح الياء وتخفيف الصاد وكسرها ، بمعنى يفصل الله بينكم . وقرأ بعض قرآء الشام (يُفَصِّلُ) بضم الياء وفتح الصاد وتشديد هاء على وجه ما لم يسم فاعله . وهذه القراءات متقاربات المعاني صحبحات في الإعراب ، فبأيها قرأ القارئ فصيب .
وقوله (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول جل ثناؤه : والله بأعمالكم أيها الناس ذو علم وبصر ، لا يخفى عليه منها شيء ، هو بجميعها محيط ، وهو مجازيكم بها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فاتقوا الله في أنفسكم واحذروه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوِيُّ هُمْ إِنَّا بَرَاءُؤُمْ أَنْكُمُومِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كان لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة : يقول : قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن ، تقتدون به ، والذين معه من أنبياء الله .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله عز وجل (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) قال : الذين معه الأنبياء .

وقوله (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول : حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله ، وعبدوا الطاغوت : أيها القوم إنا براء منكم ، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد .

وقوله (كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة : كفرنا بكم ، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقاً ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً على كفركم بالله ، وعبادتكم ماسواه ، ولا صلح بيننا ولا هوادة ، حتى تؤمنوا بالله وحده ، يقول : حتى تصدقوا بالله وحده ، فتوحده ، وتفردوه بالعبادة .

وقوله (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ، وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم ، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه (لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) فإنه لأسوة لكم فيه

(١) في الأصل : وضها ، وهو خطأ من النسخ .

في ذلك ، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدو الله ؛ فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه : يقول تعالى ذكره : فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله ، فتبرّءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرّءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ) قال : 'نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه ، فيستغفروا للمشركين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي جعفر ، عن مطرف الحارثي ، عن مجاهد : (أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ) . . . إلى قوله (لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ) يقول : في كل أمره أسوة ، إلا الاستغفار لأبيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ) . . . الآية ، اتسوا به في كل شيء ، ما خلا قوله لأبيه (لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ) فلا تأتسوا بذلك منه ، فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ) يقول : لا تأسوا بذلك فإنه كان عليه موعدا ، وتأسوا بأمره كله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله عز وجل (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) . . . إلى قوله (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ) قال : يقول : ليس لكم في هذا أسوة .

ويعني بقوله (وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما أدفع عنك من الله من عقوبة ، إن الله عاقبك على كفرك به ، ولا أغني عنك منه شيئا .

وقوله (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا) يقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل إبراهيم وأنبيائه صلوات الله عليهم : (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ، وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا) يعني : وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب وترضى (وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) يقول : وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا ، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العرض .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ عَنَّا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٣﴾

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم خليله والذين معه : يا ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بك فجمحدوا وحدانيتك ، وعبدوا غيرك ، بأن تسلطهم علينا ، فيروا أنهم على حق ، وأنا على باطل ، فتجعلنا بذلك فتنة لهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) قال لا تعذبنا بأيديهم ، ولا بعذاب من عندك ، فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) قال : يقول : لا تظهرهم علينا فيفتنونا بذلك ، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه . حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

وقوله (وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا) يقول : واستر علينا ذنوبنا بعفوك لنا عنها يا ربنا ، (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يعني الشديد الانتقام ممن انتقم منه ، الحكيم : يقول الحكيم في تدبيره خلقه ، وصرفه إياهم فيما فيه صلاحهم .

وقوله (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) يقول تعالى ذكره لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة في الذين ذكرهم إبراهيم والذين معه من الأنبياء صلوات الله عليهم والرسول (لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) يقول : لمن كان منكم يرجو لقاء الله ، وثواب الله ، والنجاة في اليوم الآخر .

وقوله (وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) يقول تعالى ذكره : ومن يتول عما أمره الله به وندبه إليه منكم ومن غيركم ، فأعرض عنه وأدبر مستكبرا ، ووالى أعداء الله ، وألقى إليهم بالموودة ، فإن الله هو الغني عن إيمانه به ، وطاعته إياه ، وعن جميع خلقه ، الحميد عند أهل المعرفة بأياديه ، وآلائه عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

* عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَادْتُمْ بِهِمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من أعدائي من مشركي قريش مودة ، ففعل الله ذلك بهم ، بأن أسلم كثير منهم ، فصاروا لهم أولياء وأحزابا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) قال : هؤلاء المشركون قد فعل ، قد أدخلهم في السلم وجعل بينهم مودة حين كان الإسلام حين الفتح .

وقوله (وَاللَّهُ قَدِيرٌ) يقول : والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودة (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودة إذا تاب منها ، رحيم بهم أن يعدّ بهم بعد توبتهم منها :
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) ، (وَاللَّهُ قَدِيرٌ) على ذلك (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يغفر الذنوب الكثيرة ، رحم بعباده .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَنْهٰكُمُ اللّٰهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَالُوْكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوْكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ اَنْ تَبَرُّوْهُمْ وَتُقْسِطُوْا اِلَيْهِمْ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره : (لَا يَنْهٰكُمُ اللّٰهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَالُوْكُمْ فِى الدِّينِ) من أهل مكة (وَلَمْ يُخْرِجُوْكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ اَنْ تَبَرُّوْهُمْ) يقول وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم ، وبرّكم بهم .

واختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عُنَى بها : الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا ، فأذن الله للمؤمنين ببرّهم والإحسان إليهم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَا يَنْهٰكُمُ اللّٰهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَالُوْكُمْ فِى الدِّينِ) أن تستغفروا لهم ، و (تَبَرُّوْهُمْ) وتقسطوا إليهم ؛ قال : وهم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا .

وقال آخرون : عُنِيَ بها من غير أهل مكة مَنْ لم يهاجر .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي ، قال : ثنا هارون بن معروف ، قال : ثنا بشر بن السري ، قال :
ثنا مصعب بن ثابت ، عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : نزلت في أسماء بنت أبي بكر ،
وكانت لها أم في الجاهلية يقال لها قُتَيْلَة ابنة عبد العزى ، فأتتها بهدايا وصناب وأقط وسمن ، فقالت :
لا أقبل لك هدية ، ولا تدخل على حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك عائشة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (لَا يَنْتَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ . . . إِلَى
قَوْلِهِ (الْمُقْسِطِينَ) .

قال : ثنا إبراهيم بن الحجاج ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : ثنا مصعب بن ثابت ، عن عامر
ابن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : قَدِمَتْ قُتَيْلَة بنت عبد العزى بن سعد من بني مالك بن حِصْل على
ابنتها أسماء بنت أبي بكر ، فذكر نحوه :
وقال آخرون : بل عُنِيَ بها من مشركي مكة من لم يقاتل المؤمنين ، ولم يخرجوهم من ديارهم ؛ قال :
ونسخ الله ذلك بعدُ بالأمر بقتالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله عز وجل :
(لَا يَنْتَهَاكُمْ اللَّهُ) . . . الآية ، فقال : هذا قد نسخ ، نَسَخَهُ الْقِتَالُ ، أَمَرُوا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ بِالسُّيُوفِ ،
وَيُجَاهِدُوهُمْ بِهَا ، يَضْرِبُونَهُمْ ، وَضَرَبَ اللَّهُ لَهُمْ أَجَلَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، إِمَّا الْمَذَابِجَةَ ، وَإِمَّا الْإِسْلَامَ .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لَا يَنْتَهَاكُمْ اللَّهُ) . . .
الآية ، قال : نَسَخَهَا (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عُنِيَ بذلك : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ،
من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرؤوهم وتصلوهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله عز وجل عم بقوله (الَّذِينَ
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخص به
بعضاً دون بعض ، ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ ، لأن بر المؤمنين من أهل الحرب ممن بينه وبينه
قربة نسب ، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له ، أو
لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح : قد بين صحة ما قلنا في ذلك ، الخبر
الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) يقول : إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ، ويعطونهم
الحق والعدل من أنفسهم ، فيبرون من برهم ، ويحسنون إلى من أحسن إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : (إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ) أيها المؤمنون (عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) من كفار أهل مكة (وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ ، وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ ، أَن تَوَلَّوْهُمْ) يقول : وعاونوا من أخرجكم من دياركم على إخراجكم أن تولوهم ، فتكونوا لهم أولياء ونصراء (وَمَن يَتَوَلَّهُمْ) يقول : ومن يجعلهم منكم أو من غيركم أولياء (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول : فأولئك هم الذين تولوا غير الذي يجوز لهم أن يتولواهم ، ووضعوا ولايتهم في غير موضعها ، وخالفوا أمر الله في ذلك . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) قال : كفار أهل مكة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ جُلُّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يُجَلُّونَ لَهُنَّ

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ) النساء (الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ) من دار الكفر إلى دار الإسلام (فامْتَحِنُوهُنَّ) وكانت محنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهن إذا قُتِلَ من مهاجرات .

كما حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبي نصر الأسدي ، قال : سئل ابن عباس : كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ؟ قال : كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، عن قيس ، قال : أخبرنا الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس في (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) قال كانت المرأة إذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت ... ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، أن عائشة قالت : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن المؤمنات إلا بالآية ، قال الله (إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا) ولا ، ولا » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بقول الله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ) : : إلى آخر الآية ، قالت عائشة : فمن أقر بهذا من المؤمنات ، فقد أقر بالمحبة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقرن بذلك من قولهن قال هن : انطلقن فقد بايعتكن ، ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط ، غير أنه بايعهن بالكلام ، قالت عائشة : والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط ، إلا بما أمره الله عز وجل ، وكان يقول هن إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاما : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ) . . . إلى قوله (عَلَيَّ حَكِيمٌ) كان امتحانهم أن يشهدن أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ رحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فامتنحنوهن) قال : سلوهن ما جاء بهن فإن كان جاء بهن ، غضب على أزواجهن ، أو سنطة ، أو غيره ، ولم يؤمن ، فارجعوهن إلى أزواجهن . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « (فامتنحنوهن) كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز ، وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله ، وحيرص عليه ، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن » :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فامتنحنوهن) قال : يحلفن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام ، وحباً لله ورسوله :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه أو عكرمة (إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فامتنحنوهن) قال : يقال : ما جاء بك إلا حب الله ، ولا جاء بك عشق رجل منا ، ولا فرارا من زوجك ، فذلك قوله (فامتنحنوهن) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : « كانت المرأة من المشركين إذا غضبت على زوجها ، وكان بينه وبينها كلام ، قالت : والله لأهاجرن إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال الله عز وجل (إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فامتنحنوهن) إن كان الغضب أتى بها فردوها ، وإن كان الإسلام أتى بها فلا تردوها » :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، قال : كان امتحانهم " إنه لم يخرجك إلا الدين .

وقوله (الله أعلمُ بإيمانهم) يقول : الله أعلمُ بإيمان من جاء من النساء مهاجرات إليكم .
وقوله (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) يقول : فإن أقررن عند المحنة بما يصح به عقد الإيمان لهن ، والدخول في الإسلام ، فلا تردوهن عند ذلك إلى الكفار . وإنما قيل ذلك للمؤمنين ، لأن العهد كان جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش في صلح الحديبية أن يرد المسلمون إلى المشركين من جاءهم مسلما ، فأبطل ذلك الشرط في النساء إذا جئن مؤمنات مهاجرات فامتنحن ، فوجدهن المسلمون مؤمنات ، وصح ذلك عندهم مما قد ذكرنا قبل ، وأمرُوا أن لا يردوهن إلى المشركين إذا علم أنهم مؤمنات ، وقال جل ثناؤه لهم (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ، لهن حل لهن ولا هم يحلّون لهن) يقول : لا المؤمنات حل للكفار ولا الكفار يحلون للمؤمنات .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار :

ذكر بعض ما روى في ذلك من الآثار

حدثنا بن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، قال : « دخلت على عروة بن الزبير ، وهو يكتب كتابا إلى ابن أبي هنيئ صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله عز وجل (إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) : : إلى قوله (والله أعلم بحكيم) وكتب إليه عروة ابن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا عام الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبي الله أن يرددن إلى المشركين ، إذا هن امتحن محنة الإسلام ، فعرفوا أنهم إنما جئن رغبة فيه . »

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَن تَوَهَّمُوا مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ حُكْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ حَكِيمٌ ﴿٦٩﴾

وقوله (وآتوهن ما أنفقوا) يقول جل ثناؤه : وأعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات إذا علمتموهن مؤمنات ، فلم ترجعوهن إليهم ما أنفقوا في نكاحهم إياهن من الصداق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) . . . إلى قوله (عليكم حكيم) قال : كان امتحانهم أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فإذا علموا أن ذلك حق منهم لم يرجعوه إلى الكفار ، وأعطى بعلمها من الكفار الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقه الذي أصدقها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (وآتوهم ما أنفقوا) وآتوا أزواجهن صدقاتهن . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحوهن) الله أعلم بما يمتأمنن) حتى بلغ (والله عليكم حكيم) هذا حكم حكمه الله عز وجل بين أهل الهدى وأهل الضلالة ، كن إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عهد إلى أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم فزوجوهن بعثوا مهورهن إلى أزواجهن من المشركين الذين بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد ، وإذا فررن من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين الذين بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم أنه من أتاه منهم رده إليهم ؛ فلما جاءه النساء نزلت عليه هذه الآية ، وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن حكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن فقال (ولا تمسكوا بعهصم الكوافر) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (فامتنحوهن) ، الله أعلم بما يمتأمنن) كان نبي الله صلى الله عليه وسلم عاهد من المشركين ومن أهل الكتاب ، فعاهدهم وعاهدوه ، وكان في الشرط أن يردوا الأموال والنساء ؛ فكان نبي الله إذا فاته أحد من أزواج المؤمنين ، فلحق بالمعاهدة تاركا لدينه مختارا للشرك ، رد على زوجها ما أنفق عليها ، وإذا لحق بنبي الله صلى الله عليه وسلم أحد من أزواج المشركين امتحنها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فسألها ما أخرجك من قومك ، فإن وجدها خرجت تريد الإسلام قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورد على زوجها ما أنفق عليها ، وإن وجدها فرت من زوجها إلى آخر بينها وبينه قرابة ، وهي متمسكة بالشرك ردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها من المشركين .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا أيُّها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحوهن) . . . الآية كلها ، قال : لما هادن رسول الله

صلى الله عليه وسلم المشركين « كان في الشرط الذي شرط أن ترد إلينا من أهلك منا ، ونرد إليك من أهلك منكم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَتَانَا مِنْكُمْ فَتَرُدُّهُ إِلَيْنَا ، وَمَنْ أَتَاكُمْ مِنْنَا فَاجْتَارَ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ ، قال : فأبى الله ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم في النساء ، ولم يأبه للرجال ، فقال الله عز وجل : (إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ) . . . إلى قوله (وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا) أزواجهن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، قال : كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين هدنة فيمن فر من النساء ، فإذا فرّت المشركة أعطى المسلمون زوجها نفقته عليها وكان المسلمون يفعلون وكان إذا لم يعط هؤلاء ولا هؤلاء أخرج المسلمون للمسلم الذي ذهب امرأته نفقتها .

وقوله (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوا هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرَاتِ اللَّاتِي لَحِقْنَ بِكُمْ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ مَفَارِقَاتٍ لِأَزْوَاجِهِنَّ ، وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ إِذَا عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ إِذَا أَنْتُمْ أُعْطِيتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ، وَيَعْنِي بِالْأَجُورِ : الصَّدُوقَاتِ : وكان قتادة يقول : كن إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عهد إلى أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم فتزوجوهن ، بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن من المشركين الذين بينهم وبين أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد :

حدثنا بذلك بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، وكان الزهري يقول : إنما أمر الله برد صداقهن إليهم إذا حبس عنهم إن هم ردوا المسلمين على صداق من حبسوا عنهم من نسائهم :

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوا هَؤُلَاءِ) ولها زوج ثم ، لأنه فرق بينهما الإسلام إذا استبرأتين أرحامهن .

وقوله (وَلَا تَتَّبِعُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ) يقول جل ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تتبعوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهن ، والكوافر : جمع كافرة ، والعصم : جمع عصمة ، وهي ما اعتصم به من العقد والسبب وهذا نهى من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان ، وأمرهم بفراقهن .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم « أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نسوة مؤمنات بعد أن كتب كتاب القضية بينه وبين قريش ، فأنزل الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ (حَتَّى بَلَغَ) بَعْصَمَ الْكَوَافِرِ (فَطَلَقَ عَمْرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ بِالْشَّرْكِ ، فَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةٍ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : « بلغنا أن آية المحنة التي مادت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش من أجل العهد الذي كان بين كفار قريش وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد إلى كفار قريش ما أنفقوا على نساءهم اللاتي يسلمن ويهاجرن ، وبعولتهن كفار للعهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم ، ولو كانوا حربا ليست بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة ، وعقد لم يرد عليهم شيئا مما أنفقوا ، وحكم الله للمؤمنين على أهل المدة من الكفار بمثل ذلك ، قال الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ) حَتَّى بَلَغَ (وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) فَطَلَقَ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كُلَّ امْرَأَةٍ كَافِرَةٍ كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَطَلَقَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْرَأَتَهُ ابْنَةَ أَبِي أُمِيَّةٍ بْنِ الْمُغِيرَةِ مِنْ بَنِي مُخْزُومٍ فَزَوَّجَهَا مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ ، وَابْنَةَ جُرُولٍ مِنْ خِزَاعَةَ ، فَزَوَّجَهَا أَبُو جَهْمُ بْنُ حَذَافَةَ الْعَدَوِيُّ ، وَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَكْمًا حَكَمَ بِهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ :

حدثنا ابن حُمَيْدٌ ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وقال الزهري : لما نزلت هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ) كَانَ مِنْ طَلَقِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْرَأَتَهُ قَرِيبَةَ ابْنَةَ أَبِي أُمِيَّةٍ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ ، وَهُمَا عَلَى شَرْكِهِمَا بِمَكَّةَ ، وَأُمُّ كَلثُومُ ابْنَةُ جُرُولٍ الْخِزَاعِيَّةُ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ ، فَزَوَّجَهَا أَبُو جَهْمُ بْنُ حَذَافَةَ بْنِ غَانِمٍ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ ، وَهُمَا عَلَى شَرْكِهِمَا ؛ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَمْرِو التَّيْمِيِّ كَانَتْ عِنْدَهُ أُرْوَى بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامُ حِينَ نَهَى الْقُرْآنُ عَنِ التَّمَسُّكِ بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ ، وَكَانَ طَلْحَةُ قَدْ هَاجَرَ وَهُوَ بِمَكَّةَ عَلَى دِينِ قَوْمِهَا ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ طَلْحَةِ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ . وَكَانَ مِمَّنْ فَرَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نِسَاءِ الْكُفَّارِ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ فَحَبَسَهَا وَزَوَّجَهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُمِيَّةُ بِنْتُ بَشْرِ الْأَنْصَارِيَّةِ ، ثُمَّ إِحْدَى نِسَاءَ بَنِي أُمِيَّةٍ بْنِ زَيْدٍ مِنْ أَوْسِ اللَّهِ ، كَانَتْ عِنْدَ ثَابِتِ بْنِ الدَّحْدَاحَةِ ، فَفَرَّتْ مِنْهُ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ كَافِرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ أَحَدَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَوَلَدَتْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال الله : (وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ) قَالَ الزَّهْرِيُّ : فَطَلَقَ عَمْرُ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ بِمَكَّةَ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ) قَالَ : أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَمَرُوا بِطَلَاقِ نِسَائِهِمْ كَوَافِرَ بِمَكَّةَ ، قَعَدْنَ مَعَ الْكُفَّارِ .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُتَمَسِّكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)
مشركات العرب اللاتي يابنن الإسلام أُمَرَ أَنْ يُنَحَّلْنَ سَبِيلَهُنَّ :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تُتَمَسِّكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ) إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها ، خلوها ، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت .
واختلفت القراء في قراءة قوله (وَلَا تُتَمَسِّكُوا) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والكوفة والشام ،
(وَلَا تُتَمَسِّكُوا) بتخفيف السين . وقرأ ذلك أبو عمرو (وَتَمَسِّكُوا) بتشديد ها ، وذكر أنها قراءة الحسن ،
واعتبر من قرأ ذلك بالتخفيف ، وإمساك بمعروف .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان ، محكى عن العرب أمسكت به
ومسكت ، وتمسكت به .

وقوله (وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا) يقول تعالى ذكره لأزواج اللواتي لحقن من
المؤمنين من دار الإسلام بالمشركين إلى مكة من كفار قريش : واسأوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم
فلحقن بالمشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللواتي لحقن بهن من الصداق من تزوجهن منهم ، وليس لکم
المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهم مؤمنات إذا تزوجن فيكم من تزوجها منكم ما أنفقوا عليهن من
الصداق :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أقر
المؤمنون بحكم الله ، وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم ، وأبى المشركون أن
يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا)
ما أنفقوا) قال : ما ذهب من أزواج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكفار ، فليعطهم الكفار
صداقتهن ، وليمسكوهن ، وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فثل ذلك
في صلح كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

وقوله (ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) يقول تعالى ذكره : هذا الحكم الذي حكمت بينكم
من أمركم أيها المؤمنون بمسألة المشركين ، ما أنفقتم على أزواجكم اللاتي لحقن بهن وأمرهم بمسألتكم مثل ذلك
في أزواجهن اللاتي لحقن بكم ، حكم الله بينكم فلا تعتدوه ، فإنه الحق الذي لا يسمع غيره ، فأنهى
المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر إلى أمر الله وحكمه ، وامتنع المشركون منه

وطلبوا الوفاء بالشروط التي كانوا شارطوها بينهم في ذلك الصلح ، وبذلك جاءت الآثار والأخبار عن أهل السير وغيرهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : أما المؤمنون فأقرّوا بحكم الله ، وأما المشركون فأبوا أن يقرّوا ، فأنزل الله عز وجل (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، قال : « قال الله : ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ بَيْنَكُمْ ، فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء ، وردّ الرجال ، وسأل الذي أمره الله أن يسأل من صدقات النساء من حبسوا منهن » ، وأن يردّوا عليهم مثل الذي يردّون عليهم إن هم فعلوا ، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم ردّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء ، كما ردّ الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية أمسك النساء ولم يرد إليهم صداقا ، وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد ، قوله (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) يقول جل ثناؤه : والله ذو علم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأمور ، حكيم في تدبيره إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ دَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

يقول جل ثناؤه للمؤمنين من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَإِنْ فَاتَكُمْ) أيها المؤمنون (شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) فلهذا بهم .

واختلف أهل التأويل في الكفار الذين عُنُوا بقوله (إِلَى الْكُفَّارِ) من هم ؟ فقال بعضهم : هم الكفار الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد ، قالوا : ومعنى الكلام : وإن فاتكم شيء من أزواجكم ، إلى من ليس بينكم وبينهم عهد من الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) الذين ليس بينكم وبينهم عهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) إذا فررن من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كفار ليس بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن مجاهد (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) قال : لم يكن بينهم عهد .

وقال آخرون : بل هم كفار قریش الذين كانوا أهل هدنة ، وذلك قول الزهري .

حدثني بذلك يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس عنه .

وقوله (فَعَاقِبْتُمْ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار (فَعَاقِبْتُمْ) بالالف على مثال فاعلتم ، بمعنى : أصبتم منهم عقبي . وقراه حميد الأعرج فيما ذكر عنه (فَعَقَّبْتُمْ) على مثال فعلتم مشددة القاف ، وهما في اختلاف الألفاظ بهما نظير قوله (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) وَتُصَاعِرْ مع تقارب معانيهما .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأه (فَعَاقِبْتُمْ) بالالف لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله (فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) يقول : فأعطوا الذين ذهب أزواجهم منكم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهم من الصداق .

واختلف أهل التأويل في المال الذي أمر أن يعطى منه الذي ذهب زوجته إلى المشركين ، فقال بعضهم : أمروا أن يعطوهم صداق من لحق بهم من نساء المشركين .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن الزهري ، قال : أقر المؤمنون بحكم الله ، وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم ، وأبى المشركون أن يقرؤا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين ، فقال الله للمؤمنين : (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ) ، فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ، وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) فإو أنها ذهب بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين ، رد المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم ، الذي أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم المالات آمن وهاجرن ، ثم ردوا إلى المشركين فضلا إن كان بقي لهم ، والعقب : ما كان بأيدي المؤمنين من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : أنزل الله (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ) ، فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) فأمر الله المؤمنين أن يردوا الصداق إذا ذهب امرأة من المسلمين ولها زوج أن يرد إليه المسلمون صداق امرأته من صداق إن كان في أيديهم مما أمروا أن يردوا إلى المشركين :

وقال آخرون : بل أمروا أن يعطوه من الغنيمة أو النوى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ) ، فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) يعني : إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار ، أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، إنهم كانوا أمروا أن يردوا عليهم من الغنيمة . وكان مجاهد يقرأ (فَعاقِبْتُمْ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَعاقِبْتُمْ) يقول : أصبتم مغنما من قريش أو غيرهم (فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) صدقاتهن عوضا :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن مجاهد (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) قال : من لم يكن بينهم وبينهم عهد ، فذهبت امرأة إلى المشركين فيدفع إلى زوجها مهر مثلها (فَعاقِبْتُمْ) فأصبتم غنيمة (فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) وَاتَّقُوا اللَّهَ قال : مهر مثلها يدفع إلى زوجها :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ) ، فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ) كن إذا فررن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكفار ليس بينهم وبين نبي الله عهد ، فأصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة ، أعطى زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة ، ثم يقتسمون غنيمتهم .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائي يخبر عن زائدة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق أنه قرأها (فَعاقِبْتُمْ) وفسرها فغنمتم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (فَعاقِبْتُمْ) قال : غنمتم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سألت الزهري ، عن هذه الآية وقول الله فيها (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) . الآية ، قال : يقول : إن فات أحدا منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون لها مثل الذي يأخذون منكم ، فعوضوه من فيء إن أصبتموه .

وقال آخرون في ذلك : ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ) قال : خرجت امرأة من أهل الإسلام إلى المشركين ، ولم يخرج غيرها قال : فأتت امرأة من المشركين ، فقال القوم : هذه عتقتكم قد أتنكم ، فقال الله (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ) : أمسكتم الذي جاءكم منهم من أجل

الذي لكم عندهم (فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) ثم أخبرهم الله أنه لا جناح عليهم إذا فعلوا الذي فعلوا أن ينكحوهن إذا استبرأ زوجها ، قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذهب امرأته إلى الكفار ، فقال لهذه التي أتت من عند المشركين : هذا زوج التي ذهب أزواجك ؟ فقالت : يا رسول الله ، عذر الله زوجة هذا أن تفر منه ، لا والله مالي به حاجة ، فدعا البختري رجلاً جسيماً ، قال : هذا ؟ قالت : نعم ، وهي ممن جاء من مكة .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : أمر الله عز وجل في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عتبي ، إما بغنيمة يصيبونها منهم ، أو بلحاق نساء بعضهم بهم ، مثل الذي أنفقوا على الفارة منهم إليهم ، ولم يخصص إيتاءهم ذلك من مال دون مال ، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كل الأموال التي ذكرناها .

وقوله (وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) يقول : وخافوا الله الذي أنتم به مصدقون أيها المؤمنون فاتقوه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْغِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ❶

❦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ) بالله (يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) يقول : ولا يأتين بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين أيديهن وأرجلهن . وإنما معنى الكلام : ولا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) يقول : لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن . وقوله (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) يقول : ولا يعصينك يا محمد في معروف من أمر الله عز وجل تأمرهن به : وذكر أن ذلك المعروف الذي شرط عليهن أن لا يعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هو النياحة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) يقول : لا ينحسّن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) ، قال : النوح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبيد المحاربيّ ، قال : ثنا موسى بن عمير ، عن أبي صالح ، في قوله (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : في نياحة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : النوح .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : لا ينحسّن وجهها ، ولا يشققن جيبا ، ولا يدعون ويلا ، ولا ينشدن شعرا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : « كانت محنة النساء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : قل لهن : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبایعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمته الله عليه متنكرة في النساء ، فقالت : إني إن أتكلم يعرفني ، وإن عرفني قتلتني ، وإني تنكرت قرآنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت النسوة اللاقي مع هند ، وأبين أن يتكلمن ، قالت هند وهي متنكرة : كيف يقبل من النساء شيئا لم يقبله من الرجال ، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر : قل لهن « لَا يَسْرِقْنَ » ، قالت هند : والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات ما أدرى أيجلهن لي أم لا ، قال أبو سفيان : ما أصبت من شيء مضى ، أو قد بقي ، فهو لك حلال ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها ، فدعاها فأثته ، فأخذت بيده ، فعادت به ، فقال : أنت هند ، فقالت : عفا الله عما سلف ، فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال (وَلَا يَزْنِينَ) فقالت : يا رسول الله وهل تزني الحرة ؟ قال : لا والله ما تزني الحرة ؛ قال : وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، قالت هند : أنت قتلتهن يوم بدر فأنت وهم أبصر ، قال : وَلَا يَأْتِينَ بِمُحْتَمِلٍ يَنْفَتِرِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ ، وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ، قال : منعهن أن ينحن ، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ، ويقطعن الشعور ، ويدعون بالشبور والويل . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِسَائِعِينَ) حتى بلغ (فَيَبَايِعُهُنَّ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليهن يومئذ النياحة ،

(١) في ابن كثير (٦ : ٢٠٧) : الهنة ، بالإفراد ، والهنة الشيء اليسير . وبجمعها : هنات وهنات .

ولا تحدثن الرجال ، إلا رجلا منكن محرما ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا نبي الله إن لنا أضيافا ، وإنا نغيب عن نسائنا ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ أَوْلَئِكَ عَنَيْتُ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : هو النوح أخذ عليهن لا ينعن ، ولا يخلون بحديث الرجال إلا مع ذي محرم ؛ قال : فقال عبد الرحمن ابن عوف : إنا نغيب ويكون لنا أضياف ؛ قال : ليس أولئك عنيت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : أخبرنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، في قوله (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : لا يحدثن رجلا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن عياش ، عن سليمان بن سليمان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : « جاءت أُمَيمة بنت رقيقة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تباعه على الإسلام ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : أَبِيعِيَّ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقِي ، وَلَا تَزْنِي ، وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكَ ، وَلَا تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ يَدَيَّكَ وَرِجْلَيْكَ ، وَلَا تَسُوْحِي وَلَا تَبْرَجِي تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُمَيمة بنت رقيقة ، قالت : « جاءت نسوة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبايعنه ، فقال : فِيهَا اسْتَطَعْنَ وَأَطَقْنَ ، فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، عن ابن المنكدر « أَنْ أُمَيمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة ، فقلن : يا رسول الله ابسط يدك نصافحك ، فقال : لَأَنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ ، وَلَكِنْ سَأَخُذُ عَلَيْكُنَّ ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا حَتَّى بَلَغَ (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) فَقَالَ فِيهَا أَطَقْنَ وَأَسْتَطَعْنَ فقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن ابن سيرين ، عن أم عطية الأنصارية ، قالت : « كَانَ فِيهَا اشْتَرَطَ عَلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ حِينَ بَايَعْنَا أَنْ لَا نُنُوحَ ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فَلَانٍ : إِنْ بَوَّيْنَا فَلَانًا أَسْعَدُونِي ، فَلَا حَتَّى أَجْزِيَهُمْ ، فَاِنْطَلَقَتْ فَأَسْعَدَتْهُمْ ، ثُمَّ جَاءَتْ فَبَايَعَتْ ؛ قَالَ : فَمَا وَفَى مِنْهُنَّ غَيْرَهَا وَغَيْرَ أُمِّ سَلِيمِ ابْنَةِ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ » .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا عمرو بن فروخ القتات ، قال : ثنا مصعب بن نوح الأنصاري ، قال : « أَدْرَكَتْ عَجُوزًا لَنَا كَانَتْ فِيْمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : فَأَتَيْتُهُ لِأَبَايَعِهِ ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا فِيْمَا أَخَذَ وَلَا تَنْحَنَ ، فَقَالَتْ عَجُوزٌ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ نَاسًا قَدْ كَانُوا أَسْعَدُونِي عَلَى مَصَائِبِ أَصَابَتْنِي ، وَلَئِنْهُمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةٌ ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْعِدَهُمْ ؛ قَالَ : فَاِنْطَلَقْتِي فَكَافَيْتِيهِمْ ، ثُمَّ لَمَّا أَتَتْ فَبَايَعَتْهُ ، قَالَ : هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) » .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا وكيع ، عن يزيد ، مولى الصهباء ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قوله (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : النوح .
حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة بنت رقيقة التيمية ، قالت : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من المسلمين ، فقلنا له جئناك يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأثي بهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما استطعتن وأطقتن ، فقلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، فقلنا : بايعنا يا رسول الله ، فقال : اذْهَبْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ ، لَأَنَّمَا قَوْلِي لِمِثَّةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِمِثَّةِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ ، وما صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أحداً » .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن عيسى بن عبد الله التيمي ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة بنت رقيقة خالة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعتها تقول : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ علينا أن لا نشرك بالله شيئاً ، فذكر مثل حديث محمد بن إسحاق » .
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة بنت رقيقة ، قالت : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء نبايعه ، قالت : فأخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم بما في القرآن (أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا) . . . الآية ، ثم قال : فما استطعتن وأطقتن ؟ فقلنا : يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ فقال : إِنِّي لَا أَصَافِحُ الذَّسَاءَ مَا قَوْلِي لِمِثَّةِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا كَقَوْلِي لِمِثَّةِ امْرَأَةٍ » .

حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن زهير ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة بنت رقيقة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .
حدثت ، عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) والمعروف : ما اشترط عليهن في البيعة أن يتبعن أمره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه وخيرته من خلقه ثم لم يستحل له أموراً إلا بشرط لم يقل ولا يعصيناك ويترك حتى قال في معروف : فكيف ينبغي لأحد أن يطاع في غير معروف وقد اشترط الله هذا على نبيه ، قال : فالمعروف كل معروف أمرهن به في الأمور كلها وينبغي لهن أن لا يعصين .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، ثنا إسحاق بن إدريس ، ثنا إسحاق بن عثمان بن يعقوب ، قال : ثنا إسماعيل ابن عبد الرحمن بن عطية ، عن جدته أم عطية ، قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جمع بين نساء الأنصار في بيت ، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب ، فقام على الباب فسلم علينا ، فرددن ، أو فرددنا

(١) كلمة في الأصل ، ولعله أمر رعيته أمراً لا بشرط الخ .

عليه ، ثم قال : أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن ، قالت : فقلنا مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرز رسول الله ، فقال : تباعن على أن لا تشركن بالله شيئا ، ولا تسرقن ، ولا تزنين ، قالت : قلنا نعم ؛ قال : فمد يده من خارج الباب أو البيت ، ومددنا أيدينا من داخل البيت ، ثم قال : اللهم اشهد ؛ قالت : وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق ، ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنائز ، قال إسماعيل : فسألت جدتي عن قول الله (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) قالت : النياحة .

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن زهير ، في قول الله (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : لا يخلو الرجل بامرأة :

وقوله (فَبَايِعْهُنَّ) يقول جل ثناؤه : إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على هذه الشروط ، فبايعهن ، (وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ) يقول : سل لله أن يصفح عن ذنوبهن ، ويسترها عليهن بعفوه لهن عنها ، (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله ذوستر على ذنوب من تاب إليه من ذنوبه أن يعذبه عليها بعد توبته منها :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَدْسُوكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَدْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

* يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها الذين آمنوا لا تتولَّوا قوماً غضبَ اللهُ عليهم) من اليهود (قد يَدْسُوكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ ، كَمَا يَدْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (قد يَدْسُوكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَدْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : قد يئس هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله في الآخرة ، وأن يُبعثوا ، كما يئس الكفار الأحياء من أمواتهم الذين هم في القبور أن يرجعوا إليهم : ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الذين آمنوا لا تتولَّوا قوماً غضبَ اللهُ عليهم) . . . الآية ، يعني من مات من الذين كفروا ، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم ، أو يبعثهم الله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسين ، أنه قال في هذه الآية (قد يَدْسُوكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَدْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) قال : الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ) يقول : يَتَّبِعُوا أَنْ يُبْعَثُوا كَمَا يَتَّبِعُ الْكَافِرُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ أَصْحَابُ الْقُبُورِ الَّذِينَ مَاتُوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ) . . . الآية ، الكافر لا يرجو لقاء ميتة ولا أجره .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكَافِرُ) أصحاب القبور يقول من مات من الذين كفروا فقد يتبع الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم ، أو يبعثهم الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قد يتبعوا من الآخرة أن يرحمهم الله فيها ، ويغفر لهم ، كما يتبع الكفار الذين هم أصحاب قبور قد ماتوا وصاروا إلى القبور من رحمة الله وعفوه عنهم في الآخرة ، لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في هذه الآية (قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكَافِرُ) أصحاب القبور الذين في القبور قد يتبعوا من الآخرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكَافِرُ) أصحاب القبور قال : من ثواب الآخرة حين تبين لهم عملهم ، وعابنوا النار .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية (قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ) . . . الآية ، قال : أصحاب القبور قد يتبعوا من الآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الكلبي : قد يتبعوا من الآخرة ، يعني يعني اليهود والنصارى ، يقول : قد يتبعوا من ثواب الآخرة وكرامتها ، كما يتبع الكفار الذين قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا) . . . الآية ، قال : قد يتبع هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة ، كما يتبع الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة ، لمساعينوا من أمر الآخرة ، فكما يتبع أولئك الكفار ، كذلك يتبع هؤلاء الكفار ، قال : والقوم الذين غضب الله عليهم ، يهودهم الذين يتبعوا من أن تكون لهم آخرة ، كما يتبع الكفار قبلهم من أصحاب القبور ، لأنهم قد علموا كتاب الله وأقاموا على الكفر به ، وما صنعوا وقد علموا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، في قوله (يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ) . . . الآية ،

قال : قد يئسوا أن يكون لهم ثواب الآخرة ، كما يئس من في القبور من الكفار من الخير ، حين عاينوا العذاب والهوان .

❖ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة ، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على علم منهم بأنه لله نبي ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا ، فصاروا أصحاب القبور ، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل ، من ثواب الله وكرامته إياهم .

وإنما قلنا : ذلك أولى القولين بتأويل الآية ، لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا ، أو أن يبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار ، فلا وجه لأن يخص بذلك الخبر عن الكفار ، وقد شركهم في الإيأس من ذلك المؤمنون .

آخر تفسير سورة الممتحنة

(٦١) سُورَةُ الضَّحَىٰ
وَأَنبِئْهُمْ أَنِّي بَعْثُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾ يَتَأَيَّمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا
مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾ كِبْرًا مَّقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾

❖ يقول جل ثناؤه : (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ) السبع (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من الخلق ، مُدْعِنِينَ لَهُ بِالْأُلُوهَةِ وَالرَّبُّوبِيَّةِ (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فِي نَقْمَتِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ مِنْهُمْ ، فَكَفَرَبِهِ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ (الْحَكِيمُ) فِي تَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ .

وقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَدَقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، لَمْ تَقُولُوا الْقَوْلَ الَّذِي لَا تَصْدُقُونَهُ بِالْعَمَلِ ، فَأَعْمَالُكُمْ مَخَالِفَةٌ أَقْوَالِكُمْ (كِبْرًا مَّقْتًا عِنْدَ اللَّهِ) أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) يقول : عَظُمَ مَقْتًا عِنْدَ رَبِّكُمْ قَوْلُكُمْ مَا لَا تَفْعَلُونَ .

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أُنزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : أُنزلت توبيخا من الله لقوم من المؤمنين ، تمنوا معرفة أفضل الأعمال ، فعرفهم الله إياه ، فلما عرفوا قصرُوا ، فعوتبوا بهذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون :

لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه ، فنعمل به ، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به ؛ فلما نزل الجهاد ، كره ذلك أناس من المؤمنين ، وشقّ عليهم أمره ، فقال الله (يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) قال : كان قوم يقولون : والله لو أنا نعلم ما أحب الأعمال إلى الله لعملناه ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا) . . . إلى قوله (بنينان مَرصُوصٌ) فدلهم على أحب الأعمال إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن محمد بن جحادة ، عن أبي صالح ، قال : قالوا لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل ، فنزلت (يا أيّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تُنجيكم من عَذَابٍ أليمٍ) فكرهوا ، فنزلت (يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) : حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (لم تقولون ما لا تفعلون) : . . . إلى قوله (مَرصُوصٌ) فيما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة ، قالوا في مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت ، فأنزل الله هذا فيهم ، فقال عبد الله بن رواحة : لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت ، فقتل شهيدا .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها ، فيقول فعلت كذا وكذا ، فعظم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لم تقولون ما لا تفعلون) قال : بلغني أنها كانت في الجهاد ، كان الرجل يقول : قاتلت وفعلت ، ولم يكن فعل ، فوعظهم الله في ذلك أشدّ الموعظة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) يؤذّنهم ويعلمهم كما تسمعون (كبر مقتا عند الله) وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه ، فوعظهم الله في ذلك موعظة بليغة ، فقال (يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) . . . إلى قوله (كأنهم بنينان مَرصُوصٌ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضمّالة يقول في قوله

(لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) أنزل الله هذا في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والظعن والقتل ، قال الله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .

وقال آخرون : بل هذا توبيخ من الله لقوم من المنافقين ، كانوا يَعِدُونَ المؤمنين النصر وهم كاذبون . ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه : لو خرجتم خرجنا معكم ، وكنا في نصركم ، وفي ، وفي ؛ فأخبرهم أنه (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) . * وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : عني بها الذين قالوا : لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به ، ثم قصرنا في العمل بعد ما عرفوا .

وإنما قلنا : هذا القول أولى بهاء ، لأن الله جل ثناؤه خاطب بها المؤمنين ، فقال (يا أيها الذين آمنوا) ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسموا ، ولم يوصفوا بالإيمان ، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه ، كانوا قد عمدوا قيل الكذب ، ولم يكن ذلك صفة القوم ، ولكنهم عندى أمأوا بقولهم : لو علمنا أحب الأعمال إلى الله عملناه أنهم لو علموا بذلك عملوه ؛ فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم ، عن القيام بما أمروا القيام به قبل العلم ، وقوى آخرون فقاموا به ، وكان لهم الفضل والشرف .

واختلف أهل العربية في معنى ذلك ، وفي وجه نصب قوله (كَبُرَ مَقْتًا) فقال بعض نحوي البصرة : قال (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ) : أي كبر مقتكم مقتا ، ثم قال (أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) : أذى قولكم . وقال بعض نحوي الكوفة : قوله (يا أيها الذين آمنوا) لم تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ : كان المسلمون يقولون : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لأتيناها ، ولو ذهبت فيه أنفسنا وأموالنا ؛ فلما كان يوم أحد ، نزلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى شُجَّ ، وكُسرت ربايعته ، فقال (لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) ، ثم قال : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ) كبر ذلك مقتا : أي فأن في موضع رفع ، لأن كبر كقوله : بثس رجلا أخوك .

وقوله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) أُضْمِرَ في كبر اسم يكون مرفوعا .

* والصواب من القول في ذلك عندى أن قوله (مَقْتًا) منصوب على التفسير ، كقول القائل : كبر قولاً هذا القول .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرَّضُوصٌ

* يقول تعالى ذكره للقائلين : لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه حتى نموت : (إِنَّ اللَّهَ) أيها القوم

(يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ) كأنهم ، يعني في طريقه ودينه الذي دعا إليه (صَفًّا) يعني بذلك أنهم يقاتلون أعداء الله مصطفين :

وقوله (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) يقول : يقاتلون في سبيل الله صفا مصطفا ، كأنهم في اصطفا فهم هنالك حيطان مبنية قدرص ، فأحكم وأتقن ، فلا يغادر منه شيئا ، وكان بعضهم يقول : بنى بالرصاص . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) كأنهم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ، كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره ، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم ، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) كأنهم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) قال : والذين صدقوا قولهم بأعمالهم هؤلاء ؛ قال : وهؤلاء لم يصدقوا قولهم بالأعمال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه وتخلّفوا . وكان بعض أهل العلم يقول : إنما قال الله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) ليدل على أن القتال راجل أحب إليه من القتال فارسا ، لأن الفرسان لا يصطفون ، وإنما تصطف الرجال .

ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن أبي بكر بن أبي مریم ، عن يحيى بن جابر الطائي ، عن أبي بحرية ، قال : كانوا يكرهون القتال على الخيل ، ويستحبون القتال على الأرض ، لقول الله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) كأنهم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) قال : وكان أبو بحرية يقول : إذا رأيتهم في الصف ، فجنوا في الحبي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَكْفُرُ لَكُمْ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد (إِذْ قَالَ مُوسَى) بن عمران (لِقَوْمِهِ يَكْفُرُ لَكُمْ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ) حقا (أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) : وقوله (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) يقول : فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاع الله قلوبهم : يقول : أمال الله قلوبهم عنه :

وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، قال : ثنا أبو غالب ، عن

أبي أمامة في قوله (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) قال : هم الخوارج (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول : والله لا يوفق لإصابة الحق القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٠﴾

* يقول تعالى ذكره : واذكر أيضا يا محمد (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) لقومه من بني إسرائيل (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ) التي أنزلت على موسى (وَمُبَشِّرًا) أبشركم (بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ، عن عرباض بن سارية ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَلَاتِمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي ظِينَتِهِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ : دَعَا أَدْنَى إِبْرَاهِيمَ ، وَبِشَارَةِ عِيسَى بِي ، وَالرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْ أُمِّي ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ ، يَرَيْنَ أَنَّهَا رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ » (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول : فلما جاءهم أحمد بالبينات ، وهي الدلالات التي آتاه الله حججا على نبوته (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) يقول : ما أتى به غير أنني ساحر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾

* يقول تعالى ذكره : ومن أشد ظلما وعدوانا ممن اختلق على الله الكذب ، وهو قول قائلهم للنبي صلى الله عليه وسلم : هو ساحر ولما جاء به سحر ، فكذلك افتراه على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام يقول : إذا دُعِيَ إلى الدخول في الإسلام ، قال على الله الكذب ، وافتري عليه الباطل (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : والله لا يوفق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به لإصابة الحق .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره : يريد هؤلاء القائلون لمحمد صلى الله عليه وسلم : هذا ساحر مبين (لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ) يقول : يريدون ليبطلوا الحق الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم بأفواههم يعني بقولهم إنه ساحر ، وما جاء به سحر ، (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) يقول : الله معلن الحق ، ومظهر دينه ، وناصر محمدا عليه الصلاة والسلام على من عاداه ، فذلك إتمام نوره ، وعنى بالنور في هذا الموضع الإسلام . وكان ابن زيد يقول : عني به القرآن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ) قال : نور القرآن :

واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ) فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (مُتِمُّ نُورِهِ) بالنصب . وقراء بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة (مُتَمُّ) بغير تنوين نوره خفضا وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب عندنا :

وقوله (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) يقول : والله مظهر دينه ، وناصر رسوله ، ولو كره الكافرون بالله : القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : الله الذي أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق ، يعني ببيان الحق ودين الحق يعني : ودين الله ، وهو الإسلام .

وقوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) يقول : ليظهر دينه الحق الذي أرسل به رسوله على كل دين سواه ، وذلك عند نزول عيسى بن مريم ، وحين تصير الملة واحدة ، فلا يكون دين غير الإسلام .

كما حدثنا ابن حنيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي المقدام ثابت بن هرمز ، عن أبي هريرة

(لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) قال : خروج عيسى بن مريم ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى

قوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) والصواب عندنا من القول في ذلك بعلمه فيها مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقد حدثني عبد الحميد بن جعفر ، قال : ثنا الأسود بن العلاء ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن

عائشة قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لَا يَبْدُ هَبُّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ

اللَّاتُ وَالْعُزَّى ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِأُظَنَّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ

رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) . . . الآية ، أن ذلك سيكون تاما ، فقال :

إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، فَيَتَوَرَّقُ فِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ

مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ خَسِيرٍ ، فَيَسْبِقُنِي مَنْ لَا خَسِيرَ فِيهِ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ .

القول في تأويل قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

* يقول تعالى ذكره: (يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) موجه، وذلك عذاب جهنم؛ ثم بين لنا جل ثناؤه ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم، فقال: (تؤمنون بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم.

* فإن قال قائل: وكيف قيل: (تؤمنون بالله ورسوله)، وقد قيل لهم: (يا أيُّها الذين آمنوا) بوصفهم بالإيمان؟ فإن الجواب في ذلك نظير جوابنا في قوله (يا أيُّها الذين آمنوا) آمنوا بالله، وقد مضى البيان عن ذلك في موضعه بما أغنى عن إعادته:

وقوله (وتجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) يقول تعالى ذكره: وتجاهدوا في دين الله، وطريقه الذي شرعه لكم بأموالكم وأنفسكم (ذليكم خسير لکم) يقول: إيمانكم بالله ورسوله، وجهادكم في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم (خسير لکم) من تضييع ذلك والتفريط (إن كنتم تعلمون) مضار الأشياء ومنافعها. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (آمنوا بالله) على وجه الأمر، وبَيَّنَّت التجارة من قوله (هل أدلكم على تجارةٍ تُنْجِيكُمْ) وفسرت بقوله (تؤمنون بالله) ولم يقل: أن تؤمنوا، لأن العرب إذا فسرت الاسم بفعل ثبت في تفسيره أن أحيانا، وتطرحها أحيانا، فنقول للرجل: هل لك في خير تقوم بنا إلى فلان فنعوده؟ هل لك في خير أن تقوم إلى فلان فنعوده، بأن وبطرحها. ومما جاء في الوجهين على الوجهين جميعا قوله (فلينظر الإنسان إلى طعامه أُنَّا) وإنا فالفتح في أنا لغة من أدخل في يقوم أن من قولهم: هل لك في خير أن تقوم، والكسر فيها لغة من يليق أن من تقوم؛ ومنه قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أُنَّا دمرناهم) وإنا دمرناهم، على ما بينا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تُنْجِيكُمْ) . . . الآية، فلولا أن الله بينها، ودل عاين المؤمنين، لتاهت عليها رجال أن يكونوا يعلمونها، حتى يضمنوا بها، وقد دلکم الله عليها، وأعلمكم إياها فقال: (تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذليكم خسير لکم) إن كنتم تعلمون).

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: تلا قتادة (هل أدلكم على تجارةٍ

(١) الذي في الدرر «حتى يطلبوها».

تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تَتُومِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (قال : الحمد لله الذي بينها .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

* يقول تعالى ذكره : يسر عليكم ربكم ذنوبكم إذا أنتم فعلتم ذلك فيصفح عنكم ويعفو (وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول : وَيُدْخِلْكُمْ بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار (وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً) يقول : وَيُدْخِلْكُمْ أيضا مساكن طيبة (فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ) يعني في بساتين إقامة ، لا ظعن عنها . وقوله (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يقول : ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَمَا مَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله (وَأُخْرَى) فقال بعض نحوي البصرة : معنى ذلك : وتجارة أخرى ، فعلى هذا القول يجب أن يكون أخرى في موضع خفض عطفاً به على قوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء : وكان بعض نحوي الكوفة يقول : هي في موضع رفع . أي ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة ، ثم قال : نصر من الله مفسرا للأخرى .

* والصواب من القول في ذلك عندى القول الثانى ، وهو أنه معنى به : ولكم أخرى تحبونها ، لأن قوله (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) مبين عن أن قوله (وَأُخْرَى) في موضع رفع ، ولو كان جاء ذلك خفضا حسن أن يجعل قوله (وَأُخْرَى) عطفاً على قوله (تِجَارَةٌ) ، فيكون تأويل الكلام حينئذ لو قرئ ذلك خفضا ، وعلى خلة أخرى تحبونها ، فعنى الكلام إذا كان الأمر كما وصفت : هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ولكم خلة أخرى سوى ذلك في الدنيا تحبونها : نصر من الله لكم على أعدائكم ، وفتح قريب يعجله لكم .

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وبشريا محمد المؤمنين بنصر

الله إياهم على عدوهم ، وفتح عاجل لهم

وقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء

المدينة والبصرة (كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ) بتنوين الأنصار . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بإضافة الأنصار إلى الله .

* والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القاري فمصيب ، ومعنى الكلام : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصاري إلى الله ، يعني من أنصاري منكم إلى نصره الله لي .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثني به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ) كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله (قال : « قد كانت لله أنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه . وذكر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلا من الأنصار ، ذكر لنا أن بعضهم قال : هل تدرون علام تباعون هذا الرجل ؟ إنكم تباعون على محاربة العرب كلها أو يسلموا . ذكر لنا أن رجلا قال : يا نبي الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، قال : أشترط لربي أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم » قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله ؟ قال : لكم النصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة ، ففعلوا ، ففعل الله » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ) كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله (قال : قد كان ذلك بحمد الله ، جاءه سبعون رجلا ، فبايعوه عند العقبة ، فنصروه وآووه حتى أظهر الله دينه) قالوا : ولم يسم حتى من السماء اسمالم يكن لهم قبل ذلك غيرهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : إن الحواريين كلهم من قريش : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وحزرة ، وجعفر ، وأبو عبيدة ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعثمان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟) قال : من تبعني إلى الله

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جببر ، قال : سئل ابن عباس عن الحواريين ، قال : سُمُّوا لبياض ثيابهم كانوا صيادي السمك .

حدثني عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله

الحواريون : هم الغسالون بالنبطية ؛ يقال للغسال : حواري ، وقد تقدم بياننا في معنى الحواري بشواهد واختلاف المختلفين فيه قبل فيما مضى ، فأغنى عن إعادته .
 وقوله (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) يقول : قالوا : نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحق . وقوله (فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ) يقول جل ثناؤه : فأمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى ، وكفرت طائفة منهم به .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : « لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء ؛ قال : فقال : إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي ؛ قال : ثم قال : أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني ، ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من أحدهم سنا : قال : فقال أنا ، فقال له : اجلس ؛ ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال أنا ؛ قال : نعم أنت ذاك ؛ فألقى عليه شبه عيسى ، ورفع عيسى من روضة في البيت إلى السماء ؛ قال : وجاء الطلب من اليهود ، وأخذوا شبهه ، فقتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به ، ففترقوا ثلاث فرق ، فقالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ، ثم رفعه إلى السماء ، وهؤلاء اليعقوبية : وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء الله ، ثم رفعه إليه ، وهؤلاء النسطورية . وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ، ثم رفعه الله إليه ، وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة ، فقتلوا ، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأمنت طائفة من بني إسرائيل ، وكفرت طائفة ، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى ، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين في إظهار محمد على دينهم دين الكفار ، فأصبحوا ظاهرين .

وقوله (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ) يقول : فقوينا الذين آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوهم ، الذين كفروا منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بتصديقه إياهم ، أن عيسى عبد الله ورسوله ، وتكذيبه من قال هو إله ، ومن قال : هو ابن الله تعالى ذكره ، فأصبحوا ظاهرين ، فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوهم الكافرين منهم .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله الهلالي ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي مجيح ، عن مجاهد (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ) قال : قوينا .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جزي ، عن مغيرة ، عن سهاك ، عن إبراهيم (فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ

بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ) قال : لما بعث الله محمدا ، ونزل تصديق من آمن بعيسى ، أصبحت حجة من آمن به ظاهرة .

قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم ، في قوله (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) قال : أيدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فصداقهم ، وأخبر بحجتهم : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) قال : أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم كلمة الله وروحه : حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) من آمن مع عيسى صلى الله عليه وسلم .

آخر تفسير سورة الصف

(٦٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَنبَأْنَا إِخْلَافَ عَشِكْرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٦٢﴾

* يقول تعالى ذكره : يسبح لله كل ما في السموات السبع ، وكل ما في الأرضين من خلقه ، ويعظمه طوعا وكرها (الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ) الذي له ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما ، النافذ أمره في السموات والأرض وما فيهما ، القدوس : وهو الطاهر من كل ما يضيف إليه المشركون به ، ويصفونه به مما ليس من صفاته المبارك (الْعَزِيزِ) يعنى الشديد في انتقامه من أعدائه (الْحَكِيمِ) في تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما هو أعلم به من مصالحهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٣﴾

* يقول تعالى ذكره : الله الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، فقلوه هو كناية من اسم الله ، والأميون : هم العرب . وقد بينا فيما مضى المعنى الذي من أجله قيل للأمى أمى . وبنحو الذى قلنا فى الأميين فى هذا الموضع قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) قال : العرب .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : سمعت سفيان الثوري يحدث لا أعلمه إلا عن مجاهد أنه قال : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) : العرب .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) قال : كان هذا الحى من العرب أمة أمية، ليس فيها كتاب يقرءونه، فبعث الله نبيه محمدا رجة وهدى يهديهم به .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) قال : كانت هذه الأمة أمية لا يقرءون كتابا .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) قال : إنما سميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين، لأنه لم ينزل عليهم كتابا، وقال جل ثناؤه (رَسُولًا مِنْهُمْ) يعنى من الأميين، وإنما قال منهم، لأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا، وظهر من العرب .

وقوله (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) يقول جل ثناؤه : يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التي أنزلها عليه (وَيُزَكِّيهِمْ) يقول : ويطهرهم من دنس الكفر

وقوله (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) يقول : ويعلمهم كتاب الله، وما فيه من أمر الله ونهيه، وشرائع دينه (وَالْحِكْمَةَ) يعنى بالحكمة : السنن .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) : أى السنة .

حدثنا يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، قال (وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) أيضا كما علم هؤلاء يزكهم بالكتاب والأعمال الصالحة، ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالاولين، وقرأ قول الله عز وجل (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) وقال : (ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى) اتبعوهم بإحسان) ممن بقى من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة، قال : وقد جعل الله فيهم سابقين، وقرأ قول الله عز وجل (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) ، وقال : (ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى) وقليل من الآخرين سابقون، وقليل السابقون من الآخرين، وقرأ (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) ... حتى بلغ (ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى، وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) أيضا، قال :

والسابقون من الأولين أكثر وهم من الآخرين قليل ، وقرأ (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) . . . الآية ، قال : هؤلاء من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة .

وقوله (وَأِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَسَيِّ ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : وقد كان هؤلاء الأميون من قبل أن يبعث الله فيهم رسولا منهم في جُور عن قصد السبيل ، وأخذ على غير هدى مبين ، يقول : بين لمن تأمله أنه ضلال وجور عن الحق وطريق الرشده .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم ، فأخرونها في موضع خفض عطفًا على الأميين .

وقد اختلف في الذين عُنُوا بقوله (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ) ، فقال بعضهم : عُنَى بذلك العجم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ) لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : هم الأعاجم .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن طلحة ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ) لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : هم الأعاجم .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ) لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : الأعاجم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ) لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : الأعاجم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت سفيان الثوري لا أعلمه إلا عن مجاهد : (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ) لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : العجم .

حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن معين ، قال : ثنا هشام بن يوسف ، عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن العاص ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن ابن عمر ، أنه قال له : أما إن سورة الجمعة أنزلت فينا وفيكم في قتلكم الكذاب ، ثم قرأ (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) . حتى بلغ (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ) لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : فأنتم هم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وآخريين منهم) لما يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : الأعاجم :

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا عبد العزيز ؛ وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني سفيان بن بلال جميعا ، عن ثور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، قال : « كنا جالوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ (وآخريين منهم) لما يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال رجل من هؤلاء : يا رسول الله ؟ قال : فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا ، قال : وفينا سلمان الفارسي ، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان فقال : « لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الشُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِّنْ هَؤُلَاءِ » .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا سليمان بن بلال المدني ، عن ثور بن زيد ، عن سالم أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، قال : « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه » . وقال آخرون : إنما عني بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبي صلى الله عليه وسلم كائنا من كان إلى يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (وآخريين منهم) لما يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : من ردف الإسلام من الناس كلهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله عز وجل (وآخريين منهم) لما يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : هؤلاء كل من كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ، كل من دخل في الإسلام من العرب والعجم .

❖ وأولى القولين في ذلك بالصواب عندى قول من قال : غنى بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا أصحابا للنبي صلى الله عليه وسلم في إسلامهم من أى الأجناس ، لأن الله عز وجل عم بقوله (وآخريين منهم) لما يَلْحَقُوا بِهِمْ) كل لاحق بهم من آخرين ، ولم يخص منهم نوعا دون نوع ، فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم آيات الله وقوله (لما يَلْحَقُوا بِهِمْ) يقول : لم يجئوا بعد وسيجيئون

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (لما يَلْحَقُوا بِهِمْ) يقول :

لم يأتوا بعد .

وقوله (وهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : والله العزيز في انتقامه ممن كفر به منهم ، الحكيم في تدبيره خلقه .

وقوله (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) يقول تعالى ذكره : هذا الذي فعل تعالى ذكره من بعثه في الأميين من العرب ، وفي آخرين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ، ويفعل سائر ما وصف ، فضل الله ، تفضل به على هؤلاء دون غيرهم ، يؤتيه من يشاء ، يقول : يؤتي فضله ذلك من يشاء من خلقه ، لا يستحقّ الذمّ ممن حرّمه الله إياه ، لأنه لم يمنعه حقا كان له قبله ولا ظلمه في صرفه عنه إلى غيره ، ولكنه علم من هو لأهل ، فأودعه إياه ، وجعله عنده .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) قال : الفضل : الدين (والله ذو الفضل العظيم) يقول : والله ذو الفضل على عباده ، المحسن منهم والمسرّ ، والذين بعث فيهم الرسول منهم وغيرهم ، العظيم الذي يقلّ فضل كلّ ذي فضل عنده .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِمثل الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

* يقول تعالى ذكره : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى ، فحملوا العمل بها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) يقول : ثم لم يعملوا بما فيها ، وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) يقول : كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبا من كتب العلم ، لا ينتفع بها ، ولا يعقل ما فيها ، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها ، كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا فيها علم ، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يَحْمِلُ أَسْفَارًا) قال : يحمل كتبا لا يدري ما فيها ، ولا يعقلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) قال : يحمل كتابا لا يدري ماذا عليه ، ولا ماذا فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) قال : كمثل الحمار الذي يحمل كتبا ، لا يدري ما على ظهره :

حدثني عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) كتبنا ، والكتاب بالنبطية يسمى سيفراً ، ضرب الله هذا مثلاً للذين أعطوا التوراة ثم كفروا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) والأسفار : الكتب ، فجعل الله مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يتبع ما فيه ، كمثل الخمار يحمل كتاب الله الثقيل ، لا يدري ما فيه ، ثم قال (بئس مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) قال : الأسفار : التوراة يحملها الخمار على ظهره ، كما تحمل المصاحف على الدواب ، كمثل الرجل يسافر فيحمل مصحفه ، قال : فلا ينتفع الخمار بها حين يحملها على ظهره ، كذلك لم ينتفع هؤلاء بها حين لم يعملوا بها وقد أوتوها ، كما لم ينتفع بها هذا وهي على ظهره .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي عن ابن عباس في قوله (كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) يقول : كتبنا . والأسفار : جمع سفر ، وهي الكتب العظام . وقوله (بئس مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ) يقول : بئس هذا المثل ، مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، يعني بأدلتهم وحججه (والله لا يهدي القوم الظالمين) يقول تعالى ذكره : والله لا يوفق القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بآيات ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا أيُّها الذين هادوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ (سواكم) (فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في قبلكم ، إنكم أولياء لله من دون الناس ، فإن الله لا يعذب أولياءه ، بل يكرمهم وينعمهم ، وإن كنتم محقين فيما تقولون فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها ونغمومها ، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا) قل يا أيُّها الذين تابوا : لليهود ، قال موسى (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) : إنا تبنا إليك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

* يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا) يقول : ولا يتمنى اليهود الموت أبدا (بِمَا قَدْ مَتَّ أَبَدِيهِمْ) يعني : بما اكتسبوا في هذه الدنيا من الآثام ، واجترحوا من السيئات (وَاللَّهُ عَزِيزٌ بِالظَّالِمِينَ) يقول : والله ذو علم بمن ظلم من خلقه نفسه ، فأوبقها بكفره بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

* يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لليهود (إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ) فتكروهونه ، وتأبون أن تتمنوه (فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) ونازل بكم (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ثم يردكم ربكم من بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة ، عالم غيب السموات والأرض ؛ والشهادة : يعني وما شهد فظهر لرأى العين ، ولم يغيب عن أبصار الناظرين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) فقال : إن الله أذل ابن آدم بالموت ، لأعلمه إله رفعه (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فيخبركم حينئذ ما كنتم في الدنيا تعملون من الأعمال ، سيئها وحسنها ، لأنه محيط بجميعها ، ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه ، والمسيء بما هو أهله .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

* يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) وذلك هو النداء ، ينادى بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للمخطة ، ومعنى الكلام : إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة (فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) يقول : فامضوا إلى ذكر الله ، واعملوا له ؛ وأصل السعى في هذا الموضع العمل ، وقد ذكرنا الشواهد على ذلك فما مضى قبل .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، عن شراحبيل بن مسلم الحولاني ، في قول الله (فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) قال : فاسعوا في العمل ، وليس السعى في المشي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ

لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ (والسعى يا ابن آدم أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المضي إليها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، قال : أخبرني مغيرة ، عن إبراهيم أنه قيل لعمر رضي الله عنه : إن أبيًا يقرؤها (فاسعوا) قال : أما إنه أقرؤنا وأعلمنا بالمنسوخ وإنما هي فامضوا . حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري ، قال : أخبرنا سفيان ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : ما سمعت عمر يقرؤها قط إلا فامضوا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا حنظلة ، عن سالم بن عبد الله ، قال : كان عمر رضي الله عنه يقرؤها (فامضوا إلى ذكر الله) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حنظلة ، عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قرأها : فامضوا .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حنظلة بن أبي سفيان الجمحي ، أنه سمع سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقرأ (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر ، أن عبد الله قال : لقد توفي الله عمر رضي الله عنه ، وما يقرأ هذه الآية التي ذكر الله فيها الجمعة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) إلا فامضوا إلى ذكر الله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كان عبد الله يقرؤها (فامضوا إلى ذكر الله) ويقول : لو قرأتها فاسعوا ، لسعيت حتى يسقط ردائي .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله لو كان السعى لسعيت حتى يسقط ردائي ، قال : ولكنها (فامضوا إلى ذكر الله) قال : هكذا كان يقرؤها .

حدثني علي بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن يمان الأزدي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع عن أبي العالية أنه كان يقرؤها (فامضوا إلى ذكر الله) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، أنه قرأها (فامضوا إلى ذكر الله) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : هي للأحرار :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور عن رجل ، عن مسروق ، قال :

هذه الوقت :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن رجل ، عن مسروق (إذا نُودِيَ للصلاة) قال : عند الوقت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : هو عند العزمة عند الخطبة ، عند الذكر :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة) قال : النداء عند الذكر عزيمة :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة) قال : العزمة عند الذكر عند الخطبة .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن المغيرة والأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود ، قال : لو قرأتها (فاستعوا) لسعيت حتى يسقط ردائي ، وكان يقرؤها (فامضوا إلى ذكر الله) .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، عن ابن مسعود قال : قرأها (فامضوا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي حيان ، عن عكرمة (فاستعوا إلى ذكر الله) قال : السعي : العمل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسأله عن قول الله (إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة فاستعوا إلى ذكر الله) قال : إذا سمعتم الداعي الأول ، فأجيئوا إلى ذلك وأسرعوا ولا تبطلوا ؛ قال : ولم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أذان إلا أذانان أذان حين يجلس على المنبر ، وأذان حين تُقام الصلاة ؛ قال : وهذا الآخر شيء أحدثه الناس بعد ؛ قال : ولا يحل له البيع إذا سمع النداء الذي يكون بين يدي الإمام إذا قعد على المنبر وقرأ (فاستعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) قال : ولم يأمرهم يذرون شيئا غيره ، حرم البيع ثم أذن لهم فيه إذا فرغوا من الصلاة ، قال : والسعي أن يسرع إليها ، أن يقبل إليها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : إن في حرف ابن مسعود (إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (فاستعوا إلى ذكر الله) السعي : هو العمل ، قال الله (إن سعيكم لشتى) .

وقوله (وذروا البيع) يقول : ودعوا البيع والشراء إذا نودي للصلاة عند الخطبة :

وكان الضحاک يقول في ذلك ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاک ، قال : إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) قال : إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء .
حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي مالك ، قال : كان قوم يجلسون في بيع الزبير ، فيشترون ويبيعون إذا نودي للصلاة يوم الجمعة ، ولا يقومون ، فزلت (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) وأما الذكر الذي أمر الله تبارك وتعالى بالسعي إليه عباده المؤمنين ، فإنه موعظة الإمام في خطبته فيما قيل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) قال : العزمة عند الذكر عند الخطبة :
حدثنا عبد الله بن محمد الحنفى ، قال : ثنا عبدان ، قال : أخبرنا عبد الله ، قال : أخبرنا منصور رجل من أهل الكوفة ، عن موسى بن أبي كثير ، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) قال : فهى موعظة الإمام فإذا قضيت الصلاة بعد .
وقوله (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يقول : سعيكم إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة إلى ذكر الله ، وترك البيع خیر لكم من البيع والشراء في ذلك الوقت ، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارها .
واختلفت القراءة في قراءة قوله (مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) فقرأت ذلك عامة قراءة الأمصار (الْجُمُعَةِ) بضم الميم والجيم ، خلا الأعمش فإنه قرأها بتخفيف الميم .
** والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراءة الأمصار لإجماع الحجة من القراءة عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

** يقول تعالى ذكره : فإذا قضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة ، فانتشروا في الأرض إن شئتم ، ذلك رخصة من الله لكم في ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد أنه قال : هى رخصة ، يعنى قوله (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) :
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله :

(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) قال : هذا إذن من الله ، فمن شاء خرج ، ومن شاء جلس .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أذن الله لهم إذا فرغوا من الصلاة ،
 (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) فقد أحلته لكم .
 وقوله (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) . ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم في تأويل ذلك ما حدثني العباس
 ابن أبي طالب ، قال : ثنا علي بن المعافى بن يعقوب الموصلي ، قال : ثنا أبو عامر الصائغ من الموصلي ،
 عن أبي خلف ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في قوله (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
 فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) قال : لَيْسَ لِيَطْلُبَ دُنْيَا ، وَلَكِنْ عِيَادَةُ
 مَرِيضٍ ، وَحُضُورُ جَنَازَةٍ ، وَزِيَارَةُ أَخٍ فِي اللَّهِ » .
 وقد يحتمل قوله (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أن يكون معنيا به : والتمسوا من فضل الله الذي بيده
 مفاتيح خزائنه لدنياكم وآخرتكم .

وقوله (وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يقول : واذكروا الله بالحمد له ، والشكر على
 ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه ، لتفلحوا ، فتدركوا طلباتكم عند ربكم ، وتصلوا إلى الخلد
 في جناته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ
 وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

* يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المؤمنون غير تجارة أو لهو (انفَضُّوا إِلَيْهَا) يعني أسرعوا إلى التجارة
 (وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) يقول للنبي صلى الله عليه وسلم : وتركوك يا محمد قائما على المنبر ، وذلك أن التجارة
 التي رأوها فانفض القوم إليها ، وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم قائما كانت زيتا قدم به دحية بن خليفة
 من الشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي مالك ، قال : قدم
 دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، فلما رأوه قاموا
 إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليه ، قال : فنزلت (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ
 قَائِمًا) :

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن قره (إِذَا تُودِيَ

لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) قال : جاء دحية الكلبي بتجارة والنبي صلى الله عليه وسلم قائم في الصلاة يوم الجمعة ، فتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا إليه ، فنزلت (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) حتى ختمت السورة :

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة ، فمترت عبر تحمل الطعام ، قال : فمخرج الناس إلا اثني عشر رجلا ، فنزلت آية الجمعة » .

حدثنا ابن عبد الأدي ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : إن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر ، فقدمت عبر والنبي صلى الله عليه وسلم بخطب يوم الجمعة ، فسمعوا بها ، فخرجوا والنبي صلى الله عليه وسلم قائم ، كما قال الله عز وجل :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) قال : جاءت تجارة فانصرفوا إليها ، وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم قائما وإذا رأوا لهوا ولعبا (قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) قال : رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر يبتغون التجارة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة ، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة ، فقال : كم أنتم ؟ فعدوا أنفسهم فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة ؛ ثم قام في الجمعة الثانية فجعل يخطبهم ؛ قال سفيان : ولا أعلم إلا أن في حديثه ويعظهم ويدكرهم ، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت عصابة ، فقال : كم أنتم ؟ فعدوا أنفسهم ، فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة ؛ ثم قام في الجمعة الثالثة فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة ، فقال : كم أنتم ؟ فعدوا أنفسهم ، فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة ، فقال : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوِ اتَّبَعَ آخِرُكُمْ أَوْلَكُمْ لَأَلْتَهَبَ عَلَيْكُمْ الْوَادِي نَارًا ، وأنزل الله عز وجل : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) قال : لو اتبع آخرهم أولهم لالتهب عليهم الوادي نارا :

قال : ثنا ابن ثور ، قال معمر ، قال قتادة : لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا اثنا عشر

رجلا وامرأة معهم :

حدثنا محمد بن عمار الرازي ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ،

عن سالم وأبي سفيان ، عن جابر ، في قوله (وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا) قال : قدمت غير فانفضوا إليها ، ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلاً .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن سالم ، عن جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة ، فجاءت غير من الشام ، فانقتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً ، قال : فنزلت هذه الآية في الجمعة (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا) وأما اللهو ، فإنه اختلَف من أي أجناس اللهو كان ، فقال بعضهم : كان كسبراً^١ ومزامير . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا يحيى بن صالح ، قال : ثنا سليمان بن بلال ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال ٢ كان الجوارى إذا نكحوا كانوا يمرّون بالكبر والمزامير ويتركون النبي صلى الله عليه وسلم قائماً على المنبر ، وينفضون إليها ، فأنزل الله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) . وقال آخرون : كان طبلاً .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : اللهو : الطبل . حدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، قال : ذكر عبد الله بن أبي نجيح ، عن إبراهيم ابن أبي بكر ، عن مجاهد أن اللهو : هو الطبل .

والذي هو أولى بالصواب في ذلك الخبر الذي روينا عن جابر ، لأنه قد أدرك أمر القوم ومشاهدتهم . وقوله (قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد الذي عند الله من الثواب ، أن جالس مستمعاً خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومو عظته يوم الجمعة إلى أن يفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، خير له من اللهو ومن التجارة التي ينفضون إليها (وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقول : والله خير رازق ، فاليه فارغبوا في طاب أرزاقكم ، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره .

آخر تفسير سورة الجمعة

(١) الكبر بالتحريك : الطبل . أو الطبل الذي له وجه واحد ، بلغة أهل الكوفة . أو الطبل الصغير . (الناج : كبر) .

(٢) الذي في الدر عن جابر « فإذا كان نكاح لعب أهله وعزفوا ومروا باللهو على المسجد » وما هنا بمعناه . وليست العبارة بمحررة

(۶۳) سُوْرَةُ الْمُنَافِقُوْنَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا أَخَذَ عَلَى عَشْرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَذِبُونَ ﴿١﴾

* يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم (إذا جاءك المنافقون) يا محمد (قالتوا) بألسنتهم (نشهد أنك لرسول الله، والله يعلم أنك لرسوله) قال المنافقون ذلك أو لم يقولوه (والله يشهد أن المنافقين لكاذبون) يقول : والله يشهد أن المنافقين لكاذبون في إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد أنك لرسول الله ، وذلك أنها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به ، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك .

وكان بعض أهل العربية يقول في قوله (والله يشهد أن المنافقين لكاذبون) إنما كذب ضميرهم لأنهم أضمرُوا النفاق ، فكما لم يقل إيمانهم ، وقد أظهره ، فكذلك جعلهم كاذبين ، لأنهم أضمرُوا غير ما أظهرُوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً وَقَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

* يقول تعالى ذكره : اتخذ المنافقون أيمانهم جنة ، وهى حلفهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اتخذوا أيمانهم جنة) : أى حلفهم جنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (اتخذوا أيمانهم جنة) قال : يمتنعون بها ، قال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (اتخذوا أيمانهم جنة) يقول : حلفهم بالله إنهم إنكم جنة .

وقوله (جنة) : ستر يستترون بها كما يستر المستجن بجنته في حرب و قتال ، فيمنعون بها أنفسهم و ذرارهم وأموالهم ، ويدفعون بها عنها .

ويضحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (جُنَّة) لعصموا بها دماءهم وأموالهم .
وقوله (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : فأعرضوا عن دين الله الذي بَعَثَ به نبيه صلى الله عليه وسلم
وشريعته التي شرعها لحاقه (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : إن هؤلاء المنافقين الذين اتخذوا
أيمانهم جنة ساء ما كانوا يعملون في اتخاذهم أيمانهم جنة ، لكذبهم ونفاقهم ، وغير ذلك من أمورهم .
القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٤٠﴾

* يقول تعالى ذكره : إنهم ساء ما كانوا يعملون هؤلاء المنافقون الذين اتخذوا أيمانهم جنة من أجل أنهم
صدّقوا الله ورسوله ، ثم كفروا بشكهم في ذلك وتكذيبهم به .
وقوله (فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : فجعل الله على قلوبهم حتما بالكفر عن الإيمان ، وقد بينا
في موضع غير هذا صفة الطبع على القلب بشواهدا ، وأقوال أهل العلم ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا
الموضع .

وقوله (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) يقول تعالى ذكره : فهم لا يفقهون صوابا من خطأ ، وحقا من باطل
لطبع الله على قلوبهم .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) أقرّوا بلا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلوبهم منكيرة تأبى ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَإِذَا رَأَوْهُ تَعْجَبَ أَعْجَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يُحَسِّبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤١﴾

* يقول جلّ ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم
لاستواء خاقها وحسن صورها (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : وإن يتكلموا
تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ) يقول كأن هؤلاء المنافقين
خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ لاخير عندهم ولا فقه لهم ولا علم ، وإنما هم صور بلا أحلام ، وأشباح بلا عقول .
وقوله (يُحَسِّبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : يحسب هؤلاء المنافقون من تحببهم
وسوء ظنهم ، وقلة يقينهم كل صيحة عليهم ، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمرا يهلك به أستارهم

ويفضحهم ، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم ، وأخذ أموالهم ، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحى على رسوله ، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطيهم ، يقول الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم . هم العدو يا محمد فاحذرهم ، فإن ألسنتهم إذا لقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ، فهم عين لأعدائكم عليكم .

وقوله (قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَلَّا يَؤُفَكُون) يقول : أخزاهم الله إلى أى وجه يصرفون عن الحق :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وسمعتة يقول في قول الله (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) . . . الآية ، قال : هؤلاء المنافقون .

واختلفت القراء في قراءة قوله (كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة خلا الأعمش والكسائي (خُشْبٌ) بضم الخاء والشين ، كأنهم وجهوا ذلك إلى جمع الجمع ، جمعوا الخشب خشباً ثم جمعوا الخشب خشباً ، كما جمعت الشمرة ثماراً ، ثم ثمرأ وقد يجوز أن يكون الخشب بضم الخاء والشين إلى أنها جمع خشبة ، فتضم الشين منها مرة وتسكن أخرى ، كما جمعوا الأكمة أكاماً وأكاماً بضم الألف والكاف مرة ، وتسكن الكاف منها مرة ، وكما قيل : البُدن والبُدن ، بضم الباء وتسكينها لجمع البدنة ، وقرأ ذلك الأعمش والكسائي (خُشْبٌ) بضم الخاء وسكون الشين .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مغروفتان ، ولغتان فصيحتان ، وبأيتهما قرأ القارئ فخصيب وتسكين الأوسط فيما جاء من جمع فُعْلة على فُعْل في الأسماء على ألسن العرب أكثر وذلك كجمعهم البدنة بُدْنًا ، والأجعة أُجْنَمًا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْؤُاْ وَهُمْ مُّرْتَابُونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ

﴿ ٥ ﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المنافقين : تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لووا رءوسهم ، يقول حركوها وهزوها استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وباستغفاره وبتشديد الواو من « لووا » قرأت القراء على وجه الخبر عنهم أنهم كرروا هز رءوسهم وتحريكها ، وأكثروا إلا نافعاً فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو « لووا » على وجه أنهم فعلوا ذلك مرة واحدة .

والصواب من القول في ذلك قراءة من شدد الواو لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله (وَرَأَيْتَهُمْ يُعْذِرُونَ) يقول تعالى ذكره : ورأيتهم يعرضون عما دُعوا إليه وجوههم (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) يقول : وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم ، وإنما عني بهذه الآيات كلها فيما ذكر ، عبد الله بن أبي ابن سلول ، وذلك أنه قال .

لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وقال (لَسَيْنُ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) فسمع بذلك زيد بن أرقم ، فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عما أخبر به عنه ، فحلف أنه ما قاله ، وقيل له : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوى رأسه ويحركه استهزاء ، ويعني بذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله عز وجل فيه هذه السورة من أولها إلى آخرها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الأخبار :

ذكر الرواية التي جاءت بذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : « خرجت مع عمي في غزاة ، فسمعت عبد الله بن أُبَيٍّ ابن ساول يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ » قال : فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليّ ، فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله عليّاً رضي الله عنه وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ، قال : فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّقه ، فأصابني همّ لم يصبني مثله قطّ ؛ فدخلت البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك ، قال : حتى أنزل الله عز وجل (إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِقُونَ) قال : فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأها ، ثم قال : إن الله عز وجل قد صدّقك يا زيد .

حدثنا أبو كُرَيْب والقاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا يحيى بن بكير ، قال : ثنا شعبة ، قال : الحكم : أخبرني ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي قال : سمعت زيد بن أرقم قال : لما قال عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول ما قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وقال : (لَسَيْنُ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ) قال : سمعته فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك ، فلامني ناس من الأنصار ، قال : وجاء هو ، فحلف ما قال ذلك ، فرجعت إلى المنزل فتمت قال : فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلغني ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن الله تبارك وتعالى قد صدّقك وعذرك ، قال : فنزلت الآية (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَن عِندَ رَسُولِ اللَّهِ) . . . الآية .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا هاشم أبو النصر ، عن شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، قال : سمعت زيد بن أرقم يحدث بهذا الحديث :

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن زيد بن أرقم ، قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول (لَسَيْنُ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) قال : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فحلف عبد الله بن أُبَيٍّ إنه لم يكن شيء من ذلك ، قال : فلامني قومي وقالوا : ما أردت إلى هذا ، قال : فانطلقت فتمت كتيباً أو حزينا ، قال : فأرسل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، أو أتيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَذْرَكَ وَصَدَّقَكَ ، قال : ونزلت هذه الآية هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا . . . حتى بلغ (لَسِنُ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : أخبرني ابن عون ، عن محمد ، قال : «سمعتها يزيد ابن أرقم ، فرفعها إلى وليه ، قال : فرفعها ولَّيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فقيل لزيد : وَفَتَّ أَذْنُكَ .»

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال : ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا بشير بن مسلم «أنه قيل لعبد الله بن أبي ابن سلول : يا أبا حباب إنه قد أنزل فيك آي شدداد ، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك ، فلوى رأسه وقال : أمرتموني أن أومن فأمنت ، وأمرتموني أن أن أعطى زكاة مالي فأعطيت ، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد .»

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة «(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا) . . . الآية كلها قرأها إلى (الْفَاسِقِينَ) أنزلت في عبد الله بن أبي ، وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو يحلف ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام ، فلاموه وعذَّلوه وقيل لعبد الله : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يلوى رأسه : أي لست فاعلا ، وكذب علي ، فأنزل الله ما تسمعون .»

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) قال عبد الله بن أبي ، قيل له تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلوى رأسه وقال : ماذا قلت ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال له قومه : «لو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاستغفر لك ، فجعل يلوى رأسه ، فنزلت فيه (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ) .»

القول في تأويل قوله تعالى :

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا

يستغفر لكم رسول الله (أَسْتَغْفِرْتُ لَهُمْ) ذنوبهم (أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) : يقول : لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم ، بل يعاقبهم عليها (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) يقول : إن الله لا يوفق للإيمان القوم الكاذبين عليه ، الكافرين به ، الخارجين عن طاعته .

وقد حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) قال : نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على سبعين مرة ، فأُنزل الله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٠﴾

* يقول تعالى ذكره (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) يعنى المنافقين الذين يقولون لأصحابهم (لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) من أصحابه المهاجرين (حَتَّى يَنْفَضُوا) يقول : حتى يتفرقوا عنه . وقوله (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : والله جميع ما في السموات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذلك ، لا يقدر أحد أن يعطى أحدا شيئا إلا بمشيئته (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ) أن ذلك كذلك ، فلذلك يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) قال : لا تطعموا محمد وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة ، فيتركوا نبيهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) قرأها إلى آخر الآية ، وهذا قول عبد الله بن أبي لأصحابه المنافقين لا تنفقوا على محمد وأصحابه حتى يدعوه ، فإنكم لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه وأجلكم عنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) إن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لأصحابه ، لا تنفقوا على من عند رسول الله ، فإنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) يعني الرّفد والمعونة ، وليس يعني الزكاة المفروضة والذين قالوا هذا هم المنافقون .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن زيد بن أرقم ، قال : لما قال ابن أبي ماقال ، أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء فحلف ، فجعل الناس يقولون لى : تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب ؟ حتى جلست في البيت مخافة إذا رأوني قالوا : هذا الذي يكذب ، حتى أنزل (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

* يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم قبل (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) فيها ، ويعني بالأعز : الأشد والأقوى ، قال الله جل ثناؤه (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ) يعني : الشدة والقوة (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) بالله (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك . وذكر أن سبب قيل ذلك عبد الله بن أبي كان من أجل أن رجلا من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا زمعة ، عن عمرو ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، قال : إن الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين ، ثم إن المهاجرين كثروا فخرجوا في غزوة لهم ، فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، قال : فكان بينهما قتال إلى أن صرخ : يا معشر الأنصار ، وصرخ المهاجر : يا معشر المهاجرين ؛ قال : فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ما لكم ولیدعوة الجاهلية ؟ فقالوا : كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوها فإنها منقذة ، قال : فقال عبد الله بن أبي ابن سلول : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر : يا رسول الله دعني فأقتله ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَمُتُّلُ أَصْحَابَهُ ، .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (يَتَقُولُونَ لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ) ... إلى (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ) قال قال ذلك عبد الله ابن أبي سلول الأنصاري رأس المنافقين ، وناس معه من المنافقين .

حدثني أحمد بن منصور الرمادي قال : ثنا إبراهيم بن الحكم قال : ثنى أبي عن عكرمة أن عبد الله بن عبد الله ابن أبي سلول كان يقال له حباب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، فقال : يا رسول الله إن والدي يؤذى الله ورسوله ، فذرني حتى أقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتل أباك عبد الله ، ثم جاء أيضا فقال : يا رسول الله إن والدي يؤذى الله ورسوله ، فذرني حتى أقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتل أباك ، فقال : يا رسول الله فتوضأ حتى أسقيه من وضوئك لعل قلبه أن يلين ، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه ، فذهب به إلى أبيه فسقاه ، ثم قال له : هل تدري ما سقيتك ؟ فقال له والداه نعم ، سقيتني بول أمك ، فقال له ابنه : لا والله ، ولكن سقيتك وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال عكرمة : وكان عبد الله بن أبي عظيم الشأن فيهم . وفيهم أنزلت هذه الآية في المنافقين : (هُمُ الَّذِينَ يَتَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) وهو الذي قال : (لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ) قال : فلما بلغوا المدينة ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه ، أخذ ابنه السيف ، ثم قال لوالده : أنت تزعم « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله أن رجلا من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار برجله وذلك في أهل اليمن شديد فنادى المهاجري يا للمهاجرين ، ونادى الأنصاري يا للأَنْصار ؛ قال : والمهاجرون يومئذ أكثر من الأنصار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دَعُوها فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ ، فقال عبد الله بن أبي سلول ، (لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ) :

حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا علي بن سليمان ، قال : ثنا أبو إسحاق ، أن زيدا بن أرقم ، أخبره أن عبد الله بن أبي سلول قال (لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) وقال (لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ) قال : فحدثني زيد أنه أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول عبد الله بن أبي ، قال : فجاء فحلف عبد الله ابن أبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك ؛ قال أبو إسحاق : فقال لي زيد ، فجلست في بيتي ، حتى أنزل الله تصديق زيد ، وتكذيب عبد الله في « إذا جاءك المنافقون » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ) قرأ الآية كلها إلى (لَا يَعْلَمُونَ) قال : قد قالها منافق عظيم النفاق في رجلين اقتتلا ، أحدهما غفاري ، والآخر جهني ، فظهر الغفاري على الجهني ، وكان بين جهينة والأنصار حلف ، فقال رجل من المنافقين وهو ابن أبي : يا بني الأوس ، يا بني الخزرج ، عليكم صاحبكم وحليفكم ،

ثم قال : والله ما مثلنا ومثلك محمد إلا كما قال القائل : « سَمَنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ » ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ ، فسعى بها بعضهم إلى نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : يا نبيَّ الله مَرُّ معاذ بن جبل أن يضرب عنق هذا المنافق ، فقال : لا يتحدثُ النَّاسُ أنَ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ : ذكر لنا أنه كان أَكْثَرُ على رجل من المنافقين عنده ، فقال : هل يصلى ؟ فقال : نعم ولا خير في صلاته ، فقال : نُهِيتَ عن المصلين ، نُهِيتَ عن المصلين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : اقتتل رجلان ، أحدهما من جُهيَّنة ، والآخر من غفار ، وكانت جُهيَّنة حليف الأنصار ، فظهر عليه الغفاري ، فقال رجل منهم عظيم النفاق : عليكم صاحبكم ، عليكم صاحبكم ، فوالله ما مثلنا ومثلك محمد إلا كما قال القائل : « سَمَنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ » ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ وهم في سفر ، فجاء رجل ممن سمعه إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ذلك ، فقال عمر : مَرُّ معاذ يضرب عنقه ، فقال : وَاللَّهِ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، فنزلت فيهم (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) .

وقوله (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن « أن غلاما جاء إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إني سمعت عبد الله بن أُبَيٍّ يقول كذا وكذا ، قال : فَلَعَلَّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ ؟ قال : لا والله لقد سمعته يقول : فَلَعَلَّكَ أَخْطَأَ سَمْعُكَ ؟ قال : لا والله يا نبيَّ الله لقد سمعته يقول : فَلَعَلَّكَ شُبَّهَ صَلَاتِكَ ، قال : لا والله ، قال : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقًا لِلْغُلَامِ (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) ، فأخذ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بأذن الغلام ، فقال : وَقَتَ أَذُنُكَ ، وَقَتَ أَذُنُكَ يَا غُلَامُ .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) قال : كان المنافقون يسمون المهاجرين : الجلابيب ، وقال : قال ابن أُبَيٍّ : قد أمرتكم في هؤلاء الجلابيب أمرى ، قال : قال هذا بين أَمَسَجٍ وعسفان على الكديد تنازعوا على الماء ، وكان المهاجرون قد غلبوا على الماء ، قال : وقال ابن أُبَيٍّ أيضا : أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ لقد قلت لكم : لا تنفقوا عليهم ، لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون ، ويخرجوا ويهربوا ، فأنى عمر بن الخطاب إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أُبَيٍّ ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبره وقال : دعى أضرب عنقه يا رسول الله ، قال : إِذَا تَرَعَدُ لَهُ أَنْفٌ كَثِيرَةٌ بِيَسْتَرِبَّ قَالَ عَمْرٍ : فَإِنْ كَرِهْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَقْتُلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فمَرَّ بِهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ فَيَقْتُلَانِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَأَنِّي أَكْثَرُهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، ادْعُوا إِلَى عَابِدِ اللَّهِ بْنِ عَابِدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ، فدعاه ، فقال : أَلَا تَرَى مَا يَقُولُ أَبُوكَ ؟

قال : وما يقول بأبي أنت وأمي ؟ قال : يَقُولُ لَيُنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ؛ فقال : فقد صدق والله يا رسول الله ، أنت والله الأعزُّ وهو الأذلُّ ، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ مني ، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لَا تَيْسَّهَمَا بِهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ؛ فلما قدِموا المدينة ، قام عبد الله بن عبد الله بن أبيّ على بابها بالسيف لأبيه ؛ ثم قال : أنت القاتل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزَّ منها الأذلَّ ، أما والله لتعرفنَّ العزّة لك أول رسول الله ، والله لا يأويك ظله ، ولا تأويه أبداً إلا بإذن من الله ورسوله ؛ فقال : بالخزرج ابني يمنعني بيتي ، بالخزرج ابني يمنعني بيتي ، فقال : والله لا تأويه أبداً إلا بإذن منه ؛ فاجتمع إليه رجال فكلّموه ، فقال : والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال : اذْهَبُوا إِلَيْهِ ، فَتَقُولُوا لَهُ نُحَلِّهِ وَمَسْكَنَهُ ؛ فأتوه ، فقال : أما إذا جاء أمّ النبي صلى الله عليه وسلم فنعم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة وعلي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، وعن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : كلَّ قد حدثني بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا : «بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فزاحف الناس فاقتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم الله عليه ، وقد أصيب رجل من بنى كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له هشام بن صبابه أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ ، فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جتهجاه بن سعيد ، يقود له فرسه ، فازدحم جتهجاه وسانان الجهني حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جتهجاه : يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم ، غلام حديث السنّ ، فقال : قد فعلوها ؟ قد نافرونا ركاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال القائل : «سَمَنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ» ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزَّ منها الأذلَّ ، ثم أقبل على من حضر من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله مرّ به عباد ابن بشر بن وقش فليقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْ

(١) التي في سيرة ابن هشام ابن مسعود .

مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، لا ، وَلَكِنَّ أَذْنَ بِالرَّحِيلِ ، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أُبَيٍّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ماسمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به ؛ وكان عبد الله بن أُبَيٍّ في قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه من الأنصار : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل حذبا على عبد الله بن أُبَيٍّ ، ودفعوا عنه ؛ فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا رسول الله لقد رُحْتَ في ساعة منكراً ما كنت تروح فيها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما بَلَغَكَ ما قالَ صَاحِبُكُمْ ؟ قال : فأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ، قال : وما قال ؟ قال : زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَخْرَجَ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ؛ قال أسيد : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الدليل وأنت العزيز ؛ ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلُكا ، ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أُبَيٍّ ، ثم راح بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُويق النقيع ، يقال له نقعاء ؛ فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبَّتْ على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا تَخَافُوا فَلَمَّا هَبَّتْ لَمُوتِ عَظِيمٍ مِنْ عَظُمَاءِ الْكُفَّارِ ؛ فلما قدِموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود ، وكهفا للمنافقين قد مات ذلك اليوم ، فنزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أُبَيٍّ ابن ساول ، ومن كان معه على مثل أمره ، فقال (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ) فلما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد فقال : هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ بِأُذُنِهِ ، وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ الذي كان من أبيه .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة « أن عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبَيٍّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا ، فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيره فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَيٍّ يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلَّ نَرْفُقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا ، وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه ويعنفونه ويتوعدونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أَمَرْتَنِي

بِقَتْلِهِ لَأَرْعَدَتْ لَهُ أَنْفٌ ، لَوْ أَمَرَتْهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ ، قال : فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ) يقول : لا توجب لكم أموالكم (وَلَا أَوْلَادُكُمْ) اللهو (عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) وهو من ألهيته عن كذا وكذا ، فلها هو يلهو لها ؛ ومنه قول امرئ القيس :

وَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمَرَضِعٌ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مُحْصُولٍ ١
وقيل : عني بذكر الله جل ثناؤه في هذا الموضع : الصلوات الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) قال : الصلوات الخمس .
وقوله (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) يقول : ومن يلهم ماله وأولاده عن ذكر الله (فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) يقول : هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت : يا رب هلا أخرتني فتسميها لي في الأجل إلى أجل قريب . فأصدق يقول : فأزكى مالي (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) يقول : وأعمل بطاعتك ، وأؤدى فرائضك .
وقيل : عني بقوله (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) وأحج بيتك الحرام .

(١) البيت لامرئ القيس . وقد سبق استشهاد المؤلف به في الجزء (١٧ : ١١٤) وشرحناه هناك شرحا مفصلا ، فراجعه .
وموضع الشاهد فيه هنا قوله « فَأَلْهَيْتُهَا » وأصله من اللهو ، وهو ما لوت به ولعبت به وشغلك . من هوى وطرب ونحوها ، يقال : لوت بالشئ الهو به لها ، وتلهيت به : إذا لعبت به وتشغلت ، وغفلت به عن غيره . وتقول : ألهاني فلان عن كذا : أي شغلتني وأنماني ، وكان الهمة فيه السلب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس وسعيد بن الربيع ، قال سعيد ، ثنا سفيان ، وقال يونس : أخبرنا سفيان ، عن أبي جناب عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، قال : ما من أحد يموت ولم يؤدّ زكاة ماله ولم يحجّ إلا سأل الكفرة ، فقالوا : يا أبا عباس لا تزال تأتينا بالشئ لا نعرفه ؛ قال : فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق) قال : أودى زكاة مالي (وأكن من الصالحين) قال : أحجّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن رجل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : ما يمنع أحدكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكى ، وإذا أطاق الحج أن يحجّ من قبل أن يأتيه الموت ، فيسأل ربه الكفرة فلا يعطاها ، فقال رجل : أما تتق الله ، يسأل المؤمن الكفرة قال : نعم ، أقرأ عليكم قرآنا ، فقرأ (يا أيها الذين آمنوا لا تلتهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) فقال الرجل : فما الذي يوجب على الحج ، قال : راحلة تحمله ، ونفقة تباغته .

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي وفضالة بن الفضل ، قال عباد : أخبرنا يزيد أبو حازم مولى الضحاك : وقال فضالة : ثنا بزيع عن الضحاك بن مزاحم في قوله (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق) قال : فأصدق بزكاة مالي (وأكن من الصالحين) قال : الحج :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لا تلتهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) إلى آخر السورة : هو الرجل المؤمن نزل به الموت وله مال كثير لم يزكه ، ولم يحجّ منه ، ولم يعط منه حق الله يسأل الرجعة عند الموت فيزكى ماله ، قال الله (ولكن يؤخر الله نفسه إذا جاء أجلها) :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لا تلتهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) ... إلى قوله (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت) قال : هو الرجل المؤمن إذا نزل به الموت وله مال لم يزكه ولم يحجّ منه ، ولم يعط حق الله فيه ، فيسأل الرجعة عند الموت ليتصدق من ماله ويزكى ، قال الله (ولكن يؤخر الله نفسه إذا جاء أجلها) :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فأصدق وأكن من الصالحين) قال : الزكاة والحج . واختلفت القراء في قراءة قوله (وأكن من الصالحين) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار غير ابن محيصن وأبي عمرو : وأكن ، جزما عطفها بها على تأويل قوله (فأصدق) لو لم تكن فيه الفاء ، وذلك أن قوله (فأصدق) لو لم تكن فيه الفاء كان جزما وقرأ ذلك ابن محيصن وأبو عمرو (وأكون) بإثبات الواو

ونصب (وأكون) عطفًا به على قوله (فأصدق) فنصب قوله (وأكون) إذ كان قوله (فأصدق) نصبا .
والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .
وقوله (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) يقول : لن يؤخر الله في أجل أحد فيمد له فيه إذا حضر أجله ، ولكن يحترمه (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبده هو بجميعها محيط ، لا يخفى عليه شيء ، وهو مجازيهم بها ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .
آخر تفسير سورة المنافقين

(٦٤) سُورَةُ النَّجْمِ مَلَكُوتِي
وَأَيُّهَا ثَنَانِي عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

سُبْحَانَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِلَّهِ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

** يقول تعالى ذكره : يسجد له ما في السموات السبع وما في الأرض من خلقه ويعظمه :
وقوله (لَهُ الْمُلْكُ) يقول تعالى ذكره : له ملك السموات والأرض وسلطانه ماض قضاؤه في ذلك نافذ فيه أمره .

وقوله (وَلَهُ الْحَمْدُ) يقول : وله حمد كل ما فيها من خلق ، لأن جميع من في ذلك من الخلق لا يعرفون الخير إلا منه ، وليس لهم رازق سواه فله حمد جميعهم (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول وهو على كل شيء ذو قدرة ، يقول : يخلق ما يشاء ، ويميت من يشاء ، ويغني من أراد ، ويفقر من يشاء ويعز من يشاء ، ويدل من يشاء ، لا يتعذر عليه شيء أراده ، لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء .
القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾

** يقول تعالى ذكره : الله (الَّذِي خَلَقَكُمْ) أيها الناس ، وهو من ذكر اسم الله (فَإِنَّكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) يقول : فنكم كافر بخالقه وأنه خلقه ؛ ومنكم مؤمن : يقول : ومنكم مصدق به موثق أنه خالقه أو بارئه (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول : والله الذي خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم بها ، فاتقوه أن تخالفوه في أمره أو نهيه ، فيستوب بكم .

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا حسن بن موسى الأشيب ، قال : ثنا ابن لهيعة ، قال : ثنا بكر بن سودة ، عن أبي تميم الجيثاني ، عن أبي ذر : « إن المني إذا مكث في الرحم أربعين ليلة ، أتى ملك

النفوس ، فخرج به إلى الجبار في راحته ، فقال : أي ربّ عبدك هذا ذكر أم أنثى ؟ فيقضى الله إليه ما هو قاض ، ثم يقول : أي ربّ أشقى أم سعيد ؟ فيكتب ما هو لاق : قال : وقرأ أبوذر فاتحة التغابن خمس آيات ۝
القول في تأويل قوله تعالى :

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١﴾

* يقول تعالى ذكره : خالق السموات السبع والأرض بالعدل والإنصاف ، وصوّركم : يقول : ومثلكم فأحسن مثلكم : وقيل : إنه عني بذلك تصويره آدم ، وخلقه إياه بيده .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) يعني آدم خلّقه بيده .
وقوله (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) يقول : وإلى الله مرجع جميعكم أيها الناس .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢﴾

* يقول تعالى ذكره : يعلم ربكم أيها الناس ما في السموات السبع والأرض من شيء ، لا يخفى عليه من ذلك خافيه (وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ) أيها الناس بينكم من قول وعمل (وَمَا تُعْلِنُونَ) من ذلك فتظهرونه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول جل ثناؤه والله ذو علم بضمائر صدور عباده ، وما تنطوي عليه نفوسهم ، الذي هو أخفى من السرّ ، لا يعزب عنه شيء من ذلك ، يقول تعالى ذكره لعباده : احذروا أن تسروا غير الذي تعلنون ، أو تضمروا في أنفسكم غير ما تبدون ، فإن ربكم لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو محص جميعه ، وحافظ عليكم كله .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ مِثْلُكُمْ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٤﴾

* يقول تعالى ذكره لمشركي قريش : ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم ، وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط (فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) فسبهم عذاب الله إياهم على كفرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم عذاب مؤلم موجه يوم القيامة في نار جهنم ، مع الذي أذاقهم الله في الدنيا وبال كفرهم

وقوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول جل ثناؤه : هذا الذي نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم ، والذي أعد لهم ربهم يوم القيامة من العذاب ، من أجل أنه كانت تأتيمهم رسلهم بالبينات الذين أرسلهم إليهم ربهم بالواضحات من الأدلة والإعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه ، فقالوا لهم : أبشريهونا ، استكبارا منهم أن تكون رسل الله إليهم بشرا مثلهم واستكبارا عن اتباع الحق من أجل أن بشرا مثلهم دعاهم إليه ، وجمع الخبر عن البشر ، فقيل : يهينونا ، ولم يقل : يهيننا ، لأن البشر ، وإن كان في لفظ الواحد ، فإنه بمعنى الجميع .

وقوله (فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا) يقول : فكفروا بالله ، وجمحدوا رسالة رسله الذين بعثهم الله إليهم استكبارا (وَتَوَلَّوْا) : يقول : وأدبروا عن الحق فلم يقبلوه ، وأعرضوا عما دعاهم إليه رسلهم (وَاسْتَعْنَى اللَّهُ) يقول : واستغنى الله عنهم ، وعن إيمانهم به وبرسله ، ولم تكن به إلى ذلك منهم حاجة (وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) يقول : والله غني عن جميع خلقه ، محمود عند جميعهم بجميل أباديه عندهم ، وكريم فعالة فيهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٢١﴾

* يقول تعالى ذكره : زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم . وكان ابن عمر يقول : زعم كنية الكذب :

حدثني بذلك محمد بن نافع البصري ، قال : ثنا عبدالرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن بعض أصحابه عن ابن عمر .

وقوله (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : بلى وربى لتبعثن من قبوركم (ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ) يقول : ثم لتخبرن بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا ، (وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) يقول : وبعثكم من قبوركم بعد مماتكم على الله سهل هين .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢٢﴾

* يقول تعالى ذكره : فصدقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذبون بالبعث ، وبإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم ، وأنكم من بعد بلائكم تنشرون من قبوركم ، والنور الذي أنزلنا : يقول : وآمنوا بالنور الذي أنزلنا ، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة محيط بها ، محصٍ جميعها ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم على جميعها .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾

* يقول تعالى ذكره : والله بما تعملون خبير (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ) الخلائق للعرض (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) يقول : الجمع يوم غُيِبَ أهل الجنة أهل النار .
وبدحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) قال : هو غيب
أهل الجنة أهل النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ) هو
يوم القيامة ، وهو يوم التغابن : يوم غُيِبَ أهل الجنة أهل النار .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (ذَلِكَ
يَوْمُ التَّغَابُنِ) من أسماء يوم القيامة ، عظمه وحذره عباده :

وقوله (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا) يقول تعالى ذكره : ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته ،
وينته إلى أمره ونهيه (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ) يقول : يمح عنه ذنوبه (وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول : ويدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار

وقوله (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) يقول : لا يثن فيها أبدا ، لا يموتون ، ولا يخرجون منها
وقوله (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يقول : خلودهم في الجنات التي وصفنا النجاء العظيم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾

* يقول تعالى ذكره : والذين جحدوا وحدانية الله ، وكذبوا بأدلتها وحججه وآي كتابه الذي أنزله على
عبيده محمد صلى الله عليه وسلم (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يقول : ما كثر فيهم أبدا
لا يموتون فيها ، ولا يخرجون منها (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) يقول : وبئس الشيء الذي يُصَارُ إليه جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره : لم يصب أحدا من الخلق مصيبة إلا بإذن الله ، يقول : إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) يقول : ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه : يقول : يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس قوله (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) يعني : يهد قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الوشاء الأودي ، قال : ثنا أحمد بن بشير ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان قال : كنا عند علقمة ، فقرأ عنده هذه الآية (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) فسئل عن ذلك فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيسلم ذلك ويرضى :

حدثني عيسى بن عثمان الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، قال : كنت عند علقمة وهو يعرض المصاحف ، فقرأ هذه الآية (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) قال : هو الرجل ... ثم ذكر نحوه :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفیان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن علقمة ، في قوله (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) قال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني ابن مهدي ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن علقمة مثله ، غير أنه قال في حديثه : فيعلم أنها من قضاء الله ، فيرضى بها ويسلم :
وقوله (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : والله بكل شيء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن من قبل أن يكون :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾

❦ يقول تعالى ذكره : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ) أيها الناس في أمره ونهيه (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) صلى الله عليه وسلم

(فإن توليتم) فإن أدبرتم عن طاعة الله وطاعة رسوله مستكبرين عنها ، فلم تطيعوا الله ولا رسوله (فإنما) فليس (على رسولنا) محمد إلا (البلاغ المبين) أنه بلاغ إليكم لما أرسلته به يقول جل ثناؤه : فقد أعذر إليكم بالإبلاغ والله ولي الانتقام ممن عصاه ، وخالف أمره ، وتولى عنه (الله لا إله إلا هو) يقول جل ثناؤه : معبودكم أيها الناس معبود واحد لا تصلح العبادة لغيره ولا معبود لكم سواه .
(وعلى الله فليستوكل المؤمنون) يقول تعالى ذكره وعلى الله أيها الناس فليستوكل المصدّقون بوحدايته :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

* يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إن من أرواجكم وأولادكم عدوٌّ لكم) يصدّونكم عن سبيل الله ، ويشبطونكم عن طاعة الله (فاحذروهم) أن تقبلوا منهم ما يأمرونكم به من ترك طاعة الله .

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة ، فشبطهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم وعبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن سيبك ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : سأله رجل عن هذه الآية (يا أيُّها الذين آمنوا إن من أرواجكم وأولادكم عدوٌّ لكم فاحذروهم) قال : هؤلاء رجال أسلموا ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأوا الناس قد فقهوا في الدين ، هموا أن يعاقبوه ، فأنزل الله جل ثناؤه (يا أيُّها الذين آمنوا إن من أرواجكم وأولادكم عدوٌّ لكم) . . . الآية .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك ، عن عكرمة ، في قوله (يا أيُّها الذين آمنوا إن من أرواجكم وأولادكم عدوٌّ لكم فاحذروهم) قال : كان الرجل يريد أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول له أهله : أين تذهب وتدعنا ؟ قال : وإذا أسلم وفقه ، قال : لأرجعن إلى الذين كانوا يهون عن هذا الأمر فلا فعلن ولا فعلن ، فأنزل الله جل ثناؤه (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفورٌ رحيم) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الذين آمنوا إن من أرواجكم وأولادكم عدوٌّ لكم فاحذروهم) كان الرجل

إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه زوجته وولده ، ولم يألووا يشبطوه عن ذلك ، فقال الله : إنهم عدو لكم فاحذروهم واسمعوا وأطيعوا ، وامضوا لشأنكم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا منّيع وثبّط مرّ بأهله وأقسم ، والقسم يمين ليفعلن وليعاقبن أهله في ذلك ، فقال الله جلّ ثناؤه (وَإِنْ تَعَفُّوْا وَتَصْغَحُوا وَتَغْفِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة التغابن كلها بمكة ، إلا هؤلاء الآيات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ، كان ذا أهل وولد ، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورقّوه ، فقالوا : إلى من تدعنا ؟ فيرقّ ويقيم ، فنزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) . الآية كلها بالمدينة في عوف بن مالك وبقيّة الآيات إلى آخر السورة بالمدينة :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال : إنهما يحملانه على قطيعة رحمه ، وعلى معصية ربه ، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يقطعه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) . الآية ، قال : منهم من لا يأمر بقطاع الله ، ولا ينهى عن معصيته ، وكانوا يبطلون عن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجهاد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال : يهون عن الإسلام ، وَيُسَبِّطُونَ عنه ، وهم من الكفار فاحذروهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ) . الآية ، قال : هذا في أناس من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو نفر من الحى ، فيخرجون من عشائرهم ويدعون أزواجهم وأولادهم وآباءهم عامدين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتقوم عشائرهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم ، فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم ، ولا يؤثروا عليهم غيرهم ، فمنهم من يترك ويرجع إليهم ، ومنهم من يمضى حتى يلحق بنبي الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن ناجية وزيد بن حباب ، قال : ثنا يحيى بن واضح جميعا ، عن

الحسين بن واقد ، قال : ثنى عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذهما فرفعهما فوضعهما في حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ : « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَسَمَ أَصْبِرُ ، ثُمَّ أَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ « اللَّفْظُ لِأَبِي كَرِيبٍ عَنْ زَيْدٍ . حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (إِنَّمَا مِنْ أَوْلَادِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ) قَالَ : يَقُولُ : عَدُوٌّ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ ، فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ .

حدثني محمد بن عمرو بن عليّ المقدمي ، قال : ثنا أشعث بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، في قوله (إِنَّمَا مِنْ أَوْلَادِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ يَسْلَمُ ، فَيَلُومُهُ أَهْلُهُ وَبَنُوهُ ، فَزَلَّتْ (إِنَّمَا مِنْ أَوْلَادِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ) . وَقَوْلُهُ (وَإِنْ تَعَفُّوْا وَتَتَصَفَّحُوا) يَقُولُ : وَإِنْ تَعَفُّوْا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ صَدَقَاتِهِمْ إِيَّاكُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْهَجْرَةِ وَتَصَفَّحُوا لَهُمْ عَنْ عَقُوبَتِكُمْ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَغْفِرُوا لَهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لَكُمْ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ ، مِنْ ذُنُوبِكُمْ (رَحِيمٌ) بِكُمْ أَنْ يَعَاقِبَكُمْ عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِكُمْ مِنْهَا . الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾

* يقول تعالى ذكره : ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة ، يعني بلاء عليكم في الدنيا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) بقول بلاء .

وقوله (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) يقول : والله عنده ثواب لكم عظيم ، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم في طاعة الله ربكم ، وأطعتم الله عز وجل ، وأدبتم حق الله في أموالكم ، والأجر العظيم الذي عند الله الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) وهي الجنة .

وقوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) يقول تعالى ذكره : واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه ، وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، والعمل بما يقرب إليه ما أطقتم وبلغه وسعكم .
وذكر أن قوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) نزل بعد قوله (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) تخفيفاً عن المسلمين ، وأن قوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ناسخ قوله (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ)
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) واسمعوا وأطيعوا) هذه رخصة من الله ، والله رحيم بعباده ، وكان الله جل ثناؤه أنزل قبل ذلك (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، ثم خفف الله تعالى ذكره عن عباده ، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال : « فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا » فيما استطعت يا ابن آدم ، عليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطعتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) قال : نسخها (اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) .

وقد تقدم بياننا عن معنى الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وليس في قوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) دلالة واضحة على أنه لقوله (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) ناسخ ، إذ كان محتملاً لقوله اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم ، ولم يكن بأنه له ناسخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب استعمالهما جميعاً على ما يمتثلان من وجوه الصحة .

وقوله (واسمعوا وأطيعوا) يقول : واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه (وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ) يقول : وأنفقوا مالا من أموالكم لأنفسكم تستنقلوها من عذاب الله ، والخير في هذا الموضع المال .

وقوله (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول تعالى ذكره : ومن يقي نفسه شح نفسه ، وذلك اتباع هواها فيما نهى الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني أبو معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ) يقول : هوى نفسه حيث يتبع هواه ولم يقبل الإيمان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال ، عن ابن مسعود (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ) قال : أن يعمد إلى مال غيره فيأكله .

وقوله (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول : فهؤلاء الذين وقوا شح أنفسهم ، المنجيحون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

* يقول تعالى ذكره : وإن تنفقوا في سبيل الله ، فتحسنوا فيها النفقة ، وتحتسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب بضاعف ذلك لكم ربكم ، فيجعل لكم مكان الواحد سبع مئة ضعف إلى أكثر من ذلك مما يشاء من التضعيف (يغفر لكم ذنوبكم) فيصفح لكم عن عقوباتكم عليها مع تضعيفه نفقتكم التي تنفقون في سبيله (والله شكور) يقول : والله ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله ، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا في الدنيا في سبيله (حلیم) يقول : حلیم عن أهل معاصيه بترك معاجلتهم بعقوبته (عالم الغيب والشهادة) يقول : عالم ما لا تراه أعين عباده ويغيب عن أبصارهم وما يشاهدونه فيرونه بأبصارهم (العزیز) يعنى الشديد في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ونهيه (الحكيم) في تدبيره خلقه ، وصرفه لإياهم فيما يصلحهم .

آخر تفسير سورة التغابن

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَافِ وَمَلَنِتُمْ
وَأَنبَايَاهَا أَتَتْ بِمَشَرِّقَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَالْقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَ هُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

* يعنى تعالى ذكره بقوله (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) يقول : إذا

طالقم نساءكم فطلقوهن طاهرهن الذي يحصينه من عدتهن ، طاهراً من غير جماع ، ولا تطلقوهن محيضهن الذي لا يعتد به من قرهن .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن

عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، قال : الطلاق للعدة طاهراً من غير جماع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ،

عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : بالطهر في غير جماع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الله

(إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) يقول : إذا طالقم قال : الطهر في غير جماع :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (فَطَلَّقُوهُنَّ

لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طاهراً من غير جماع :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة

عن ابن عباس ، أنه كان يرى طلاق السنة طاهراً من غير جماع ، وفي كل طهر ، وهي العدة التي أمر الله بها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن حميد

الأعرج ، عن مجاهد ، أن رجلاً سأل ابن عباس فقال : إنه طلق امرأته مئة ، فقال : عصيت ربك ،

وبانت منك امرأتك ، ولم تتق الله فيجعل لك مخرجاً ، وقرأ هذه الآية (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجاً) ، وقال (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا شعبة ، عن حميد الأعرج ، عن

مجاهد ، عن ابن عباس بنحوه :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ،

قال : كنت عند ابن عباس ، فجاءه رجل فقال : إنه طلق امرأته ثلاثاً ، فسكت حتى ظننا أنه رادها عليه ،

ثم قال : ينطلق أحدكم فيركب الحموقة ، ثم يقول : يا ابن عباس يا ابن عباس ، وإن الله عز وجل قال :

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجاً ، عصيت ربك ، وبانت

منك امرأتك ، قال الله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ) :

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت مجاهداً

يحدث عن ابن عباس في هذه الآية (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال

ابن عباس : في قبل عدتهن .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، أنه قرأ (فَطَلَّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِيهِنَّ) .

حدثنا العباس بن عبد العظيم ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِيهِنَّ) قال : طاهرا في غير جماع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، في قوله (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِيهِنَّ) قال : طاهرا من غير حيض ، أو حاملا قد استبان حملها .

قال : ثنا هارون ، عن عيسى بن يزيد بن دأب ، عن عمرو ، عن الحسن وابن سيرين ، فيمن أراد أن يطلق ثلاث تطليقات جميعا في كلمة واحدة ، أنه لا بأس به بعد أن يطلقها في قبل عدتها ، كما أمره الله ، وكاننا يكرهان أن يطلق الرجل امرأته تطليقة ، أو تطليقتين ، أو ثلاثا ، إذا كان بغير العدة التي ذكرها الله : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عون ، عن ابن سيرين أنه قال في قوله (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِيهِنَّ) قال : يطلقها وهي طاهر من غير جماع ، أو حبلى يستبين حملها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِيهِنَّ) قال : لظهرهن .

حدثنا علي بن عبد الأعلى المحاربي ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قول الله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِيهِنَّ) قال : العدة : القرء ، والقرء : الحيض . والطاهر : الطاهر من غير جماع ، ثم تستقبل ثلاث حيض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِيهِنَّ) والعدة : أن يطلقها طاهرا من غير جماع تطليقة واحدة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِيهِنَّ) قال : إذا طهرت من الحيض في غير جماع ، قلت : كيف ؟ قال : إذا طهرت فطلقها من قبل أن تمسها ، فإن بدا لك أن تطلقها أخرى تركتها حتى تحيض حيضة أخرى ، ثم طلقها إذا طهرت الثانية ، فإذا أردت طلاقها الثالثة أمهلتها حتى تحيض ، فإذا طهرت طلقها الثالثة ، ثم تعتد حيضة واحدة ، ثم تنكح إن شئت .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : وقال ابن طاوس : إذا أردت الطلاق فطلقها حين تطهر ، قبل أن تمسها تطليقة واحدة ، لا ينبغي لك أن تزيد عليها ، حتى تخلو ثلاثة قروء ، فإن واحدة تبنيها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِيهِنَّ) يقول : طلقها طاهرا من غير جماع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِيهِنَّ)

قال : إذا طلقها للعدة كان ملكها بيدك ، من طلق للعدة جعل الله له في ذلك فسحة ، وجعل له ملكا إن أراد أن يرجع قبل أن تنقضي العدة ارجع .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طاهرا في غير جماع ، فإن كانت لا تحيض ، فعند غرة كل هلال .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : « طَلَقْتُ امْرَأَتِي وَهِيَ حَائِضٌ » قال : فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك ، فقال : « مَرَّةٌ فَلْيُتَرَجِعْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ، ثُمَّ تَحِيضْ ، ثُمَّ تَطْهُرَ ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ طَلَقَهَا قَبْلَ أَنْ يُجَامِعَهَا ، وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا ، فَإِنَّهَا الْعِدَّةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

قال : ثنا ابن إدريس ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر بنحوه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر « أنه طلق امرأته وهي حائض ، فسأل عمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مَرَّةٌ فَلْيُتَرَجِعْهَا ، ثُمَّ لِيُتَمَسِّكَهَا حَتَّى تَطْهُرَ ، ثُمَّ تَحِيضْ ، ثُمَّ تَطْهُرَ ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر « أنه طلق امرأته حائضا ، فأتى عمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فأمره أن يراجعها ، ثم يتركها حتى إذا طهرت ثم حاضت طلقها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فَهِيَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ » يقول : حين يطهرن .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) يقول : لا يطلقها وهي حائض ، ولا في طهر قد جامعها فيه ، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة ، فإن كانت نحيض فعدتها ثلاث حيض ، وإن كانت لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر ، وإن كانت حاملا ، فعدتها أن تضع حملها .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، سئل عن قول الله (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته وهي في قبل عدتها ، وهي طاهر من غير جماع واحدة ، ثم يدعها ، فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة ، وإن أراد أن يطلقها ثلاثا طلقها واحدة في قبل عدتها ، وهي طاهر من غير جماع ، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى ، ثم يدعها ، حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى ، ثم لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره .

ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب طلاقه حفصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر تطليقة ، فأنزلت هذه الآية (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) فقيل : راجعها فإنها صوامة قوامة ، وإنها من نسائك في الجنة » وقوله (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) يقول : وأحصوا هذه العدة وأقراءها فاحفظوها . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) قال : احفظوا العدة : وقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ) يقول : وخافوا الله أيها الناس ربكم فاحذروا معصيته أن تعدوا وحده ، لا تخرجوا من طلقتم من نسائك لعدتهن من بيوتهن التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق حتى تنقضي عدتهن . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ، لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ) حتى تنقضي عدتهن . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : إن أذن لها أن تعتد في غير بيته ، فتعتد في بيت أهلها ، فقد شاركها إذن في الإثم . ثم تلا (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : قلت هذه الآية في هذه ؟ قال : نعم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا حيوة بن شريح ، عن محمد بن عجلان ، عن نافع ، أن عبد الله بن عمر كان يقول في هذه الآية (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : نخرجها قبل انقضاء العدة ، قال ابن عجلان عن زيد بن أسلم : إذا أتت بفاحشة أخرجت .

وحدثنا علي بن عبد الأعلى المحاربي ، قال : ثنا المحاربي ، عبد الرحمن بن محمد ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : ليس لها أن تخرج إلا بإذنه ، وليس للزوج أن يخرجها ما كانت في العدة ، فإن خرجت فلا سكنى لها ولا نفقة . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ) قال : هي المطلقة لا تخرج من بيتها ، مادام لزوجها عليها رجعة ، وكانت في عدة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ) وذلك إذا طلقها واحدة أو ثنتين لها ما لم يطلقها ثلاثاً .
وقوله (وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَّةٍ) يقول جل ثناؤه : لا تخرجوهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة إنها فاحشة لمن عاينها أو علمها .

واختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذكرت في هذا الموضع ، والمعنى الذي من أجله أذن الله بإخراجهن في حال كونهن في العدة من بيوتهن ، فقال بعضهم : الفاحشة التي ذكرها الله في هذا الموضع هو الزنى ، والإخراج الذي أباح الله هو الإخراج لإقامة الحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله : (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَّةٍ) قال : الزنى ، قال : فتُخْرِجُ لِيُقَامَ عَلَيْهَا الحد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عثية ، عن صالح بن مسلم ، قال : سألت عامراً قلت : رجل طلق امرأته تطليقة أخرجها من بيتها ؟ قال : إن كانت زانية .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَّةٍ) قال : إلا أن يزني .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسأله عن قول الله عز وجل : (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَّةٍ) قال : قال الله جل ثناؤه : (وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ) قال : هؤلاء المحصنات ، (فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) . . . الآية . قال : فجعل الله سبيلهن الرجم ، فهي لا ينبغي لها أن تخرج من بيتها إلا أن تأتي بفاحشة مبينة ، فإذا أتت بفاحشة مبينة أخرجت إلى الحد فرجمت ، وكان قبل هذا للمحصنة الحبس تحبس في البيوت لا تترك تنكح ، وكان للبكرين الأذى ، قال الله جل ثناؤه : (وَاللَّذَّانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا) يازان ، يازانية ، (فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا) ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً) قال : ثم نسخ هذا كله ، فجعل الرجم للمحصنة والمحصن ، وجعل جلد مئة للبكرين ، قال : ونسخ هذا . وقال آخرون : الفاحشة التي عنها الله في هذا الموضع : البتداء على أحماها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن محمد بن إبراهيم ، عن ابن

عباس قال الله : (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ)
قال : الفاحشة المبينة أن تبدؤا على أهلها .

وقال آخرون : بل هي كل معصية لله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) والفاحشة : هي المعصية .

وقال آخرون : بل ذلك نشوزها على زوجها ، فيطلقها على النشوز ، فيكون لها التحول حينئذ
من بيتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) قال
قتادة : إلا أن يطلقها على نشوز ، فلها أن تحول من بيت زوجها .

وقال آخرون : الفاحشة المبينة التي ذكر الله عز وجل في هذا الموضع خروجها من بيتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَلَا
يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) قال : خروجها من بيتها فاحشة . قال بعضهم خروجها
إذا أتت بفاحشة أن تخرج في مقام عليها الحد .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب
قال : ثني محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، في قوله (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) قال : خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة .

* والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : عني بالفاحشة في هذا الموضع : المعصية ، وذلك أن
الفاحشة هي كل أمر قبيح تعدى فيه حده ، فالزنى من ذلك ، والسرقة والبذاء على الأحماء ، وخروجها
متحولة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتد فيه منه ، فأى ذلك فعلت وهي في عدتها ، فلزوجها إخراجها من
بيتها ذلك ، لإتيانها بالفاحشة التي ركبها .

وقوله (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وهذه الأمور التي بيننا لكم من الطلاق للعدة ،
وإحصاء العدة ، والأمر باتقاء الله ، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها ، إلا أن تأتي بفاحشة مبينة حدود الله التي
حدّها لكم أيها الناس فلا تعتدوها (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) يقول تعالى ذكره
ومن يتجاوز حدود الله التي حدّها لحاقه فقد ظلم نفسه : يقول : فقد أكسب نفسه وزرا ، فصار بذلك
لها ظلما ، وعليها متعدّيا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك في قول الله (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) يقول : تلك طاعة الله فلا تعتدوها ، قال : يقول : من كان على غير هذه فقد ظلم نفسه .

وقوله (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) يقول جل ثناؤه : لا تدري ما الذي يحدث ؟ لعل الله يحدث بعد طلاقكم إياهن رجعة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبي حفص الخزومي ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمراً عليها على بعض اليمين ، فخرج معه ، فبعث إليها بتطليقة كانت لها ، وأمر عياش بن أبي ربيعة الخزومي ، والحارث بن هشام أن ينفقا عليها ، فقالا : لا والله ما لها علينا نفقة ، إلا أن تكون حاملاً ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فلم يجعل لها نفقة إلا أن تكون حاملاً ، واستأذنته في الانتقال ، فقالت : أين أنتقل يا رسول الله ؟ قال : عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وكان أعمى ، تضع ثيابها عنده ، ولا يبصرها ، فلم تزل هنالك حتى أنكحها النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد حين مضت عدتها ، فأرسل إليها مروان بن الحكم يسألها عن هذا الحديث ، فأخبرته ، فقال مروان : لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة ، وسأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها ، فقالت فاطمة : بيني وبينكم الكتاب ، قال الله جل ثناؤه (فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) حتى بلغ (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) قالت : فأى أمر يحدث بعد الثلاث ، وإنما هو في مراجعة الرجل امرأته ، وكيف تحبس امرأة بغير نفقة ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) قال : هذا في مراجعة الرجل امرأته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) : أى مراجعة :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) قال : يراجعها في بيتها هذا في الواحدة والثنتين ، هو أبعد من الزنى .

قال سعيد ، وقال الحسن : هذا في الواحدة والثنتين ، وما يحدث الله بعد الثلاث .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، قال : سمعت الحسن وعكرمة يقولان :

المطلقة ثلاثاً ، والمتوفى عنها لاسكنى لها ولا نفقة ؛ قال : فقال عكرمة (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) فقال : ما يحدث بعد الثلاث :

حدثنا علي بن عبد الأعلى المحاربي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاک في قوله (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) يقول : لعل الرجل يراجعها في عدتها .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) هذا ما كان له عليها رجعة :
حدثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) قال : الرجعة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) قال : لعل الله يحدث في قلبك تراجع زوجتك ؛ قال : قال ومن طلق للعدة جعل الله له في ذلك فسخة ، وجعل له ملكا إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضي العدة ارتجع .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) قال : لعله يراجعها .

وقوله (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : فإذا بلغ المطلقات اللواتي هن في عدة أجلهن وذلك حين قرب انقضاء عددهن (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) يقول : فأمسكوهن برجعة تراجعوهن ، إن أردتم ذلك بمعروف ، يقول : بما أمرك الله به من الإمساك وذلك بآعطائها الحقوق التي أوجبها الله عليه لها من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة ، أو فارقوهن بمعروف ، أو اتركوهن حتى تنقضي عددهن ، فتبين منكم بمعروف ، يعني بإيفائها ما لها من حق قبله من الصداق والمتعة على ما أوجب عليه لها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد ، عن جويبر ، عن الضحاک ، قوله (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) يقول : إذا انقضت عدتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة ، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض ، يقول : فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنقضي العدة بامساك بمعروف ، والمعروف أن تحسن صحبتها (أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ) والتسريح بإحسان : أن يدعها حتى تمضي عدتها ، ويعطيها مهرا إن كان لها عليه إذا طلقها ، فذلك التسريح بإحسان ، والمتعة على قدر الميسرة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) قال : إذا طلقها واحدة أو اثنتين ، يشاء أن يمسكها بمعروف ، أو يسرحها بإحسان :
وقوله (وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ) وأشهدوا على الإمساك إن أمسكنموهن ، وذلك هو الرجعة ذوى عدل منكم ، وهما اللذان يرضى دينهما وأمانتهما .

وقد بينا فيما مضى قبل معنى العدل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وذكرنا ما قال أهل العلم فيه .

(۱) كذا في الأصل . ولعل أصل العبارة : قل بعد ذلك ما يشاء . . الخ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها ، أشهد رجلين كما قال الله (وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ) عند الطلاق وعند المراجعة ، فإن راجعها فهي عنده على تطليقتين ، وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها فقد بانت منه بواحدة ، وهي أملك بنفسها ، ثم تزوج من شاءت ، هو أو غيره .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ) قال : على الطلاق والرجعة .

وقوله (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) يقول : وأشهدوا على الحق إذا استشهدتم ، وأدوها على صحة إذا أنتم دُعيتُم إلى أدائها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) قال : أشهدوا على الحق .

وقوله (ذَلِكَمُ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذي أمرتكم به ، وعرفتكم من أمر الطلاق ، والواجب لبعضكم على بعض عند الفراق والإمساك عظة منا لكم ، نعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فيصدق به .

وعني بقوله (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) من كانت صفته الإيمان بالله ، كالذي حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) قال : يؤمن به .

وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) يقول تعالى ذكره : من يخف الله فيعمل بما أمره به ، ويجتنب ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجا ، بأن يعرفه بأن ما قضى فلا بدّ من أن يكون ، وذلك أن المطاق إذا طلق ، كما ندبه الله إليه للعدّة ، ولم يراجعها في عدتها حتى انقضت ثم تتبعها نفسه ، جعل الله له مخرجا فيما تتبعها نفسه ، بأن جعل له السبيل إلى خطبتها ونكاحها ، ولو طلقها ثلاثا لم يكن له إلى ذلك سبيل .

وقوله (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يقول : ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر ،

ولا يعلم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت بسبب عوف بن مالك

الاشجعي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن صلت ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق

عن عبد الله ، في قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : يعلم أنه من عند الله ، وأن الله هو الذي يعطي ويمنع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : المخرج أن يعلم أن الله تبارك وتعالى لو شاء أعطاه وإن شاء منعه ، (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) قال : من حيث لا يدري .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، مثله .
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) يقول : نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة ، (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع بن المنذر ، عن أبيه ، عن الربيع ابن خثيم (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : من كل شيء ضاق على الناس .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا .

حدثني علي بن عبد الأعلى المحاربي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ، قال : يعنى بالمخرج واليسر إذا طلق واحدة ثم سكت عنها ، فإن شاء راجعها بشهادة رجلين عدلين ، فذلك اليسر الذي قال الله ، وإن مضت عدتها ولم يراجعها ، كان خاطبا من الخطاب ، وهذا الذي أمر الله به ، وهكذا طلاق السنة فأما من طلق عند كل حيضة فقد أخطأ السنة ، وعصى الرب ، وأخذ بالعسر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : يطاق للسنة ، ويراجع للسنة ، زعم أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له عوف الأشجعي ، كان له ابن ، وأن المشركين أسروه ، فكان فيهم ، فكان أبوه يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فيشكوا إليه مكان ابنه ، وحالته التي هو بها وحاجته ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له : إن الله سيجعل له مخرجا ، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا إذا انفلت ابنه من أيدي العدو ، ففر بغنم من أغنام العدو فاستاقها ، فجاء بها إلى أبيه ، وجاء معه بغنم قد أصابه من الغنم ، فنزلت هذه الآية (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عمار بن أبي معاوية الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : نزلت في رجل من أشجع جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مجهود ، فسأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اتق الله وأصبر ، قال : قد فعلت ، فأتى قومه ،

فقالوا : ماذا قال لك ؟ قال : قال اتق الله واصبر ، فقلت : قد فعلت حتى قال ذلك ثلاثا ، فرجع فإذا هو بابنه كان أسيرا في بني فلان من العرب ، فجاء معه بأعنز ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال إن ابني كان أسيرا في بني فلان ، وإنه جاء بأعنز ، فطابت لنا ؟ قال : نعم .

قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن عمار الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد « في قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : نزلت في رجل من أشجع أصابه الجهد ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : اتق الله واصبر ، فرجع فوجد ابنا له كان أسيرا ، قد فكه الله من أيديهم ، وأصاب أعنزا ، فجاء ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تطيب لي يا رسول الله ؟ قال : نعم . » قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن المنذر الثوري ، عن أبيه ، عن الربيع بن خثيم (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : من كل شيء ضاق على الناس .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : يعلم أن الله إن شاء منعه ، وإن شاء أعطاه (وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يقول : من حيث لا يدري .

قال : ثنا مهران ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) قال : من شبهات الأمور ، والكرب عند الموت (وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) : من حيث لا يرجو ولا يؤمل . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) لا يأمل ولا يرجو .

وقوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) يقول تعالى ذكره : ومن يتق الله في أموره ، ويفوضها إليه فهو كافيه .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) منقطع عن قوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ومعنى ذلك : إن الله بالغ أمره بكل حال توكل عليه العبد أو لم يتوكل عليه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ، إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ (توكل عليه أو لم يتوكل عليه ، غير أن المتوكل يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجرا .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق بنحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن صلت عن قيس ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) قال : ليس بمتوكل الذي قد قضيت حاجته ، وجعل فضل من توكل عليه على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجرا .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبي ، قال : تجالس شُتير بن شكل ومسروق ، فقال شُتير :
إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدقك ، وإما أن أحدث فتصدقني ؟ قال مسروق : لا يل
حدث فأصدقك ، فقال : سمعت ابن مسعود يقول : إن أكبر آية في القرآن تفوضاً^١ (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) قال مسروق : صدقت .
وقوله (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) يقول تعالى ذكره : قد جعل الله لكل شيء من
الطلاق والعدة وغير ذلك حداً وأجلاً وقدرًا ينتهي إليه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق (قَدْ
جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) قال : أجلاً :
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن
مسروق (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) قال : منتهى .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق مثله .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا) قال : الحيض في الأجل والعدة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّي بَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّي
الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره : والنساء اللاتي قد ارتفع طمعهن عن الحيض ، فلا يرجون أن يحضن من نسائكم إن ارتبتم .
واختلف أهل التأويل في معنى قوله (إِنْ ارْتَبْتُمْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : إن ارتبتم بالدم الذي
يظهر منها لكبرها ، أمن الحيض هو ، أم من الاستحاضة ، فعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنْ ارْتَبْتُمْ) إن لم تعلموا التي قعدت عن
الحيضة ، والتي لم تحض ، فعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري (إِنْ ارْتَبْتُمْ) قال : في كبرها

(١) كذا في الأصل ، ولم أجده في المعاجم هذا المصدر ولا فعله ، ولعله محرف عن « التفويض » ، وهو رد الأمر كله إلى الله ، وهو
المفهوم من معنى حديث ابن مسعود هذا .

أن يكون ذلك من الكبر ، فإنها تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر ؛ فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهي شابة ، فإنه يتأني بها حتى ينظر حامل هي أم غير حامل ؟ فإن استبان حملها ، فأجلها أن تضع حملها ، فإن لم يستبين حملها ، فحتى يستبين بها ، وأقصى ذلك سنة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَاللَّائِي يَدُسُّنَّ مِنَ الْمُحِيضِ مِنَ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبَسْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ) قال : إن ارتبت أنها لا تحيض وقد ارتفعت حيضتها ، أو ارتاب الرجال ، أو قالت هي : تركتني الحيضة ، فعدهنّ ثلاثة أشهر إن ارتاب ، فلو كان الحمل انتظر الحمل حتى تنقضي تسعة أشهر ، فخاف وارتاب هو ، وهي أن تكون الحيضة قد انقطعت ، فلا ينبغي لمسلمة أن تحبس ، فاعتدت ثلاثة أشهر ، وجعل الله جل ثناؤه أيضا للتي لم تحض الصغيرة ثلاثة أشهر :

حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : أخبرنا أبو معبد ، قال : سئل سليمان عن المرتابة ، قال : هي المرتابة التي قد قعدت من الولد تطلق ، فتحيض حيضة ، فيأتي إبان حيضتها الثانية فلا تحيض ؛ قال : تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة ؛ قال : فإن حاضت حيضتين ثم جاء إبان الثالثة فلم تحض اعتدت حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة ، ولم يعتدّ بما مضى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن ارتبتم بحكمهنّ فلم تدروا ما الحكم في عدتهنّ ، فإن عدتهنّ ثلاثة أشهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مطرف ، عن عمرو بن سالم ، قال : « قال أبي بن كعب : يارسول الله إن عيدا من عديد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار ، وأولات الأحمال ، فأنزل الله (وَاللَّائِي يَدُسُّنَّ مِنَ الْمُحِيضِ مِنَ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبَسْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ، وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) » .

وقال آخرون : معنى ذلك : إن ارتبتم مما يظهر منهنّ من الدم ، فلم تدروا أدم حيض ، أم دم مستحاضة من كبر كان ذلك أو علة ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : إن من الريبة : المرأة المستحاضة ، والتي لا يستقيم لها الحيض ، تحيض في الشهر مرارا ، وفي الأشهر مرة ، فعدها ثلاثة أشهر ، وهو قول قتادة .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال : عني بذلك : إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهنّ ، وذلك أن معنى ذلك لو كان كما قاله من قال : إن ارتبتم بدمائهنّ فلم تدروا أدم حيض ، أو استحاضة ؟ لقيل : إن ارتبتم لأنهنّ إذا أشكل الدم عليهنّ فهنّ المرتابات بدماء أنفسهنّ لا غيرهنّ ، وفي قوله (إِنِ ارْتَبَسْتُمْ)

وخطابه الرجال بذلك دون النساء الدليل الواضح على صحة ما قلنا من أن معناه : إن ارتبتم أيها الرجال بالحكم فيهن ؛ وأخرى وهو أنه جل ثناؤه قال (وَاللَّائِي يَتَّبِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبَسْتُمْ) والياسة من المحيض هي التي لا ترجو محيضا للكبر ، ومحال أن يقال : واللأئي يتسن ، ثم يقال : ارتبتم بياسهن ، لأن اليأس : هو انقطاع الرجاء والمرتاب بياسها مرجو لها ، وغير جائز ارتفاع الرجاء ووجوده في وقت واحد ، فإذا كان الصواب من القول في ذلك ما قلنا ، فبين أن تأويل الآية : واللأئي يتسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهن ، وفي عدهن ، فلم تدروا ما هن ، فإن حكم عدهن إذا طلقن ، وهن ممن دخل بهن أزواجهن ، فعدهن ثلاثة أشهر (وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) يقول : وكذلك عدد اللأئي لم يحضن من الجوارى لصغر إذا طلقهن أزواجهن بعد الدخول .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله (وَاللَّائِي يَتَّبِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ) يقول : التي قد ارتفع حيضها ، فعدها ثلاثة أشهر (وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) قال : الجوارى .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّائِي يَتَّبِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ) وهن اللواتي قعدن من المحيض فلا يحضن ، واللأئي لم يحضن هن الأبقار التي لم يحضن ، فعدهن ثلاثة أشهر .

حدثت عن الحسن ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَاللَّائِي يَتَّبِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ) . . . الآية ، قال : القواعد من النساء (وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) : لم يبلعن المحيض ، وقد مسسن ، عدهن ثلاثة .
وقوله (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) في انقضاء عدهن أن يضعن حملهن ، وذلك لإجماع من جميع أهل العلم في المطلقة الحامل ، فأما في المتوفى عنها ففيها اختلاف بين أهل العلم .

وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى من كتابنا هذا ، وسندكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكره هنالك .
ذكر من قال حكم قوله (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) عام في المطلقات والمتوفى عنهن :

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري ، قال : ثنا سعيد بن أبي مریم ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا ابن شبرمة الكوفي ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن قيس أن ابن مسعود قال : من شاء لاعنته ، ما نزلت (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها ، وإذا وضعت المتوفى عنها فقد حلت ، يريد بآية المتوفى عنها (وَالَّذِينَ يَتَّبِقُونَ مِنْكُمْ وَيَتَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك ، يعني ابن إسماعيل ، عن ابن عيينة ، عن أيوب ، عن ابن سيرين

عن أبي عطية قال : سمعت ابن مسعود يقول : من شاء قاسمته نزلت سورة النساء القصصرى بعدها ، يعنى بعد أربعة أشهر وعشرا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، قال : لقيت أبا عطية مالك بن عامر ، فسألته عن ذلك ، يعنى عن المتوفى عنها زوجها إذا وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر ، فأخذ يحدثني بحديث سبيعة ، قلت : لا ، هل سمعت من عبد الله فى ذلك شيئا ؟ قال : نعم ، ذكرت ذات يوم أو ذات ليلة عند عبد الله ، فقال : أرأيت إن مضت الأربعة الأشهر والعشر ولم تضع أقد أحلت ؟ قالوا : لا ، قال : أفجعلون عليها التغليظ ، ولا تجعلون لها الرخصة ، فوالله لأنزلت النساء القصصرى بعد الطولى .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، قال : قال الشعبي : من شاء حالفته لأنزلت النساء القصصرى بعد الأربعة الأشهر والعشر التى فى سورة البقرة :

حدثني أحمد بن منيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال : ذكر عبد الله بن مسعود آخر الأجلين ، فقال : من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التى أنزلت فى النساء القصصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر ، ثم قال : أجل الحامل أن تضع ما فى بطنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : قلت للشعبى : ما أصدق أن عليا رضى الله عنه كان يقول : آخر الأجلين أن لاتزوج المتوفى عنها زوجها حتى يمضى آخر الأجلين ؛ قال الشعبى : بلى وصدق أشد ما صدقت بشيء قط ؛ وقال على رضى الله عنه : إنما قوله (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) المطلقات ، ثم قال : إن عليا رضى الله عنه وعبد الله كانا يقولان فى الطلاق بحلول أجلها إذا وضعت حملها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أبي بن كعب ، قال : لما نزلت هذه الآية (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال : قلت : يا رسول الله ، المتوفى عنها زوجها والمطلقة ، قال : نعم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، عن ابن عيينة ، عن عبد الكريم بن أبي المخارق ، يحدث عن أبي بن كعب ، قال : «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال : أجل كل حامل أن تضع ما فى بطنها » .

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال : للمرأة الحبلى التى يطلقها زوجها وهى حامل ، فعدها أن تضع حملها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) فإذا وضعت ما فى رحمها فقد انقضت عدتها ، ليس المحيض من أمرها فى شيء إذا كانت حاملا

وقال آخرون : ذلك خاص في المطلقات ، وأما المتوفى عنها فإن عدتها آخر الأجلين ، وذلك قول مروى عن علي وابن عباس رضي الله عنهما .

وقد ذكرنا الرواية بذلك عنهما فيما مضى قبل :

* والصواب من القول في ذلك أنه عام في المطلقات والمتوفى عنهن ، لأن الله جل وعز ، عم بقوله بذلك فقال : (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) ولم يخص بذلك الخبر عن مطابقة دون متوفى عنها ، بل عم الخبر به عن جميع أولات الأحمال ، إن ظن ظان أن قوله (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) في سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفى عنهن ، فهو بالخبر عن حكم المطابقة أولى بالخبر عنهن ، وعن المتوفى عنهن ، فإن الأمر بخلاف ما ظن ، وذلك أن ذلك وإن كان في سياق الخبر عن أحكام المطلقات ، فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات ، بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات الأحمال المطلقات منهن وغير المطلقات ، ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض من خبر ولا عقل ، فهو على عمومته لما بيئنا .

وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) يقول جل ثناؤه : ومن يخف الله فرجه ، فاجتنب معاصيه ، وأدّى فرائضه ، ولم يخالف إذنه في طلاق امرأته ، فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسرا ، وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة لاتباع نفسه إياها الرجعة ما دامت في عدتها وإن انقضت عدتها ، ثم دعت نفسه إليها قدر على خطبتها .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ ۖ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

* يقول تعالى ذكره : هذا الذي بيئت لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدّة ، أمر الله الذي أمركم به ، أنزله إليكم أيها الناس ، لتأتمروا له ، وتعملوا به .

وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ) يقول : ومن يخف الله فينتقه باجتناب معاصيه ، وأداء فرائضه ، يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله (وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) يقول : ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه ، ومن إعظامه له الأجر عليه أن يدخله جنته . فيخلده فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ ۖ مِنْ وَجَدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَلْيُقَوِّعْنَ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأُتِمَّ وَابِلَيْتُكُمْ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَرَضَ لَكُمْ فِي ذَٰلِكَ ۖ لَيْفُقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكُفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا

* يقول تعالى ذكره : أسكنوا مطلقاً نسائكم من الموضع الذي سكنتم (من وجدكم) : يقول : من سعتكم التي تجدون ، وإنما أمر الرجال أن يعطوهم مسكناً يسكنه مما يجدونه ، حتى يقضين عيداً دهن .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَسْكِنُوا هُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ) يقول : من سعتكم .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مِّنْ وُجْدِكُمْ) قال : من سعتكم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَسْكِنُوا هُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ) قال : من سعتكم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قوله (أَسْكِنُوا هُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) فإن لم تجد إلا ناحية بيتك فأسكنها فيه .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (أَسْكِنُوا هُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ) قال : المرأة يطلقها ، فعليه أن يسكنها ، وينفق عليها .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألت عن قول الله عز وجل : (أَسْكِنُوا هُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ) قال : من مقدرتك حيث تقدر ، فإن كنت لا تجد شيئاً ، وكنت في مسكن ليس لك ، فجاء أمر أخرجك من المسكن ، وليس لك مسكن تسكن فيه ، وليس تجد فذاك ، وإذا كان به قوة على الكراء فذاك وجده ، لا يخرجها من منزلها ، وإذا لم يجد وقال صاحب المسكن : لا أنزل هذه في بيتي فلا ، وإذا كان يجد ، كان ذلك عليه وقوله (وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) يقول جل ثناؤه : ولا تضاروهن في المسكن الذي تسكنونهن فيه ، وأنتم تجدون سعة من المنازل أن تطلبوا الضيق عليهن ، فذلك قوله (لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) يعني : لتضيقوا عليهن في المسكن مع وجودكم السعة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) قال : في المسكن .
حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (مِّنْ وُجْدِكُمْ) قال : من ملككم ، من مقدرتكم .

وفي قوله (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) قال : : لتضييقوا عليهنّ مساكنهنّ حتى يخرجن .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) قال : ليس
 ينبغي له أن يضارّها ويضيق عليها مكانها (حتى يضعن حملهنّ) هذا لمن يملك الرجعة ، ولمن لا يملك الرجعة .
 وقوله (وَأِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) يقول تعالى ذكره :
 وإن كان نساؤكم المطافات أولات حمل وكنّ بائنات منكم ، فأنفقوا عليهنّ في عدتهنّ منكم حتى
 يضعن حملهنّ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فهذه المرأة يطلقها زوجها ، فيبت
 طلاقها وهي حامل ، فيأمره الله أن يسكنها ، وينفق عليها حتى تضع ، وإن أرضعت فحتى تظم ، وإن أبان
 طلاقها ، وليس بها حمل ، فلها السكنى حتى تنقضي عدتها ولا نفقة ، وكذلك المرأة يموت عنها زوجها ،
 فإن كانت حاملا أنفق عليها من نصيب ذي بطنها إذا كان ميراث ، وإن لم يكن ميراث أنفق عليها الوارث
 حتى تضع وتظم ولدها كما قال الله عز وجل (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) فإن لم تكن حاملا ، فإن
 نفقها كانت من مالها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَأِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) قال : ينفق على الحبلى إذا كانت حاملا حتى تضع حملها .
 وقال آخرون : عني بقوله (وَأِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) كل
 مطلقة ، ملك زوجها رجعتها أو لم يملك .

وممن قال ذلك : عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما .

ذكر الرواية عنهما بذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كان عمر وعبد الله يجعلان
 للمطلقة ثلاثا : السكنى ، والنفقة ، والمتعة : وكان عمر إذا ذكر عنده حديث فاطمة بنت قيس أن النبي
 صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد في غير بيت زوجها ، قال : ما كنا لنجيز في ديننا شهادة امرأة .
 حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم ، عن عيسى بن قرقاس ، قال : سمعت
 عليّ بن الحسين يقول في المطلقة ثلاثا : لها السكنى ، والنفقة والمتعة ، فإن خرجت من بيتها فلا سكنى ولا
 نفقة ولا متعة .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : للمطلقة

ثلاثا : السكنى والنفقة

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : إذا طلق الرجل ثلاثا ، فإن لها السكنى والنفقة .

❖ والصواب من القول في ذلك عندنا أن لانفقة للمبتوتة إلا أن تكون حاملا ، لأن الله جل ثناؤه جعل النفقة بقوله (وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ) للحوامل دون غيرهن من البائثات من أزواجهن ولو كان البوائن من الحوامل وغير الحوامل في الواجب لهن من النفقة على أزواجهن سواء ، لم يكن لخصوص أولات الأحمال بالذكر في هذا الموضع وجه مفهوم ، إذ هن وغيرهن في ذلك سواء وفي خصوصهن بالذكر دون غيرهن أدل الدليل على أن لانفقة لبائث إلا أن تكون حاملا .

وبالذي قلنا في ذلك صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ، قال : ثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : «حدثني فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس أن أبا عمرو المخزومي ، طلقها ثلاثا فأمر لها بنفقة فاستقلتها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه نحو اليمن ، فانطلق خالد بن الوليد في نفر من بني مخزوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند ميمونة ، فقال : يا رسول الله إن أبا عمرو طاق فاطمة ثلاثا ، فهل لها من نفقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ لَهَا نَفَقَةٌ ، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن انتقلي إلى بيت أم شريك وأرسل إليها أن لاتسقينى بنفسك ، ثم أرسل إليها أن أم شريك يأتيها المهاجرون الأولون ، فانتقلي إلى ابن أم مكتوم ، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد .

وقوله (فَإِنْ أَرْضَعْنَكُمْ لَكُمْ فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ) يقول جل ثناؤه : فإن أرضع لكم نساؤكم البوائن منكم أولادهن الأطفال منكم بأجرة ، فأتوهن أجورهن على رضاعهن إياهن : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك أنه قال في الرضاع : إذا قام على شيء فأم الصبي أحق به ، فإن شاءت أرضعته ، وإن شاءت تركته إلا أن لا يقبل من غيرها ، فإذا كان كذلك أُجبرت على رضاعه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنْ أَرْضَعْنَكُمْ لَكُمْ فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ) هي أحق بولدها أن تأخذ بهما كنت مسترضعا به غيرها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَإِنْ أَرْضَعْنَكُمْ لَكُمْ فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ) قال : ما تراضوا عليه «على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره» :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم في الصبي إذا قام على ثمن فأمه أحق أن ترضعه ، فإن لم يجد له من يرضعه أُجبرت الأم على الرضاع :

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ) قال : إن أَرْضَعْتَ لَكَ بِأَجْرٍ فَهِيَ أَحَقُّ مِنْ غَيْرِهَا ، وَإِنْ هِيَ أَبَتْ أَنْ تَرْضِعَهُ وَلَمْ تَوَاتِكَ فِيهَا بَيْنُكَ وَبَيْنَهَا عَاسِرَتُكَ فِي الْأَجْرِ فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى وَقَوْلُهُ (وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَلِيَقْبَلْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ مَا أَمَرَكُمْ بَعْضُكُمْ بِهِ بَعْضًا مِنْ مَعْرُوفٍ .

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ :

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّيِّ ، فِي قَوْلِهِ (وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) قَالَ : اصْنَعُوا الْمَعْرُوفَ فِيمَا بَيْنَكُمْ : حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا مِهْرَانُ ، عَنْ سَفْيَانَ (وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) حَتَّى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ .

وَقَوْلُهُ (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى) يَقُولُ : وَإِنْ تَعَاسَرَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ فِي رِضَاعٍ وَلَدَهَا مِنْهُ ، فَامْتَنَعَتْ مِنْ رِضَاعِهِ ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهَا ، وَلَيْسَ لَهُ إِكْرَاهُهَا عَلَى إِرِضَاعِهِ ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَأْجِرُ لِلصَّبِيِّ مَرْضِعَةً غَيْرَ أُمِّهِ الْبَاطِنَةِ مِنْهُ .

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّيِّ ، فِي قَوْلِهِ (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى) قَالَ : إِنْ أَبَتْ الْأُمُّ أَنْ تَرْضِعَ وَلَدَهَا إِذَا طَلَّقَهَا أَبُوهُ التَّمَسَّ لَهُ مَرْضِعَةٌ أُخْرَى ، الْأُمُّ أَحَقُّ إِذَا رَضِيتَ مِنْ أَجْرِ الرِّضَاعِ بِمَا يَرْضَى بِهِ غَيْرَهَا ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْتَزِعَ مِنْهَا . حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا مِهْرَانُ ، عَنْ سَفْيَانَ ، قَالَ : إِنْ هِيَ أَبَتْ أَنْ تَرْضِعَهُ وَلَمْ تَوَاتِكَ فِيهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَكَ عَاسِرَتُكَ فِي الْأَجْرِ ، فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى) لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) قَالَ : فَرَضَ لَهَا مِنْ قَدَرِ مَا يَجِدُ ، فَقَالَتْ : لَا أَرْضَى هَذَا ، قَالَ : وَهَذَا بَعْدَ الْفِرَاقِ ، فَأَمَّا وَهِيَ زَوْجَتُهُ فَإِنَّهَا تَرْضِعُ لَهُ طَائِعَةً وَمَكْرَهَةً إِنْ شَاءَتْ وَإِنْ أَبَتْ ، فَقَالَ لَهَا : لَيْسَ لِي زِيَادَةٌ عَلَى هَذَا إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَرْضِعِي بِهِذَا فَارْضِعِي ، وَإِنْ كَرِهْتَ اسْتَرْضِعْ وَلَدِي ، فَهَذَا قَوْلُهُ (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى) . وَقَوْلُهُ (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) : يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : لِيُنْفِقَ الَّذِي بَانَ مِنْهُ امْرَأَتُهُ إِذَا كَانَ ذَا سَعَةٍ مِنَ الْمَالِ ، وَغْنَى مِنْ سَعَةِ مَالِهِ وَغْنَاهُ عَلَى امْرَأَتِهِ الْبَاطِنَةِ فِي أَجْرِ رِضَاعٍ وَلَدَهُ مِنْهَا ، وَعَلَى وَلَدِهِ الصَّغِيرِ (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) يَقُولُ : وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلَمْ يَوْسِعْ عَلَيْهِ ، فَلْيُنْفِقْ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَلَى قَدَرِ مَالِهِ ، وَمَا أَعْطَى مِنْهُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ) قال : من سعة موجدته ، قال (وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) قال : من قدر عليه رزقه .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ) يقول : من طاقته .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ) ، وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) قال : فرض لها من قدر ما يجد .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ) قال : على المطلقة إذا أرضعت له :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي سنان ، قال : سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن أبي عبيدة ، فقل له : إنه يلبس الغليظ من الثياب ، ويأكل أحسن الطعام ، فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع إذا هو أخذها ، فما لبث أن لبس ألين الثياب ، وأكل أطيب الطعام ، فجاء الرسول فأخبره ، فقال رحمه الله : تأول هذه الآية (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ) ، وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) :

وقوله (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) يقول : لا يكلف الله أحدا من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم لا ما أعطاه ، إن كان ذا سعة فمن سعته ، وإن كان مقدورا عليه رزقه فما رزقه الله على قدر طاقته ، لا يكلف الفقير نفقة الغني ، ولا أحد من خلقه إلا فرضه الذي أوجبه عليه :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) قال : يقول : لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني :

حدثنا عبد الله بن محمد الزهري ، قال : ثنا سفيان ، عن هشيم (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) قال : إلا ما افترض عليها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) يقول : إلا ما أطاقت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) قال : لا يكلفه الله أن يتصدق وليس عنده ما يتصدق به ، ولا يكلفه الله أن يزكي وليس عنده ما يزكي .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا ۖ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝

* يقول تعالى ذكره : (سَيَجْعَلُ اللَّهُ) للمقل من المال المقدور عليه رزقه (بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) يقول : من بعد شدة رخاء ، ومن بعد ضيق سعة ، ومن بعد فقر غنى .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) بعد الشدة الرخاء .
وقوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ) يقول تعالى ذكره : وكأين من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وخالفوه ، وعن أمر رسل ربهم ، فتمادوا في طغيانهم وعتوهم ، ولجوا في كفرهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي ، في قوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ) قال : غَيَّرَتْ وَعَصَتْ .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا) قال : العتو ههنا الكفر والمعصية ، عتوا : كفرا ، وعتت عن أمر ربها : تركته ولم تقبله . وقيل : إنهم كانوا قوما خالفوا أمر ربهم في الطلاق ، فتوعد الله بالخبر عنهم هذه الأمة أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعت عمر بن سليمان يقول في قوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ) قال : قرية عذبت في الطلاق .
وقوله (فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا) يقول : فحاسبناها على نعمتنا عندها وشكرها حسابا شديدا ، يقول : حسابا استقصينا فيه عليهم ، لم نعف لهم فيه عن شيء ، ولم نتجاوز فيه عنهم .
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا) قال : لم نعف عنها الحساب الشديد الذي ليس فيه من العفو شيء .
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا) يقول : لم نرحم .

وقوله (وَعَذَابُنَا عَذَابًا نُّكَرًا) يقول : وعذابنا عذابا عظيما منكرا ، وذلك عذاب جهنم .
 وقوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) يقول : فذاقت هذه القرية التي عنت عن أمر ربها ورسله ، عاقبة
 ما عملت وأنت من معاصي الله والكفر به .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) قال :
 عقوبة أمرها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا)
 قال : ذاق عاقبة ما عملت من الشر . الوبال : العاقبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) يقول :
 عاقبة أمرها .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال :
 ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) قال : جزاء أمرها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) يعني بوبال أمرها : جزاء أمرها الذي قد حل .

وقوله (وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الذي أعقب أمرهم ، وذلك كفرهم
 بالله وعصيانهم إياه خسرا : يعني غبنا ، لأنهم باعوا نعيم الآخرة بخسيس من الدنيا قليل ، وآثروا اتباع
 أهوائهم على اتباع أمر الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا
 عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ

﴿٢٠﴾ يقول تعالى ذكره : أعد الله لهؤلاء القوم الذين عتوا عن أمر ربهم ورسله عذابا شديدا ، وذلك عذاب
 النار الذي أعد له لم في القيامة (فاتقوا الله يا أولي الألباب) يقول تعالى ذكره : فخافوا الله ، واحذروا
 سنطه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه يا أولي العقول .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فاتقوا الله يا أولي
 الألباب) قال : يا أولي العقول .

وقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا) يقول : الذين صدقوا الله ورسله .

وقوله (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا) اختلف أهل التأويل في المعنى بالذكر والرسول في هذا الموضع ، فقال بعضهم : الذكر هو القرآن ، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ

ذِكْرًا رَسُولًا) قال : الذكر : القرآن ، والرسول : محمد صلى الله عليه وسلم :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله عز وجل (قَدْ أَنْزَلَ

اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) قال : القرآن روح من الله ، وقرأ (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) إلى

آخر الآية ، وقرأ (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا) قال : القرآن ، وقرأ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) قال : بالقرآن ، وقرأ (إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ) قال : القرآن ، قال : وهو

الذكر ، وهو الروح :

وقال آخرون : الذكر : هو الرسول :

* والصواب من القول في ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر ، وذلك نصب لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة .

فتأويل الكلام إذن : قد أنزل الله إليكم يا أولى الألباب ذكرا من الله لكم يذكركم به ، وينبهم على

حظكم من الإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، رسولا يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليه (مبينات) يقول :
مبينات لمن سمعها وتدبرها أنها من عند الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾

* يقول تعالى ذكره : قد أنزل الله إليكم أيها الناس ذكرا رسولا ، يتلو عليكم آيات الله مبينات ، كي يخرج

الذين صدقوا الله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه (مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ) يعني من الكفر وهي الظلمات ، إلى النور : يعني إلى الإيمان .

وقوله (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا) يقول : ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته (يُدْخِلْهُ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول : يدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار (خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا) يقول : ما كثرين مقيمين في البساتين التي تجري من تحتها الأنهار أبدا ، لا يموتون ، ولا يخرجون

منها أبدا .

وقوله (قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) يقول : قد وسع الله له في الجنات رزقا ، يعنى بالرزق : ما رزقه فيها من المطاعم والمشارب ، وسائر ما أعدّ لأولياته فيها ، فطيبه لهم .
القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْزِيقُ لِنَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٧﴾

* يقول تعالى ذكره : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) لا ما يعبد المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خالق شيء .
وقوله (وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) يقول : وخلق من الأرض مثلهن لما في كل واحدة منهن مثل ما في السموات من الخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثني عمرو بن علي ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبه ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، قال في هذه الآية (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) قال عمرو : قال في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق . وقال ابن المثنى : في كل سماء إبراهيم .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفرتم تكذيبكم بها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زير ، عن عبد الله ، قال : خالق الله سبع سموات غلط كل واحدة مسيرة خمس مئة عام ، وبين كل واحدة منهن خمس مئة عام ، وفوق السبع السموات الماء ، والله جل ثناؤه فوق الماء ، لا ينحى عليه شيء من أعمال بني آدم . والأرض سبع ، بين كل أرضين خمس مئة عام ، وعاظ كل أرض خمس مئة عام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القسبي الأشعري ، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزامي ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال رجل لابن عباس (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) . . . الآية ، فقال ابن عباس : ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر .

قال : ثنا عباس ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هذه الأرض إلى تلك مثل الفسطاط ضربته في فلاة ، وهذه السماء إلى تلك السماء ، مثل حلقة رميت بها في أرض فلاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : السماء أولها موج

مكفوف ؛ والثانية صخرة ؛ والثالثة حديد ؛ والرابعة نحاس ؛ والخامسة فضة ؛ والسادسة ذهب ، والسابعة باقوتة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : ثنا حميد بن قيس ، عن مجاهد ، قال : هذا البيت الكعبة رابع أربعة عشر بيتا في كل سماء بيت ، كل بيت منها حذو صاحبه ، لو وقع وقع عليه ، وإن هذا الحرم حرمى بناؤه من السموات السبع والأرضين السبع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) خلق سبع سموات وسبع أرضين في كل سماء من سمائه ، وأرض من أرضه ، خلق من خلقه وأمر من أمره ، وقضاء من قضائه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس مرة مع أصحابه ، إذ مرت صحابة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أَتَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ هَذِهِ الْعَنَانُ ، هَذِهِ رَوَايَا الْأَرْضِ يَسُوقُهَا اللَّهُ إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْصِدُونَهُ » قال : أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ السَّمَاءُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : هَذِهِ السَّمَاءُ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : فَوْقَ ذَلِكَ سَّمَاءٌ أُخْرَى ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَتَدْرُونَ مَا بَيْنَهُمَا خَمْسٌ مِثْثَةُ سَنَةٍ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ ، قال : أَتَدْرُونَ مَا بَيْنَهُمَا ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : بَيْنَهُمَا خَمْسٌ مِثْثَةُ سَنَةٍ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الْأَرْضُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : تَحْتَ ذَلِكَ أَرْضٌ ، قال : أَتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسٍ مِثْثَةِ سَنَةٍ ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ أَرْضِينَ ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوُدُلِي رَجُلٌ يَجْبُلُ حَتَّى يَبْلُغَ أَسْفَلَ الْأَرْضِينَ السَّابِعَةِ لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض ، فقال بعضهم لبعض : من أين جئت ؟ قال أحدهم : أرسلني ربي من السماء السابعة ، وتركته ؛ ثم قال الآخر : أرسلني ربي من الأرض السابعة وتركته ؛ ثم قال الآخر : أرسلني ربي من المغرب وتركته ثم » .

وقوله (يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : ينزل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) قال : بين الأرض السابعة إلى السماء السابعة .

وقوله (لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك كي تعلموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه ، وأنه لا يتعدّر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه أمر شأه ، ولكنه على ما يشاء قدير (وأنَّ اللَّهَ قَدَرٌ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) يقول جل ثناؤه : ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شيء من خلقه محيط علما ، لا يعزّب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر : يقول جل ثناؤه فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته ، فإنه لا يمنع من عقوبتكم مانع ، وهو على ذلك قادر ، ومحيط أيضا بأعمالكم ، فلا يخفى عليه منها خاف ، وهو محصيا عليكم ، ليجازيكم بها ، يوم تجزي كل نفس ما كسبت .

آخر تفسير سورة الطلاق

(٦٦) سُورَةُ الْفُتُوحِ قَدْ نَبَّأَتْ
وَأَيُّهَا الشُّنَّاعُ شِكْرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاكَ أَزْوَاجَكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ①

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي المحرم على نفسه ما أحلّ الله له ، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه ، لم تحرم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك ، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك .

* واختاف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جل ثناؤه أحله لرسوله ، فحرّمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه ، فقال بعضهم : كان ذلك مارية مملوكة القبطية ، حرّمها على نفسه يمين أنه لا يقربها طابا بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته ، لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في يومها وفي حجرتها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مریم ، قال : ثنا أبو غسان ، قال : ثنا زيد بن أسلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه ، قال : فقالت : أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي ، فجعلها عليه حراما ، فقالت : يا رسول الله كيف تحرم عليك الحلال ؟ ، فحلف لها بالله لا يصيبها ، فأنزل الله عز وجل (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ) » قال زيد : فقله أنت على حرام لغو .

حدثني يعقوب ، قال : ثنى ابن عليه ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال : قال مسروق
إن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته ، وآلى منها ، فجعل الحلال حراما ، وقال في اليمين : (قَدْ
فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِيلَةَ أَيْمَانِكُمْ) .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : آلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرّم ، فعوتب في التحريم ، وأمر بالكفارة في اليمين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، قال
لها : أنت على حرام ، والله لأطؤك :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ
اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ) قال : كان الشعبي يقول : حرّمها عليه ، وحلف لا يقربها ، فعوتب
في التحريم ، وجاءت الكفارة في اليمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعامر الشعبي ، أن النبي صلى الله
عليه وسلم حرّم جاريته . قال الشعبي : حلف بيمين مع التحريم ، فعاتبه الله في التحريم ، وجعل له كفارة
ليمين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ
اللَّهُ لَكَ) قال : « إنه وجدّت امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
جاريته في بيتها ، فقالت : يا رسول الله أنى كان هذا الأمر ، وكنتُ أهونهنّ عليك ؟ فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم : اسكّتى لا تذكّرى هذا لأحد ، هي على حرام إن قرّبْتُها بعد هذا
أبدًا ، فقالت : يا رسول الله وكيف تحرّم عليك ما أحلّ الله لك حين تقول : هي على حرام أبدًا ؟ فقال :
والله لا آتيها أبدًا ، فقال الله : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) . . . الآية ، قد غفرت
هذا لك ، وقولك والله (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِيلَةَ أَيْمَانِكُمْ) ، والله متولاكم ، وهو العليم
الحكيم » .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله :
(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتاة ، فغشيها ،
فبصّرت به حفصة ، وكان اليوم يوم عائشة ، وكاننا متظاهرتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ابكّسّمي على ولا تذكّرى ليعائشة ما رأيت : فذكرت حفصة لعائشة ، فغضبت عائشة ، فلم تزل
بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها أبدًا ، فأنزل الله هذه الآية ، وأمره أن يكفر بيمينه ،
ويأتى جاريته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريب ، عن عامر ، في قول الله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

لك) في جارية أتاها ، فأطلعت عليه حفصة ، فقال : هي عليّ حرام ، فاكتفى ذلك ، ولا تخبرني به أحدا فذكرت ذلك :

وقال آخرون : بل حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ، فجعل الله عز وجلّ تحريمه إياها بمنزلة اليمين ، فأوجب فيها من الكفارة مثل ما أوجب في اليمين إذا حنث فيها صاحبها .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (قدّ فرّض الله لكم تحيلة أيمانكم) أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إذا حرّموا شيئا مما أحلّ الله لهم أن يكفروا أيمانهم ، بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، وليس يدخل ذلك في طلاق . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ، « قوله (يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك) . . . إلى قوله (وهو العليم الحكيم) » قال : كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهبت حفصة إلى أبيها ، فتحدثت عنده ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى جاريته ، فظلت معه في بيت حفصة ، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة ، فرجعت حفصة ، فوجدتهما في بيتها ، فجعلت تنتظر خروجها ، وغارت غيرة شديدة ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ، ودخلت حفصة فقالت : قد رأيت من كان عندك ، والله لقد سوؤتني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والله لأرضينك فيّ مسير إلىك سيرا فاحفظيه ؛ قالت : ما هو ؟ قال : إني أشهدك أن سرّيتي هذه عليّ حرام رضا لك ، وكانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فانطالقت حفصة إلى عائشة ، فأمرت إليها أن أبشري إن النبي صلى الله عليه وسلم قد حرّم عليه فتاته ، فلما أخبرت بسرّ النبي صلى الله عليه وسلم أظهر الله عز وجلّ النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه (يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك ، تبتغي مرصاة أزواجك) . . . إلى قوله (وهو العليم الحكيم) » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا هشام الدستوائي ، قال : كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم ، عن سعيد بن جبير ، أن ابن عباس كان يقول : في الحرام يمين تكفرها . وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته ، فقال الله جلّ ثناؤه : (يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك) . . . إلى قوله (قدّ فرّض الله لكم تحيلة أيمانكم) فكفر يمينه ، فصير الحرام يمينا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : أنبأنا أبو عثمان « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت حفصة ، فإذا هي ليست ثمّ ، فجاءته فتاته ، وألقى عليها سرا ، فجاءت حفصة فقعدت على الباب حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته ، فقالت : والله لقد سوؤتني ، جامعة في بيني أو كما قالت ؛ قال : وحرّمها النبي صلى الله عليه وسلم ، أو كما قال . »

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) . . . الآية ، قال : كان حرم فتاته القبطية أمَّ ولده إبراهيم يقال لها مارية في يوم حفصة ، وأسرَّ ذلك إليها ، فأطلعت عليه عائشة ، وكانتا تظاهران على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحلَّ الله له ما حرم على نفسه ، فأمر أن يكفر عن يمينه ، وعوتب في ذلك ، فقال (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ، وَاللَّهُ مَوْلاَكُمْ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) قال قتادة : وكان الحسن يقول حرَّمها عليه ، فجعل الله فيها كفارة يمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حرَّمها يعني جاريته ، فكانت يميناً .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، قال : « قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : من المراتان ؟ قال : عائشة ، وحفصة : وكان بدء الحديث في شأن أمَّ إبراهيم القبطية ، أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في يومها ، فوجدته حفصة ، فقالت : يا نبيَّ الله لقد جئت إلى شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك بمثله في يومى وفي دورى ، وعلى فراشى ؛ قال : ألا ترَضَيْنِ أن أُحرِّمَها فلا أقربَ بهما ؟ قالت : بلى ، فحرَّمها ، وقال : لا تَذْكُرِي ذلكَ لأحدٍ ، فذكرته لعائشة ، فأظهره الله عزَّ وجلَّ عليه ، فأنزل الله (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ، تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ) . . . الآيات كلها ، فبلغنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم كفر يمينه ، وأصاب جاريته » .

وقال آخرون : كان ذلك شراباً يشربه ، كان يعجبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن عبد الله بن شدَّاد ابن الهاد ، قال : نزلت هذه الآية في شراب (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ) .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا أبو قطن البغدادي عمرو بن الهيثم ، قال : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن عبد الله بن شدَّاد مثله .

قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا يزيد بن إبراهيم ، عن ابن أبي مليكة ، قال : نزلت في شراب .

* والصواب من القول في ذلك أن يقال : كان الذي حرَّمه النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له ، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته ، وجائز أن يكون كان شراباً من الأشربة ، وجائز أن يكون كان غير ذلك ، غير أنه أى ذلك كان ، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً ، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله ، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرَّم على نفسه :

* فإن قال قائل : وما برهانك على أنه صلى الله عليه وسلم كان حلف مع تحريمه ما حرم ، فقد علمت

قول من قال : لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك غير التحريم ، وأن التحريم هو اليمين ؟ قيل : البرهان على ذلك واضح ، وهو أنه لا يعقل في لغة عربية ولا عجمية أن قول القائل بخاريته ، أو لطعام أو شراب ، هذا على حرام يمين ، فإذا كان ذلك غير معقول ، فمعلوم أن اليمين غير قول القائل للشيء الحلال له : هو على حرام . وإذا كان ذلك كذلك صح ما قلنا ، وفسد ما خالفه . وبعد ، فجائز أن يكون تحريم النبي صلى الله عليه وسلم ما حرم على نفسه من الحلال الذي كان الله تعالى ذكره ، أحله له بيمين ، فيكون قوله (لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ) معناه : لم تحلف على الشيء الذي قد أحله الله أن لا تقربه ، فتحريمه على نفسك باليمين .

وإنما قلنا : إن النبي صلى الله عليه وسلم حرم ذلك ، وحلف مع تحريمه ، كما حدثني الحسن بن قزعة ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم ، فأُمِرَ في الإيلاء بكفارة ، وقيل له في التحريم (لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ كَلًا) .

وقوله (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : والله غفور يا محمد لذنوب التائبين من عباده من ذنوبهم ، وقد غفر لك تحريمك على نفسك ما أحله الله لك ، رحيم بعباده أن يعاقبهم على ما قد تابوا منه من الذنوب بعد التوبة :

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾

*** يقول تعالى ذكره : قد بين الله عز وجل لكم تحلة أيمانكم ، وحدثها لكم أيها الناس (وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ) يتولاكم بنصره أيها المؤمنون (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بمصالحكم (الْحَكِيمُ) في تدبيره إياكم ، وصرفكم فيما هو أعلم به :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَالَمِ الْخَبِيرُ ﴿١١﴾

*** يقول تعالى ذكره (وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ) محمد صلى الله عليه وسلم (إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ) ، وهو في قول ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد والشعبي والضحاك بن مزاحم : حَقْنَصَةُ . وقد ذكرنا الرواية في ذلك قبل .

وقوله (حَدَّثَ) والحديث الذي أسر إليها في قول هؤلاء هو قوله لمن أسر إليه ذلك من أزواجه نحرهم فئاته ، أو ما حرم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له ، وحلفه على ذلك وقوله (لَا تَذْكُرِي ذَلِكَ لِأَخِي) وقوله (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) يقول تعالى ذكره : فلما أخبرت بالحديث الذي أسر إليها رسول الله

صلى الله عليه وسلم صاحبها (وأظهره الله عليه) يقول : وأظهر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على أنها قد أنبأت بذلك صاحبها .

وقوله (عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار غير الكسائي (عَرَفَ) بتشديد الراء ، بمعنى : عرف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به . وكان الكسائي يذكر عن الحسن البصري وأبي عبد الرحمن السلمي وقتادة ، أنهم قرءوا ذلك (عَرَفَ) بتخفيف الراء ، بمعنى : عرف لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سره ، وقد استكتمها إياه : أى غضب من ذلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجازاها عليه من قول القائل لمن أساء إليه : لأعرفن لك يا فلان ما فعلت ، بمعنى : لأجازينك عليه ؛ قالوا : وجازاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من فعلها بأن طلقها .

وأولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه (عَرَفَ بَعْضُهُ) بتشديد الراء ، بمعنى : عرف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة ، يعنى ما أظهره الله عليه من حديثها صاحبها لإجماع الحجة من القراء عليه . وقوله (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) يقول : وترك أن يخبرها ببعض . وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) قوله لها : لا تذكرى (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) وكان كريما صلى الله عليه وسلم . وقوله (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ) يقول : فلما خبر حفصة نبي الله صلى الله عليه وسلم بما أظهره الله عليه من إفشائها سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عائشة (قالت : من أنبأك هذا ؟) يقول : قالت حفصة لرسول الله : من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به (قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ) يقول تعالى ذكره : قال محمد نبي الله لحفصة : خبرنى به العليم بسرئى عباده ، وضمائر قلوبهم ، الخبير بأمورهم ، الذى لا يخفى عنه شئ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ) قالت : مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ؟) ولم تشك أن صاحبها أخبرتها عنها (قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ

❦ يقول تعالى ذكره : إن تتوبا إلى الله آيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتنابه جاريته ، وتحريمها على نفسه ، أو تحريم ما كان له حلالا مما حرّمه على نفسه بسبب حفصة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني ممي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) يقول : زاغت قلوبكما ، يقول : قد أثمت قلوبكما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن مجاهد ، قال : كنا نرى أن قوله (فقد صغت قلوبكما) شيء هين ، حتى سمعت قراءة ابن مسعود (إن تتوبا إلى الله فقد زاغت قلوبكما) :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فقد صغت قلوبكما) : أي مالت قلوبكما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن قتادة (فقد صغت قلوبكما) مالت قلوبكما . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (فقد صغت قلوبكما) يقول : زاغت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (صغت قلوبكما) قال : زاغت قلوبكما :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال الله عز وجل (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) قال : سرهما أن يحتجب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ، وذلك لهما موافق (صغت قلوبكما) إلى أن سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وإن تظاهرا عليه) يقول تعالى ذكره للتي أسرا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، والتي أفشت إليها حديثه ، وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللتين قال الله جل ثناؤه (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) قال : فحج عمر ، وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر ، وعدلت معه بإداوة ، ثم أتاني فسكبت على يده وتوضأ فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله لهما (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) قال عمر : وأعجبا لك يا ابن عباس ، قال الزهري : وكره والله ما سأله

ولم يكتم ، قال : هي حفصة وعائشة ؛ قال : ثم أخذ سوق الحديث ، فقال : كنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة ، ثم ذكر الحديث بطوله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن أشهب ، عن مالك ، عن أبي النضر ، عن علي بن حسين ، عن ابن عباس ، أنه سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المتظاهرتين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : عائشة وحفصة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن عبد بن حنين أنه سمع ابن عباس يقول : مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين ، فما أجده موضعاً أسأله فيه ، حتى خرج حاجاً ، وصحبته حتى إذا كان بمر الظهران ذهب لحاجته ، وقال : أدركني بإداوة من ماء ؛ فلما قضى حاجته ورجع ، أتته بالإداوة أصبها عليه ، فرأيت موضعاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فما قضيت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة رضي الله عنهما .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عمر بن يونس ، قال : ثنا عكرمة بن عمار ، قال : ثنا سماك أبو زميل ، قال : ثنا عبد الله بن عباس ، قال : ثنا عمر بن الخطاب ، قال : لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، دخلت عليه وأنا أرى في وجهه الغضب ، فقلت : يا رسول الله ما شق عليك من شأن النساء ، فلئن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته ، وجبرائيل وميكائيل ، وأنا وأبو بكر معك ، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام ، إلا رجوت أن يكون الله مصدق قولي ، فنزلت هذه الآية ، آية التخيير : (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) ، (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ، وَجِبْرِيلُ ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) ... الآية ، وكانت عائشة ابنة أبي بكر وحفصة تظاهرتان على سائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) يقول : على معصية النبي صلى الله عليه وسلم وأذاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال ابن عباس لعمر : يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن أمر وإني لأهابك ، قال : لاتهنني ، فقال : من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : عائشة وحفصة .

وقوله (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : فإن الله هو وليه وناصره ، وصالح المؤمنين ؛ وخيار المؤمنين أيضاً مولاه وناصره .

وقيل : غني بصالح المؤمنين في هذا الموضع : أبو بكر ، وعمر رضي الله عنهما .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عبد الوهاب ، عن مجاهد ، في قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : أبو بكر وعمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، في قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : خيار المؤمنين أبو بكر الصديق وعمر .

حدثنا إسحاق بن إسرائيل ، قال : ثنا الفضل بن موسى السينائي «من قرية بمر و يقال لها سيدان» عن عبيد ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : أبو بكر وعمر .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : خيار المؤمنين .

وقال آخرون : عني بصالح المؤمنين : الأنبياء صلوات الله عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : هم الأنبياء .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : هم الأنبياء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال الأنبياء .

* والصواب من القول في ذلك عندي : أن قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) وإن كان في لفظ واحد ، فإنه بمعنى الجميع ، وهو بمعنى قوله (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَسَفِيحٌ ظَنًى) فالإنسان وإن كان في لفظ واحد ، فإنه بمعنى الجميع ، وهو نظير قول الرجل : لا تقربن إلا قارئ القرآن ، يقال : قارئ القرآن ، وإن كان في اللفظ واحدا ، فمعناه الجميع ، لأنه قد أذن لكل قارئ القرآن أن يقربه ، واحدا كان أو جماعة .

وقوله (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) يقول : والملائكة مع جبريل وصالح المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعوان على من آذاه ، وأراد مساءته . والظهير في هذا الموضع بلفظ واحد في معنى جمع . ولو أخرج بلفظ الجميع لقبيل : والملائكة بعد ذلك ظهراء .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَأَن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) ، فإن الله هو مولاة وجبريل وصالح المؤمنين (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : وبدأ بصالح المؤمنين هاهنا قبل الملائكة ، قال (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنْ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مُّسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَلِيلَاتٍ تَكْبِتُ عَنِّي سَلِيحَتٍ تَلْبَسُ وَأَبْكَارًا ﴿٢٠﴾

* يقول تعالى ذكره : عسى رب محمد إن طلقك يا معشر أزواج محمد صلى الله عليه وسلم أن يبده منكن أزواجا خيرا منكن .

وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحذيرا من الله نساءه لما اجتمعن عليه في الغيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لمن : عسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجا خيرا منك ، قال : فنزل كذلك :

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن حميد ، عن أنس ، عن عمر ، قال : « بلغني عن بعض أمهاتنا ، أمهات المؤمنين شدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذهن إياه ، فاستقرينهن امرأة امرأة ، أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقول : إن أبين أبدله الله خيرا منك ، حتى أتيت ، حسبت أنه قال علي زينب ، فقالت : يا ابن الخطاب ، أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ؟ فأمسكت ، فأنزل الله (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) » :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال عمر بن الخطاب : بلغني عن أمهات المؤمنين شيء ، فاستقرينهن أقول : لتكفرن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منك ، حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين ، فقالت : يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ؟ فكففت ، فأنزل الله (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ) . . . الآية .

واختلفت القراء في قراءة قوله (أَنْ يُبْدِلَهُ) فقرأ ذلك بعض قراء مكة والمدينة والبصرة بتشديد الدال « يبدله أزواجا » من التبديل : وقرأه عامة قراء الكوفة « يُبْدِلُهُ » بتخفيف الدال من الإبدال . والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . وقوله (مُسْلِمَاتٍ) يقول : خاضعات لله بالطاعة (مُؤْمِنَاتٍ) يعني مصدقات بالله ورسوله . وقوله (قَانِتَاتٍ) يقول : مطيعات لله .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (قَانِتَاتٍ) قال : مطيعات . حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قَانِتَاتٍ) قال : مطيعات . وقوله (تَائِبَاتٍ) يقول : راجعات إلى ما يحبه الله منهن من طاعته عما يكرهه منهن (عَابِدَاتٍ) يقول : متذلات لله بطاعته .

وقوله (سَائِمَاتٍ) يقول : صائمات .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (سَائِمَاتٍ) فقال بعضهم : معنى ذلك : صائمات .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَائِمَاتٍ) قال : صائمات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَائِمَاتٍ) قال : صائِمَاتٍ .
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (السَائِمَاتِ) : الصائِمَاتِ .
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله
 (سَائِمَاتٍ) يعني : صائِمَاتٍ .
 وقال آخرون : السَائِمَاتِ : المهاجرات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن زيد بن أسلم ، قال :
 السَائِمَاتِ : المهاجرات .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَائِمَاتٍ) قال : مهاجرات
 ليس في القرآن ، ولا في أمة محمد سياحة إلا الهجرة ، وهي التي قال الله (السَّائِحُونَ) .
 وقد بينا الصواب من القول في معنى السائمين فيما مضى قبل بشواهد مع ذكرنا أقوال المختلفين فيه ،
 ودرهنا إعادته .
 وكان بعض أهل العربية يقول : نرى أن الصائم إنما سمي سائحا ، لأن السائح لا زاد معه ، وإنما يأكل
 حيث يجد الطعام ، فكأنه أخذ من ذلك :
 وقوله (ثِيَابَاتٍ) وهن اللواتي قد افترعن وذهبت عذرتهن (وأبكاراً) وهن اللواتي لم يجامعن ،
 ولم يفرعن .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ
 لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول : علموا بعضكم
 بعضا ما تقون به من تعلمونه النار ، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله ، واعملوا بطاعة الله .
 وقوله (وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول : وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن رجل ، عن عليّ
 ابن أبي طالب رضي الله عنه في قوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)
 قال : علموهم ، أدبوهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن رجل ، عن عليّ (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول : أدّبوهم ، علّموهم .

حدثني الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا سعيد بن خثيم ، عن محمد بن خالد الضبيّ ، عن الحكم ، عن عليّ بمثله :

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أهليكم بالذكر بشجيتكم الله من النار .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) قال : اتقوا الله ، وأوصوا أهليكم بتقوى الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قال : قال يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله ، وينهاهم عن معصيته ، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت الله معصية ردعهم عنها ، وزجرتهم عنها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) قال : مروهم بطاعة الله ، وانهوهم عن معصيته .

وقوله (وَقُودُهَا النَّاسُ) يقول : حظيها الذي يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت .

وقوله (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ) يقول : على هذه النار ملائكة من ملائكة الله ، غلاظ على أهل النار ، شداد عليهم (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) يقول : لا يخالفون الله في أمره الذي يأمرهم به (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) يقول : وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجَزَّوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبله يوم القيامة للذين جحدوا وحدانيته في الدنيا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا) الله (لَا تَعْنَدُوا الْيَوْمَ) إِنَّمَا تَجَزَّوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : يقال لهم : إنما تثابون اليوم ، وذلك يوم القيامة ، وتعطون جزاء أعمالكم التي كنتم في الدنيا تعملون ، فلا تطلبوا المعاذير منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ

يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورًا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾

* يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله (تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ) يقول : ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله ، وإلى ما يرضيه عنكم (تَوْبَةً نَّصُوحًا) يقول : رجوعاً لا تعودون فيها أبداً .
وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (نَّصُوحًا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، قال : سئل عمر عن التوبة النصوح ، قال : التوبة النصوح : أن يتوب الرجل من العمل السيئ ، ثم لا يعود إليه أبداً .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر ، قال : التوبة النصوح : أن تتوب من الذنب ثم لا تعود فيه ، أو لا تريد أن تعود .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت النعمان بن بشير يخطب ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله تَوْبَةً نَّصُوحًا) قال : يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، قال : سألت عمر عن قوله (تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) قال : هو العبد يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أبداً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : التوبة النصوح : أن يتوب من الذنب فلا يعود .

حدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : أخبرني عن عمر بهذا الإسناد ، فقال : التوبة النصوح : الذي يذنب ثم لا يريد أن يعود .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله (تَوْبَةً نَّصُوحًا) قال : يتوب ثم لا يعود .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : التوبة النصوح : الرجل يذنب الذنب ثم لا يعود فيه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله تَوْبَةً نَّصُوحًا) أن لا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه ، ويقال : توبته أن لا يرجع إلى ذنب تركه .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (تَوْبَةً نَّصُوحاً) قال : يستغفرون ثم لا يعودون .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال : ثنا المحارب، عن جوير، عن الضحاك، في قوله (تَوْبَةً نَّصُوحاً) قال : النصوح : أن تحول عن الذنب ثم لا تعود له أبداً .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً) قال : هي الصادقة الناصحة .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قول الله (تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً) قال : التوبة النصوح الصادقة، يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته، وحب الرجوع إلى طاعته، فهذا النصوح .

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار خلا عاصم (نَّصُوحاً) بفتح النون على أنه من نعت التوبة وصفتها . وذكر عن عاصم أنه قرأه (نُصُوحاً) بضم النون، بمعنى المصدر من قولهم : نصح فلان لفلان نُصُوحاً .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بفتح النون على الصفة للتوبة لإجماع الحجة على ذلك . وقوله (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) يقول : عسى ربكم أيها المؤمنون أن يمحو سيئات أعمالكم التي سلفت منكم (وَيُبْدِ خَلِيقَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول : وأن يدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ) محمداً صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) يقول : يسعى نورهم أمامهم (وَبِأَيْمَانِهِمْ) يقول : وبأيمانهم كتابهم .

كما حدثني محمد بن سعد، قال : ثنا أبي، قال : ثنا عيسى، قال : ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) . . . إلى قوله (وَبِأَيْمَانِهِمْ) يأخذون كتابهم فيه البشرية (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا، وَآغْفِرْ لَنَا) يقول جل ثناؤه مخبراً عن قبل المؤمنين يوم القيامة : يقولون ربنا أتمم لنا نورنا، يسألون ربهم أن يبق لهم نورهم، فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط، وذلك حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا (انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) قال : قول المؤمنين حين يطفئ نور المنافقين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن الحسن ، قال : ليس أحد إلا يعطى نورا يوم القيامة ، يعطى المؤمن والمنافق ، فيطفا نورا بالمنافق ، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره ، فذلك قوله (رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ) :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن يزيد بن شجرة ، قال : كان يذكرنا ويكي ، ويصدق قوله فعله ، يقول : يا أيها الناس إنكم مكنوبون عند الله عز وجل بأسيائكم وسيئاتكم ، ومجالسكم ونجواكم وخلاتكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان بن فلان هاك نورك ، ويا فلان بن فلان ، لا نور لك .

وقوله (وَاعْفِرْ لَنَا) يقول : واستر علينا ذنوبنا ، ولا تفضحنا بها بعقوبتك إيانا عليها (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : إنك على إتمام نورنا لنا ، وغفران ذنوبنا ، وغير ذلك من الأشياء ذو قدرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس

الْمَصِيرُ ﴿١﴾

* يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالْمُنَافِقِينَ) بالوعيد واللسان .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) قال : أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجاهد الكفار بالسيف ، وبغلظ على المنافقين بالحدود (وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ) يقول : واشدد عليهم في ذات الله (وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ) يقول : ومكثهم جهنم ، ومصيرهم الذي يصيرون إليه نار جهنم (وَبئس المصير) قال : وبئس الموضع الذي يصيرون إليه جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ﴿٢﴾

* يقول تعالى ذكره : مثَّل الله مثلا للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبيدين من عبادنا ، وهما نوح ولوط فخانتاهما .

ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة ، وكانت تقول للناس : إنه مجنون . وأن خيانة امرأة لوط ، أن لوطا كان يسير الضيف ، وتدل عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن

قيس ، عن ابن عباس ، قوله (فَخَانَتَاهُمَا) قال : كانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون . وكانت امرأة لوط تدل على الضيف .

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا إسماعيل بن عمر ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قيس ، قال : سمعت ابن عباس قال في هذه الآية : أما امرأة نوح ، فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط ، فكانت تدل على لوط .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي عامر الهمداني ، عن الضحاك (كَانَتَا تَحْتِ عِبْدَ يَنْ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ) قال : ما بغت امرأة نبي قط (فَخَانَتَا هُمَا) قال : : في الدين خانتاهما . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ ، كَانَتَا تَحْتِ عِبْدَ يَنْ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) قال : كانت خيانتهمأ أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، فكان ذلك من أمرها ؛ وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطا أحد خبرت به أهل المدينة ممن يعمل سوء (فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن أبي سعيد ، أنه سمع عكرمة يقول في هذه الآية (فَخَانَتَاهُمَا) قال : في الدين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله (كَانَتَا تَحْتِ عِبْدَ يَنْ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) قال : وكانت خيانتهمأ أنهما كانتا مشركتين . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك (فَخَانَتَاهُمَا) قال : كانتا مخالفتين دين النبي صلى الله عليه وسلم كافرتين بالله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، قال : سألت سعيد بن جبير : ما كانت خيانة امرأة لوط وامرأة نوح ؟ فقال : أما امرأة لوط ، فإنها كانت تدل على الأضياف ؛ وأما امرأة نوح فلا علم لي بها .

وقوله (فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) يقول : فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لما هاجبهما على خيانتهمأ أزواجهما شيئا ، ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ) . . . الآية ، هاتان زوجتا نبيي الله لما عصتا ربهما ، لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ) . . . الآية ، قال : يقول الله : لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئا ، وامرأة فرعون لم يضرها كفر فرعون .
وقوله (وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ) قال الله لهما يوم القيامة : ادخلا أيها المرأتان نار جهنم مع الداخلين فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾

* يقول تعالى ذكره : وضرب الله مثلا للذين صدقوا الله ووحده ، امرأة فرعون التي آمنت بالله ووحده ، وصدقت رسوله موسى ، وهي تحت عدو من أعداء الله كافر ، فلم يضرها كفر زوجها ، إذ كانت مؤمنة بالله ، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن لكل نفس ما كسبت ، إذ قالت : (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) ، فاستجاب الله لها فبنى لها بيتا في الجنة .

كما حدثني إسماعيل بن حفص الأيلي^١ ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس . فإذا انصرف عنها أظلمت الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها في الجنة .

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، قال : قال سلمان : كانت امرأة فرعون ، فذكر نحوه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائي ، قال : ثنا القاسم بن أبي بزة ، قال : كانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال : غلب موسى وهارون ، فتقول : آمنت برب موسى وهارون ، فأرسل إليها فرعون ، فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضت على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته ؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء ، فأبصرت بيتها في السماء ، فمضت على قولها ، فأنزع الله روحها ، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ) وكان أعنى أهل الأرض على الله ، وأبعده من الله ، فوالله ما ضرت امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ، لتعلموا أن الله حكم عدل ، لا يؤاخذ عبده إلا بدينه .
وقوله (وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) وتقهل : وأنقذني من عذاب فرعون ، ومن أن أعمل عمله ، وذلك كفره بالله .

(١) بهزة ، ثم موحدة مضمومتين ، نسبه إلى الأيلة .

وقوله (وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) تقول : وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك ،
ومن عذابهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ
رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظُّلُمَاتُ ۝

❦ يقول تعالى ذكره : (وَصَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا) (مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ
فَرْجَهَا) يقول : التي منعت جيب درعها جبريل عليه السلام ، وكل ما كان في الدرع من خرق أو فتق ،
فإنه يسمى فَرْجًا ، وكذلك كل صدع وشق في حائط ، أو فرج سقف فهو فرج .

وقوله (فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) يقول : فنفخنا فيه في جيب درعها ، وذلك فرجها ، من روحنا
من جبرئيل ، وهو الروح .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا)
فنفخنا في جيبها من روحنا (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) يقول : آمنت بعبسى ، وهو كلمة الله (وَكُتِبَ)
بمعنى التوراة والإنجيل (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) يقول : وكانت من القوم المطيعين .
كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنَ الْقَانِتِينَ) من المطيعين .

آخر تفسير سورة التحريم

تم الجزء الثامن والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

ويليه الجزء التاسع والعشرون

وأوله : تفسير سورة الملك

جَامِعُ الْبَيَانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣١٠ هـ

الجزء التاسع والعشرون

دار الفکر

فهارس الجزء التاسع والعشرون

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

-
- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية .

١ - فهرس الآيات

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|-------|---|--------|-------|--|--------|
| | تفسير سورة الملك | | | | |
| ١ | تبارك الذي بيده الملك . . . | ١ | ٢٤ | قل هو الذي ذرأكم في الأرض . . . | ١١ |
| ٢ | الذي خلق الموت والحياة . . . | ١ | ٢٥ | ويقولون متى هذا الوعد . . . | ١١ |
| ٣ | الذي خلق سبع سموات طباقا . . . | ٢ | ٢٦ | قل إنما العلم عند الله . . . | ١١ |
| ٤ | ثم ارجع البصر كرتين . . . | ٢ | ٢٧ | فلما رأوه زُلْفَةً سيئت وجوه . . . | ١١ |
| ٥ | ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح . . . | ٣ | ٢٨ | قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي . . . | ١٢ |
| ٦ | وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم . . . | ٤ | ٢٩ | قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا . . . | ١٣ |
| ٧ | إذا أُلْقُوا فيها سمعوا لها شقيقا . . . | ٤ | ٣٠ | قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا . . . | ١٣ |
| ٨ | تكاد تميز من الغيظ . . . | ٤ | | تفسير سورة ن | |
| ٩ | قالوا بلى قد جاءنا نذير . . . | ٤ | ١ | ن والقلم وما يسطرون . | ١٤ |
| ١٠ | وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل . . . | ٥ | ٢ | ما أنت بنعمة ربك بمجنون . | ١٤ |
| ١١ | فاعترفوا بذنوبهم . . . | ٥ | ٣ | وإن لك لأجرا غير ممنون . . | ١٤ |
| ١٢ | إن الذين يخشون ربهم بالغيب . . . | ٦ | ٤ | وإنك لعلی خلق عظیم . | ١٨ |
| ١٣ | وأسرؤا قولكم أو اجهروا به . . . | ٦ | ٥ | فستبصر ويبصرون . | ١٨ |
| ١٤ | ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . | ٦ | ٦ | بأيكم المفتون . | ١٨ |
| ١٥ | هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا . . . | ٦ | ٧ | إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله . . . | ١٨ |
| ١٦ | أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم . . . | ٧ | ٨ | فلا تطع المكذبين . | ٢١ |
| ١٧ | أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم . . . | ٧ | ٩ | ودُّوا لو تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ . | ٢١ |
| ١٨ | ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف . . . | ٨ | ١٠ | ولا تطع كل حلاف مهين . | ٢١ |
| ١٩ | أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات . . . | ٨ | ١١ | هَمَّازٌ مَشَاءٌ بَنَمٍ . | ٢١ |
| ٢٠ | أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم . . . | ٨ | ١٢ | مَنَاعٌ لِاخْيَافِ مَعْتَدٍ أَثِيمٍ | ٢٣ |
| ٢١ | أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك . . . | ٩ | ١٣ | عُتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . | ٢٣ |
| ٢٢ | أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى . . . | ٩ | ١٤ | أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . | ٢٧ |
| ٢٣ | قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع . . . | ١٠ | ١٥ | إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . | ٢٧ |
| | | | ١٦ | سَنَسْمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ . | ٢٧ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|-------|--|--------|--------------------------|--|--------|
| ١٧ | إنا بَلَدُونَاهُمْ كما بَلَدْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ . . . | ٢٩ | ٤٥ | وَأَمْسِيْ لَهُمْ إِنْ كَيْدِيْ مَتِيْن . | ٤٣ |
| ١٨ | وَلَا يَسْتَنْوْنَ . | ٢٩ | ٤٦ | أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ . | ٤٤ |
| ١٩ | فَطَافَ عَلَيْهِمْ طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ . . . | ٣٠ | ٤٧ | أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ . | ٤٤ |
| ٢٠ | فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ . | ٣٠ | ٤٨ | فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبٍ . . . | ٤٤ |
| ٢١ | فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ . | ٣١ | ٤٩ | لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ . . . | ٤٤ |
| ٢٢ | أَنْ اغْدُوا عَلَى نَحْرَتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ . | ٣١ | ٥٠ | فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . | ٤٥ |
| ٢٣ | فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ . | ٣١ | ٥١ | وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ . . . | ٤٥ |
| ٢٤ | أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ . | ٣١ | ٥٢ | وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . | ٤٥ |
| ٢٥ | وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ . | ٣١ | <u>تفسير سورة الحاقة</u> | | |
| ٢٦ | فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لُضَالُونَ . | ٣٤ | | | |
| ٢٧ | بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ . | ٣٤ | ١ | الحاقة . | ٤٧ |
| ٢٨ | قَالَ أَوْسَطُهُمْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ | ٣٤ | ٢ | ما الحاقة . | ٤٧ |
| ٢٩ | قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ هَذَا إِلَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . | ٣٥ | ٣ | وما أدراك ما الحاقة . | ٤٧ |
| ٣٠ | فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ . | ٣٥ | ٤ | كذبت ثمود وعاد بالقارعة . | ٤٧ |
| ٣١ | قَالُوا : يَا وَيْلَتَنَا إِنْ هَذَا إِلَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . | ٣٥ | ٥ | فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . | ٤٨ |
| ٣٢ | عسى رَبَّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا . . . | ٣٦ | ٦ | وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . | ٤٨ |
| ٣٣ | كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ . . . | ٣٦ | ٧ | سنقرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوساً . | ٤٨ |
| ٣٤ | إِنْ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ . | ٣٦ | ٨ | فهل ترى لهم من باقية . | ٤٨ |
| ٣٥ | أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . | ٣٦ | ٩ | وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات . . . | ٥٢ |
| ٣٦ | مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . | ٣٦ | ١٠ | فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية | ٥٢ |
| ٣٧ | أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ . | ٣٧ | ١١ | إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية . | ٥٢ |
| ٣٨ | إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخِيرُونَ . | ٣٧ | ١٢ | لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية | ٥٢ |
| ٣٩ | أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْقَعَةِ . . . | ٣٧ | ١٣ | فإذا نفّسنا في الصور نفخة واحدة . | ٥٦ |
| ٤٠ | سَلَامٌ أَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ . | ٣٧ | ١٤ | وُحِّلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ . . . | ٥٦ |
| ٤١ | أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ نَلِيَاتُوا بِشُرَكَائِهِمْ . . . | ٣٧ | ١٥ | فيومئذ وقعت الواقعة . | ٥٦ |
| ٤٢ | يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ . . . | ٣٨ | ١٦ | وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . | ٥٧ |
| ٤٣ | خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْدَقُهُمْ ذَلَّةٌ . . . | ٣٨ | ١٧ | والملاك على أرجائها ويحمل . . . | ٥٧ |
| ٤٤ | فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ . . . | ٤٣ | ١٨ | يومئذ تُحْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ . | ٥٧ |
| | | | ١٩ | فأما من أوتى كتابه يمينه . . . | ٦٠ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|-------|---------------------------------------|--------|--------------------|--|--------|
| ٢٠ | إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه . | ٦٠ | ٤٨ | ولانه لتذكرة للمتقين . | ٦٧ |
| ٢١ | فهو في عيشة راضية . | ٦١ | ٤٩ | ولانا لنعلم أن منكم مكذبين . | ٦٨ |
| ٢٢ | في جنة عالية . | ٦١ | ٥٠ | ولانه لحسرة على الكافرين . | ٦٨ |
| ٢٣ | قُطُوفها دانية . | ٦١ | ٥١ | ولانه لحق اليقين . | ٦٨ |
| ٢٤ | كلوا واشربوا هنيئا . . . | ٦١ | ٥٢ | فسبح باسم ربك العظيم . | ٦٨ |
| ٢٥ | وأما من أوتى كتابه بشماله . . . | ٦٢ | تفسير سورة المعارج | | |
| ٢٦ | ولم أدر ما حسابيه . | ٦٢ | ١ | سأل سائل بعذاب واقع . | ٦٩ |
| ٢٧ | بآلتها كانت القاضية . | ٦٢ | ٢ | للكافرين ليس له دافع . | ٦٩ |
| ٢٨ | ما أغنى عني ماليه . | ٦٢ | ٣ | من الله ذي المعارج . | ٦٩ |
| ٢٩ | هلك عني سلطانيه . | ٦٢ | ٤ | تخرج الملائكة والروح إليه . . . | ٦٩ |
| ٣٠ | خذوه فغلوه . | ٦٢ | ٥ | فاصبر صبرا جميلا . | ٦٩ |
| ٣١ | ثم الجحيم صلّوه . | ٦٢ | ٦ | لأنهم يرونه بعيدا . | ٧٢ |
| ٣٢ | ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه | ٦٢ | ٧ | ونراه قريبا . | ٧٢ |
| ٣٣ | إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . | ٦٢ | ٨ | يوم تكون السماء كالمُهْل . | ٧٢ |
| ٣٤ | ولا يحضُّ على طعام المسكين . | ٦٤ | ٩ | وتكون الجبال كالعهن . | ٧٢ |
| ٣٥ | فليس له اليوم هاهنا حميم . | ٦٤ | ١٠ | ولا يسأل حميم حميا . | ٧٢ |
| ٣٦ | ولا طعام إلا من غَسْلين . | ٦٤ | ١١ | يُبَصَّرُونَهُمْ يَوْدُ الْمُجْرِم . . . | ٧٢ |
| ٣٧ | لا يأكله إلا الخاطئون . | ٦٤ | ١٢ | وصاحبه وأخيه . | ٧٤ |
| ٣٨ | فلا أقسم بما تبصرون . | ٦٥ | ١٣ | وفصيلته التي تُؤويه . | ٧٤ |
| ٣٩ | وما لا تبصرون . | ٦٥ | ١٤ | ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه . | ٧٤ |
| ٤٠ | إنه لقول رسول كريم . | ٦٥ | ١٥ | كلا إنها لَظَى . | ٧٥ |
| ٤١ | وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . | ٦٥ | ١٦ | نزاعة للشوى . | ٧٥ |
| ٤٢ | ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . | ٦٥ | ١٧ | تدعو من أدبر وتولى . | ٧٥ |
| ٤٣ | تنزيل من رب العالمين . | ٦٦ | ١٨ | وجمع فأوعى . | ٧٥ |
| ٤٤ | ولو تقول علينا بعض الأقاويل . | ٦٦ | ١٩ | إن الإنسان خلق هلوعا . | ٧٨ |
| ٤٥ | لأخذنا منه باليمين . | ٦٦ | ٢٠ | إذا مسه الشر جزوعا . | ٧٨ |
| ٤٦ | ثم لقطعنا منه الوتين . | ٦٦ | ٢١ | وإذا مسه الخير منوعا . | ٧٨ |
| ٤٧ | فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين . | ٦٧ | ٢٢ | إلا المصلين . | ٧٨ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|----------------|--|--------|-----------------|---|--------|
| ٢٣ | الذين هم على صلاتهم دائمون . | ٧٨ | ٥ | قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهار . | ٩٢ |
| ٢٤ | والذين في أموالهم حق معلوم . | ٨٠ | ٦ | فلم يزدكم دعائي إلا فرارا . | ٩٢ |
| ٢٥ | للسائل والمحروم . | ٨٠ | ٧ | وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم . . . | ٩٢ |
| ٢٦ | والذين يصدقون بيوم الدين . | ٨٠ | ٨ | ثم إني دعوتهم بنهارا . | ٩٣ |
| ٢٧ | والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . | ٨٠ | ٩ | ثم إني أعلنت لهم . . . | ٩٣ |
| ٢٨ | إن عذاب ربهم غير مأمون . | ٨٠ | ١٠ | فقلت استغفروا ربكم . . . | ٩٣ |
| ٢٩ | والذين هم لفروجهم حافظون . | ٨٣ | ١١ | يرسل السماء عليكم مدرارا . | ٩٣ |
| ٣٠ | إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم . . . | ٨٣ | ١٢ | ويمددكم بأموال وبنين . . . | ٩٤ |
| ٣١ | فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . | ٨٣ | ١٣ | مالكم لا ترجون لله وقارا . | ٩٤ |
| ٣٢ | والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . | ٨٤ | ١٤ | وقد خلقكم أطوارا . | ٩٤ |
| ٣٣ | والذين هم بشهاداتهم قائمون . | ٨٤ | ١٥ | ألم تروا كيف خلق الله . . . | ٩٦ |
| ٣٤ | والذين هم على صلاتهم يحافظون . | ٨٤ | ١٦ | وجعل القمر فيهن نورا . . . | ٩٦ |
| ٣٥ | أولئك في جنات مكرمون . | ٨٤ | ١٧ | والله أنبتكم من الأرض نباتا . | ٩٦ |
| ٣٦ | فما للذين كفروا قبلك مهطعين . | ٨٤ | ١٨ | ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا . | ٩٦ |
| ٣٧ | عن اليمين وعن الشمال عزين . | ٨٤ | ١٩ | والله جعل لكم الأرض بساطا . | ٩٧ |
| ٣٨ | أيطمع كل امرئ منهم . . . | ٨٤ | ٢٠ | لتسلكوا منها سبلا فجاجا . | ٩٧ |
| ٣٩ | كلا إنا خلقناهم مما يعلمون . | ٨٤ | ٢١ | قال نوح رب إنهم عصوني . . . | ٩٧ |
| ٤٠ | فلا أقسم برب المشارق والمغارب . . . | ٨٧ | ٢٢ | ومكروا مكرا كبارا . | ٩٧ |
| ٤١ | على أن نبدل خيرا منهم . . . | ٨٧ | ٢٣ | وقالوا لا تذرنا آلهتكم . . . | ٩٨ |
| ٤٢ | فذرهم يخوضوا ويلعبوا . . . | ٨٧ | ٢٤ | وقد أضلوا كثيرا . . . | ٩٨ |
| ٤٣ | يوم يخرجون من الأجداث . . . | ٨٨ | ٢٥ | مما خطيئاتهم أغرقوا . . . | ١٠٠ |
| ٤٤ | خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . . . | ٨٨ | ٢٦ | وقال نوح رب لا تذر على الأرض . . . | ١٠٠ |
| تفسير سورة نوح | | | ٢٧ | إنك إن تذرهم يضلوا عبادك . . . | ١٠٠ |
| ١ | إنا أرسلنا نوحا إلى قومه . . . | ٩٠ | ٢٨ | رب اغفر لي ولوالدي . . . | ١٠٠ |
| ٢ | قال يا قوم إني لكم نذير مبين . | ٩٠ | تفسير سورة الجن | | |
| ٣ | أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون | ٩٠ | ١ | قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن . . . | ١٠٢ |
| ٤ | يغفر لكم من ذنوبكم . . . | ٩٠ | ٢ | يهدى إلى الرشدا فآمنا به . . . | ١٠٢ |
| | | | ٣ | وأنه تعالى جد ربنا . . . | ١٠٢ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|-------------------|---|--------|-------------------|---|--------|
| ٤ | وأنه كان يقول سفيها على الله . . . ١٠٧ | ١٠٧ | ٣ | نصفه أو إنقص منه قليلا . | ١٢٥ |
| ٥ | وأنا ظننا أن لن تقول الإنس . . . ١٠٧ | ١٠٧ | ٤ | أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا . | ١٢٥ |
| ٦ | وأنه كان رجال من الإنس . . . ١٠٧ | ١٠٧ | ٥ | إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا . | ١٢٧ |
| ٧ | وأنهم ظنوا كما ظننتم . . . ١١٠ | ١١٠ | ٦ | إن ناشئة الليل هي أشد وطئا . . . ١٢٧ | ١٢٧ |
| ٨ | وأنا لمسنا السماء فوجدنا هاهنا حَرَ ساء . . . ١١٠ | ١١٠ | ٧ | إن لك في النهار سبعا طويلا . | ١٢٧ |
| ٩ | وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع . . . ١١٠ | ١١٠ | ٨ | واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا . | ١٣٢ |
| ١٠ | وأنا لا ندرى أشرأريد بمن في الأرض . . . ١١٠ | ١١٠ | ٩ | رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو . . . ١٣٢ | ١٣٢ |
| ١١ | وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك . . . ١١١ | ١١١ | ١٠ | واصبر على ما يقولون واهجرهم . . . ١٣٢ | ١٣٢ |
| ١٢ | وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض . . . ١١١ | ١١١ | ١١ | وذرني والمكذبين أولى النعمة . . . ١٣٤ | ١٣٤ |
| ١٣ | وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به . . . ١١١ | ١١١ | ١٢ | إن لدينا أنكالا وجميها . | ١٣٤ |
| ١٤ | وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون . . . ١١٣ | ١١٣ | ١٣ | وطعاما ذا غصة وعذابا أليما . | ١٣٤ |
| ١٥ | وأما القاسطون فكانوا لجهنم خطبا . | ١١٣ | ١٤ | يوم ترجف الأرض والجبال . . . ١٣٥ | ١٣٥ |
| ١٦ | وأن لو استقاموا على الطريقة . . . ١١٤ | ١١٤ | ١٥ | إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم | ١٣٦ |
| ١٧ | لنفتنهم فيه، ومن يعرض عن ذكر ربه . . . ١١٤ | ١١٤ | ١٦ | فعصى فرعون الرسول . . . ١٣٦ | ١٣٦ |
| ١٨ | وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا . . . ١١٦ | ١١٦ | ١٧ | فكيف تتقون إن كفرتم . . . ١٣٧ | ١٣٧ |
| ١٩ | وأنه لما قام عبد الله يدعوه . . . ١١٦ | ١١٦ | ١٨ | السماء منفطر به كان وعده مفعولا . | ١٣٧ |
| ٢٠ | قل إنما أدعو ربي . . . ١١٩ | ١١٩ | ١٩ | إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ . | ١٣٩ |
| ٢١ | قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا . | ١١٩ | ٢٠ | إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى . . . ١٣٩ | ١٣٩ |
| ٢٢ | قل إني لن يجيرني من الله أحد . . . ١١٩ | ١١٩ | تفسير سورة المدثر | | |
| ٢٣ | إلا بلاغا من الله ورسالاته . . . ١٢٠ | ١٢٠ | | | |
| ٢٤ | حتى إذا رآوا ما يوعدون . . . ١٢٠ | ١٢٠ | ١ | يا أيها المدثر . | ١٤٢ |
| ٢٥ | قل إن أدرى أقرب ما توعدون . . . ١٢١ | ١٢١ | ٢ | قم فأنذر . | ١٤٢ |
| ٢٦ | عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . | ١٢١ | ٣ | وربك فكبر . | ١٤٢ |
| ٢٧ | إلا من ارتضى من رسول . . . ١٢١ | ١٢١ | ٤ | وثيابك فطهر . | ١٤٢ |
| ٢٨ | ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم . . . ١٢١ | ١٢١ | ٥ | والرُّجُز فاهجر . | ١٤٢ |
| تفسير سورة المزمل | | | ٦ | ولا تمنن تستكثر . | ١٤٢ |
| | | | ٧ | ولربك فاصبر . | ١٤٢ |
| ١ | يا أيها المزمل . | ١٢٤ | ٨ | فلإذا نُقِر في الناقور . | ١٥٠ |
| ٢ | قم الليل إلا قليلا . | ١٢٤ | ٩ | فذلك يومئذ يوم عسير . | ١٥٠ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|-------|--|--------|--------------------|-----------------------------------|--------|
| ١٠ | حلى الكافر بن غير يسير . | ١٥٠ | ٣٨ | كل نفس بما كسبت رهينة . | ١٦٤ |
| ١١ | ذرفى ومن خلقت وحيدا . | ١٥٠ | ٣٩ | إلا أصحاب اليمين . | ١٦٤ |
| ١٢ | وجعلت له مالا ممدودا . | ١٥٠ | ٤٠ | فى جنات يتساءلون . | ١٦٤ |
| ١٣ | وبنين شهودا . | ١٥٤ | ٤١ | عن المجرمين . | ١٦٤ |
| ١٤ | ومهدت له تمهيدا . | ١٥٤ | ٤٢ | ما سلككم فى سقر . | ١٦٤ |
| ١٥ | ثم يطعم أن أزيد . | ١٥٤ | ٤٣ | قالوا لم نك من المصلين . | ١٦٤ |
| ١٦ | كلا إنه كان لآياتنا عنيدا . | ١٥٤ | ٤٤ | ولم نك نطعم المسكين . | ١٦٤ |
| ١٧ | سأرهقه صعودا . | ١٥٤ | ٤٥ | وكنا نخوض مع الخائضين . | ١٦٤ |
| ١٨ | إنه فكّر وقدّر . | ١٥٥ | ٤٦ | وكنا نكذب بيوم الدين . | ١٦٦ |
| ١٩ | فقتل كيف قدر . | ١٥٥ | ٤٧ | حتى أتانا اليقين . | ١٦٦ |
| ٢٠ | ثم قتل كيف قدر . | ١٥٥ | ٤٨ | فما تنفعهم شفاعة الشافعين . | ١٦٦ |
| ٢١ | ثم نظر . | ١٥٥ | ٤٩ | فما لهم عن التذكرة معرضين . | ١٦٦ |
| ٢٢ | ثم عبس وبسّر . | ١٥٥ | ٥٠ | كأنهم حمر مستنفرة . | ١٦٨ |
| ٢٣ | ثم أدبر واستكبر . | ١٥٦ | ٥١ | فرت من قسورة . | ١٦٨ |
| ٢٤ | فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . | ١٥٦ | ٥٢ | بل يريد كل امرئ منهم . . . | ١٦٨ |
| ٢٥ | إن هذا إلا قول البشر . | ١٥٦ | ٥٣ | كلا بل لا يخافون الآخرة . | ١٦٨ |
| ٢٦ | سأصليه سقّر . | ١٥٨ | ٥٤ | كلا إنه تذكرة . | ١٧١ |
| ٢٧ | وما أدراك ما سقر . | ١٥٨ | ٥٥ | فمن شاء ذكره . | ١٧١ |
| ٢٨ | لا تبتغى ولا تدر . | ١٥٨ | ٥٦ | وما يذكرون إلا أن يشاء الله . . . | ١٧١ |
| ٢٩ | لواحة للبشر . | ١٥٨ | تفسير سورة القيامة | | |
| ٣٠ | عليها تسعة عشر . | ١٥٨ | ١ | لا أقسم بيوم القيامة . | ١٧٢ |
| ٣١ | وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . . . | ١٥٨ | ٢ | ولا أقسم بالنفس اللوامة . | ١٧٢ |
| ٣٢ | كلا والقمر . | ١٦٢ | ٣ | أيحسب الإنسان أن لن نجعله عظامه . | ١٧٢ |
| ٣٣ | والليل إذا دبر . | ١٦٢ | ٤ | بلى قادرين على أن نسوى بنانه . | ١٧٢ |
| ٣٤ | والصبح إذا أسفر . | ١٦٢ | ٥ | بل يريد الإنسان ليفجر أمامه . | ١٧٦ |
| ٣٥ | إنها لإحدى الكبر . | ١٦٢ | ٦ | يسأل أيا يوم القيامة . | ١٧٦ |
| ٣٦ | نذيرا للبشر . | ١٦٢ | ٧ | فلإذا برق البصر . | ١٧٦ |
| ٣٧ | لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر . | ١٦٢ | | | |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|-------|--|--------|-------------------------|---|--------|
| ٨ | وَحَسَفَ الْقَمَرُ . | ١٧٧ | ٣٨ | ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَعَلَقَ فَسَوَّى . | ٢٠١ |
| ٩ | وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ . | ١٧٧ | ٣٩ | فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى : ٢٠١ | ٢٠١ |
| ١٠ | يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ . | ١٧٧ | ٤٠ | أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى . ٢٠١ | ٢٠١ |
| ١١ | كَلَّا لَا وَزَرَ . | ١٧٧ | سورة هل أتى على الإنسان | | |
| ١٢ | إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ . | ١٧٧ | ١ | هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ... ٢٠٢ | ٢٠٢ |
| ١٣ | يَنْبِئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ . | ١٨٣ | ٢ | إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ أَمْشَاجٍ ... ٢٠٢ | ٢٠٢ |
| ١٤ | بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . | ١٨٣ | ٣ | إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ٢٠٦ | ٢٠٦ |
| ١٥ | وَلَوْ أَتَىٰ مَعَاذِيرَهُ . | ١٨٣ | ٤ | إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا ... ٢٠٦ | ٢٠٦ |
| ١٦ | لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . | ١٨٧ | ٥ | إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ... ٢٠٦ | ٢٠٦ |
| ١٧ | إِن عَلَيْنَا جُمُعَهُ وَقَرَّانَهُ . | ١٨٧ | ٦ | عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا ... ٢٠٦ | ٢٠٦ |
| ١٨ | فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قَرَّانَهُ . | ١٨٧ | ٧ | يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا ... ٢٠٨ | ٢٠٨ |
| ١٩ | ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ . | ١٨٧ | ٨ | وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشْكُونًا ... ٢٠٨ | ٢٠٨ |
| ٢٠ | كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . | ١٩١ | ٩ | إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ ... ٢٠٨ | ٢٠٨ |
| ٢١ | وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ . | ١٩١ | ١٠ | إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّسُوا قَمَطِيرًا . ٢١١ | ٢١١ |
| ٢٢ | وَجْوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . | ١٩١ | ١١ | فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ ... ٢١١ | ٢١١ |
| ٢٣ | إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ . | ١٩١ | ٢ | وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ... ٢١٣ | ٢١٣ |
| ٢٤ | وَوَجْوهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . | ١٩١ | ١٣ | مُتَكِّثِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا .. ٢١٣ | ٢١٣ |
| ٢٥ | تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ . | ١٩١ | ١٤ | وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا ... ٢١٤ | ٢١٤ |
| ٢٦ | كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . | ١٩٤ | ١٥ | وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ... ٢١٤ | ٢١٤ |
| ٢٧ | وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . | ١٩٤ | ١٦ | قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا . ٢١٦ | ٢١٦ |
| ٢٨ | وَضُنُّ أَنْهُ الْفِرَاقُ . | ١٩٤ | ١٧ | وَيَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ٢١٦ | ٢١٦ |
| ٢٩ | وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . | ١٩٤ | ١٨ | عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا . ٢١٦ | ٢١٦ |
| ٣٠ | إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ . | ١٩٩ | ١٩ | وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ... ٢٢٠ | ٢٢٠ |
| ٣١ | فَلَا صَدَقَ وَلَا صَدَّقَ . | ١٩٩ | ٢٠ | وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا . ٢٢٠ | ٢٢٠ |
| ٣٢ | وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى . | ١٩٩ | ٢١ | عَالِيهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ... ٢٢٢ | ٢٢٢ |
| ٣٣ | ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى . | ١٩٩ | ٢٢ | إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ ... ٢٢٣ | ٢٢٣ |
| ٣٤ | أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ . | ١٩٩ | ٢٣ | إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا . ٢٢٣ | ٢٢٣ |
| ٣٥ | ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ . | ١٩٩ | ٢٤ | فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ . ٢٢٣ | ٢٢٣ |
| ٣٦ | أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . | ١٩٩ | ٢٥ | وَإِذْ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّكَ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا . ٢٢٥ | ٢٢٥ |
| ٣٧ | أَلَمْ يَكْ نَظْفَةً مِنْ مَنًى يُمَسِّنِي . | ٢٠١ | | | |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة | الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|----------------------|---|--------|-------|---|--------|
| ٢٦ | ومن الليل فاسجد له . . . | ٢٢٥ | ٢٢ | إلى قَدَر معلوم . | ٢٣٤ |
| ٢٧ | إن هؤلاء يُحِبُّون العاجلة . . . | ٢٢٥ | ٢٣ | فقدَرنا فنعم القادرون . | ٢٣٥ |
| ٢٨ | نحن خلقناهم وشددنا أسرهم . . . | ٢٢٦ | ٢٤ | ويل يومئذ للمكذبين . | ٢٣٥ |
| ٢٩ | إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه . . . | ٢٢٦ | ٢٥ | ألم نجعل الأرض كفاتا . | ٢٣٦ |
| ٣٠ | وما تشاءون إلا أن يشاء الله . . . | ٢٢٧ | ٢٦ | أحياء وأمواتا . | ٢٣٦ |
| ٣١ | يُدْخِل من يشاء في رحمته . . . | ٢٢٧ | ٢٧ | وجعلنا فيها رواسيَ شامخات وأسقيناكم . . . | ٢٣٦ |
| <u>سورة المرسلات</u> | | | ٢٨ | ويل يومئذ للمكذبين . | ٢٣٦ |
| ١ | والمرسلات عرفا . | ٢٢٨ | ٢٩ | انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . | ٢٣٨ |
| ٢ | فالعاصفات عَصَفا . | ٢٢٨ | ٣٠ | انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب . | ٢٣٨ |
| ٣ | والناشرات نشرا . | ٢٢٨ | ٣١ | لا ظليل ولا يغني من اللهب . | ٢٣٩ |
| ٤ | فالفارقات فرقا . | ٢٢٨ | ٣٢ | إنها ترمى بشرر كالقصر . | ٢٣٩ |
| ٥ | فالمُلقيات ذكرا . | ٢٢٨ | ٣٣ | كأنه جمالات صفر . | ٢٣٩ |
| ٦ | عُدْرا أو نُذْرا | ٢٢٨ | ٣٤ | ويل يومئذ للمكذبين . | ٢٣٩ |
| ٧ | إنما توعدون لواقع . | ٢٣٣ | ٣٥ | هذا يوم لا ينطقون . | ٢٤٣ |
| ٨ | فإذا النجوم طُمِسَتْ . | ٢٣٣ | ٣٦ | ولا يؤذَن لهم فيعتذرون . | ٢ |
| ٩ | وإذا السماء فُرِجَتْ . | ٢٣٣ | ٣٧ | ويل يومئذ للمكذبين | ٢٤٣ |
| ١٠ | وإذا الجبال نُسِفَتْ . | ٢٣٣ | ٣٨ | هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . | ٢٤٣ |
| ١١ | وإذا الرسل أُتِّتَتْ . | ٢٣٣ | ٣٩ | فإن كان لكم كيدٌ فكيّدون . | ٢٤٣ |
| ١٢ | لأى يوم أُجِّلْت ؟ . | ٢٣٣ | ٤٠ | ويل يومئذ للمكذبين . | ٢٤٣ |
| ١٣ | ليوم الفصل . | ٢٣٣ | ٤١ | إن المتقين في ظلال وعيون . | ٢٤٤ |
| ١٤ | وما أدراك ما يوم الفصل ؟ | ٢٣٣ | ٤٢ | وفواكه مما يشتهون | ٢٤٤ |
| ١٥ | ويل يومئذ للمكذبين . | ٢٣٣ | ٤٣ | كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون | ٢٤٤ |
| ١٦ | ألم نهلك الأولين . | ٢٣٥ | ٤٤ | إنا كذلك نجزي المحسنين . | ٢٤٤ |
| ١٧ | ثم تبعهمُ الآخريين ؟ . | ٢٣٥ | ٤٥ | ويل يومئذ للمكذبين . | ٢٤٤ |
| ١٨ | كذلك نفعل بالْمُجْرِمِينَ . | ٢٣٥ | ٤٦ | كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون . | ٢٤٥ |
| ١٩ | ويل يومئذ للمكذبين . | ٢٣٥ | ٤٧ | ويل يومئذ للمكذبين . | ٢٤٥ |
| ٢٠ | ألم نخلقكم من ماء مهين ؟ . | ٢٣٥ | ٤٨ | وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون . | ٢٤٥ |
| ٢١ | فجعلناه في قرار مكين . | ٢٣٥ | ٤٩ | ويل يومئذ للمكذبين . | ٢٤٥ |
| | | | ٥٠ | فبأى حديث بعده يؤمنون . | ٢٤٦ |

٢ - فهرس الموضوعات

| الصحيفة | صحيفة |
|--|--|
| ٨٠ تأويل « والذين في أموالهم » . . . الآية ومعنى السائل والمحروم . | ١ سورة الملك |
| ٩٠ سورة نوح | ٣ ما خلقت النجوم لأجله . |
| ٩٦ نور الشمس والقمر يوجد في السموات . | ٦ تأويل « ألا يعلم من خلق » . . الآية، ومعنى مناكب الأرض . |
| ٩٨ الأسباب التي دعت المشركين إلى عبادة الأصنام . | ٩ مشى الكافر يوم القيامة على وجهه . |
| ١٠٢ سورة الجن | ١٤ سورة نـ |
| ١٠٨ ما كان يستعبد به أهل الجاهلية من الجن . | أول ما خلق الله . |
| ١١٠ ما كانت عليه السماء قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم . | ١٨ ما كان عليه خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . |
| ١١١ الجن فرق وطرائق . | ٢١ تأويل « فلا تطع المكذبين » ، ومن نزلت فيه هذه الآيات . |
| ١١٧ اجتماع الجن بالنبي صلى الله عليه وسلم . | ٢٩ أصحاب الجنة في قوله « كما بلونا أصحاب الجنة » |
| ١٢١ ما يعلمه الأنبياء من الغيب . | ٣٨ تأويل قوله « يوم يكشف عن ساق » . . الآية |
| ١٢٤ سورة المزمل | ٣٩ ما يمتحن به الخلق يوم القيامة من السجود . |
| ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من شدة العبادة . | ٤٦ ما قصده قريش من إزلاقه صلى الله عليه وسلم بالأبصار . |
| ١٢٧ ما كان يعثر النبي عند الوحى من ثقل الأعضاء . | ٤٧ سورة الحاقة |
| ١٢٩ ما في قيام الليل من فراغ القلب من شواغل الدنيا . | ٤٩ ما أهلك به ثمود وعاد . |
| ١٣٤ تأويل قوله « وذرنى والمكذبين » . وزمان نزول الآية . | ٥٤ قدر ارتفاع الماء في طوفان نوح . |
| ١٣٩ فرضية قيام الليل في أول الأمر وكيف كانوا يقسمون الليل وذكر فضيلة بعض الأذكار . | ٥٧ كيفية انشقاق السماء ، وحمل الملائكة للعرش . |
| | ٦٢ ما يفعل بالكافر في القيامة . |
| | ٦٣ قدر السلسلة التي يسلسل بها . |
| | ٦٩ سورة سأل سائل |
| | ٧٣ الحالة التي تكون السماء عليها يوم القيامة . |

| الصفحة | الصفحة |
|--|---|
| ١٨٠ اجتماع الشمس والقمر يوم القيامة . | ١٤٢ سورة المدثر |
| ١٨٧ ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي عليه من تمحيك شفثيه . | ١٤٣ أول آية أنزلت وما حصل للنبي عند نزول الوحي . |
| ١٩١ تأويل قوله « كلا بل تحبون العاجلة » . | ١٤٤ ذكر معنى تطهير الثياب والخلاف فيه ، والشواهد على ذلك . |
| ١٩٣ ما ورد في رؤية الله تعالى يوم القيامة . | ١٥٠ تأويل قوله « فإذا نقر في الناقور » . والناقور . |
| ٢٠٢ سورة هل أتى على الإنسان | ١٥٢ من أنزلت فيه هذه الآيات ، وهي قول الله تعالى « ذرني ومن خلقت وحيداً » . الخ . |
| ٢٠٨ تأويل « يوفون بالنذر » . وما كانوا عليه من بذل الصدقة . | ١٥٩ ذكر عدد الملائكة الموكلين بالنار وما قالته قريش في ذلك . |
| ٢١٥ أواني أهل الجنة وشرابهم . | ١٦٥ أصحاب الميمن من هم ، وأنهم لا يرهنون . |
| ٢٢٢ شراب أهل الجنة طهورية . | ١٧٢ سورة القيامة |
| ٢٢٣ ما رآه النبي ليلة الإسراء . | ١٧٣ المراد بالنفس اللوامة . |
| ٢٢٨ سورة المرسلات | |
| ٢٣٩ بيان كيفية دخان جهنم وشررها . | |

٣ - فهرس القوافي

| الصفحة | القافية | الصفحة | القافية | الصفحة | القافية |
|--------|---------------|--------|--------------|--------|--------------------------|
| | ع | ٢٥ | الفردُ | | ب |
| ١٤٥ | أَتَقَنَّعُ | ٢٩ | دَعْدُ | ٢١٩ | الصَّيْبُ |
| ٢٢٤ | رُبَّعُ | ٢٩ | يَبْدُو | ١٦٨ | لِغَرْبِ |
| ٢٢٤ | فَانْدَقَعُوا | ٣٣ | الْأَسَاوِدِ | ١٣٩ | السَّحَابِ |
| ٢٣ | جَدَّعَا | ١١٧ | لُبْدُ | ٤٥ | ثِيَابِي |
| ٢٣٦ | وَالصَّلَاةَا | ١٥٤ | العُنْدَا | ٢٢٨ | تَصُوبَا |
| ١٠٦ | مَدَّقَعَا | | ر | ١١٣ | عَقَابَهَا |
| ٢١٩ | وَمَصْرَعَا | ٢٨ | النَّجِيرُ | | ت |
| | ق | ١٨١ | الْفِرَارُ | ٧٦ | شَهَوَاتُهُ |
| ١٧٩ | فَبَرَقُ | ١٣٢ | أَوْتَارُ | | ج |
| ٤ | شَهَقُ | ٢٣٤ | اِفْتِقَارُ | | الْفَلَاحُ . بِالْفَرْجِ |
| ٤ | شَهَقُ | ٢١١ | قُمَاطِرُ | ٢٠ | مَشِيحُ |
| ٣٨ | سَاقُ | ١٥٦ | وَبُسُورُ | ٢٠٣ | نَتِيجُ |
| ١٠٦ | الْعَتِيقُ | ٢٤١ | وَأَحْجَارُ | ٢٠٧ | نَشَاجُ |
| ١٧٩ | العِشْرِيقُ | ١٨ | سَطَطَرَا | ٢٠٣ | أَمْشَاجُ |
| ١٧٩ | تَبَرَقُ | ٢٠٩ | مَسْطَطِيرَا | ٢٠٣ | سَارِحُ |
| ٢٢٧ | فَرَايُ | ٧٦ | الْجُزَارَةُ | | ح |
| ١٠٩ | رَهَقَا | ١٧٠ | الْقَسُورَةُ | ١٨١ | الصَّرَاحُ |
| | ل | | خ | ٤٢ | وَتَجَلَّدُ |
| ٣٠ | الرَّخَالُ | ٨٩ | أَوْفَاضُ | | د |
| ٩٥ | عَوَاسِيلُ | ٨٩ | مِيفَاضُ | | |
| | | ٨٩ | الإِضَاضُ | ٨٧ | |

الجزء التاسع والعشرون

| الصفحة | القافية | الصفحة | القافية | الصفحة | القافية |
|--------|----------------|--------|--------------|--------|---------------|
| | | ٣١ | صَرِيمُ | ١٠٥ | قُنْلا |
| | ن | ٣١ | غَيُومُ | ١٠٥ | سَجَالَا |
| ١٣٦ | مَتَفَيُّونُ | ٣٠ | الصَّرِيمِ | ٨٦ | فَلُولَا |
| ٣٣ | طِينُهَا | ١٧٦ | كَلَامِ | ٢٢٦ | مُخْتَلَا |
| ٢٢٠ | الْكُثْبَانِ | ١٩٨ | تَسَامِ | ٣٣ | الله |
| ٦٧ | الْوَتَيْنِ | ٢٥ | لَتِيمِ | ٣٣ | المُغْلَّة |
| ١٨٩ | جَنِينَا | ٢٠٨ | دَمِي | | |
| ١٠٦ | وَالْعَيُّونَا | ٩ | أَهْنِيَمَا | ٢ | |
| ٢٠٣ | شَنَّةُ | ٥٦ | غَنَمَاهُمَا | ٦٤ | بِالْأَكْسَمِ |

٤ - فهرس الأحاديث

| مطلع الحديث | الصفحة | مطلع الحديث | الصفحة |
|--|--------|---|--------|
| إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ... | ٤١ | خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله ... | ٨٠ |
| إذا مشيت أمتي المطيطاء. | ٢٠٠ | خلتان لا يحصيها رجل مسلم ... | ١٤٠ |
| اشتكت النار إلى ربها، فقالت رب ... | ٢١٤ | دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن متفرقون ... | ٨٦ |
| ﴿ أفن يمشي مكباً على وجهه ﴾ قال: ... | ١٠ | ﴿ سأرهقه صعوداً ﴾ قال هو جبل في النار ... | ١٥٥ |
| ﴿ أفن يمشي مكباً على وجهه أهدى ﴾ ... | ١٠ | سئل رسول الله ﷺ عن العُتْلُ الزنيم، قال ... | ٢٤ |
| أن رسول الله ﷺ بعث سرية، فغنموا، فجاء ... | ٨٢ | سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: إن الله أمرني ... | ٥٦ |
| أن النبي ﷺ بعث سرية، فغنموا وفتح عليهم ... | ٨٢ | سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: يا علي ... | ٥٦ |
| أن النبي ﷺ خرج عليهم وهم حلق ... | ٨٦ | الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين ... | ١٥٥ |
| أن النبي ﷺ قرء ﴿ إن لدينا أنكالا ﴾ ... | ١٣٥ | قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ ... | ٥٥ |
| أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه ... | ١٢٧ | كنت أشتري لرسول الله ﷺ حصيراً ... | ١٢٥ |
| إن أدنى أهل الجنة منزلة، كمن ينظر ... | ١٩٣ | كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ... | ١٥١ |
| إن أقدمهم لفي الأرض السابعة ... | ٥٩ | كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ... | ١٥١ |
| إن أول ما خلق الله خلق القلم ... | ١٦ | لما أنزل الله على نبيه ﴿ يا أيها المزمل ﴾ ... | ١٢٥ |
| إن أول ما خلق الله خلق القلم، فقال له ... | ١٦ | لما خلقهم الله قال: تدرون لم خلقتكم ... | ٥٩ |
| إن الله أذل ابن آدم بالموت. | ١ | لو أن رصاصة مثل هذه، وأشار إلى جمجمة ... | ٦٤ |
| إن من أمتي رجلاً يدخل الله بشفاعته ... | ١٦٧ | هم اليوم أربعة (يعني حلة العرش) ... | ٥٩ |
| أول شيء خلق الله خلق القلم ... | ١٦ | والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن ... | ٧٢ |
| بينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ... | ١٤٣ | يأخذ الله للمظلوم من الظالم ... | ٤١ |
| بينما أنا أمشي يوماً إذ رأيت ... | ١٤٣ | يؤذن للمؤمنين يوم القيامة في السجود ... | ٤٣ |
| تبكي السماء من عبد أصح الله جسمه ... | ٢٤ | يا أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون ... | ١٢٥ |
| جاء النبي ﷺ إلى ناس من أصحابه ... | ٨٦ | يا أيها الناس إن الله لا يمل حتى تملوا ... | ١٢٥ |
| جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى ... | ١٤٣ | يحملة اليوم أربعة، و يوم القيامة ثمانية ... | ٥٩ |
| حتى إن أحدهم ليلتف فيكشف عن ساق ... | ٤٠ | ينادي مناديه فيقول: ليلحق كل قوم ... | ٤١ |

(۶۷) سُورَةُ الْمُلْكِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَاءُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝

** يعنى بقوله تعالى ذكره : (تَبَارَكَ) : تعظيم وتعالى (الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) بيده مُلْكُ الدنيا والآخرة وسلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه من فعله مانع ، ولا يحول بينه وبينه عجز .

وقوله (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) فأما من شاء وما شاء ، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل . ملوم (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) يقول : ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع ، وإلى طلب رضاه أسرع .

وقد حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) قال : أذل الله ابن آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء ، وجعل الآخرة دار جزاء وية . .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ) ذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّ اللَّهَ أَذَلَّ ابْنَ آدَمَ بِالْمَوْتِ » . وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) يقول : وهو القوى الشديد انتقامه من عصاه ، وخالف أمره (الْغَفُورُ) ذنوب من أتاب إليه وتاب من ذنوبه

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ ۚ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿١٠﴾

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن صفته (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) طباقا فوق طبق ، بعضها فوق بعض .

وقوله (مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ) يقول جل ثناؤه : ما ترى في خلق الرحمن الذي خلق لافي سماء ولا في أرض ، ولا في غير ذلك من تفاوت ، يعني من اختلاف .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ) : ما ترى فيهم من اختلاف .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (مِن تَفَافُوتٍ) قال : من اختلاف .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (مِن تَفَافُوتٍ) بألف . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (مِن تَفَافُوتٍ) بتشديد الواو بغير ألف .
والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد ، كما قيل : وَلَا تُصَاعِرْ ، وَلَا تُصَعِّرْ ؛ وَتَعَهَّدْتَ فَلَانًا ، وَتَعَاهَدْتَهُ ؛ وَتَظَهَّرْتَ ، وَتَظَاهَرْتَ ؛ وَكَذَلِكَ التَّفَاوُتُ وَالتَّفَوُّتُ
وقوله (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ) يقول : فرد البصر ، هل ترى فيه من صدوع ؟ وهي من قول الله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) بمعنى يتشققن ويتصدعن ، والفُطُور مصدر فُطِر فُطُورًا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ) قال : الفطور : الوهي .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ) يقول : هل ترى من خلل يا ابن آدم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِن فُطُورٍ) قال : من خلل .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ) قال : من شقوق .

وقوله (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) يقول جل ثناؤه : ثم ردّ البصر يا ابن آدم كرتين ، مرة بعد أخرى ، فانظر (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) أو تفاوت (يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) يقول يرجع إليك بصرك صاغرا مُبْعَدًا من قولهم للكلب انخسأ : إذا طردوه : أي ابعد صاغرا (وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : وهو مُعْنَى كَالٍ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) يقول : هل ترى في السماء من (خَلَلٍ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) بسواد الليل .
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : ذليلاً . . . وقوله (وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : مرجف .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) أي حاسرا (وَهُوَ حَسِيرٌ) أي مُعْنَى .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (خَاسِئًا) قال : صاغرا ، (وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : مُعْنَى لم ير خَلَلًا وَلَا تَفَاوُتًا .
وقال بعضهم : الخاسي والحسير واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) . . . الآية ، قال : الخاسي والحاسر واحد ؛ حَسِرَ طرفه أن يرى فيها فُطُورًا ، فرجع وهو حسير قبل أن يرى فيها فُطُورًا ؛ قال : فإذا جاء يوم القيامة انفطرت ثم انشقت ، ثم جاء أمر أكبر من ذلك انكشطت .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾

* يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) وهي النجوم ، وجعلها مصابيح لإضاءتها وكذلك الصبح إنما قيل له صبح للضوء الذي يضيء للناس من النهار (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) يقول : وجعلنا المصابيح التي زيننا بها السماء الدنيا رجوما للشياطين تُرْجَمُ بها .
وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) إن الله جل ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : خلقها زينة للسماء

الدنيا ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن يتأول منها غير ذلك ، فقد قال برأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به .
وقوله (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) يقول جل ثناؤه : وأعتدنا للشياطين في الآخرة عذاب السعير ، تُسَعَّرُ عليهم فتُسَجَّر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿١١﴾

** يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) الذى خلقهم فى الدنيا (عَذَابُ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) يقول : وبئس المصير عذاب جهنم .
وقوله (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا) يعنى إذا ألقى الكافرون فى جهنم (سَمِعُوا لَهَا) يعنى لجهنم (شَهِيقًا) يعنى بالشهيق : الصوت الذى يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار ، كما قال رؤبة فى صفة حمار :
• حَشْرَجَ فى الجَوْفِ سَمِيلًا أَوْ شَهَقَ •
• حَتَّى يُقَالَ نَاهِقٌ وَمَا تَهَقُّ •

وقوله (وَهِيَ تَفُورُ) يقول : تغلى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ) يقول تغلى كما يغلى القدر .

القول فى تأويل قوله تعالى

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿١٢﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْشَأْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١٣﴾

(١) البيعان فى (ديوان رؤبة الراجز طبع ليبسج ١٠٦) وحشرج الحمار : قطع صوته وردده فى حلقه ، والسحيل : صوت إلى البهة يدور فى صدر الحمار ، وكذلك السعال بالضم . والشهيق : نهيق الحمار . والشهيق رد النفس ، والزفير إخراج النفس قال الله عز وجل فى صفة أهل النار : « لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ » قال الزجاج : الزفير والشهيق : من أصوات المكروبين قال : والزفير من شدة الأنين وقبحه . والشهيق : الألين الشديدة المرتفع جدا . قال : وزعم بعض أهل اللغة من البصريين والكوفيين : أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار من النهيق ، والشهيق : بمنزلة آخر صوته فى الشهيق . وروى عن الربيع فى قوله « لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ » قال : للزفير فى الحلق ، والشهيق فى الصدر (اللسان : شهيق) .

❖ يقول تعالى ذكره (تَكَادُ) جهنم (تَمَيِّزُ) يقول : تتفرق وتتقطع (مِنْ الْغَيْظِ) على أهلها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنْ الْغَيْظِ) يقول : تتفرق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنْ الْغَيْظِ) تكاد يفارق بعضها بعضها وتنفطر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنْ الْغَيْظِ) يقول : تفرق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنْ الْغَيْظِ) قال : التميز : التفرق من الغيظ على أهل معاصي الله غضبا لله ، وانتقاما له .

وقوله (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ) يقول جل ثناؤه : كلما أُلقي في جهنم جماعة سألهم (خَزَنَتُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) يقول : سأل الفوج خزنة جهنم ، فقالوا لهم ألم يأتكم في الدنيا نذير ينذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه ؟ فأجابهم المساكين (فَقَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ) ينذرنا هذا ، (فَكَذَّبْنَا) هُ (وَقُلْنَا) له (مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) يقول في ذهاب عن الحق بعيد

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝

❖ يقول تعالى ذكره : وقال الفوج الذي أُلقي في النار للخزنة (لَوْ كُنَّا) في الدنيا (نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ) من النذر ما جاءونا به من النصيحة ، أو نعقل عنهم ما كانوا يدعوننا إليه (مَا كُنَّا) اليوم (فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) يعني أهل النار .

وقوله (فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ) يقول : فأقرّوا بذنبهم ووحّد الذنب ، وقد أضيف إلى الجمع ، لأن فيه معنى فعل ، فأدّى الواحد عن الجمع ، كما يقال : خرج عطاء الناس ، وأعطية الناس (فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) يقول : فبُعدا لأهل النار .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَسُحُّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) يقول : بُعدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير (فَسُحُّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) قال : سُحُّقًا واد في جهنم ، والقراء على تخفيف الحاء من السُّحُّق ، وهو الصواب عندنا لأن الفصيح من كلام العرب ذلك ، ومن العرب من يحرّكها بالضم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٧﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٨﴾

* يقول تعالى ذكره : إن الذين يخافون ربهم بالغيب : يقول : وهم لم يروه (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول لهم عفو من الله عن ذنوبهم (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) يقول : وثواب من الله لهم على خشيتهم إياه بالغيب جزيل . وقوله (وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ) يقول جلّ ثناؤه : وأخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهروه (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول : إنه ذو علم بضمائر الصدور التي لم يُتَكَلَّمْ بها ، فكيف بما نطق به وتكلم به ، أخفى ذلك أو أعلن ، لأن من لم تخف عليه ضمائر الصدور فغيرها أخرى أن لا يخفى عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٩﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿٢٠﴾

* يقول تعالى ذكره (أَلَا يَعْلَمُ) (هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا) يقول تعالى ذكره : الله الذي جعل لكم الأرض ذُلُولًا سَهْلًا ، سَهْلًا لكم (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) .

واختلف أهل العلم في معنى (مَنَاكِبِهَا) فقال بعضهم : مَنَاكِبُهَا : جبالها .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِي مَنَاكِبِهَا) يقول : جبالها .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية (فامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) فقال لجارية له : إن دَرَيْتُ ما مَنَاكِبُهَا ، فأنت حرّة لوجه الله ، قالت : فإن مَنَاكِبُهَا : جبالها ، فكأنما سُفِّعَ في وجهه ، ورغب في جاريته : فسأل منهم من أمره ، ومنهم من نهاه ، فسأل أبا الدرداء ، فقال : الخير في طمأنينة ، والشر في ريبة ، فندّر ما يربيك إلى ما لا يربيك .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبي ، عن قتادة ، عن بشير بن كعب ، بمثله سواء .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) : جبالها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فِي مَنَاكِبِهَا) قال : في جبالها .

وقال آخرون : (مَنَاكِبِهَا) : أطرافها ونواحيها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (فامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) يقول : امشوا في أطرافها .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد ، عن قتادة ، أن بشير بن كعب العدوي ، قرأ هذه الآية (فامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) فقال لجاريته : إن أخبرتني ما مَنَاكِبُهَا ، فأنت حرّة ، فقالت : نواحيها فأراد أن يتزوجها ، فسأل أبا الدرداء ، فقال : إن الخير في طمأنينة ، وإن الشر في ريبة ، فدع ما يربيك إلى ما لا يربيك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) قال : طرقها وفجاجها .

** وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال : معنى ذلك : فامشوا في نواحيها وجوانبها وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافه .

وقوله (وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ) يقول : وكلوا من رزق الله الذي أخرجكم لكم من مناكب الأرض ، (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) يقول تعالى ذكره : وإلى الله نشركم من قبوركم .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴾ ﴿١٥﴾ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٦﴾

** يقول تعالى ذكره : (أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ) أيها الكافرون (أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) فإذا هي تَمُورُ يقول : فإذا الأرض تذهب بكم وتجيء وتضطرب (أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ) وهو الله

(أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) وهو التراب فيه الحصباء الصغار (فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ)
يقول : فستعلمون أيها الكفرة كيف عاقبة نذيري لكم ، إذ كذبتُم به ، ورددتموه على رسولي .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

• يقول تعالى ذكره : ولقد كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قرش من الأمم الخالية رسلكم .
(فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول : فكيف كان نكيرى تكذيبهم إياهم (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ) يقول : أو لم ير هؤلاء المشركون إلى الطير فوقهم صافات أجنحتهن (وَيَقْبِضْنَ) يقول : ويقبضن أجنحتهن أحيانا . وإنما عني بذلك أنها تتصّف أجنحتها أحيانا ، وتقبض أحيانا .
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (صَافَّاتٍ) قال : الطير بصف جناحه كما رأيت ، ثم يقبضه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ) بسطهن أجنحتهن وقبضهن .

وقوله (مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ) يقول : ما يمسك الطير الصافات فوقكم إلا الرحمن : يقول : فلهم بذلك مذكر إن ذكروا ، ومعتبر إن اعتبروا ، يعلمون به أن ربهم واحد لا شريك له (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) يقول : إن الله بكل شيء ذو بصير وخبرة ، لا يدخل تدبيره خلل ، ولا يرى فى خلقه تفاوت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾

• يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : من هذا الذى هو جند لكم أيها الكافرون به ، ينصركم من دون الرحمن إن أراد بكم سوءا ، فيدفع عنكم ما أراد بكم من ذلك (إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) يقول تعالى ذكره : ما الكافرون بالله إلا فى غرور من ظنهم أن آلهتهم تقربهم إلى الله زلفى ، وأنها تنفع أو تنصر .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي بَرَزَ فُكْرُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿١١﴾

* يقول تعالى ذكره : أم من هذا الذي يطعمكم ويسقيكم ، ويأتى بأقواتكم إن أمسك بكم رزقه الذي يرزقه عنكم :

وقوله (بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) يقول : بل تمادوا في طغيان ونفور عن الحق واستكبار .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) يقول : في ضلال .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) قال : كفور .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَنْ يَمْشِيَ مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِيَ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢﴾

* يقول تعالى ذكره : (أَفَنْ يَمْشِيَ) أيها الناس (مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ) لا يبصر ما بين يديه ، وما عن يمينه وشماله (أَهْدَى) : أشد استقامة على الطريق ، وأهدى له ، (أَمَّنْ يَمْشِيَ سَوِيًّا) يمشي بني آدم على قدميه (على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : على طريق لا اعوجاج فيه وقيل (مُكَبًّا) لأنه فعل غير واقع ، وإذا لم يكن واقعا أدخلوا فيه الألف ، فقالوا : أكب فلان على وجهه ، فهو مكب ؛ ومنه قول الأعشى :

مُكَبِّهَا عَلَى رَوْقِيهِ يَحْفِرُ عِرْقَهَا عَلَى ظَهْرِ عُرْيَانِ الطَّرِيقَةِ أَهْشِيًّا

فقال : مكبا ، لأنه فعل غير واقع ، فإذا كان واقعا حذفت منه الألف ، فقيل : كببت فلانا على وجهه وكبته الله على وجهه .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ٢٩٥) من قصيدة يمدح بها إلياس بن قبيصة الطائي ، والبيت في وصف نور شبه به ناقة . ومكبا : مطأنا رأسه يحفر الأرض (في البيت قبله) ليتخذ فيها كناسا يأوى إليه . وروقه : قرنيه . وعلى ظهر عريان الطريقة : على ظاهر الطريق . وأهيم منهار لا يتأسك ، وهو من صفة (عريان الطريقة) . يقول : أكب النور على أصل الشجرة بقرنيه يحفر فيها بيتا يؤويه ، في هذا الموضع المكشوف ، الذي تنهال رماله غير متأسكة . وقد أورد المؤلف البيت شاهدا على قول الله تعالى « أفن يمشي مكبا على وجهه » : أي مطرقا إلى الأرض . وقال الفراء في معاني القرآن . (الورقة ٣٣٨) وقوله : « أفن يمشي مكبا على وجهه » تقول : قد أكب الرجل : إذا كان فعل غير واقع على أحد (غير متعد) فإذا وقع الفعل (تعدى) أسقطت الألف ، فتقول : قد كبه الله لوجهه ، وكبته أنا لوجهه . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَنُيْمِشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : من يمشي في الضلالة أهدي ، أم من يمشي مهتديا ؟ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) قال : في الضلالة (أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : حق مستقيم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (أَفَنُيْمِشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) يعني الكافر أهدي (أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا) المؤمن ؟ ضرب الله مثلا لهما .

وقال آخرون : بل عني بذلك أن الكافر يحشره الله يوم القيامة على وجهه ، فقال (أَفَنُيْمِشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) يوم القيامة (أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا) يومئذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله « (أَفَنُيْمِشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى) هو الكافر أكْبَ على معاصي الله في الدنيا ، حشره الله يوم القيامة على وجهه ، فقيل : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يحشره يوم القيامة على وجهه » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة « (أَفَنُيْمِشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) قال : هو الكافر يعمل بمعصية الله ، فيحشره الله يوم القيامة على وجهه : قال معمر : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم (كيف يمشون على وجوههم) ؟ قال : إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَعْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُيْمِشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : المؤمن عمل بطاعة الله ، فيحشره الله على طاعته .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾

❦ يقول تعالى ذكره : قل يا محمد للذين يكذبون بالبعث من المشركين ، الله الذي أنشأكم فخلقكم ، (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ) تسمعون به (وَالْأَبْصَارَ) تبصرون بها (وَالْأَفْئِدَةَ) تعقلون بها (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) يقول قليلا ما تشكرون ربكم على هذه النعم التي أنعمها عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد ، الله (الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ) يقول : الله الذي خالقكم في الأرض (وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يقول : وإلى الله تحشرون ، فتجمعون من قبوركم لموقف الحساب (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول جل ثناؤه : ويقول المشركون : متى يكون ما تعدلنا من الحشر إلى الله إن كنتم صادقين في وعدكم إيانا ما تعدوننا .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المستعجلون بالعذاب وقيام الساعة : إنما علم الساعة ، ومتى تقوم القيامة عند الله لا يعلم ذلك غيره (وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول : وما أنا إلا نذير لكم أنذركم عذاب الله على كفركم به (مُبِينٌ) : قد أبان لكم إنذاره . وقوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول تعالى ذكره : فلما رأى هؤلاء المشركون عذاب الله زلفة : يقول : قريبا ، وعاینوه ، سيئت وجوه الذين كفروا : يقول : ساء الله بذلك وجوه الكافرين .

وبنحو الذي قلنا في قوله (زُلْفَةً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ) قال : لما عاینوه .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) قال : معاينة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) قال : قد اقرب حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) لما عاینت من عذاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) قال : لما رأوا عذاب الله زُلْفَةً ، يقول : سيئت وجوههم حين عاينوا من عذاب الله وخزيه ما عاينوا .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) سيئت) قيل : الزلفة حاضر قد حضرهم عذاب الله عز وجل .
 (وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) يقول : وقال الله لهم : هذا العذاب الذي كنتم به تذكرون ربكم أن يعجله لكم .
 وينحو الذي قلنا فيه ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) قال : استعجلهم بالعذاب .
 واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) بتشديد الدال بمعنى تفتعلون من الدعاء .

وذكر عن قتادة والضحاك أنهما قرءا ذلك (تَدَّعُونَ) بمعنى تفتعلون في الدنيا .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرنا أبان العطار وسعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة أنه قرأها (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) خفيفة ؛ ويقول : كانوا يدعون بالعذاب ، ثم قرأ (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ اثْنِنا بعذابٍ أليمٍ) .
 * * والصواب من القراءة في ذلك ، ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾

* * يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد للمشركين من قومك (أَرَأَيْتُمْ) أيها الناس (إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ) فأماتني (وَمَنْ مَعِيَ) أَوْ رَحِمَنَا فأنخر في آجالنا (فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ) بالله (مِنْ عَذَابٍ) موجه مؤلم ، وذلك عذاب النار . يقول : ليس ينجي الكفار من عذاب الله موتنا وحياتنا ، فلا حاجة بكم إلى أن تستعجلوا قيام الساعة ، ونزول العذاب ، فإن ذلك غير نافعكم ، بل ذلك بلاء عليكم عظيم .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ۚ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾

* يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد ربنا (الرحمن آمننا به) يقول : صدقنا به (وعليه توكَّلنا) يقول : وعليه اعتمدنا في أمورنا ، وبه وثقنا فيها (فستعلمون من هو) في ضلال مبين) يقول : فستعلمون أيها المشركون بالله الذي هو في ذهاب عن الحق ، والذي هو على غير طريق مستقيم منا ومنكم إذا صرنا إليه ، وحشرنا جميعا .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٤٢﴾

* يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (أرأيتُمْ) أيها القوم العادلون بالله (إن أصبح ماؤكم غورا) يقول : غائرا لاتناله الدلاء (فمن يأتىكم بماء معين) يقول : فمن يجيئكم بماء معين ، يعنى بالمعين : الذى تراه العيون ظاهرا ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ، قوله (فمن يأتىكم بماء معين) يقول : بماء عذب .

حدثنا ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى عبيد بن قاسم البزاز ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبيرة فى قوله (إن أصبح ماؤكم غورا) لاتناله الدلاء (فمن يأتىكم بماء معين) قال : الظاهر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قل أرأيتُمْ إن أصبح ماؤكم غورا) : أى ذاهبا (فمن يأتىكم بماء معين) قال : الماء المعين : الجارى .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحالك يقول ، فى قوله (ماؤكم غورا) ذاهبا (فمن يأتىكم بماء معين) جار . وقيل غورا فوصف الماء بالمصدر ، كما يقال : ليلة عم ، يراد : ليلة عامة .

آخر تفسير سورة الملك

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبِئَانَهَا نِزَانٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

رَبُّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنَجْمٍ وَرَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (ن) ، فقال بعضهم : هو الحوت الذي عليه الأرضون .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أول ما خلق الله من شيء القلم ، فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، فخلقت منه السموات ، ثم خلق النون فبسطت الأرض على ظهر النون ، فتحركت الأرض فادت ، فأثبتت بالبحال ، فإن البحال لتفخر على الأرض ، قال : وقرأ (ن والقلم وما يسطرون) .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، أو مجاهد عن ابن عباس ، بنحوه ، إلا أنه قال : ففتتت منه السموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : « أول ما خلق الله القلم ، قال : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ، ورفع بخار الماء ، ففتتت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون ، فادت الأرض ، فأثبتت بالبحال ، فلما لتفخر على الأرض » .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : « أول ما خلق الله من شيء القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخار الماء ففتتت منه السموات ، ثم خلق النون فدُحيت الأرض على ظهره ، فاضطرب النون ، فادت الأرض ، فأثبتت بالبحال فلما لتفخر على الأرض » .
حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس بنحوه .
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، أن إبراهيم بن أبي بكر ، أخبره عن مجاهد ، قال : كان يقال : النون : الحوت الذي تحت الأرض السابعة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر . ثنا الأعمش ، أن ابن عباس قال : إن أول شيء خلق القلم ، ثم ذكر نحو حديث واصل عن ابن فضيل ، وزاد فيه : ثم قرأ ابن عباس (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، عن ابن عباس ، قال : إن أول شيء خلق ربي القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه .

وقال آخرون (ن) حرف من حروف الرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : ثنا علي بن الحسين ، قال : ثنا أبي ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (الر ، وحم ، ون) حروف الرحمن مقطعة .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا عباس بن زياد الباهلي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله (الر ، وحم ، ون) قال : اسم مقطع .
وقال آخرون : (ن) : الدواة ، والقلم : القلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا أنحنى عيسى بن عبد الله ، عن ثابت البناني ، عن ابن عباس قال : إن الله خلق النون وهي الدواة ، وخلق القلم ، فقال : اكتب ، فقال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، من عمل معمول ، بر أو فجور ، أو رزق مقسوم حلال أو حرام ، ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم ، وخروجه منها كيف ؛ ثم جعل على العباد حفظة ، وللكتاب خزان ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر ، وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا ، فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا ؛ قال : فقال ابن عباس : ألسنتم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل ؟ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة ، في قوله (ن) قال : هو الدواة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، قال : النون : الدواة .
وقال آخرون : (ن) : لوح من نور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن شبيب المكتئب ، قال : ثنا محمد بن زياد الجزري ، عن فرات بن أبي الفرات ، عن

معاوية بن قرّة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) :
لوح من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة .
وقال آخرون : (ن) : قَسَمَ أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)
يُقَسِّمُ الله بما شاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (ن وَالْقَلَمِ وَمَا
يَسْطُرُونَ) قال : هذا قسم أقسم الله به .
وقال آخرون : هي اسم من أسماء السورة .

وقال آخرون : هي حرف من حروف المعجم ، وقد ذكرنا القول فيما جانس ذلك من حروف الهجاء
التي افتتحت بها أوائل السور ، والقول في قوله نظير القول في ذلك .

واختلفت القراء في قراءة (ن) ، فأظهر النون فيها وفي يسّ عامة قراء الكوفة خلا الكسائي ، وعامة
قراء البصرة ، لأنها حرف هجاء ، والهجاء مبنى على الوقوف عليه وإن اتصل ، وكان الكسائي يُدغم النون
الآخرة منهما ويخفيها بناء على الاتصال .

* والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان فصيحتان بأيتهما قرأ القارئ أصاب ، غير أن إظهار
النون أفصح وأشهر ، فهو أعجب إلى . وأما القلم : فهو القلم المعروف ، غير أن الذي أقسم به ربنا من
الأقلام : القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره ، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثني محمد بن صالح الأنماطي ، قال : ثنا عباد بن العوام ، قال : ثنا عبد الواحد بن سليم ، قال :
سمعت عطاء ، قال : سألت الوليد بن عباد بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حشره الموت ؟
فقال : دعاني فقال : أي بني اتق الله واعلم أنك لن تتق الله ، ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده
والقدر خيره وشره ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلَقَ
الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، قَالَ : يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبِ الْقَدَرَ ، قَالَ فَجَرَى
الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْآبَدِ » .

حدثني محمد بن عبد الله الطوسي ، قال : ثنا علي بن الحسن بن شقيق ، قال : أخبرنا عبد الله بن
المبارك ، قال : أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمرو بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ،
وَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ » .

حدثنا موسى بن سهل الرملي ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا ابن المبارك بإسناده عن النبي
صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا موسى بن سهل الرملي ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا ابن المبارك بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد قال : قلت لابن عباس : إن ناسا يكذبون بالقدر ، فقال : إنهم يكذبون بكتاب الله ، لآخذن بشعر أحداهم ، فلا يقصن به ، إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا ، فكان أول ما خلق الله القلم ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو هاشم ، أنه سمع مجاهدا ، قال : سمعت عبد الله لاندري ابن عمرو ابن عباس قال : إن أول ما خلق الله القلم ، فجرى القلم بما هو كائن وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فرغ منه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، وحدثني عبد الله بن آدم ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح ، عن أيوب بن زياد ، قال : ثنا عباد بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : أخبرني أبي ، قال : قال أبي عبادة بن الصامت : يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ن والقلم) قال : الذي كتب به الذكر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، أخبره عن إبراهيم بن أبي بكر ، عن مجاهد ، في قوله (ن والقلم) قال : الذي كتب به الذكر .

وقوله (وما يسطرون) يقول : والذي يخطون ويكتبون . وإذا وُجّه التأويل إلى هذا الوجه كان القسم بالحق وأفعاله . وقد يحتمل الكلام معنى آخر ، وهو أن يكون معناه : وسطهم ما يسطرون ، فتكون « ما » بمعنى المصدر . وإذا وُجّه التأويل إلى هذا الوجه ، كان القسم بالكتاب ، كأنه قيل : ن والقلم والكتاب ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وما يسطرون) قال : وما يخطون .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وما يسطرون) يقول : يكتبون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وما يسطرون) قال : وما يكتبون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا يَسْطُرُونَ) : وما يكتبون يقال منه : سطر فلان الكتاب فهو يَسْطُرُ سَطْرًا : إذا كتبه ؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج :
لَأَنِّي وَأَسْطَارِي سَطِيرُنَ سَطْرًا !

وقوله (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، مكذبًا بذلك مشركي قريش الذين قالوا له : إنك مجنون .
وقوله (وَإِنَّكَ لَآجِرٌ غَسِيرٌ مَمْنُونٌ) يقول تعالى ذكره : وإن لك يا محمد لثوابًا من الله عظيمًا على صبرك على أذى المشركين إياك غير منقوص ولا مقطوع من قولهم : حبل منير ، إذا كان ضعيفًا ، وقد ضعفت منته : إذا ضعفت قوته .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعًا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غَسِيرٌ مَمْنُونٌ) قال : محسوب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ فَسُبُّصِرٌ وَبُصْرُونَ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الْمُبْتَدُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٤﴾

* يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : وإنك يا محمد لعلی أدب عظیم ، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به ، وهو الإسلام وشرائعه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) يقول : دين عظيم .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) يقول : إنك على دين عظيم ، وهو الإسلام .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعًا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (خُلُقٍ عَظِيمٍ) قال : الدين .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : سألت عائشة عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن ، تقول كما هو في القرآن .

(١) البيت في ديوان رؤبة بن العجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج ١٧٤) ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن عند قوله تعالى : « والقلم وما يسطرون » قال « وما يكتبون » قال رؤبة : « إني وأسطار » . . . البيت ، والأسطار : جمع سطر ، وهو الصف من النخل أو من حروف الكتابة المنسوقة .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)
 ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خُلُقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟
 قال : قلت : بلى ، قالت : فَإِنْ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ .

حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن
 سعيد بن هشام ، قال : أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فقلت : أخبريني عن خُلُقِ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كَانَ خَاقِمَهُ الْقُرْآنُ ، أَمَا تَقْرَأُ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن
 جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْلٍ قَالَ : حَجَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 فَقَالَتْ : كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ .

حدثنا عبيد بن أسباط ، قال : ثنا أبي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، في قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى
 خُلُقٍ عَظِيمٍ) قال : أدب القرآن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)
 قال : على دين عظيم :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله
 (لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) يعني دينه ، وأمره الذي كان عليه ، مما أمره الله به ، ووكله إليه :
 وقوله (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيَّكُمْ الْمُفْتُونَ) يقول تعالى ذكره : فسرى يا محمد ، ويرى
 مشركو قومك الذين يدعونك مجنوناً (بِأَيَّكُمْ الْمُفْتُونَ) .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله
 (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) يقول : ترى ويرون .

وقوله (بِأَيَّكُمْ الْمُفْتُونَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله بأيكم المجنون ،
 كأنه وجه معنى الباء في قوله (بِأَيَّكُمْ) إلى معنى في . وإذا وجهت الباء إلى معنى في كان تأويل الكلام :
 ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك يا محمد أو فريقهم ، ويكون المجنون اسماً مرفوعاً بالباء .

ذكر من قال معنى ذلك : بأيكم المجنون

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (بِأَيَّكُمْ الْمُفْتُونَ) قال :
 المجنون .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (بِأَيَّكُمْ الْمُفْتُونَ) قال : بأيكم المجنون :
 وقال آخرون : بل تأويل ذلك : بأيكم الجنون ، وكأن الذين قالوا هذا القول وجهوا المفتون إلى

معنى الفتنة أو الفتون ، كما قيل : ليس له معقول ولا معقود : أى بمعنى ليس له عقل ولا عقد رأى فكذاك وضع المفتون موضع المفتون .

ذكر من قال : المفتون : بمعنى المصدر ، وبمعنى الجنون

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَأْيَكُمْ الْمَفْتُونُ) قال : الشيطان . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک ، يقول في قوله (بَأْيَكُمْ الْمَفْتُونُ) يعنى الجنون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس يقول : بأبيكم الجنون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أيكم أولى بالشيطان ، فالباء على قول هؤلاء زيادة دخولها وخروجها سواء ، ومثل هؤلاء ذلك بقول الراجز :

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الْفَلَجِ نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجِ

بمعنى : نرجو الفرج ، فدخول الباء في ذلك عندهم في هذا الموضع وخروجها سواء .

ذكر من قال ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأْيَكُمْ الْمَفْتُونُ) يقول : بأبيكم أولى بالشيطان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (بَأْيَكُمْ الْمَفْتُونُ) قال : أيكم أولى بالشيطان :

واختلف أهل العربية في ذلك نحو اختلاف أهل التأويل ، فقال بعض نحوي البصرة : معنى ذلك : فستبصر ويبصرون أيكم المفتون . وقال بعض نحوي الكوفة : بأبيكم المفتون ههنا ، بمعنى الجنون ، وهو في مذهب المفتون ، كما قالوا : ليس له معقول ولا معقود ؛ قال : وإن شئت جعلت بأبيكم في أيكم في أي الفريقين الجنون ؛ قال : وهو حينئذ اسم ليس بمصدر .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب قول من قال : معنى ذلك : بأبيكم الجنون ، ووجه المفتون إلى المفتون بمعنى المصدر ، لأن ذلك أظهر معانى الكلام ، إذ لم ينو إسقاط الباء ، وجعلنا لدخولها وجهها مفهوما . وقد بينا أنه غير جائز أن يكون في القرآن شيء لا معنى له .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد هو

(١) البيتان من مشطور الرجز ، وهما من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) من مصورة الجامعة عن نسخة «مراد مثلا» بالأسعانة قال عند قوله تعالى «بأيكم المفتون» : مجازها : أيكم المفتون ، كما قال الأول : «نحن بنو جعدة . . . والشاهد فيه أن الباء في قوله بالفرج ، أى نرجو الفرج ، كما زيدت في الآية . والبيتان للناطقة الجعدى . وقد سبق للاستشهاد بهما على مثل هذا الموضع في الجزء (١٨ : ١٤) فراجع .

أعلم بمن ضلّ عن سبيله ، كضلال كفار قريش عن دين الله ، وطريق الهدى (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)
يقول : وهو أعلم بمن اهتدى ، فاتبع الحقّ ، وأقرّ به ، كما اهتديت أنت فاتبعت الحقّ ، وهذا من معاريف
الكلام . وإنما معنى الكلام : إن ربك هو أعلم يا محمد بك ، وأنت المهتدى وبقومك من كفار قريش وأنهم
الضالون عن سبيل الحقّ .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تُطِيعُ الْكَذِبِينَ ﴿٤﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٥﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿٦﴾ هَمَّازٍ مَشَّائِمٍ
بِنَبِيِّهِ ﴿٧﴾

* يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : (فَلَا تُطِيعُ) يا محمد (الْمُكَذِّبِينَ) بآيات الله
ورسوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك :
ودّ المكذّبون بآيات الله لو تكفروا بالله يا محمد فيكفرون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) يقول : ودّوا لو تكفروا فيكفرون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله
(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال : تكفروا فيكفرون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال تكفروا فيكفرون
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ودّوا لو ترخص لهم فيرخصون ، أو تلين في دينك فيلينون في دينهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ
تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) يقول : لو ترخص لهم فيرخصون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال :
لو تركنّ إلى آلتهم ، وترك ما أنت عليه من الحقّ فيما ألوانك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)
يقول : ودّوا يا محمد لو أدهنت عن هذا الأمر ، فأدهنوا معك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ
فَيُدْهِنُونَ) قال : ودّوا لو يدّهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدّهنون .

* وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تآين لهم

في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم ، فيلينون لك في عبادتك إهلك ، كما قال جل ثناؤه (وَكَلَّوْا أَنْ تَبْتَئِنَّاكَ لَعَفْدُ كَيْدَتِ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، إِذَا لَاقَيْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) وإنما هو مأخوذ من الدُّهُن شبه التليين في القول بتليين الدُّهُن .

وقوله (وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) ولا تطع يا محمد كل ذي إكثار للحلف بالباطل ؛ مهين : وهو الضعيف .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ، غير أن بعضهم وجه معنى المهين إلى الكذاب ، وأحسبه فعل ذلك لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة فإنما وصف بها لمهانة نفسه كانت عليه ، وكذلك صفة الكذوب ، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) والمهين : الكذاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَلَّافٍ مَهِينٍ) قال : ضعيف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) وهو المكثار في الشر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، في قوله (كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) يقول : كل مكثار في الحلف مهين ضعيف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن الحسن و قتادة (وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) قال : هو المكثار في الشر .

وقوله (هَمَّازٍ) يعني : مغتاب للناس يأكل لحومهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هَمَّازٍ) يعني الاغتياب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَمَّازٍ) يأكل لحوم المسلمين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَمَّازٍ) قال : الهماز : الذي يهمز الناس بيده ويضربهم ، وليس باللسان ، وقرأ (وَيُلِّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ) الذي يلزم الناس بلسانه ، والهمز أصله الغمز ، فقل للمغتاب : هماز ، لأنه يطعن في أعراض الناس بما يكرهون ، وذلك غمز عليهم :

وقوله (مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ) يقول : مشاء بحديث الناس بعضهم في بعض ، ينقل حديث بعضهم إلى بعض وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَمَّازٍ) يأكل لحوم المسلمين (مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ) ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ) يمشى بالكذب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي ، في قوله (مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ) قال : هو الأخنس بن شريق ، وأصله من ثقيف ، وعداده في بني زُهرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْعًا لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ۖ عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ۝

وقوله (مَنْعًا لِلْخَيْرِ) . يقول تعالى ذكره : بخيل بالمال ضنين به عن الحقوق .

وقوله (مُعْتَدٍ) يقول : معتد على الناس (أَثِيمٌ) : ذى لثم بربه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (مُعْتَدٍ) في عمله (أَثِيمٌ) بربه .

وقوله (عُتْلٌ) يقول : وهو عُتْلٌ ، والعتل : الجاني الشديد في كفره ، وكلّ شديد قوى فالعرب تسميه عُتْلًا ؛ ومنه قول ذى الإصبع العَدُوّاني :

والدَّهْرُ يَغْدُو مِعْتَلًا جَدْعًا ١

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (عُتْلٌ) العتل : العاتل الشديد المنافق .

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي ، قال : ثنا أبو عامر العقدي ، قال : ثنا زهير بن محمد ، عن زيد

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) أنشده عند قوله تعالى «عتل» قال : العتل : اللفظ الكافر في هذا الموضع ، وهو الشديد من كل شيء بعد ذلك ؛ قال ذوا الإصبع البدواني : «والدهر يغدو معتلا جدعا» أى شديدا . اهـ . وفي (اللسان : عتل) : العتل : هو الشديد الجاني ، واللفظ الغليظ . قيل : هو الجاني الخلق . اللثيم الضريبة . وقيل هو الشديد من الرجال والدواب . وفي التنزيل «عتل بعد ذلك زنيم» قيل هو الشديد الخصومة . اهـ . وفي (اللسان : عتل) ورجل معتل (بوزن منبر) بالكسر : قوى . والجدع : الصغير السن .

ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن وهب الذماری ، قال : تبكى السماء والأرض من رجل أتم الله خلقه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه مقضاه من الدنيا ، ثم يكون ظلوما للناس ، فذلك العتل الزنيم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن أبي الزبير ، عن عبيد بن عمير ، قال : العتل : الأكل الشروب القوي الشديد ، يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة ، يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا دفعة في جهنم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، في قوله (عتل) بعْدَ ذلك زَنِيمٌ قال : العتل : الشديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي رزين ، في قوله (عتل بعْدَ ذلك زَنِيمٌ) قال : العتل : الصحيح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن كثير بن الحارث ، عن القاسم ، مولى معاوية قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم ، قال : الفاحش اللئيم » قال معاوية ، وثنى عياض بن عبد الله الفهری ، عن موسى بن عقبة ، عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ، بمثل ذلك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (عتل بعْدَ ذلك زَنِيمٌ) قال : فاحش الحقائق ، لئيم الضريبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عتل بعْدَ ذلك زَنِيمٌ) قال : الحسن و قتادة : هو الفاحش اللئيم الضريبة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، في قوله (عتل) قال : هو الفاحش اللئيم الضريبة .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبكى السماء من عبْدِ أصبح الله جسْمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه من الدنيا مقضاه ، فكان للناس ظلوما ، فذلك العتل الزنيم » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، قال : العتل : الصحيح الشديد .

حدثني جعفر بن محمد البرزوى ، قال : ثنا أبو زكريا ، وهو يحيى بن مصعب ، عن عمر بن نافع ، قال : سئل عكرمة ، عن (عتل بعْدَ ذلك زَنِيمٌ) فقال : ذلك الكافر اللئيم .

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى ، يعني ابن يمان ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن في قوله (عتل بعْدَ ذلك زَنِيمٌ) قال : الفاحش اللئيم الضريبة .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثني أبي ، عن قتادة ، قال : العتلّ : الزنيم الفاحش

اللتيم الضريبة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَتُلُّ) قال : شديد الأشر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول (عَتُلُّ)

قال : العتلّ : الشديد (بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) ومعنى « بعد » في هذا الموضع معنى مع ، وتأويل الكلام (عَتُلُّ

بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) : أي مع العتلّ زنيم .

وقوله « زنيم » والزنيم في كلام العرب : الملقق بالقوم وليس منهم ؛ ومنه قول حسان بن ثابت :

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نَيْطَ فِي آلِ هَاشِمٍ
كَمَا نَيْطَ خَلْفَ الرَّأكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ^١

وقال آخر :

زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْزِفُ مَن أَبُوهُ
بَغْيُ الْأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَيْسِمٍ^٢

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(زَنِيمٌ) قال : والزنيم : الدعي ، ويقال : الزنيم : رجل كانت به زئمة يُعرف بها ، ويقال : هو الأخنس

ابن شريق التَّقِنِيّ حليف بني زُهرة . وزعم ناس من بني زُهرة أن الزنيم هو : الأسود بن عبد يغوث

الزُهري ، وليس به .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : أخبرنا ابن إدريس ، قال : ثنا هشام ، عن عكرمة ، قال : هو الدعي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني سليمان بن بلال ، عن عبد الرحمن بن حرملة ،

عن سعيد بن المسيب ، أنه سمعه يقول في هذه الآية (عَتُلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) قال : سعيد : هو الملقق

بالقوم ليس منهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير ، قال :

الزنيم الذي يعرف بالشر ، كما تعرف الشاة بزئمتها الملقق .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في نجاز القرآن (الورقة ١٧٩ من مصورة الجامعة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة « مراد مثلا بالآستانة » .

أنشد عند قول الله تعالى « زَنِيمٌ » قال : الزنيم : الملقق في القوم ليس منهم ، قال حسان بن ثابت : « وَأَنْتَ زَنِيمٌ . . . البيت » . ويقال للزنيم زنيم ، له زئمتان . اهـ .

(٢) ليس هذا البيت من شواهد الفراء ولا من شواهد أبي عبيدة ، ولم ينسبه المؤلف إلى قائله . وفي اللسان : الزنيم : المستلحق في قوم

ليس منهم ، لا يحتاج إليه ، فكأنه فيهم زئمة (أي زئمة العنز . المعلقة عند حلقها) . يقول : هو فيهم زنيم ، لا يعرفون أباء ، لأنه دخيل ، وأمه بغى ، وحسبه ليم . ودو في معنى الشاهد الذي قبله على معنى « الزنيم » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، وقال آخرون : هو الذي له زَنَمَةٌ كزَنَمَةِ الشاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم ، قال : نعم ، فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال : وكانت له زَنَمَةٌ في عنقه يُعرف بها . وقال آخرون : كان دعياً .

حدثني الحسين بن عليّ الصدائي ، قال : ثنا عليّ بن عاصم ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) قال : نزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم (وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . كَهَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) قال : فلم نعرفه حتى نزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم (بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) قال : فعرفناه له زَنَمَةٌ كزَنَمَةِ الشاة .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أصحاب التفسير ، قالوا : هو الذي يكون له زَنَمَةٌ كزَنَمَةِ الشاة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله الزنيم : يقول : كانت له زَنَمَةٌ في أصل أذنه ، يقال : هو اللّثيم الملتصق في النسب . وقال آخرون : هو المريب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (عَتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) قال : زنيم : المريب الذي يعرف بالشر . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير قال : الزنيم : الذي يعرف بالشر . وقال آخرون : هو الظلوم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (زَنِيمٌ) قال : ظلوم . وقال آخرون : هو الذي يُعرف بأُبْنَةٍ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم الذي يُعرف بأُبْنَةٍ ، قال أبو إسحاق : وسمعت الناس في إمرة زياد يقولون : العتل : الدعي .

وقال آخرون : هو الخلف الجاني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، قال : سمعت شهر بن حوشب يقول : هو الخلف الجاني الأكل الشروب من الحرام .
وقال آخرون : هو علامة الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، قال : (الزنيم) : علامة الكفر .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، قال : الزنيم : علامة الكافر .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أنه كان يقول : الزنيم يُعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة .
وقال آخرون : هو الذي يعرف باللؤم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال : الزنيم : الذي يعرف باللؤم ، كما تُعرف الشاة بزئمتها .
وقال آخرون : هو الفاجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي رزين ، في قوله (عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) قال : الزنيم : الفاجر .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَكَنَهُمْ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (أَنْ كَانَ) فقرأ ذلك أبو جعفر المدني وحمة (أَنْ كَانَ) ذَا مَالٍ (بالاستفهام بهمزة) ، وتتوجه قراءة من قرأ ذلك كذلك إلى وجهين : أحدهما أن يكون مراداً به تقرير هذا الخلاف المهيّن ، فقيل : لأن كان هذا الخلاف المهيّن ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا) قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (وهذا أظهر وجهيه . والآخر أن يكون مراداً به : لأن كان ذَا مَالٍ وَبَنِينَ تطيعه ، على وجه التوبيخ لمن أطاعه . وقرأ ذلك بعد سائر قراء المدينة والكوفة والبصرة : (أَنْ كَانَ) ذَا مَالٍ (على وجه الخبر بغير استفهام بهمزة واحدة ، ومعناه إذا قرئ كذلك : ولا تطع كلّ حلاف مهين « أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ » كأنه نهاه أن يطيعه من أجل أنه ذو مال وبني .

وقوله (إِذَا تُلْتَمَسَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) يقول : إذا تقرأ عليه آيات كتابنا ، قال : هذا مما كتبه الأولون استهزاء به وإنكاراً منه أن يكون ذلك من عند الله .
وقوله (سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : سنخطمه بالسيف ، فنجعل ذلك علامة باقية ، وسمة ثابتة فيه ما عاش .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) فقتل يوم بدر ، فخطم بالسيف في القتال .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : سنشينه شينا باقيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) شين لا يفارقه آخر ما عليه .
وقال آخرون : سيمى على أنفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) قال : سنسم على أنفه .

* وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك عندي قول من قال : معنى ذلك : سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ، فلا يخفى عليهم ، كما لا يخفى السمة على الخرطوم . وقال قتادة : معنى ذلك : شين لا يفارقه آخر ما عليه ، وقد يحتمل أيضا أن يكون خطم بالسيف ، فجمع له مع بيان عيوبه للناس الخطم بالسيف .
ويعنى بقوله (سَنَسِمْهُ) سنكويه . وقال بعضهم : معنى ذلك : سنسمه سمة أهل النار : أى سنسود وجهه . وقال : إن الخرطوم وإن كان خص بالسمة ، فإنه في مذهب الوجه ، لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض ، والعرب تقول : والله لأسمنك وسما لا يفارقك ، يريدون الأنف . قال : وأنشدني بعضهم :
لَأُعْلِطَنَّهُ وَسَمًا لَا يُفَارِقُهُ كَمَا يُحْزَرُ بِحَمْنِي الْمَيْسَمِ النَّجْزُ^٢
والنجز : داء يأخذ الإبل فتكوى على أنفها .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٣٩) قال عنه قوله تعالى « سنسمه على الخرطوم » أى سنسمه سمة أهل النار ، أى سنسود وجهه ؛ فهو وإن كان الخرطوم قد خص بالسمة ، فإنه في مذهب الوجه ، لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض ، والعرب تقول : والله لأسمنك وسما لا يفارقك ، يريدون الأنف ؛ وأنشدني بعضهم : « لأعْلِطَنَّهُ وَسَمًا . . . البيت » فقال الميسم ولم يذكر الأنف لأنه موضع السمة . والبحر : البعير إذا أصابه البحر ، وهو داء يأخذ البعير فيوسم لذلك . اهـ . قلت : وأنشد صاحب اللسان البيت (في بحر) وقال : قال الفراء : البحر أن يلغى البعير بالماء ، فيكثر منه ، حتى يصيبه منه داء ، يقال : بحر يبحر بحرا ، فهو بحر ، وأنشد : بيت الشاهد . قال : وإذا أصابه الداء كوى في مواضع فيبرأ . اهـ كلام الفراء كما في اللسان . وقال الأزهري معقبا عليه : الداء الذي يصيب البعير فلا يروى من الماء ، هو النجر ، بالنون والجيم ، والبحر بالباء والجيم . وأما البحر فهو داء

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذَا قَسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿١٨﴾

* * * يعني تعالى ذكره بقوله (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ) : أى بلونا مشركى قريش ، يقول : امتحنناهم فاختبرناهم ، (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) يقول : كما امتحننا أصحاب البستان (إِذَا قَسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ) يقول : إذ حلفوا ليصرمن ثمرها إذا أصبحوا . (وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ) : ولا يقولون إن شاء الله . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا أبو الأنحوص ، عن سمالك ، عن عكرمة ، فى قوله (لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ) قال : هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة ، كان يطعم المساكين منها ، فلما مات أبوهم ، قال بنوه : والله إن كان أبونا لأحق حين يطعم المساكين ، فأقسموا ليصرمها مصبحين ، ولا يستثنون ، ولا يطعمون مسكينا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ) قال : كانت الجنة لشيخ ، وكان يتصدق ، فكان بنوه ينهونه عن الصدقة ، وكان يمسك قوت سنته ، وينفق ويتصدق بالفضل ، فلما مات أبوهم غدوا عليها فقالوا : (لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ) .

وذكر أن أصحاب الجنة كانوا أهل كتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذَا قَسَمُوا) . . . الآية ، قال : كانوا من أهل الكتاب والصرم : القطع ، وإنما عني بقوله (لَيَصْرِمُنَّهَا) لَيَجِدُنَّ ثمرتها ، ومنه قول امرئ القيس :
صَرَمَتَكَ بَعْدَ تَوَاصُلٍ دَعْدُ وَبَدَا لِدَعْدٍ بَعْضُ مَا يَبْسُدُ ١

= يورث السل . وأبجر الرجل : إذا أخذه السل . ورجل بجير وبجر : مسلول ذاهب اللحم ، عن ابن الأعرابي . اه . قلت : ويؤيد هذا ما جاء فى (اللسان : نجر) قال الجوهري : النجر بالتحريك : عطش يصيب الإبل والغنم عن أكل الحبة ، فلا تكاد تروى من الماء . يقال : نجرت الإبل ونجرت أيضا . اه . وفى التهذيب : نجر ينجر نجرا : إذا أكثر من شرب الماء ، ولم يكدر . قال يعقوب : وقد يصيب الإنسان . اه . وحى الميسم : حره . والميسم جديدة يكوى بها .

(١) نسب المؤلف البيت إلى امرئ القيس ، ولم أجده فى مختار الشعر الجاهلى ، ولا فى العقد الثمين ، ولعله لغير امرئ القيس بن حجر الكندي من المراقبة . أنشده المؤلف شاهدا على أن الصرم فى قوله تعالى « ليصرمها » بمعنى القطع . وفى (اللسان : صرم) الصرم القطع البائن . وصم به بعضهم القطع أى نوع كان . اه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٤٠﴾

* يقول تعالى ذكره : فطرق جنة هؤلاء القوم ليلا طارق من أمر الله وهم نائمون ، ولا يكون الطائف في كلام العرب إلا ليلا ، ولا يكون نهارا ، وقد يقولون : أطفأت بها نهارا .
وذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده :

أَطْفَأْتُ بِهَا نَهَارًا غَيْرَ لَيْلٍ وَالْهَى رَبَّهَا طَلَبُ الرِّخَالِ ١

والرِّخَال : هي أولاد الضأن الإناث .

وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كريب ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس ، عن الطوفان (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ) قال : هو أمر من أمر الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ) قال : طاف عليها أمر من أمر الله وهم نائمون : وقوله (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) اختلف أهل التأويل في الذي عني بالصريم ، فقال بعضهم : عني به الليل الأسود ، وقال بعضهم : معنى ذلك : فأصبحت جنهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا شيخ لنا عن شيخ من كلب يقال له سليمان عن ابن عباس ، في قوله (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) قال : الصريم : الليل . قال : وقال في ذلك أبو عمرو بن العلاء رحمه الله .

أَلَا بِكَرَّتْ وَعَاذِلْتِي تَلُومٌ ٢ تَهَجَّدُ نِي وَمَا انْكَشَفَ الصَّرِيمُ ٣

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٩٣) عند قوله تعالى « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » قال : لا يكون الطائف إلا ليلا ، ولا يكون نهارا ، وقد تكلم به العرب ، فيقولون : أطفأت به نهارا ، وليس موضعه بالنهار ولكنه بمنزلة قولك : « لو ترك القطا ليلا لنام » لأن القطا لا يسرى ليلا ، قال : أنشدني أبو الجراح العقيلي : « أطفأت بها نهارا . . . البيت » . اهـ . والرخال : جمع رخل (بكسر الراء وفتحها) : الأنثى من أولاد الضأن . والذكر : حمل ، والجمع : أرخل ورخال (بكسر الراء وضمها) ورخلان أيضا . اهـ .

(٢) نسب المؤلف البيت إلى أبي عمرو بن العلاء ولعله يريد أنه ما أنشده أبو عمرو . يقول استيقظت هذه المرأة قبل أن ينكشف الليل عن الصبح ، توقظني حين هبت عاذلتني تلومني . قال في اللسان : هجد : قال ابن بزج : أهجدت الرجل : أنمته ، وهجدته (بالتحديد : أيقظته . والصريم : الليل . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٣٩) فأصبحت كالصريم : أي احترقت ، فصارت سوداء مثل الليل المسود . اهـ . وفي اللسان (صرم) عن ثعلب ، فأصبحت كالصريم : أي احترقت فصارت سوداء مثل الليل . اهـ . ويقال : كالشيء المصروم ، الذي ذهب ما فيه . وقيل : الصريم : أرض سوداء لا تنبت شيئا . وقال : الجوهري : أي احترقت واسودت .

وقال أيضا :

تَطَاوَلَ لَيْسَلُكَ الْجَوْنُ الْبَهِيمُ فَمَا يَنْجَابُ عَنْ صُبْحِ صَرِيمٍ
إِذَا مَا قُلْتَ أَقْشَعَ أَوْ تَنَاهَى جَرَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ غَيُومٌ^(١)

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرني نعيم بن عبد الرحمن أنه سمع سعيد بن جبير يقول : هي أرض باليمن يقال لها صَرُوان من صنعاء على ستة أميال .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ^(٢) أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ^(٣) إِنَّكُمْ صَرِيمِينَ^(٤) فَانْطَلِقُوا^(٥) وَهُمْ يَخْخَفُونَ^(٦) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ
عَلَيْكُمْ مِسْكِينَ^(٧) وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْدٍ^(٨) قَدِيرِينَ^(٩)

* يقول تعالى ذكره : فتنادى هؤلاء القوم وهم أصحاب الجنة . يقول : نادى بعضهم بعضا مصبحين ، يقول : بعد أن أصبحوا (أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ) وذلك الزرع (إِنَّكُمْ صَرِيمِينَ) يقول : إن كنتم حاصدي زرعكم (فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَخْخَفُونَ) يقول : فمضوا إلى حرثهم وهم يتسارون بينهم (أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينَ) يقول : وهم يتسارون يقول بعضهم لبعض : لا يدخلن جنتكم اليوم عليكم مسكين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ) إِنَّكُمْ صَرِيمِينَ فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَخْخَفُونَ) يقول : يسرون (أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : لما مات أبوهم غدوا عليها ، فقالوا : (لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينَ) .

واختلف أهل التأويل في معنى الحرْد في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : على قُدرة . في أنفسهم وجدَّ ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْدٍ قَادِرِينَ) قال : ذوى قدرة .

(١) أنشد اللسان : (صرم) البيت الأول من هذا الشاهد ، وقال : قال ابن بري : وأنشد أبو عمرو : « تطاول ليلك . . . البيت » ، فالبيتان إذن ليسا لأبي عمرو ، وإنما هو أنشدهما . وكذلك بيت الشاهد الذي قبلهما . والجون الأسود ، والبهيم : الخالص السواد : لابياض فيه . وينجاب : ينكشف . ويزول . وصريم : أى ليل ، وأقشع زال . وتناهى : انتهى . وهذا الشاهد في معنى الشاهد الذي قبله ، وهو أن الصريم بمعنى الليل الشديد السواد . اهـ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج عن حدثه ، عن مجاهد في قول الله (على حرّدٍ قَادِرِينَ) قال : على جدّ قَادِرِينَ في أنفسهم .

قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَغَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) قال : على جهد ، أو قال : على جِدّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَغَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) غدا القوم وهم مُحَرَّدُونَ إلى جتّهم ، قَادِرُونَ عليها في أنفسهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَغَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) قال : على جِدّ من أمرهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (على حَرْدٍ قَادِرِينَ) على جِدّ قَادِرِينَ في أنفسهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وغدوا على أمرهم قد أجمعوا عليه بينهم ، واستسروه ، وأسروه في أنفسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد (وَغَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) قال : كان حرث لأبيهم ، وكانوا إخوة ، فقالوا : لانطعم مسكيناً منه حتى نعلم ما يخرج منه (وَغَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) على أمر قد أسسوه بينهم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (على حَرْدٍ) قال : على أمر مجمع .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (وَغَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) قال : على أمر مُجْمَع .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وغدوا على فاقة وحاجة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله (وَغَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) قال : على فاقة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : على حنق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَغَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) قال : على حنق ، وكان سفيان ذهب في تأويله هذا إلى مثل قول الأشهب بن رُمَيْلة .

أُسُودُ شَرَى لَاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةً تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الْأَسَاوِدِ
يعنى : على غضب . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يتأول ذلك : وغدوا على منع .
ويوجهه إلى أنه من قولهم : حارَدَتِ السنة إذا لم يكن فيها مطر ، وحارَدَتِ الناقة إذا لم يكن لها لبن ، كما
قال الشاعر :

فَإِذَا مَا حَارَدَتِ أَوْ بَكَاتِ فَتَّ عَنْ حَاجِبِ أُخْرَى طِينُهَا^٢
وهذا قول لانعلم له قائلًا من متقدمي العلم قاله وإن كان له وجه ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز
عندنا أن يتعدى ما أجمعت عليه الحجة ، فما صحَّ من الأقوال في ذلك إلا أحد الأقوال التي ذكرناها عن أهل
العلم . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان المعروف من معنى الحرد في كلام العرب القصد من قولهم : قد حرد
فلان حرد فلان : إذا قصد قصده ؛ ومنه قول الراجز :
وَجَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرُدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِيلَةِ^٣

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) عند قوله تعالى « وغدوا على حرد قادرين » قال : مجازه على منع
من حارَدَتِ الناقة لم يكن لها لبن . و « على حرد » أيضا على قصد ، قال الأول :

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرُدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِيلَةِ^٤
وقال آخر : « على حرد » : على غضب . قال الأثيب بن زميلة الذي كان يهاجى الفرزدق : « أسود شرى . . . البيت . اه
والشرى وغفية مأسدتان معروفتان . والأسود : جمع أسود ، وهو اسم للحية ولذلك جمع كما تجمع الأسماء على فاعل ، مثل أرانب ،
ولو كان صفة لجمع على . سود . قلت : ورواية البيت في (اللسان : حرد) :

أُسُودُ شَرَى لَاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةً تَسَاقَيْنِ سُمًّا كَلْهُنَ حَوَارِدُ^٥
وقال بعد البيت : قال أبو الهاس : وقال أبو زيد والأصمعي وأبو عبيدة : الذي سمعناه من العرب الفصحاء حرد يحرد حردا كغضب
يفغضب غضباً) بتحريك الراء . قال أبو العباس (ثعلب) : وسألت عنها ابن الأعرابي فقال : صحيحة ، إلا أن المفضل أخبر أن من
العرب من يقول حرد حردا (كغضب غضبا) وحردا (أى يسكون الراء) والتسكين أكثر . والأخرى : فصيحة .
(٢) في (اللسان : حرد) حارَدَتِ الإبل حرادا : أى انقطعت ألبانها أو قلت . وفي (اللسان : بكأ) : بكأت الناقة والشاة
بكاءً وبكؤت تبكؤ بكوءاً : وهى بكى وبكىة : قل لبنها . وقيل انقطع . والفت : الدق . فت الشيء يفته فتا وفتته (بالنتشديد)
دقه ، وقيل : فته : كسره . وأنشد البيت صاحب اللسان في حرد مع بيت آخر قبله ، وقال : الحارد : القليلة اللبن من النوق ،
والحرود من النوق : القليلة الدر . وحارَدَتِ السنة : قل ماؤها ومطرها : وقد استعير في الآنية إذا نفذ شربها قال :

وَلَنَا بِاطْيَةِ كَمَاؤَةٌ جَوْنَةٌ يَتَّبِعُهَا بَرَزِينُهَا
فَإِذَا مَا حَارَدَتِ أَوْ بَكَاتِ فَتَّ عَنْ حَاجِبِ أُخْرَى طِينُهَا

والبرزين : إناء يتخذ من قشر طلع الفحال ، يشرب به . اه . والبيت شاهد على أن معنى حارَدَتِ السنة ، وحارَدَتِ الناقة ، وحارَدَتِ
الباطية ، قل مطرها ، وقل لبنها ، ونفذ خرها . اه . ورواية البيت الأول في (اللسان : برزن) : إنما لقحتنا باطية . . الخ .
(٣) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لم ينسبا لقائل معروف . وكرواية الفراء في معاني القرآن ورواية البيت الأول في (اللسان
حرد) وجاء سيل ، كرواية المؤلف هنا . وفي مجاز القرآن : (قد جاء . وفي الكامل لمبرد « ١ : ٥٠ طبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده) : « قد جاء سيل جاء » . قال المبرد في الكامل : فأما قول الله عز وجل : « وغدوا على حرد قادرين » فإن فيه قولين :
أحدهما ما ذكرنا من معنى القصد - قال الشاعر : قد جاء سيل جاء . . البيتين . وقالوا على حرد : على منع ، من قولهم حارَدَتِ
العنة : إذا منعت قطرها ، وحارَدَتِ الناقة : إذا منعت درها . اه . وقال الفراء في معاني القرآن : « على حرد » : على حد وقدره في
أنفسهم . والحرد أيضا القصد ، كما يقول الرجل قد أقبلت قبلك . وقصدت قصدك ، وحردت حردك . وأنشدني بعضهم « وجاء
سيل كان . . البيتين » . ويريد : يقصد قصدها . اه .

یعنی : یقصد قصدها ، صحّ أن الذی هو اولى بتأویل الآیة قول من قال : معنی قوله (وَغَدَاوَا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) وَغَدَاوَا عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَصَدُوهُ وَاعْتَمَدُوهُ ، واستسروه بينهم ، قادرین علیہ فی أنفسهم .
القول فی تأویل قوله تعالى :

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٦١﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْأَقْلَ لَكُمْ لَوْلَا تَسْبِيحُونَ ﴿٦٣﴾

* * * يقول تعالى ذكره : فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم ، ورأوا ما محترقا حرثها ، أنكروها وشكوا فيها ، هل هي جنتهم أم لا ؟ فقال بعضهم لأصحابه ظننا منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم ، وأن التي رأوا غيرها : إنا أيها القوم لضالون طريق جنتنا ، فقال من علم أنها جنتهم ، وأنهم لم يخطئوا الطريق : بل نحن أيها القوم محرومون ، حرمانا منفعة جنتنا بذهاب حرثها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) : أي أضللنا الطريق ، بل نحن محرومون ، بل جوزينا فحرمانا .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) .
يقول قتادة : يقولون أخطأنا الطريق ما هذه بجنتنا ، فقال بعضهم : بل نحن محرومون حرمانا جنتنا .
وقوله (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) يعني : أعدلهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) قال أعدلهم ، ويقال : قال خيرهم ، وقال في البقرة (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) قال : الوسط : العدل .
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) يقول : أعدلهم .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الفرات بن خلاد ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) : أعدلهم .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) قال : أعدلهم .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (قالَ أَوْسَطُهُمْ)
قال : أعدلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ أَوْسَطُهُمْ) : أي أعدلهم قولاً ،
وكان أسرع القوم فرعاً ، وأحسنهم رجعة (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قالَ أَوْسَطُهُمْ) قال : أعدلهم .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله
(قالَ أَوْسَطُهُمْ) يقول : أعدلهم .

وقوله (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) يقول : هلا تستثنون إذ قلتم (لَنَنْصُرِيَنَّهَا مُنْصِبِهَا) ،
فتقولوا إن شاء الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد (لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)
قال : بلغني أنه الاستثناء .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) قال : يقول :
تستثنون ، فكان التسبيح فيهم الاستثناء .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوَمُونَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٠﴾

* يقول تعالى ذكره : قال أصحاب الجنة : (سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) في تركنا الاستثناء
في قسمنا وعزمنا على ترك إطعام المساكين من ثمر جنتنا .

وقوله (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوَمُونَ) يقول جل ثناؤه : فأقبل بعضهم على بعض
يلوم بعضهم بعضاً على تفريطهم فيما فرطوا فيه من الاستثناء ، وعزمهم على ما كانوا عليه من ترك إطعام
المساكين من جنهم .

وقوله (يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) يقول : قال أصحاب الجنة : يا ويلنا إنا كنا مُبْعِدِينَ : مخالفين أمر
الله في تركنا الاستثناء والتسبيح .

القول في تاويل قوله تعالى :

عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٢٦﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل أصحاب الجنة (عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا) بتوبتنا من خطأ فعلنا الذي سبق منا خيرا من جنتنا (إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ) يقول : إنا إلى ربنا راغبون في أن يبدلنا من جنتنا إذ هلكنا خيرا منها :

قوله تعالى ذكره (كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ) يقول جل ثناؤه : كفعلنا بجنة أصحاب الجنة ، إذ أصبحت كالصريم بالذي أرسلنا عليها من البلاء والآفة المفسدة ، فعلنا بمن خالف أمرنا وكفر برسالتنا في عاجل الدنيا ، (وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) يعني عقوبة الآخرة بمن عصى ربه وكفر به ، أكبر يوم القيامة من عقوبة الدنيا وعذابها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ، وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يعني بذلك عذاب الدنيا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ) : أي عقوبة الدنيا (وَلَٰعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ) قال : عذاب الدنيا : هلاك أموالهم : أي عقوبة الدنيا .

وقوله (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم في الدنيا ، لارتدعوا وتابوا وأنابوا ، ولكنهم بذلك جهال لا يعلمون .

القول في تاويل قوله تعالى :

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٢٨﴾ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٩﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٠﴾

** يقول تعالى ذكره : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) الذين اتقوا عقوبة الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ) يعني : بساتين النعيم الدائم .

وقوله (أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : أفجعل أيها الناس في كرامتي

ونعمتي في الآخرة الذين خضعوا لي بالطاعة ، وذلوا لي بالعبودية ، وخشعوا لأمرى ونهي ، كالمجرمين الذين اكتسبوا المآثم ، وركبوا المعاصي ، وخالفوا أمرى ونهي ؟ كذلك ما الله بفاعل ذلك .
وقوله (مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) أتجعلون المطيع لله من عبيده ، والعاصي له منهم في كرامته سواء .
يقول جل ثناؤه : لاتسوا بينهما فإنهما لا يستويان عند الله ، بل المطيع له الكرامة الدائمة ، والعاصي له الهوان الباقي .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْرَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٢٩﴾

** يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : ألكم أيها القوم بتسويتكم بين المسلمين والمجرمين في كرامة الله كتاب نزل من عند الله أناكم به رسول من رسله بأن لكم ما تَخَيَّرُونَ ، فأنتم تدرسونه فيه ماتقولون .
و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) قال : فيه الذي تقولون تقرأونه : تدرسونه ، وقرأ (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ) . . . إلى آخر الآية .

وقوله (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ) يقول جل ثناؤه : إن لكم في ذلك الذي تخيرون من الأمور لأنفسكم ، وهذا أمر من الله ، توبيخ لهؤلاء القوم وتقريع لهم فيما كانوا يقولون من الباطل ، ويتمنون من الأمان الكاذبة .

وقوله (أَمْ لَكُمْ) فيه (أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْبَلَاغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) يقول : هل لكم أيمان علينا تنهي بكم إلى يوم القيامة ، بأن لكم ما تحكمون أي بأن لكم حكمكم ، ولكن الألف كسرت من «إن» لما دخل في الخبر اللام : أي هل لكم أيمان علينا بأن لكم حكمكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سل يا محمد هؤلاء المشركين أيهم بأن لهم علينا أيمانا بالغة بحكمهم إلى يوم القيامة (زَعِيمٌ) يعني : كفيل به ، والزعيم عند العرب : الضامن والمتكلم عن القوم .
كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ) يقول : أيهم بذلك كفيل .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله (سَلَّهْمُ أَيُّهْمُ بِذَلِكَ زَعِيمٌ) يقول : أيهم بذلك كفيل .
وقوله (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) يقول تعالى ذكره : أهؤلاء القوم شركاء فيما يقولون ويصفون من الأمور التي يزعمون أنها لهم ، فليأتوا بشركائهم في ذلك إن كانوا فيما يدعون من الشركاء صادقين :

القول في تاويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٧﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ ﴿١٨﴾

** يقول تعالى ذكره (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل : يبدو عن أمر شديد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال : هو يوم حرب وشدة .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال : عن أمر عظيم كقول الشاعر :

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ ۱

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) ولا يبقى مؤمن إلا سجد ، ويقسو ظهر الكافر فيكون عظما واحدا . وكان ابن عباس يقول : يكشف عن أمر عظيم ، ألا تسمع العرب تقول :

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) يقول : حين يكشف الأمر ، وتبدو الأعمال ، وكشفه : دخول الآخرة وكشف الأمر عنه .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) هو الأمر الشديد المفضع من الهول يوم القيامة .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي وابن حميد ، قالوا : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله

(١) هذا بيت من الرجز المشطور . أنشده المؤلف عند قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » : أي أمر عظيم . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) : « يوم يكشف عن ساق » : إذا اشتد الحرب والأمر ، قيل : قد كشف الأمر عن ساقه .

(يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال : شدة الأمر وجدّه ، قال ابن عباس : هي أشد ساعة في يوم القيامة . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال : شدة الأمر ، قال ابن عباس : هي أول ساعة تكون في يوم القيامة غير أن في حديث الحارث قال : وقال ابن عباس : هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن جبير ، قال : عن شدة الأمر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال : عن أمر فطيع جليل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال : يوم يكشف عن شدة الأمر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) وكان ابن عباس يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : شمرت الحرب عن ساق يعني إقبال الآخرة وذهاب الدنيا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزهراء ، عن عبد الله ، قال : «يتمثل الله للخلق يوم القيامة حتى يمرّ المسلمون ، قال : فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : نعبد الله لا نشرك به شيئا ، فينهرهم مرتين أو ثلاثا ، فيقول : هل تعرفون ربكم ؟ فيقولون : سبحانه إذا اعترف إلينا عرفناه ، قال : فعند ذلك يكشف عن ساق ، فلا يبقى مؤمن إلا خسر الله ساجدا ، ويبقى المنافقون ظهورهم طَبَقٌ واحد ، كأنما فيها السفايف ، فيقولون : ربنا ، فيقول : قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون » .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن مسعود ، قال : ينادى مناد يوم القيامة : أليس عدلا من ربكم الذي خلقكم ، ثم صوركم ، ثم رزقكم ، ثم توليتم غيره أن يولى كُُلُّ عبد منكم ماتولى ، فيقولون : بلى ، قال : فيمثل لكل قوم آلهتهم التي كانوا يعبدونها ، فيتبعونها حتى توردهم النار ، ويبقى أهل الدعوة ، فيقول بعضهم لبعض : ماذا تنتظرون ، ذهب الناس ؟ فيقولون : ننتظر أن ينادى بنا ، فيجىء إليهم في صورة ، قال : فذكر منها ما شاء الله ، فيكشف عما شاء الله أن يكشف ، قال : فيخرون سجداً إلا المنافقين ، فإنه يصير فقار أصلابهم عظما واحدا مثل صياصي البقر ، فيقال لهم : ارفعوا رؤوسكم إلى نوركم ، ثم ذكر قصة فيها طول .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال بن قيس بن سكين ، قال : حدثت عبد الله وهو عند عمر (يَوْمَ يَتَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : «إذا كان يوم القيامة قال :

يقوم الناس بين يدي رب العالمين أربعين عاما ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، حفاة عراة ، يلجمهم العرق ، ولا يكلمهم بشر أربعين عاما ، ثم ينادى مناد : يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم ، ثم عبدتم غيره ، أن يولى كل قوم ما تولوا ؟ قالوا : نعم ؟ قال : فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله ، قال : ويمثل لكل قوم ، يعنى آلهتهم ، فيتبعونها حتى تقذفهم في النار ، فيبقى المسلمون والمنافقون ، فيقال : ألا تذهبون فقد ذهب الناس ؟ فيقولون : حتى يأتينا ربنا ، قال : وتعرفونه ؟ فقالوا : إن اعترف لنا ، قال : فيتجلى فيخبر من كان يعبد ساجدا ، قال : ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن في ظهورهم السفافيد . قال : فيذهب بهم فيساقون إلى النار ، فيقذف بهم ، ويدخل هؤلاء الجنة ، قال : فيستقبلون في الجنة بما يستقبلون به من الثواب والأزواج والحدود العينية ، لكل رجل منهم في الجنة كذا وكذا ، بين كل جنة كذا وكذا ، بين أدناها وأقصاها ألف سنة هو يرى أقصاها كما يرى أدناها ، قال : ويستقبله رجل حسن الهيئة إذا نظر إليه مقبلا حسب أنه ربه ، فيقول له : لا تفعل إنما أنا عبدك وقهرمائك على ألف قرية ، قال : يقول عمر : يا كعب ألا تسمع ما يحدث به عبد الله ؟ .

حدثنا ابن جبرلة ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، قال : ثنا سليمان الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن أبي عبيدة وقيس بن سكين ، قالوا : قال عبد الله وهو يحدث عمر ، قال : وجعل عمر يقول : ويحك يا كعب ، ألا تسمع ما يقول عبد الله ؟ إذا حشر الناس على أرجلهم أربعين عاما شاخصة أبصارهم إلى السماء ، لا يكلمهم بشر ، والشمس على رؤوسهم حتى يلجمهم العرق ، كل بر منهم وفاجر ، ثم ينادى مناد من السماء : يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذي خلقكم وصوركم ، ثم توليتم غيره ، أن يولى كل رجل منكم ما تولى ، فيقولون بلى ، ثم ينادى مناد من السماء : يا أيها الناس ، فلتنطق كل أمة إلى ما كانت تعبد ، قال : ويبسط لهم السراب ، قال : فيمثل لهم ما كانوا يعبدون ، قال : فينطلقون حتى يلجوا النار ، فيقال للمسلمين : ما يحبسكم ؟ فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فيقال لهم : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : إن اعترف لنا عرفناه .

قال : وثني أبو صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم «حتى إن أحدهم ليلتفت فيكشف عن ساق ، فيقعون سجودا ، قال : وتُدْمَج أصلاب المنافقين حتى تكون عظما واحدا ، كأنها صياصي البقر ، قال : فيقال لهم : ارفعوا رؤوسكم إلى نوركم بقدر أعمالكم ، قال : فترفع طائفة منهم رؤوسهم إلى مثل الجبال من النور ، فيمرون على الصراط كطرف العين ، ثم ترفع أخرى رؤوسهم إلى أمثال القصور ، فيمرون على الصراط كمرّ الريح ، ثم يرفع آخرون بين أيديهم أمثال البيوت ، فيمرون كمرّ الخيل ، ثم يرفع آخرون إلى نور دون ذلك ، فيشدّون شدّا ، وآخرون دون ذلك يمشون مشيا حتى يبقى آخر الناس رجل على أنملة رجله مثل السراج ، فيخبر مرة ، ويستقيم أخرى ، وتصيبه النار فتشت منه حتى يخرج ، فيقول : ما أعطى أحد ما أعطيت ، ولا يدرى مما نجا ، غير أني وجدت مسها ، وإني وجدت حرّها ، وذكر حديثا فيه طول اختصرت هذا منه .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا هشام بن سعد ، قال : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ألا لتلحق كل أمة بما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد صنما ولا وثنا ولا صورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا في النار ، ويبقى من كان يعبد الله وحده من برّ وفاجر ، وغبرات : أهل الكتاب ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا ، ثم تدعى اليهود ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : عزير ابن الله ، فيقول : كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فإذا تريدون ؟ فيقولون : أي ربنا ظمئنا فيقول : أفلا تردون فيذهبون حتى يتساقطوا في النار ، ثم تدعى النصارى ، فيقال : ماذا كنتم تعبدون ؟ فيقولون : المسيح ابن الله ، فيقول : كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فإذا تريدون ؟ فيقولون : أي ربنا ظمئنا اسقنا ، فيقول : أفلا تردون ، فيذهبون فيتساقطون في النار ، فيبقى من كان يعبد الله من برّ وفاجر : قال : ثم يتبدى الله لنا في صورة غير صورته التي رأيناها فيها أول مرة ، فيقول : أيها الناس لحقت كل أمة بما كانت تعبد ، وبقيتُم أنتم فلا يكلمه يومئذ إلا الأنبياء ، فيقولون : فارقنا الناس في الدنيا ، ونحن كنا إلى صحبتهم فيها أحوج لحقت كل أمة بما كانت تعبد ، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، فيقول : هل بينكم وبين الله آية تعرفونه بها ؟ فيقولون نعم ، فيكشف عن ساق ، فيخرون سجدا أجمعون ، ولا يبقى أحد كان سجد في الدنيا سمعة ولا رياء ولا نفاقا ، إلا صار ظهره طبقا واحدا ، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ، قال : ثم يرجع يرفع برّنا ومسيئتنا ، وقد عاد لنا في صورته التي رأيناها فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعم أنت ربنا ثلاث مرّار .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وسعيد بن الليث ، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن يزيد ، عن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يُنَادِي مُنَادِيهِ فَيَقُولُ : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَتَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلَيبِ مَعَ صَلَيبِهِمْ ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَتَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُسْبَرَاتٍ أَهْلُ الْكِتَابِ ، ثُمَّ يَوْتِي بِجَهَنَّمَ تَعْرِضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ» ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال «فَإِنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا ، فَقَالَ : إِنْ كَانَ قَالَهُ فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَّارُ» ، ثم حدثنا الحديث نحو حديث المسروقي .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن زيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يَأْخُذُ اللَّهُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبْعَةٌ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ مَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عَزْرِيٍّ ، فَتَتَّبَعُهُ الْيَهُودُ ، وَجَعَلَ اللَّهُ مَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عِيسَى فَتَتَّبَعُهُ النَّصَارَى ، ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ أَسْمَعَ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ ، فَقَالَ : أَلَا لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِآلِهَتِهِمْ»

(١) في النهاية لابن الأثير : للغبرات جمع غبر ، وهو من الغابر الباقي . وفي اللسان : وغبر كل شيء : بقيته .

وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا مِثْلَ
لَهُ آلِهَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَادَتْهُمْ إِلَى النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ فِيهِمُ الْمُنَافِقُونَ
قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ذَهَبَ النَّاسُ ، ذَهَبَ النَّاسُ ، الْحَقُّوْا بِآلِهَتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَ ، فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ مَا لَنَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ إِلَّا غَيْرَهُ ، وَهُوَ اللَّهُ
ثَبَّتَهُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمُ الثَّانِيَّةَ مِثْلَ ذَلِكَ : الْحَقُّوْا بِآلِهَتِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ،
فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقَالُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ مِنْ آيَةٍ تَعْرِفُونَهَا ؟ فَيَقُولُونَ
نَعَمْ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ مَا يَعْرِفُونَهُ أَنَّهُ رَبُّهُمْ فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ
وَيَقَعُ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلَى قَفَاهُ ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ أَصْلَابَهُمْ كَصِيَاصِي الْبَقَرِ .

وحدثني أبو زيد عمر بن شبة ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو سعيد روح بن جناح ، عن مولى
لعمر بن عبد العزيز ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « (يَوْمَ
يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) » قال : عن نور عظيم ، يخرون له سجداً .

حدثني جعفر بن محمد البرزوري ، قال : ثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر ، عن الربيع في قول الله (يَوْمَ
يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال : يكشف عن الغطاء ، قال : وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، في قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ
عَنْ سَاقٍ) قال : هو يوم كرب وشدة . وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (يَوْمَ تَكْشَفُ
عَنْ سَاقٍ) بمعنى : يوم تكشف القيامة عن شدة شديدة ، والعرب تقول : كشف هذا الأمر عن ساق :
إذا صار إلى شدة ؛ ومنه قول الشاعر :

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِيهَا وَبَدَأَ مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ ١

وقوله (وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) يقول : ويدعوهم الكشف عن الساق إلى السجود
لله تعالى فلا يطيقون ذلك .

وقوله (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ) يقول : تغشاهم ذلة من عذاب الله (وَقَدْ كَانُوا
يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) يقول : وقد كانوا في الدنيا يدعونهم إلى السجود له ، وهم
سالمون ، لا يمنعهم من ذلك مانع ، ولا يحول بينه وبينهم حائل . وقد قيل : السجود في هذا الموضع :
الصلاة المكتوبة .

(١) البيت بلد طرفة كما قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٤٠) قال عند قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » : القراء مجتمعون
على رفع الياء . وبسنده إلى ابن عباس : أنه قرأ : « يوم تكشف (بالهاء مفتوحة) ، يريد القيامة والساعة لشدتها . قال : وأنشدني
بعض العرب بلد طرفة : وهو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد :

كشفت لهم عن ساقها وبدأ من الشر البراح

وروايته في (اللسان : سوق) عن ديوان الحماسة : « الصراح ، في موضع » : « البراح » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم التيمي (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَائِمُونَ) قال : إلى الصلاة المكتوبة .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن سعيد بن جبير (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) قال : يَسْمَعُ المُنَادِي إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه .
قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن إبراهيم التيمي (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) قال : الصلاة المكتوبة .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) .. الآية ، قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَائِمُونَ) قال : هم الكفار كانوا يدعون في الدنيا وهم آمنون ، فالיום يدعوههم وهم خائفون ، ثم أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة ، فأما في الدنيا فإنه قال (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) وأما في الآخرة فإنه قال (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ . خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلكم والله يوم القيامة . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُؤْذَنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي السُّجُودِ ، فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَبَيْنَ كُلِّ مُؤْمِنَيْنِ مُنَافِقٌ ، فَيَقْسُو ظَهْرُ الْمُنَافِقِ عَنِ السُّجُودِ ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ سُجُودَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ تَوْبِيخًا وَذُلًّا وَصَغَارًا ، وَنَدَامَةً وَحَسْرَةً » .

وقوله (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) أي في الدنيا (وَهُمْ سَائِمُونَ) : أي في الدنيا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « بلغني أنه يُؤْذَنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي السُّجُودِ بَيْنَ كُلِّ مُؤْمِنَيْنِ مُنَافِقٌ يَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْمُنَافِقُ أَنْ يَسْجُدَ ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ : تَقْسُو ظُهُورَهُمْ ، وَيَكُونُ سُجُودُ الْمُؤْمِنِينَ تَوْبِيخًا عَلَيْهِمْ ، قَالَ : (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَائِمُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَذَرْنِي وَمَنْ كَذَّبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كَيْلٌ يَا مُحَمَّدُ أَمْرُهُؤَلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بِالْقُرْآنِ إِلَى ، وهذا كقول القائل لآخر غيره يتوعد رجلا : دعني وإياه ، واخلني وإياه ، بمعنى : أنه من وراء مساءته . و« مَنْ »

في قوله (وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ) في موضع نصب ، لأن معنى الكلام ما ذكرت ، وهو نظير قولهم لو تركت ورأيك ما أفلحت . والعرب تنصب : ورأيك ، لأن معنى الكلام : لو وكلتك إلى رأيك لم تفلح : وقوله (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) يقول جل ثناؤه : سنكيدهم من حيث لا يعلمون ، وذلك بأن يمتنعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله ، فيتمادوا في طغيانهم ، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون .
وقوله (وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) يقول تعالى ذكره : وأنسى في آجالهم ملاوة من الزمان ، وذلك برهة من الدهر على كفرهم وتمردهم على الله لتكامل حجج الله عليهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) يقول : إن كيدي بأهل الكفر قوى شديد .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَرْتَهُمْ أَجْرًا فَمِنْ مَن مَّغْرَمٌ مُثْقَلُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٢﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أتسأل يا محمد هؤلاء المشركين بالله على ما أتيتهم به من النصيحة ، ودعوتهم إليه من الحق ، ثوابا وجزاء (فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) يعنى من غرم ذلك الأجر مثقلون ، قد أثقلهم القيام بأدائه ، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك ، وتجنبوا لعظم ما أصابهم من ثقل الغرم الذى سألهم على ذلك الدخول فى الذى دعوتهم إليه من الدين .
وقوله (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ) يقول : أعندهم اللوح المحفوظ الذى فيه نبأ ما هو كائن ، فهم يكتبون منه ما فيه ، ويجادلونك به ، ويزعمون أنهم على كفرهم ببرهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْطِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٣﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكُوْا نِعْمَةً مِّن رَّبِّهِ لَكُنْتُمْ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٤﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمه فيك ، وفى هؤلاء المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن ، وهذا الدين ، وامض لما أمرك به ربك ، ولا يشنك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك .

وقوله (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْطِ) الذى حبسه فى بطنه ، وهو يونس بن متى صلى الله عليه وسلم فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك ، كما عاقبه فحبسه فى بطنه . (إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ) يقول : إذ نادى وهو مغموم ، قد أثقله الغم وكظمه .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إذ نادى وهو مكظوم) يقول : مغموم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مكظوم) قال : مغموم . وكان قتادة يقول في قوله (ولا تكن كصاحب الحوت) : لا تكن مثله في العجالة والغضب . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) يقول : لا تعجل كما عجل ، ولا تغضب كما غضب . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله . وقوله (لولا أن تداركه نعمته من ربه) يقول جل ثناؤه : لولا أن تدارك صاحب الحوت نعمة من ربه ، وتاب عليه من مغاضبته ربه (لنبيذ بالعراء) وهو الفضاء من الأرض ؛ ومنه قول قيس بن جعدة :

ورفعت رجلا لأخاف عثارها ونبتت بالبلد العراء ثيابي^١
(وهو مذموم) اختلف أهل التأويل في معنى قوله (وهو مذموم) فقال بعضهم : معناه وهو سليم :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وهو مذموم) يقول : وهو سليم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهو مذنب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه عن بكر (وهو مذموم) قال : هو مذنب . القول في تأويل قوله تعالى :

فَاجْبِدْهُ رَبُّهُ فَقَحَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥١﴾ وَإِنْ جَاذَلْتَهُمْ كَفَرُوا وَلَنْ يُؤْمِنُوا أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَكُنْتُمْ ﴿٥٢﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾

* يقول تعالى ذكره : فاجتبي صاحب الحوت ربّه ، يعني اصطفاه واختياره لنبوته (فجعله من الصالحين) يعني من المرسلين العاملين بما أمرهم به ربهم ، المنهين عما نهاهم عنه .

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) عند قوله تعالى : « النبيذ بالعراء » قال : لآلئ بوجه الأرض . قال رجل من خزاعة يقال له قيس بن جمدة أحد الفرارين : ورفعت رجلا . . . البيت » .

وقوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول جل ثناؤه : وإن يكاد الذين كفروا يا محمد يَنفُذُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ من شدة عداوتهم لك ويزيلونك فيرموا بك عند نظرهم إليك غيظا عليك . وقد قيل : إنه عُنِيَ بذلك : وإن يكاد الذين كفروا مما عانوك بِأَبْصَارِهِمْ ليرمون بك يا محمد ، ويصرعونك كما تقول العرب : كاد فلان يصرعني بشدة نظره إليّ ، قالوا : وإنما كانت قريش عانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوه بالعين ، فنظروا إليه ليعينوه ، وقالوا : ما رأينا رجلا مثله ، أو إنه لمجنون ، فقال الله لنبيه عند ذلك : وإن يكاد الذين كفروا ليرمونك بِأَبْصَارِهِمْ (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) .

وبنحو الذي قلنا في معنى (لَيُزْلِقُونَكَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) يقول : يَنفُذُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ من شدة النظر ، يقول ابن عباس : يقال للسهم : زَهَقَ السهم أو زاق .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول : لَيَنفُذُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول : ليزهقونك بِأَبْصَارِهِمْ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا معاوية ، عن إبراهيم ، عن عبد الله أنه كان يقرأ (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَيُزْلِقُونَكَ) قال : لينفذونك بِأَبْصَارِهِمْ حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله (لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) قال : ليزهقونك ، وقال الكلبي : ليصرعونك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) لينفذونك بِأَبْصَارِهِمْ معادة لكتاب الله ، ولذكر الله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول : يَنفُذُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ من العداوة والبغضاء .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لَيُزْلِقُونَكَ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة (لَيُزْلِقُونَكَ) بفتح الياء من زلقته أزلقه زلقا . وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة (لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء من أزلقه يزلقه .

❖ والصواب من القول في ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان في العرب متقاربتا المعنى والعرب تقول للذي يخلق الرأس : قد أزلقه وزلقه ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب : وقوله (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) يقول : لما سمعوا كتاب الله يتلى (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم إن محمداً لجنون ، وهذا الذي جاءنا به من الهذيان الذي يهذي به في جنونه (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) وما محمد إلا ذكر ذكر الله به العالمين الثقلين الجن والإنس .

آخر تفسير سورة ن والقلم

(٦٩) سُوْرَةُ الْحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَنَانٌ وَخَبْرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَى ۝

❖ يقول تعالى ذكره : الساعة (الحاقة) التي تحقق فيها الأمور ، ويجب فيها الجزاء على الأعمال (ما الحاقة) يقول : أى شيء الساعة الحاقة . وذكر عن العرب أنها تقول : لما عرف الحاقة متى والحقة متى ، وبالكسر بمعنى واحد في اللغات الثلاث ، وتقول : وقد حقق عليه الشيء إذا وجب ، فهو يحقق حقوقاً . والحاقة الأولى مرفوعة بالثانية ، لأن الثانية بمنزلة الكناية عنها ، كأنه عجب منها ، فقال : الحاقة : ما هي كما يقال : زيد ما زيد . والحاقة الثانية مرفوعة بما ، وما بمعنى أى ، وما رفع بالحاقة الثانية ، ومثله في القرآن (وأصحابُ اليممين ما أصحابُ اليممين) و(القارعةُ ما القارعةُ) فما في موضع رفع بالقارعة الثانية والأولى بجملة الكلام بعدها .

وبنحو الذي قلنا في قوله (الحاقة) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : (الحاقة) قال : من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذّره عباده .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن عكرمة قال (الحاقة) القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الحاقة) يعني الساعة أحقت لكل عامل عمله .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الحاقة) قال : أحقت لكل قوم أعمالهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (الحاقة) يعني القيامة :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الحاقة) ما الحاقة - والقارعة - ما القارعة ، والواقعة ، والطامة ، والصاخة) قال : هذا كله يوم القيامة الساعة ، وقرأ قول الله (ليس لواقعيتها كاذبة خافضة رافعة) والخافضة من هؤلاء أيضا خفضت أهل النار ، ولا نعلم أحدا أخفض من أهل النار ، ولا أذل ولا أخزى ، ورفعت أهل الجنة ، ولا نعلم أحدا أشرف من أهل الجنة ولا أكرم . وقوله (وما أدراك ما الحاقة) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأي شيء أدراك وعرفك أي شيء الحاقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان قال : ما في القرآن : وما يدريك ، فلم يخبره ، وما كان وما أدراك ، فقد أخبره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وما أدراك ما الحاقة) تعظيما ليوم القيامة كما تسمعون :

وقوله (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) يقول تعالى ذكره : كذبت ثمود قوم صالح ، وعاد قوم هود بالساعة التي تفرع قلوب العباد فيها بهجومها عليهم والقارعة أيضا : اسم من أسماء القيامة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالساعة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال : القارعة : يوم القيامة :

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَالِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَجْرَارٌ نَحْلٌ ۚ خَاوِيَةٌ ۝ فَمَلَّ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝

** يقول تعالى ذكره (فَأَمَّا ثَمُودُ) قوم صالح ؛ فأهلكهم الله بالطاغية .

واختلف في معنى الطاغية التي أهلك الله بها ثمود أهل التأويل ، فقال بعضهم : هي طغيانهم وكفرهم بالله ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل (فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) قال : بالذنوب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) فقرأ قول الله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) وقال : هذه الطاغية طغيانهم وكفرهم بآيات الله الطاغية طغيانهم الذي طغوا في معاصي الله وخلاف كتاب الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأهلكوا بالصيحة التي قد جاوزت مقادير الصباح وطغت عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) بعث الله عليهم صيحة فأهلكهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِالطَّاغِيَةِ) قال : أرسل الله عليهم صيحة واحدة فأهلكهم .

** وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : فأهلكوا بالصيحة الطاغية :

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به ، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به ، فقال (وَأَمَّا عادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله ، كان الخبر أيضا عن عاد كذلك ، إذ كان ذلك في سياق واحد ، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت :

وقوله (وَأَمَّا عادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) يقول تعالى ذكره : وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر ، وهي الشديدة العصف مع شدة بردها (عَاتِيَةٍ) يقول : عتت على خزائنها في الهبوب ، فتجاوزت في الشدة والعصف مقدارها المعروف في الهبوب والبرد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه عن ابن عباس ، قوله (وَأَمَّا عادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) يقول : بريح مهلكة باردة ، عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة ، دائمة لاتفسر :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأما عادٌ فأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) والصرصر الباردة عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن المسيب ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : « ما أرسل الله من ريح قطّ إلا بمكيال ولا أنزل قطرة قطّ إلا بمثقال ، إلا يوم نوح ويوم عاد ، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانة ، فلم يكن لهم عليه سبيل ، ثم قرأ (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) وإن الريح عتت على خزائنها فلم يكن لهم عليها سبيل ، ثم قرأ (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا أبو سنان ، عن غير واحد ، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، قال : « لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك ؛ فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان ، فطغى الماء على الجبال فخرج ، فذلك قول الله (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) ولم ينزل من الريح شيء إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد ، فإنه أذن لها دون الخزان ، فخرجت ، وذلك قول الله (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) عتت على الخزان » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) قال : الصرصر : الشديدة ، والعاتية : القاهرة التي عتت عليهم فقهرتهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (صَرْصَرٍ) قال : شديدة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) يعني : باردة عاتية ، عتت عليهم بلا رحمة ولا بركة .

وقوله (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) يقول تعالى ذكره سخر تلك الرياح على عاد سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فقال بعضهم : عني بذلك تباعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) يقول : تباعا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حُسُومًا) قال : متتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : قال حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود (وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) قال : متتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن مسعود

مثل حديث محمد بن عمرو .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله (حُسُوما) قال : تباعا .

قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، في قوله : (حُسُوما) قال : تباعا :

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية (وَأَثْمَانِيَّةَ أَيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة .

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة (وَأَثْمَانِيَّةَ أَيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة ليس لها فترة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَثْمَانِيَّةَ أَيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة ليس فيها تفتير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (حُسُوما) قال : دائماً . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر عبد الله بن سحابة ، عن ابن مسعود (أَيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان قال : قال مجاهد : (أَيَّامٍ حُسُوماً) قال : تباعا . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (أَيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة ، و (أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ) قال : مشائيم .

وقال آخرون : عني بقوله (حُسُوما) الريح ، وأنها تحسم كل شيء ، فلا تبقى من عاد أحدا ، وجعل هذه الحسوم من صفة الريح .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَأَثْمَانِيَّةَ أَيَّامٍ حُسُوما) قال : حسمتهم لم تبق منهم أحدا ، قال : ذلك الحسوم مثل الذي يقول : احسم هذا الأمر ؛ قال : وكان فيهم ثمانية لهم خلق يذهب بهم في كل مذهب ؛ قال : قال موسى بن عقبة : فلما جاءهم العذاب قالوا : قوموا بنا نرد هذا العذاب عن قومنا ؛ قال : فقاموا وصفوا في الوادي ، فأوحى الله إلى ملك الريح أن يقلع منهم كل يوم واحداً ، وقرأ قول الله (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوما) حتى بلغ (نخل خاوية) قال : فإن كانت الريح تمر بالظعينة فتستدبرها وحولتها ، ثم تذهب بهم في السماء ، ثم تكبهم على الرؤوس ، وقرأ قول الله (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا) قال : وكان أمسك عنهم المطر ، فقرأ حتى بلغ (تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) قال : وما كانت الريح تقلع من أولئك الثمانية كل يوم إلا واحداً ؛ قال : فلما عذب الله قوم عاد ، أبى الله واحداً ينذر الناس ، قال : فكانت امرأة قد رأت قومها ، فقالوا لها : أنت أيضا ، قالت : تنحيت على الجبل ؛ قال : وقد قيل

لها بعد : أنت قد سلمت وقد رأيت ، فكيف لارأيت عذاب الله ؟ قالت : ما أدري غير أن أسلم ليلة :
ليلة لاريج .

❖ وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب قول من قال : عُنِيَ بقوله (حُسُومًا) متتابعة ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . وكان بعض أهل العربية يقول : الحسوم : التباع ، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره قيل فيه حسوم ؛ قال : وإنما أخذ والله أعلم من حسم الداء : إذا كوى صاحبه ، لأنه لحم يكوى بالمكواة ، ثم يتابع عليه .

وقوله (فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى) يقول : ترى يا محمد قوم عاد في تلك السبع الليالي والثمانية الأيام الحسوم صرعى قد هلكوا (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) يقول : كأنهم أصول نخل قد خوت : كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) وهي أصول النخل .

وقوله (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فهل ترى يا محمد لعاد قوم هود من بقاء : وقيل : عُنِيَ بذلك فهل ترى منهم باقيا . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من البصريين يقول : معنى ذلك : فهل ترى لهم من بقية ، ويقول : مجازها مجاز الطاغية مصدر :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۖ فَعَصَوُا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ۖ إِذَا الْمَاطِغَاءُ الْمَاءِ حَمَلَتْكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۖ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ ۖ

❖ يقول تعالى ذكره (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ) مصر . واختلفت القراء في قراءة قوله (وَمَنْ قَبْلَهُ) فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ومكة خلا الكسائي (وَمَنْ قَبْلَهُ) بفتح القاف وسكون الباء ، بمعنى : وجاء من قبل فرعون من الأمم المكذبة بآيات الله كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط بالخطيئة : وقرأ ذلك عامة قراء البصرة والكسائي (وَمَنْ قَبْلَهُ) بكسر القاف وفتح الباء ، بمعنى : وجاء مع فرعون من أهل بلده مصر من القبط .

❖ والصواب من القول في ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارى فصيب وقوله (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ) يقول : والقرى التى ائتفكت بأهلها فصار عاليها سافلها (بِالْخَاطِئَةِ) يعنى بالخطيئة . وكانت خطيئتها : إتيانها الذكران في أدبارهم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ الْمُؤْتَفِكَاتُ) قرية لوط . وفي بعض القراءة (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ) .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ) قال : المؤتفكات : قوم لوط ، ومدينتهم وزرعهم : ، وفي قوله (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ أَهْوَى) قال : أهواها من السماء : رمى بها من السماء ، أوحى الله إلى جبريل عليه السلام ، فاقتلعها من الأرض ، ربضها ومدينتها ، ثم هوى بها إلى السماء ، ثم قلبهم إلى الأرض ، ثم أتبعهم الصخر حجارة ، وقرأ قول الله (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةٍ) قال : المسومة : المعدة للعذاب :
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ) يعني المكذبين :
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) هم قوم لوط ، اثتفكت بهم أرضهم .

وبما قلنا في قوله (بِالْخَاطِئَةِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِالْخَاطِئَةِ) قال : الخطايا :
وقوله (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) يقول جل ثناؤه : فعصى هؤلاء الذين ذكرهم الله ، وهم فرعون ومن قبله والمؤتفكات رسول ربهم .
وقوله (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) يقول : فأخذهم ربهم بتكذيبهم رسله أخذة ، يعني أخذة زائدة شديدة نامية من قولهم أربيت : إذا أخذ أكثر مما أعطى من الربا ، يقال : أربيت فربا رباك ، والفضة والذهب قد ربوا :
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَخْذَةً رَابِيَةً) قال : شديدة .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) يعني أخذة شديدة .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) قال : كما يكون في الخير رابية كذلك يكون في الشر رابية ، قال : ربا عليهم : زاد عليهم

وقرأ قول الله عز وجل : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) ، وقرأ قول الله عز وجل : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ، وَآثَاهُمْ تَقْنُوَاهُمْ) يقول : ربا لهؤلاء الخير ولهؤلاء الشر .

وقوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) يقول تعالى ذكره : إنا لما كثر الماء فتجاوز حده المعروف ، كان له ، وذلك زمن الطوفان .

وقيل : إنه زاد فعلا فوق كل شيء بقدر خمس عشرة ذراعا .

ذكر من قال ذلك ، ومن قال في قوله (طَغَى) مثل قولنا

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ) قال : بلغنا

أنه طغى فوق كل شيء خمس عشرة ذراعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)

ذاكم زمن نوح طغى الماء على كل شيء خمس عشرة ذراعا بقدر كل شيء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، في قوله

(إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) قال : لم تنزل من السماء قطرة إلا بعلم الخزان ، إلا حيث

طغى الماء ، فإنه قد غضب لغضب الله ، فطغى على الخزان ، فخرج ما لا يعلدون ما هو .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا لَمَّا

طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) إنما يقول : لما كثر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ) يعني كثر الماء ليالي غرق الله قوم نوح .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ) قال محمد

ابن عمرو في حديثه : طما ؛ وقال الحارث : ظهر .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، في قوله (إِنَّا لَمَّا

طَغَى الْمَاءُ) : كثر وارتفع .

وقوله (حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) يقول : حملناكم في السفينة التي تجري في الماء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) الجارية : السفينة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)

والجارية : سفينة نوح التي حملتم فيها ؛ وقيل : حملناكم ، فخطب الذين نزل فيهم القرآن ، وإنما حمل أجدادهم نوحا وولده ، لأن الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية ، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملا لذريتهم على ما قد بيّنا من نظائر ذلك في أماكن كثيرة من كتابنا هذا .

وقوله (لِنَجْعَلَنَّ لَكُمْ تَذْكِرَةً) يقول : لنجعل السفينة الجارية التي حملناكم فيها لكم تذكرة ، يعني عبرة وموعظة تتعظون بها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِنَجْعَلَنَّ لَكُمْ تَذْكِرَةً) فأبقيها الله تذكرة وعبرة وآية حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ، وكم من سفينة قد كانت بعد سفينة نوح قد صارت رمادا .

وقوله (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) يعني حافظة عقلت عن الله ما سمعت .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) يقول : حافظة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) يقول : سامعة وذلك الإعلان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عليّ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال : أذن عقلت عن الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) أذن عقلت عن الله ، فانتفعت بما سمعت من كتاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال : أذن سمعت ، وعقلت ما سمعت .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : الضحاك يقول في قوله (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) سمعتها أذن ووعت .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن عليّ بن حوشب ، قال : سمعت مكحولاً يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) ثم التفت إلى عليّ ، فقال : سألت الله أن يجعلها أذناً ، قال عليّ رضي الله عنه : فما سمعت شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسيته » .

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، قال : ثنا عبد الله ابن رستم ، قال : سمعت بُرَيْدَةَ يَقُولُ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَعَلَى : يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُدْنِيكَ وَلَا أُقْصِيكَ ، وَأَنْ أُعَلِّمَكَ ، وَأَنْ تَعْبِيَ ، وَحَقَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ تَعْبِيَ » ، قال : فَنَزَلَتْ (وَتَعْبِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَّةٌ) .

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا الحسن بن حماد ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمي عن فضيل بن عبد الله ، عن أبي داود ، عن بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ، قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَعَلَى : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكَ وَأَنْ أُدْنِيكَ وَلَا أُجْفُوكَ وَلَا أُقْصِيكَ » ، ثم ذكر مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَعْبِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَّةٌ) قال : واعية يحذرون معاصي الله أن يعذبهم الله عليها ، كما عذب من كان قبلهم تسمعها فتعيبها ، إنما تعي القلوب ما تسمع الآذان من الخير والشر من باب الوعي .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ

* يقول تعالى ذكره : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) إسماعيل (نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) وهي النفخة الأولى ، (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) يقول : فزلزلتا زلزلة واحدة . وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) قال : صارت غبارا . وقيل : (فَدُكَّتَا) وقد ذكر قبل الجبال والأرض ، وهي جماع ، ولم يقل : فدككن ، لأنه جعل الجبال كالشيء الواحد ، كما قال الشاعر :

هُمَا سَيِّدَانِ يَزْعُمَانِ وَإِنَّمَا يَسُودَانِنَا إِن يَسَّرَتْ غَنَاهُمَا

(١) نسب البيت صاحب اللسان (يسر) والعين في شرح شواهد الألفية إلى أبي أسيدة الديري . وأنشد في اللسان قبله بيتا آخر ، وهو :

إِنَّ لَنَا شَيْخَيْنِ لَا يَنْفَعَانِنَا غَنِيَّتَيْنِ لَا يُجْدِي عَمَلَيْنَا غِنَاهُمَا

أي ليس فيهما من السيادة إلا كونهما قد يسرت غناهما ، أي كثرت وكثرت ألبانها ونسلها ، والودد يوجب البذل والنعطاء والحراسة والحماية وحسن التدبير والحلم ، وليس عندهما من ذلك شيء . واستشهد المؤلف بالبيت على أن الشاعر قال : غناهما بلفظ التثنية للغم ، مع أن الغم اسم للجمع ، وليس بمفرد ، ولكنه عام له معاملة المفرد ، كما اعتبرت الجبال في قوله تعالى « وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة » في حكم المفرد كالأرض ، ولذلك قال : فدكتا ، ولم يقل فدككن . اهـ . وفي البيت شاهد آخر عند النحويين في باب إلغاء عمل ظن وأفعال القلوب إذا تأخرت عن معموليها ولو تقدمت عليهما لعملت فيهما النصب .

وكما قيل : (أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا) (فيومئذ وقعت الواقعة) يقول جل ثناؤه :
فيومئذ وقعت الصبيحة الساعة ، وقامت القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةً ۖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَلِيَّةٌ ۖ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۚ

** يقول تعالى ذكره : وانصدعت السماء (فتهيى يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةً) يقول : منشقة منصدعة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، قال : « إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها ، ونزل من فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، فصفوا صفا دون صف ثم نزل الملك الأعلى على مجنبيه اليسرى جهنم ، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا ، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه ، فذلك قول الله (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) وذلك قوله (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ، وقوله (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ، لَآتِنَفْذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) وذلك قوله (وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) يعني : متمزقة ضعيفة .
(وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) يقول تعالى ذكره : والملاك على أطراف السماء حين تشقق وحافاتهما .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) يقول : والملاك على حافات السماء حين تشقق ، ويقال على شقة ، كل شيء تشقق عنه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) قال : أطرافها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) قال : على حافات السماء .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : قلت للضحاك : ما أرجاؤها ، قال : حاقاتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد : ، عن قتادة (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) على حاقاتها .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) قال : بلغني أنها أقطارها ، قال قتادة : على نواحيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) قال : نواحيها .
حدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن المسيب : الأرجاء حافات السماء .

قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) قال : على ما لم يته منها .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا حسين الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) قال : على ما لم يته منها .
وقوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ) (اختلاف أهل التأويل في الذي عني بقوله (ثَمَانِيَّةٌ) فقال بعضهم : عني به ثمانية صفوف من الملائكة ، لا يعلم عدتهن إلا الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طاق عن ظهير ، عن السدي ، عن أبي مالك عن ابن عباس : (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ) قال : ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ) قال : هي الصفوف من وراء الصفوف .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ) قال : ثمانية صفوف من الملائكة .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ) قال بعضهم : ثمانية صفوف لا يعلم عدتهن إلا الله .
وقال بعضهم : ثمانية أملاك على خلق الوعدة .
وقال آخرون : بل عني به ثمانية أملاك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ)

فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ) قال : ثمانية أملاك ، وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَحْمِلُهُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَانِيَّةٌ » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَقْدَامَهُمْ لَتَنِي الْأَرْضَ السَّابِعَةَ ، وَإِنَّ مَنَاكِبَهُمْ تَخَارِجَتُ مِنَ السَّمَوَاتِ عَلَيْهَا الْعَرْشُ » قال ابن زيد الأربعة قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا خَلَقَهُمُ اللَّهُ قَالَ : تَدْرُونَ لِمَ خَلَقْتُكُمْ ؟ قَالُوا : خَلَقْتَنَا رَبَّنَا لِمَا تَشَاءُ ، قَالَ لَهُمْ : تَحْمِلُونَ عَرْشِي ، ثُمَّ قَالَ : سَلُونِي مِنَ الْقُوَّةِ مَا شِئْتُمْ أَجْعَلُهَا فِيكُمْ ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : قَدْ كَانَ عَرْشُ رَبَّنَا عَلَى الْمَاءِ ، فَاجْعَلْ فِي قُوَّةِ الْمَاءِ ، قَالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الْمَاءِ ؛ وَقَالَ آخَرُ : اجْعَلْ فِي قُوَّةِ السَّمَوَاتِ ، قَالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ السَّمَوَاتِ ؛ وَقَالَ آخَرُ : اجْعَلْ فِي قُوَّةِ الْأَرْضِ ، قَالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ؛ وَقَالَ آخَرُ : اجْعَلْ فِي قُوَّةِ الرِّيحِ ، قَالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الرِّيحِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ائْمِلُوا ، فَوَضَعُوا الْعَرْشَ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ ، فَلَمْ يَزُولُوا ؛ قَالَ : فَجَاءَ عِلْمٌ آتَرٌ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِمُ الَّذِي سَأَلُوهُ الْقُوَّةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا : لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَقَالُوا : لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ عَلَيْهِمْ ، فَحَمَلُوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ساحة ، عن ابن إسحاق ، قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هُمُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ » ، يعني حملة العرش « وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَيْدَاهُمْ اللَّهُ بِأَرْبَعَةِ آخَرِينَ فَكَانُوا ثَمَانِيَّةً » ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ : (وَيَحْمِلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ) قال : أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور : وقوله (يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ) لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (يقول تعالى ذكره : يومئذ أبها الناس تعرضون على ربكم ، وقيل : تعرضون ثلاث عرضات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، قال : ثنا علي بن الرفاعي ، عن الحسن ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : « تُعَرِّضُ النَّاسُ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرٌ ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي ، فَتَأْخُذُ بِيَمِينِهِ ، وَتَأْخُذُ بِشِمَالِهِ » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن مروان الأصغر ، عن أبي وائل عن عبد الله ، قال : « يُعَرِّضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ : عَرْضَتَانِ مَعَاذِيرٌ وَخُصُومَاتٌ ، وَالْعَرْضَةُ الثَّلَاثَةُ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَئِذٍ تُعَرِّضُونَ) لَا تَخْفَى

مِنْكُمْ خَافِيَةً) ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «يُعْرَضُ النَّاسُ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ ففِيهِمَا خُصُومَاتٌ وَمَعَاذِيرٌ وَجُدَالٌ. وَأَمَّا الْعَرْضَةُ الثَّلَاثَةُ فَتُطَوَّرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي». حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ بَنِيهِ. وَقَوْلُهُ (لَا تَخْشَى مِنْكُمْ خَافِيَةً) يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَا تَخْشَى عَلَى اللَّهِ مِنْكُمْ خَافِيَةً، لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِكُمْ، مُحِيطٌ بِكُلِّكُمْ.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَآكُتَابِيَّةٌ ۖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٌ ﴿٤٠﴾

❦ يقول تعالى ذكره: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِيَمِينِهِ، فيقول تعالى (اقْرَأُوا كِتَابِيَّةً). كما حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن ريد، في قول الله (هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَآكُتَابِيَّةً) قال: تعالوا. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان بعض أهل العلم يقول: وجدت أكرس الناس من قال: (هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَآكُتَابِيَّةً). وقوله (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً) يقول: اني علمت أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ إِذَا وَرَدَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَبِّي.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (إِنِّي ظَنَنْتُ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً) يقول: أيقنت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً): ظنّ ظناً يقيناً، فنفعه الله بظنه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً) قال: إن الظنّ من المؤمن يقين، وإن عسى من الله واجب (فَعَسَى أَوْلَىٰكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ - وَعَسَى أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ).

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً) قال: ما كان من ظنّ الآخرة فهو علم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، قال: كلّ ظنّ في القرآن (إِنِّي ظَنَنْتُ) يقول: أي علمت.

القول في تأويل قوله تعالى :

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٦١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٦٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٦٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٦٤﴾

** يقول تعالى ذكره : فالذي وصفت أمره ، وهو الذي أوتي كتابه بيمينه ، في عيشة مرضية ، أو عيشة فيها الرضا ، فوصفت العيشة بالرضا وهي مرضية ، لأن ذلك مدح للعيشة ، والعرب تفعل ذلك في المدح والذم فتقول : هذا ليل نائم ، وسرّ كاتم ، وماء دافق ، فيوجهون الفعل إليه ، وهو في الأصل مفعول لما يراد من المدح أو الذم ، ومن قال ذلك لم يجز له أن يقول للضارب مضروب ، ولا للمضروب ضارب ، لأنه لا مدح فيه ولا ذم .

وقوله (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) يقول : في بستان عال رفيع ، و « في » من قوله (فِي جَنَّةٍ) من صلاة عيشة وقوله (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) يقول : ما يقطف من الجنة من ثمارها دان قريب من قاطفه .
وذكر أن الذي يريد ثمرها يتناوله كيف شاء قائما وقاعدا ، لا يمنعه منه بعد ، ولا يحول بينه وبينه شوك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول في هذه الآية (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) قال : يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) : دنت فلا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك .

وقوله (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) يقول لهم ربهم جل ثناؤه : كلوا معشر من رضيت عنه ، فأدخلته جنتي من ثمارها ، وطيب ما فيها من الأطعمة ، واشربوا من أشربتها ، (هَنِيئًا لَكُمْ) لاتأذون بما تأكلون ، ولا بما تشربون ، ولا تحتاجون من أكل ذلك إلى غائط ولا بول (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) يقول : كلوا واشربوا هنيئا : جزاء من الله لكم ، وثوابا بما أسلفتم ، أو على ما أسلفتم : أي على ما قدّمتم في دنياكم لآخرتكم من العمل بطاعة الله في الأيام الخالية ، يقول : في أيام الدنيا التي خلت فضت .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) إن أيامكم هذه أيام خالية : هي أيام فانية ، تؤدي إلى أيام باقية ، فاعملوا في هذه الأيام ، وقدّموا فيها خيرا إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) قال : أيام الدنيا بما عملوا فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِي ۖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي ۖ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ

❖ يقول تعالى ذكره : وأما من أعطى يومئذ كتاب أعماله بشماله ، فيقول : يا ليتني لم أعط كتابيه ، (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِي) يقول : ولم أدر أى شئ ع حسابيه .

وقوله (يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ) يقول : يا ليت الموتة التي منها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها ، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث ، والقضاء : هو الفراغ . وقيل : إنه تمنى الموت الذي يقضى عليه ، فتخرج منه نفسه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ) تمنى الموت ، ولم يكن في الدنيا شئ أكره عنده من الموت .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ) الموت .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِي ۖ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ

❖ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذي أوتي كتابه بشماله (مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي) يعني أنه لم يدفع عنه ماله الذي كان يملكه في الدنيا من عذاب الله شيئا (هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِي) يقول : ذهبت عني حجبتي ، وضلت ، فلا حجة لي أحتج بها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِي) يقول : ضلت عني كل بينة فلم تغن عني شيئا .

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوي ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن النضر بن عربي ، قال : سمعت عكرمة يقول : (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) قال : حُجَّتِي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) قال : حُجَّتِي . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) أما والله ما كل من دخل النار كان أمير قرية يجيها ، ولكن الله خلقهم ، وسلطهم على أقرانهم ، وأمرهم بطاعة الله ، وهماهم عن معصية الله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) يقول : بينتني ضللت عني . وقال آخرون : عني بالسلطان في هذا الموضع : الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) قال : سلطان الدنيا .

وقوله (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ) يقول تعالى ذكره ملائكته من خزان جهنم (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ) ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) يقول ثم في نار جهنم أوردوه ليصلي فيها (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) يقول : ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا بذرَاعِ اللَّهِ أعلم بقدر طولها . وقيل : إنها تدخل في دُبُرِهِ ، ثم تخرج من منخريه .

وقال بعضهم : تدخل في فيه ، وتخرج من دبره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن نسير بن دعلوق ، قال : سمعت نوبا يقول (فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) قال : كل ذراع سبعون باعا ، الباع : أبعد ما بينك وبين مكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني نسير ، قال : سمعت نوبا يقول في رحبة الكوفة في إمارة مصعب بن الزبير في قوله (فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) قال : الذراع : سبعون باعا ، الباع : أبعد ما بينك وبين مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن نسير بن دعلوق أبي طعمة ، عن نوف البكالي (فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) قال : كل ذراع سبعون باعا ، كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وهو يومئذ في مسجد الكوفة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) قال : بذراع الملك فاسلكوه ، قال : تسلك في دُبُرِهِ حتى تخرج من منخريه ، حتى لا يقوم على رجليه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشير المنقري ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي السمح ، عن عيسى بن هلال الصدفى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ ، وَأُشَارَ إِلَى جَهَنَّمَ ، أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِثْقَلِ سَنَةٍ ، لَبَلَغَتْ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ قَعْرَهَا أَوْ أَصْلَهَا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن المبارك ، عن مجاهد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، (فَاسْلُكُوهُ) قال : السلك : أن تدخل السلسلة في فيه ، وتخرج من دبره . وقيل : (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) وإنما تسلك السلسلة في فيه ، كما قالت العرب : أدخلت رأسي في القلنسوة ، وإنما تدخل القلنسوة في الرأس ، وكما قال الأعشى :

إِذَا مَا السَّرَّابُ ارْتَدَى بِالْأَكَمِ^١

وإنما يرتدى الأكَم بالسراب وما أشبه ذلك ، وإنما قيل ذلك كذلك لمعزة السامعين معناه ، وإنه لا يشكل على سامعه ما أراد قائله .

وقوله (إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) يقول : افعلوا ذلك به جزاء له على كفره بالله في الدنيا ، إنه كان لا يصدق بوحدانية الله العظيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۖ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۖ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ ۖ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا

الْخَاطِئُونَ ۖ

يقول تعالى ذكره مخبرا عن هذا الشقي الذي أوتي كتابه بشماله إنه كان في الدنيا لا يحضر الناس على إطعام أهل المسكنة والحاجة .

(١) هذا عجز بيت لأعشى بن تيس بن ثعلبة ، من قصيدة له يمدح بها قيس بن مديكرب ٣٥ وما بعدها ورواية البيت كله كما

في الديوان :

غَضُوبٌ مِّنَ السَّيْفِ زِيَّافَةٌ إِذَا مَا ارْتَدَى السَّرَّابِ الْأَكَمُ

وعلى رواية المؤلف يكون في البيت قلب ، لأن المعنى : إذا ارتدى الأكَم بالسراب ، كما في رواية الديوان . وأما على رواية الديوان فلا قلب . وقد جعل المؤلف على روايته القلب في البيت نظير ما في قوله تعالى « ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ » قال : تسلك السلسلة في فيه ، كما قالت العرب : أدخلت رأسي في القلنسوة ، وإنما تدخل القلنسوة في الرأس . وإنما قيل ذلك كذلك لمعرفة السامعين معناه ، وأنه لا يشكل على سامعه ما أراد قائله . اهـ .

وقوله (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ) يقول جل ثناؤه : فليس له اليوم وذلك يوم القيامة هاهنا ، يعني في الدار الآخرة حميم ، يعني قريب يدفع عنه ، ويغيثه مما هو فيه من البلاء .
 كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ) القريب في كلام العرب (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ) يقول جل ثناؤه : ولا له طعام كما كان لا يحض في الدنيا على طعام المسكين ، إلا طعام من غسلين ، وذلك ما يسيل من صديد أهل النار .
 وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : كل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين ، فعلمين من الغسل من الجراح والدبر ، وزيد فيه الباء والنون بمنزلة عفرين .
 وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ) صديد أهل النار .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عبي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ) قال : ما يخرج من لحومهم .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ) شر الطعام وأخبثه وأبشعه .
 وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ) قال : الغسلين والزقوم لا يعلم أحد ما هو .
 وقوله (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) يقول : لا يأكل الطعام الذي من غسلين إلا الخاطئون ، وهم المذنبون الذين ذنوبهم كفر بالله .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴿٢٩﴾ وَمَا لَا تَبْصَرُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تَأْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٣٣﴾

❦ يقول تعالى ذكره : فلا ، ما الأمر كما تقولون معشر أهل التكذيب بكتاب الله ورسوله ، أقسم بالأشياء كلها التي تبصرون منها ، والتي لا تبصرون .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) قال : أقسم بالأشياء ، حتى أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) يقول : بما ترون وبما لاترون .
وقوله (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن لقول رسول كريم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم يتلوه عليهم .

وقوله (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ) يقول جل ثناؤه : ما هذا القرآن بقول شاعر لأن محمدا لا يحسن قيل الشعر ، فتقولوا هو شعر (قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ) يقول : تصدقون قليلا به أنتم ، وذلك خطاب من الله لمشركي قريش (وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ) يقول : ولا هو بقول كاهن ، لأن محمدا ليس بكاهن ، فتقولوا : هو من سجع الكهان (قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ) يقول : تتعظون به أنتم ، قليلا ما تعتبرون به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ) طهره الله من ذلك وعصمه (وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ) طهره الله من الكهانة ، وعصمه منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿١٧﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١٩﴾

* يقول تعالى ذكره : ولكنه (تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) نزل عليه (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا) محمد (بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ) الباطلة ، وتكذب علينا (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) يقول : لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة ، ثم لقطعنا منه نياط القلب . وإنما يعنى بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة ، ولا يؤخره بها .
وقد قيل : إن معنى قوله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) : لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه ، قالوا : وإنما ذلك مثل ، ومعناه : إنا كنا ندله ونهينه ، ثم نقطع منه بعد ذلك الوتين ، قالوا : وإنما ذلك كقول ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه لبعض أعوانه ، خذ بيده فأقمه ، وافعل به كذا وكذا قالوا : وكذلك معنى قوله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) : أى لأهناه كالذى يفعل بالذى وصفنا حاله .
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (الْوَتِينَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس (لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) قال : نياط القلب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بمثله . حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس (الْوَتِينَ) : نياط القلب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير بمثله .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) يقول : عرق القلب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) يعني : عرقا في القلب ، ويقال : هو حبل في القلب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْوَتِينَ) قال : حبل القلب الذي في الظهر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) قال : حبل القلب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) وتين القلب : وهو عرق يكون في القلب ، فإذا قطع مات الإنسان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) قال : الوتين : نياط القلب الذي القلب متعلق به ، وإياه عني الشماخ بن ضرار التغلبي بقوله :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بَدَمِ الْوَتِينِ ١

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَتَذَكَّرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

(١) البيت للشماخ بن ضرار التغلبي (ديوانه طبع القاهرة ٩٢) من قصيدة يمدح بها عرابة بن أوس بن قيس ، وكان هو وأبوه من الصحابة ، وكان عرابة مشهورا بالكرم . وعرابة منصوب مفعول ثانٍ لبلغتني . والوتين : أبو عبيدة : نياط القلب . وأنشد بيت الشماخ (الورقة ١٨٠) وفي اللسان : الوتين : عرق في القلب ، إذا انقطع مات صاحبه .

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّهُ لَحقُّ الْيَقِينِ ﴿٤١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٤٢﴾

﴿٤٠﴾ يقول تعالى ذكره : فما منكم أيها الناس من أحد عن محمد لو تقول علينا بعض الأقاويل ، فأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، حاجزين يحجزوننا عن عقوبته ، وما نفعله به . وقيل : حاجزين فجمع وهو فعل لأحد ، وأحد في لفظ واحد ردّا على معناه ، لأن معناه الجمع ، والعرب تجعل أحدا للواحد والاثنين والجمع ، كما قيل (لَانْفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) وبين : لاتقع إلا على اثنين فصاعدا . وقوله (وَإِنَّهُ لَلتَّذَكُّرَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن لتذكرة ، يعنى عظة يتذكر به ، ويتعظ به للمتقين ، وهم الذين يتقون عقاب الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَتَّذَكُّرَةُ لِلْمُتَّقِينَ) قال : القرآن وقوله (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : وإنا لنعلم أن منكم مكذبين أيها الناس بهذا القرآن (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقول جلي ثناؤه : وإن التكذيب به لحسرة وندامة على الكافرين بالقرآن يوم القيامة . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) ذاكم يوم القيامة (وَإِنَّهُ لَحقُّ الْيَقِينِ) يقول : وإنه لالحق اليقين الذى لا شك فيه أنه من عند الله ، لم يتقوله محمد صلى الله عليه وسلم (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) بذكر ربك وتسميته العظيم ، الذى كل شيء فى عظمته صغير .

آخر تفسير سورة الحاقة

(٧٠) سُورَةُ الْمَعَارِجِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَتْهَا الزُّبَيْرُ بْنُ عَرَفَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۖ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۖ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۖ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ بِمِقْدَارِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۖ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ۖ

قال أبو جعفر : اختلفت القراء في قراءة قوله (سَأَلَ سَائِلٌ) فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة (سَأَلَ سَائِلٌ) بهمز سأل سائل ، بمعنى سأل سائل من الكفار عن عذاب الله ، بمن هو واقع ؛ وقرأ ذلك بعض قراء المدينة (سَأَلَ سَائِلٌ) فلم يهمز سأل ، ووجهه إلى أنه فعل من السيل .
والذي هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأه بالهمز لإجماع الحمزة من القراء على ذلك ، وأن عامة أهل التأويل من السلف بمعنى الهمز تأولوه .

ذكر من تأول ذلك كذلك ، وقال تأويله نحو قولنا فيه

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال : ذاك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ) . . . الآية ، قال (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، في قول الله (سَأَلَ سَائِلٌ) قال : دعا داع (بعذاب وَاقِعٍ) قال : يقع في الآخرة ، قال : وهو قولهم (اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال : سأل عذاب الله أقوام ، فبين الله على من يقع على الكافرين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (سَأَلَ سَائِلٌ) قال : سأل عن عذاب واقع ، فقال الله (لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) .

وأما الذين قرءوا ذلك بغير همز ، فإنهم قالوا : السائل واد من أودية جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال : قال بعض أهل العلم : هو واد في جهنم يقال له سائل .
وقوله (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ) يقول : سأل بعذاب للكافرين واجب لهم يوم القيامة واقع بهم ،
ومعنى (لِلْكَافِرِينَ) على الكافرين ، كالذى حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ) يقول : واقع على الكافرين ،
واللام في قوله (لِلْكَافِرِينَ) من صلة الواقع .
وقوله (لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) يقول تعالى ذكره : ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله دافع يدفعه عنهم .

وقوله (ذِي الْمَعَارِجِ) يعنى : ذا العلو والدرجات والفواضل والنعم .
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (ذِي الْمَعَارِجِ) يقول : العلو والفواضل .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) ذى الفواضل والنعم .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) قال : معارج السماء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ذِي الْمَعَارِجِ) قال : الله ذو المعارج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (ذِي الْمَعَارِجِ) قال : ذى الدرجات .

وقوله (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِيقَادُهَا خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) يقول تعالى ذكره : تصعد الملائكة والروح ، وهو جبريل عليه السلام إليه ، يعنى إلى الله جلّ وعزّ ، والهاء في قوله (إِلَيْهِ) عائدة على اسم الله (فِي يَوْمٍ كَانَ مِيقَادُهَا خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) يقول : كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة ، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السموات السبع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد (في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة) قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ، ويوم كان مقداره ألف سنة ، يعنى بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن ما بين السماء إلى الأرض ، مسيرة خمس مئة عام .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تعرج الملائكة والروح إليه في يوم يفرغ فيه من القضاء بين خلقه ، كان قدر ذلك اليوم الذي فرغ فيه من القضاء بينهم قدر خمسين ألف سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة (في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة) قال : في يوم واحد يفرغ في ذلك اليوم من القضاء كقدر خمسين ألف سنة . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة) قال : يوم القيامة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة في هذه الآية (خمسين ألف سنة) قال : يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تعرج الملائكة والروح إليه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة) ذاكم يوم القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال معمر : وبلغني أيضا ، عن عكرمة ، في قوله (مقداره خمسين ألف سنة) لا يدرى أحدكم مضى ، ولا كم بقي إلا الله .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (تعرج الملائكة والروح إليه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة) فهذا يوم القيامة ، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة) يعنى يوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة) قال : هذا يوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا حدثه عن أبي الهيثم عن سعيد ، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (في يومٍ كان مقدارهُ خمسَين ألفَ سنةٍ) ما أطول هذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُصَلِّيَهَا فِي الدُّنْيَا » .

وقد روى عن ابن عباس في ذلك غير القول الذي ذكرنا عنه ، وذلك ما حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، أن رجلا سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ قال : إنما سألتك لتخبرني ، قال : هما يومان ذكرهما الله في القرآن ، الله أعلم بهما ، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ، قال : فاتهمه ، فقبل له فيه ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتخبرني ، فقال : هما يومان ذكرهما الله جل وعز ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم ، وقرأت عامة قرأء الأمصار قوله (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) بالتاء خلا الكسائي ، فإنه كان يقرأ ذلك بالياء بخبر كان يرويه عن ابن مسعود أنه قرأ ذلك كذلك .

والصواب من قراءة ذلك عندنا ما عاينه قرأء الأمصار ، وهو بالتاء لإجماع الحجة من القرأء عليه .

وقوله (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَدِيدًا) يقول تعالى ذكره : فاصبر صبرا جديدا ، يعني : صبرا لا جزع فيه ، يقول له : اصبر على أذى هؤلاء المشركين لك ، ولا يثنيك ما تأتي منهم من المكروه عن تبليغ ما أمرك ربك أن تبلغهم من الرسالة .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَدِيدًا) قال هذا حين كان يأمره بالعفو عنهم لا يكافئهم ، فلما أمر بالجهاد والغلبة عليهم أمر بالشدة والقتل حتى يتركوا ، ونسخ هذا ، وهذا الذي قاله ابن زيد أنه كان أمر بالعفو بهذه الآية ، ثم نسخ ذلك قول لا وجه له ، لأنه لا دلالة على صحة ما قال من بعض الأوجه التي تصح منها الدعاوى ، وليس في أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الصبر الجميل على أذى المشركين ما يوجب أن يكون ذلك أمرا منه له به في بعض الأحوال ، بل كان ذلك أمرا من الله له به في كل الأحوال ، لأنه لم يزل صلى الله عليه وسلم من لدن بعثه الله إلى أن اخترمه في أذى منهم ، وهو في كل ذلك صابر على ما يلقي منهم من أذى قبل أن يأذن الله له بجرهم ، وبعد إذنه له بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّهُمْ بِرُؤْسِهِ يَجْعَلُونَ وَتَرَاهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَنْشَلُ جَمِيمًا ۝ يُصْرُونَهُمْ

❦ يقول تعالى ذكره : **إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ الَّذِي سَأَلُوا عَنْهُ ، الْوَاقِعَ عَلَيْهِمْ بَعِيدًا وَقَوَّعَهُ ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يَرُونَ ذَلِكَ بَعِيدًا ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَصْدُقُونَ بِهِ ، وَيَنْكُرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ ، فَقَالَ : إِنَّهُمْ يَرُونَهُ غَيْرَ وَاقِعٍ ، وَنَحْنُ نَرَاهُ قَرِيبًا ، لِأَنَّهُ كَائِنٌ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ .**
وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ مِنْ قَوْلِهِ (إِنَّهُمْ) من ذكر الكافرين ، **وَالْهَاءُ مِنْ قَوْلِهِ (يَرَوْنَهُ)** من ذكر العذاب .
وَقَوْلُهُ (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) يقول تعالى ذكره : **يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالشَّيْءِ الْمَذَابِ ، وَقَدْ بَيَّنَّتْ مَعْنَى الْمُهْلِ فِيمَا مَضَى بِشَوَاهِدِهِ ، وَاخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِ ، وَذَكَرْنَا مَا قَالَ فِيهِ السَّلَفُ ، فَأُغْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .**

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ**) قال : **كَعَكْكَرِ الزَّيْتِ .**
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ**) **تَتَحَوَّلُ بِوَمَثَلِ لَوْنِهَا آخِرًا إِلَى الْحُمْرَةِ .**
وَقَوْلُهُ (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) يقول : **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالصُّوفِ .**
وَبَنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (**كَالْعِهْنِ**) قال : **كَالصُّوفِ .**
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (**كَالْعِهْنِ**) قال : **كَالصُّوفِ .**
وَقَوْلُهُ (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبْصِرُونَهُمْ) يقول تعالى ذكره : **وَلَا يَسْأَلُ قَرِيبٌ قَرِيبَهُ عَنْ شَأْنِهِ لَشُغَاغِهِ بِشَأْنِ نَفْسِهِ .**
وَبَنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : **وَقَوْلُهُ (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا)** يشغل كل إنسان بنفسه عن الناس .
وَقَوْلُهُ (يُبْصِرُونَهُمْ) اختلاف أهل التأويل في الذين عنوا بالهاء والميم في قوله (**يُبْصِرُونَهُمْ**) فقال بعضهم : **عَنَى بِذَلِكَ الْأَقْرَبَاءُ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَقْرَبَاءَهُمْ ، وَيَعْرِفُ كُلُّ إِنْسَانٍ قَرِيبَهُ ، فَذَلِكَ تَبْصِيرُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ .**
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) قال: يعرف بعضهم بعضا ، ويتعارفون بينهم ، ثم يفر بعضهم من بعض ، يقول : (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُبَصَّرُونَهُمْ) يعرفونهم يعلمون ، والله ليعرفن قوم قوما ، وأناس أناسا .

وقال آخرون : بل عني بذلك المؤمنون أنهم يبصرون الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) المؤمنون يبصرون الكافرين . وقال آخرون : بل عني بذلك الكفار الذين كانوا أتباعا لآخرين في الدنيا على الكفر ، أنهم يعرفون المتبرعين في النار .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) قال : يبصرون الذين أضاهم في الدنيا في النار .

* * * وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، قول من قال : معنى ذلك : ولا يسأل حميم حميا عن شأنه ، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم ، ثم يفر بعضهم من بعض ، كما قال جل ثناؤه (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) .

* * * وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب ، لأن ذلك أشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) تلا قوله (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيًّا) فلا أن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَلَا يَسْأَلُ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار سوى أبي جعفر القارئ . وشذبة بفتح الياء ؛ وقرأه أبو جعفر وشذبة (وَلَا يُسْتَلُّ) بضم الياء ، يعني : لا يقال لحميم أين حميمك ؟ ولا يطلب بعضهم من بعض .

* * * والصواب من القراءة عندنا فتح الياء ، بمعنى : لا يسأل الناس بعضهم بعضا عن شأنه ، لصحة معنى ذلك ، وإجماع الحجة من القراء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ الْجُزْمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ ۖ وَصَحْبَتُوهٖ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتُهُ الَّتِي تُتَوِيهٖ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۚ

❖ يقول تعالى ذكره: يود الكافر يومئذ ويتمنى أنه يفتدى من عذاب الله إياه ذلك اليوم ببنيه وصاحبه، وهي زوجته، وأخيه وفصيلته، وهم عشيرته التي تؤويه، يعني التي تضمه إلى حجره، وتنزل فيه امرأته، لقربة ما بينها وبينه، وبمن في الأرض جميعاً من الخلق، ثم ينجيه ذلك من عذاب الله إياه ذلك اليوم، وبدأ جل ثناؤه بذكر البنين، ثم الصاحبة، ثم الأخ، إعلالاً منه عباده أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدى نفسه، لو وجد إلى ذلك سبيلاً بأحب الناس إليه، كان في الدنيا، وأقربهم إليه نسباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يودُّ المُجرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيِّهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) الأحب فالأحب، والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدة ذلك اليوم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) قال: قبيلته. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَصَاحِبَتِهِ) قال: الصاحبة الزوجة (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) قال: فصيلته: عشيرته.

القول في تأويل قوله تعالى:

كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى ۖ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ۖ تَدْعُو مِّنَ الذَّرِّ ۖ وَتَوَلَّى ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۖ

❖ يقول تعالى ذكره: كلا ليس ذلك كذلك، ليس ينجيه من عذاب الله شيء، ثم ابتداء الخبر عما أعده له هنالك جل ثناؤه، فقال: (لَإِنَّهَا لَلظَى) ولظى: اسم من أسماء جهنم، ولذلك لم يجز. واختلاف أهل العربية في موضعها، فقال بعض نحويي البصرة: موضعها نصب على البدل من الهاء، وخبر إن (نَزَّاعَةً)؛ قال: وإن شئت جعلت لظى رفعا على خبر إن، ورفعت (نَزَّاعَةً) على الابتداء وقال بعض من أنكر ذلك: لا ينبغي أن يتبع الظاهر المكنى إلا في الشذوذ؛ قال: والاختيار (لَإِنَّهَا لَلظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) لظى الخبر، ونزاعة حال؛ قال: ومن رفع استأنف، لأنه مدح أو ذم؛ قال: ولا تكون ابتداء إلا كذلك.

❖ والصواب من القول في ذلك عندنا، أن (لَلظَى) الخبر، و (نَزَّاعَةً) ابتداء، فذلك رفع، ولا يجوز النصب في القراءة لإجماع قراء الأمصار على رفعها، ولا قارئ قرأ كذلك بالنصب؛ وإن كان للنصب في العربية وجه؛ وقد يجوز أن تكون الهاء من قوله «لَإِنَّهَا» عمادا، ولظى مرفوعة بنزاعة، ونزاعة بلظى، كما يقال: إنها هند قائمة، وإنه هند قائمة، فالهاء عماد في الوجهين.

وقوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) يقول تعالى ذكره مخبرا عن لظى لأنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن ؛
والشَّوَى : جمع شواة ، وهى من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلا ، يقال : رمى فأشوى : إذا لم يصب
مقتلا ، وربما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس كما قال الأعشى :

قَالَتْ قُتِبْتُ لِمَا لَهٗ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْبَا شَوَاتِهِ ١

وربما وصف بذلك الساق كقولهم فى صفة الفرس :

• عَيْلُ الشَّوَى نَهْدُ الْجُزَارَةِ ٢ •

يعنى بذلك : قوائمه ، وأصل ذلك كله ما وصفت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن
أبيه ، قال : سألت ابن عباس عن (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) قال : تنزع أم الرأس .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا يحيى بن مهلب
أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) قال : تنزع الرأس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) يعنى الجلود والهام .

(١) البيت فى ديوان الأعشى (طبعة فىنا ٢٣٨) قال وهو ما نسب إلى الأعشى وليس فى ديوانه . وهو من شواهد أبي عبيدة (فى مجاز
القرآن الورقة ١٨٠) . قال : الشوى : واحدها : شواة ، وهى اليدان والرجلان والرأس من آدميين ؛ قال الأعشى « قالت قتيلة ...
البيت » . وفى (اللسان : شوى) قال الفراء : فى قوله تعالى : « كلا إنها لظى » نزاعة للشوى (قال : الشوى : اليدان والرجلان ،
وأطراف الأصابع وقحف الرأس . وجلدة الرأس يقال لها شواة . وقال الزجاج : الشوى : جمع الشواة وهى جلدة الرأس ، وأنشد :
قالت قتيلة ماله ... البيت » .

(٢) هذا عجز بيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة من تصيدة من مجزوء الكامل يهجو شيبان بن شهاب الجحدري مطلعها : « يا جارقى ما كنت
جاره » . (ديوانه طبع القاهرة ١٥٣ وما يمدىها) . وهاك بيت الشاهد بتمامه مع بيتين قبله من (خزنة الأدب الكبرى ١ : ٨٣) :

وهناك يكذب ظنكم أن لا اجتماع ولا زياره
ولا برائة للبرى ولا عطاء ولا خفاره
إلا علالة أو بدا همة سايح نهى الجزاره

قال البهزادى : يقول إذا غزوناكم علمتم أن ظنكم بأننا لا نغزوكم كذب ، وهوز عمكم أننا لا نجتمع ولا نوزركم بالخيال والصلاح غازين
لكم ، ومن كان برىا منكم لم تنفعه برأته ، لأن الحرب إذا عظمت لحق شرها البرى ، كما يلحق المدى ولا تقبل منكم عطاء ولا نعطيتكم
خفارة فتمتدون بها مداد ، والخفارة بالضم والكسر : الذمة . إلا علالة ، أى لكن نوزركم بالخيال . والعلالة : بقية جرى الفرس من
التعلل بمعنى التلهى . والبداية أول جرى الفرس والسايح : الفرس الذى يدحى الأرض يديه فى المدى . والنهد : المرتفع . والجزارة :
الرأس واليدان والرجلان . يريد أن فى عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً ، فإنه يستحب فى عنق الخيل الطول واللين . ويستحب أيضا أن
يكون ما فوق الساقين من الفخذين طويلاً ، فيوصف حينئذ بطول القوائم . اهـ . والشطر الذى أورده المؤلف شاهداً ، يختلف عن شطر
الأعشى ، ولكن فيه موضع الشاهد . اهـ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) قال : بللود الرأس .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن المهاجر ، قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) فلم يخبر ، فسألت عنها مجاهدًا ، فقلت : اللحم دون العظم ؟ فقال : نعم .
قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) قال : لحم الساق .

حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة السوائي ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) قال : نزاعة للحم الساقين .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن قررة بن خالد ، عن الحسن (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) قال : للهام تحرق كل شيء منه ، ويبقى فؤاده نضيجا .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قررة ، عن الحسن ، في قوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) ثم ذكر نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) : أي نزاعة لهامته ومكارم خلقه وأطرافه .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) قال : الشوى : الآراب العظام ، ذاك الشوى .
وقوله (نَزَّاعَةً) قال : تقطع عظامهم كما ترى ، ثم يجدد خلقهم ، وتبدل جلودهم .
وقوله (تَدْعُو مِّنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) يقول : تدعو لظي إلى نفسها من أدبر في الدنيا عن طاعة الله ، وتولي عن الإيمان بكتابه ورسوله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَدْعُو مِّنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) قال : عن طاعة الله وتولي ، قال : عن كتاب الله ، وعن حقه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَدْعُو مِّنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) قال : عن الحق حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تَدْعُو مِّنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى)

قال : ليس لها سلطان إلا على هوانٍ من كفر وتولى وأدبر عن الله ، فأما من آمن بالله ورسوله ، فليس لها عليه سلطان .

وقوله (وَجَمَعَ فَأَوْعَى) يقول : وجع مالا فجعله في وعاء ، ومنع حق الله منه ، فلم يترك ولم يتفق فيما أوجب الله عليه إنفاقه فيه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَجَمَعَ فَأَوْعَى) قال : جمع المال .
حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا أبوقطن ، قال : ثنا المسعودي ، عن الحكم ، قال : كان عبد الله بن عكيم ، لا يربط كيسه ، يقول : سمعت الله يقول (وَجَمَعَ فَأَوْعَى) .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَمَعَ فَأَوْعَى) كان جموعا قموما لا مغيث .
القول في تأويل قوله تعالى :

* إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۚ

❦ يقول تعالى ذكره : (إِنَّ الْإِنْسَانَ) الكافر (خُلِقَ هَلُوعًا) ، والهلع : شدة الخزع مع شدة الحرص والضجر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) قال : هو الذي قال الله (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) ويقال : الهلوع : هو الجزوع الحريص ، وهذا في أهل الشرك .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) قال : شحيحا جزوعا .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد عن عكرمة (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) قال : ضجورا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (إِنَّ الْإِنْسَانَ) يعني الكافر (خُلِقَ هَلُوعًا) يقول : هو بخيل منوع للخير ، جزوع إذا نزل به البلاء ، فهذا الهلوع .
حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا شعبة ، عن حصين ، قال :

يحيى ، قال خالد : وسألت شعبة عن قوله (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) فحدثني شعبة عن حصين أنه قال : الهلوع : الحريص .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، قال : سألت حصينا عن هذه الآية (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) قال : حريصا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) قال : الهلوع : الخزوع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (خُلِقَ هَلُوعاً) قال : جزوعا .

وقوله (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً) يقول : إذا قلّ ماله وناله الفقير والعدم فهو جزوع من ذلك لا صبر له عليه (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً) يقول : وإذا كثر ماله ، ونال الغنى فهو منوع لما في يده ، بخيل به ، لا ينفقه في طاعة الله ، ولا يؤدّي حقّ الله منه .

وقوله (إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) يقول : إلا الذين بطيعون الله بأداء ما افترض عليهم من الصلاة ، وهم على أداء ذلك مقيمون لا يضيعون منها شيئا ، فإن أولئك غير داخلين في عداد من خلق هلوعا ، وهو مع ذلك بربه كافر لا يصلي لله .

وقيل : عني بقوله (إِلَّا الْمُصَلِّينَ) المؤمنون الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل عني به كل من صلى الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ومؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (الذين هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال : المكتوبة .

حدثني زريق بن السخب ، قال : ثنا معاوية بن عمرو ، قال : ثنا زائدة ، عن منصور ، عن إبراهيم (الذين هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) . . . إلى قوله (دَائِمُونَ) ذكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : يصلون صلاة لوصلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فإنها خلقت للمؤمنين حسن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال : الصلاة المكتوبة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال : هؤلاء المؤمنون الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم على صلاتهم دائمون .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا حبيوة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير أنه سأل عقبة ابن عامر الجهمي ، عن (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَأْمُونٌ) قال : هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا خلفهم ، ولا عن أيمنهم ، ولا عن شمائلهم .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : ثنا الأوزاعي ، قال : ثنى يحيى بن أبي كثير ، قال : ثنى أبوسامة بن عبد الرحمن ، قال : حدثني عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » قالت : « وكان أحب الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دُوم عليه » قال : يقول أبوسامة : إن الله يقول (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَأْمُونٌ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الدِّينِ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُسْفِقُونَ ۖ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۖ

❖ يقول تعالى ذكره : وإلا الذين في أموالهم حق مؤقت ، وهو الزكاة للسائل الذي يسأله من ماله ، والمحروم الذي قد حرم الغنى ، فهو فقير لا يسأل .
واختلف أهل التأويل في المعنى بالحق المعلوم الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو الزكاة . ذكر من قال ذلك

حدثني ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ) . للسائل والمحروم) قال : الحق المعلوم : الزكاة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ) : قال : الزكاة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك حق سوى الزكاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ) للسائل والمحروم) يقول : هو سوى الصدقة يصل بها رحمه ، أو يقرى بها ضيفا ، أو يحمل بها كلاً ، أو يعين بها محروماً .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن شعبة ، عن أبي يونس ، عن رباح بن عبيدة ، عن قرعة ، أن ابن عمر سئل عن قوله (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ) للسائل والمحروم) أهى الزكاة ؟ فقال : إن عليك حقاً سوى ذلك .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا بيان ، عن الشعبي ، قال : إن في المال حقا سوى الزكاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال في المال حق سوى الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (في أموالهم حق معلوم) قال : سوى الزكاة ، وأجمعوا على أن السائل هو الذي وصفت صفته .

واختلفوا أيضا في معنى المحروم في هذا الموضع ، نحو اختلافهم فيه في الذاريات ، وقد ذكرنا ما قالوا فيه هنالك ، ودلنا على الصحيح منه عندنا ، غير أننا نذكر بعض ما لم نذكر من الأخبار هنالك .

ذكر من قال : هو المحارف

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الحجاج ، عن الوليد بن العيزار ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : المحروم : هو المحارف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : المحروم : المحارف .

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس قال : (السائل والمحروم) : المحارف الذي ليس له في الإسلام نصيب .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس أنه قال : المحروم المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، في هذه الآية (للسائل والمحروم) قال : السائل الذي يسأل ، والمحروم : المحارف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدث عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية (للسائل والمحروم) قال : السائل : الذي يسأل والمحروم : المحارف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن قيس بن كركم ، قال : سألت ابن عباس ، عن قوله (للسائل والمحروم) قال : السائل : الذي يسأل ، والمحروم : الذي ليس له في الإسلام سهم .

حدثني محمد بن عمر بن علي المقدمي ، قال : ثنا قريش بن أنس ، عن سليمان ، عن قتادة ، عن سعيد ابن المسيب : المحروم : المحارف .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا قريش ، عن سليمان ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

(١) في اللسان : المحارف : الذي لا يصيب خيرا من وجه توجه له . وقال الشافعي : المحروم المحارف الذي يحترف بيديه ، قد حرّم سببه من الغنيمة ، لا يفتز مع المسلمين ، فبقى محروما ، وما يعطى من الصدقة ما يسد حرماته .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن المحروم ، فلم يقل فيه شيئاً ؛ قال : وقال عطاء : هو المحدود المحارف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، قال : السائل : الذي يسأل الناس ، والمحروم : الذي لا سهم له في الإسلام ، وهو محارف من الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : المحروم : الذي لا يهدي له شيء وهو محارف .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : المحروم : هو المحارف الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه ، فلا يسأل الناس .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : في المحروم : هو المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه ، أو يعطيه شيئاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المحروم : الذي لا شيء له في الإسلام ، وهو محارف في الناس .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا أيوب ، عن نافع : المحروم : هو المحارف . وقال آخرون : هو الذي لا سهم له في الغنيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، أن ناساً قد مروا على علي رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل ، فقال : اقساموا لهم ، وقال : هذا المحروم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المحروم : المحارف الذي ليس له في الغنيمة شيء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم الجدي ، عن الحسن بن محمد بن الحنفية « أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، فغنموا ، وفتح عليهم ، فجاء قوم لم يشهدوا ، فنزلت (في أمموا لهم حق معلوم للسائل والمحروم) يعني هؤلاء » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، فغنموا ، فجاء قوم لم يشهدوا الغنائم ، فنزلت (في أمموا لهم حق معلوم للسائل والمحروم) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم الجدي ، عن الحسن بن محمد ، قال : بعثت سرية فغنموا ، ثم جاء قوم من بعدهم ، قال : فنزلت (للسائل والمحروم) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، أن

قوما في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أصابوا غنيمة، فجاء قوم بعد، فنزلت (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لُومُ
لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

وقال آخرون : هو الذي لا ينمي له مال .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، قال : سألت عكرمة عن السائل والمحروم ،
قال : السائل : الذي يسألك ، والمحروم : الذي لا ينمي له مال .

وقال آخرون : هو الذي قد اجتنب ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : أخبرنا شعبة ، عن عاصم ، عن أبي قلابة ، قال :
جاء سبل باليامة ، فذهب بمال رجل ، فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : هذا المحروم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالْمَحْرُومِ) قال : المحروم :
المصاب ثمره وزرعه ، وقرأ (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) ... حتى بلغ (تَحْرُومُونَ)
وقال أصحاب الجنة : إنا لضالون ، بل نحن محرومون .

وقال الشعبي ما حدثني به يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، قال : قال الشعبي : أعياني
أن أعلم ما المحروم .

وقال قتادة ، ما حدثني به ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله
(لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : السائل : الذي يسأل بكفه ، والمحروم : المتعفف ، ولكليهما عليك حق
يا ابن آدم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) وهو سائل
يسألك في كفه ، وفقير متعفف لا يسأل الناس ، ولكليهما عليك حق .

وقوله (وَالَّذِينَ يَصَّدَّقُونَ بِسَوْمِ الدِّينِ) يقول : وإلا الذين يقرءون بالبعث يوم البعث والحجازة .
وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) يقول : والذين هم في الدنيا من عذاب
ربهم وجلون أن يعذبهم في الآخرة ، فهم من خشية ذلك لا يضيعون له فرضا ، ولا يتعدون له حدا .
وقوله (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا تُؤْمِنُونَ) أن ينال من عصاه ونخالف أمره .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٦٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٧٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ
ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْئُوجِهِمْ حَافِظُونَ) يعنى أقبالهم حافظون عن كل ما حرم الله عليهم وضعها فيه (إِلَّا) أنهم غير ملومين في ترك حفظها (عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ (من إيمانهم . وقيل : (لِأَفْئُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) ولم يتقدم ذلك جحد لدلالة قوله (فَلَا يَنْهَوْنَهُمْ) على أن في الكلام معنى جحد ، وذلك كقول القائل : اعمل ما بدا لك إلا على ارتكاب المعصية ، فإنك معاقب عليه ، ومعناه : اعمل ما بدا لك إلا أنك معاقب على ارتكاب المعصية . وقوله (فَتَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) فمن التمس لفرجه منكحاً سوى زوجته ، أو ملك يمينه ، ففاعل ذلك هم العادون ، الذين عدوا ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم فهم الملومون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَانِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٢٨﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وإلا الذين هم لأمانات الله التي ائتمنهم عليها من فرائضه وأمانات عباده التي ائتمنوا عليها ، وعهوده التي أخذها عليهم بطاعته فيما أمرهم به ونهاهم وعهود عباده التي أعطاهم على ما عقده لهم على نفسه راعون ، يرقبون ذلك ، ويحفظونه فلا يضيعونه ، ولكنهم يؤدونها ويتعاهدونها على ما ألزمهم الله وأوجب عليهم حفظها (وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ) يقول والذين لا يكتمون ما استشهدوا عليه ، ولكنهم يقومون بأدائها ، حيث يلزمهم أدائها غير مغيرة ولا مبدلة (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) يقول : والذين هم على مواقيت صلاتهم التي فرضها الله عليهم وحدودها التي أوجبها عليهم يحافظون ، ولا يضيعون لها ميقاتاً ولا حداً . وقوله (أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ) يقول عز وجل : هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال في بساتين مكرمون يكرمهم الله بكرامته .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَّكُمُ طَعِينٌ ﴿٣٠﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِّينَ ﴿٣١﴾ أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٢﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره : فما شأن الذين كفروا بالله قبلك يا محمد مهطعين ، وقد بيدنا معنى الإهطاع ، وما قال أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، غير أننا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم يذكره هنالك .

فقال قتادة فيه ، ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتَنَّا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) يقول : عامدين .

وقال ابن زيد فيه ما حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قوله (فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهُطِعِينَ) قال: المهطع: الذي لا يطرّف. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معناه: مسرعين.

وروى فيه عن الحسن ما حدثنا به ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قُرة، عن الحسن، في قوله (فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهُطِعِينَ) قال: منطلقين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة، قال: ثنا قُرة، عن الحسن، مثله. وقوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّامِلِ عِزِينَ) يقول: عن يمينك يا محمد، وعن شمالك متفرقين حلقة ومجالس، جماعة جماعة، معرضين عنك وعن كتاب الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهُطِعِينَ) قال: قبلك ينظرون (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّامِلِ عِزِينَ) قال: العزيز: العصب من الناس عن يمين وشمال، معرضين عنه، يستهزئون به.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّامِلِ عِزِينَ) قال: مجالس مجنبيين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهُطِعِينَ) يقول: عامدين (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّامِلِ عِزِينَ): أي فرقا حول نبي الله صلى الله عليه وسلم، لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله (عِزِينَ) قال: العزيز: الحلق المجالس.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (عِزِينَ) قال: حلقة ورفقاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّامِلِ عِزِينَ) قال: العزيز: المجلس الذي فيه الثلاثة والأربعة، والمجالس الثلاثة والأربعة أولئك العزون.

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا أبو الأحوص، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة يرفعه قال: «مالي أراكم عِزِينَ» والعزير: الحلق المتفرقة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا شقيق، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن

أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم حِلَقٌ حِلَقٌ ، فقال : « مَالِي أَرَأَيْكُمْ عَزِيزٌ » .
حدثني أبو حُصَيْن ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة
الطائي ، عن جابر بن سمرة ، قال : « دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متفرقون ، فقال :
مَالَكُمْ عَزِيزٌ » .

حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي ، قال : ثنا الفريابي ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن
المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر بن سمرة ، قال : « جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى ناس
من أصحابه وهم جلوس ، فقال : مَالِي أَرَأَيْكُمْ عَزِيزٌ حِلَقًا » .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن
طرفة ، عن جابر بن سمرة ، قال : « جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى ناس من أصحابه وهم جلوس ، فقال :
مَالِي أَرَأَيْكُمْ عَزِيزٌ حِلَقًا » .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن
طرفة الطائي ، قال : ثنا جابر بن سمرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق ، فقال : مَالِي
أَرَأَيْكُمْ عَزِيزٌ » يقول : حلقا ، يعني قوله (عَنْ يَمِينٍ وَعَنْ الشَّامِلِ عَزِيزٌ) .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، في قوله (عَنْ يَمِينٍ وَعَنْ
الشَّامِلِ عَزِيزٌ) قال : عَزِيزٌ : متفرقين ، يأخذون يميناً وشمالاً ، يقولون : ما قال هذا الرجل .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، مثله . وواحد العزيرين :
عزة ، كما واحد الثبين ثبة ، وواحد الكُزيرين كرة . ومن العزيرين قول راعي الإبل :

أَخْلَفْتُ الرَّحْمَنَ إِنَّ عَشِيرَتِي أَمْسَى سَوَامُهُمْ عَزِيزٌ فَلَوْلَا
وقوله (أَبْطَمَعَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) يقول : أبطمع كل امرئ من
هؤلاء الذين كفروا قبلك مهطعين أن يدخله الله جنة نعيم : أي بساتين نعيم ينعم فيها .
واختلف القراء في قراءة قوله (أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار (يُدْخَلَ)
بضم الياء على وجه ما لم يسم فاعله ، غير الحسن وطلحة بن مصرف ، فإنه ذكر عنهما أنهما كانا يقرأانه
بفتح الياء ، بمعنى : أبطمع كل امرئ منهم أن يدخل كل امرئ منهم جنة نعيم .

(١) هذا البيت لم يبد الراعي ، من قصيدة أبياتها (٨٩ بيتاً) يمدح بها عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة ، وهم الذين يأخذون
الزكاة من قبل السلطان : (خزائن الأدب الكبرى للبندادي ١ : ٥٠٢) وعندها صاحب جمهرة أشعار العرب (١٧٢ - ١٧٦ - من
القصائد الملاحمات . والسوائم : الإبل ترسل للرعي . وعزير جمع عزة ، وهي الجماعة القليلة . والفلول : جمع فل ، وهو بقية الشيء
الكثير ومنه فلول المارك ، وهم المنهزون . يقول : إن السعاة لم يتركوا لنا من أموالنا إلا مالا خيراً فيه ، واستولوا منا على أكرم
أموالنا ، فلم يبق لنا منها إلا أشياء قليلة مفرقة هنا وهناك في مراعيها ، وكانت قبل كثيرة . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن
(الورقة ١٨٠) قال : عزير : جماع عزة ، مثل ثبة وثبين ، وهي جماعات متفرقة . قال الراعي . . . البيت . . . وفي فتح القدير
في التفسير ، للشوكاني (٥ : ٢٨٥) : « وأمسى سرائهم » : في موضع « أمسى سوائهم » . والمعنى على هذا أن سراة قوم الشاعر
قد وغفوا على عبد الملك بن مروان جماعة بعد جماعة ، للتظلم من عسف السعاة بهم . وهذا واضح جيد .

❖❖ والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار ، وهي ضمّ الياء لإجماع الحجة من القرّاء عليه .
وقوله (كَمَلًا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) يقول عز وجل : ليس الأمر كما يطمع فيه هؤلاء الكفار من أن يدخل كل امرئ منهم جنة نعيم .

وقوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) يقول جل وعزّ: إنا خلقناهم من منى قدر، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجبهم بالطاعة، لا بأنه مخلوق، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم عصاة كفرية. وقد حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) إنما خلقت من قدر يا ابن آدم، فاتق الله.

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَائِدُونَ ﴿٤١﴾ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤٢﴾ فَذَرَهُمْ يَحْزُؤُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٣﴾

** يقول تعالى ذكره : فلا أقسم برب مشارق الأرض ومغاربها (إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَسِيرًا مِنْهُمْ) يقول : إنا لقادرون على أن نهلكهم ، ونأتى بخير منهم من الخلق يطيعونى ولا يعصونى (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) يقول تعالى ذكره : وما يفوتنا منهم أحد بأمر نريده منه ، فيعجزنا هربا .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا عمارة بن أبي حفصة ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : إن الشمس تطلع كل سنة في ثلاث مئة وستين كوة ، تطلع كل يوم في كوة ، لا ترجع إلى تلك الكوة إلى ذلك اليوم من العام المقبل ، ولا تطلع إلا وهي كارهة ، تقول : رب لا تطلعني على عبادك ، فإني أراهم يعصونك ، يعملون بمعاصيك أراهم ، قال : أو لم تسمعوا إلى قول أمية بن أبي الصلت :
حتى تجمر وتجلد^١

قلت : يا مولاه وتجدد الشمس ؟ فقال : عضضت بين أبيك ، إنما اضطره الروى إلى الجلد .
حدثنا ابن المنى ، قال : ثنى ابن عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قول الله (رَبُّ الْمَشَارِقِ)

(١) هذا جزء من بيت لأمية بن أبي الصلت الثقفي :

(الشعر والشعراء لابن قتيبة - إيدن ٢٨٠) ورواية البيت بتمامه فيه :

لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ لَهُمْ فِي رِسَالِهَا إِلَّا مُعَذِّبَةٌ وَإِلَّا تُجْلَدُ

قال : يقولون : إن الشمس إذا غربت امتنعت من الطلوع ، وقالت لا أطلع على قوم يعبد نبي من دون الله ، حتى تدفع وتجد فتطلع .
ورواية البيت في الأغاني لأبي الفرج (طبعة دار الكتب ٤ : ١٣١) مع البيت الذي قبله هي :

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ
خَمْرَاءَ مَطْلَعُ لَوْنِهَا مُسَوَّرٌ

تَأْتِي فَلَا تَبْدُو لَنَا فِي رَسُولِهَا إِلَّا مُعَذِّبَةً وَإِلَّا مُنْجِيَةً

وَالْمَغَارِبِ) قال : إن الشمس تطلع من ثلاث مئة وستين مطالعا ، تطلع كل يوم من مطلع لا تعود فيه إلى قابل ، ولا تطلع إلا وهي كارهة ، قال عكرمة : فقلت له : قد قال الشاعر :

حَتَّى تَجَرَّ وَتَجْلَدَ

قال : فقال ابن عباس : غضبت من أبيك ، إنما اضطره الروى .
حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنا عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : إن الشمس تطلع في ثلاث مئة وستين كوة ، فإذا طلعت في كوة لم تطلع منها حتى العام المقبل ، ولا تطلع إلا وهي كارهة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) قال : هو مطلع الشمس ومغربها ، ومطلع القمر ومغربها .
وقوله (فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُونَ) يقول لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : فذر هؤلاء المشركين المهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ، يخوضوا في باطلهم ، ويلعبوا في هذه الدنيا (حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ) يقول : حتى يلاقوا عذاب يوم القيامة الذي يوعدونه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤١﴾ خَشَعَتِ الْأَبْصَارُ لِمَا رَأَتْهُمُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾

﴿٤١﴾

* وقوله (يَوْمَ يَخْرُجُونَ) بيان وتوجيه عن اليوم الأول الذي في قوله (يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ) وتأويل الكلام : حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدونه يوم يخرجون من الأجداث وهي القبور : واحدا جث (سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا) : أي من القبور سراحا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله . وقد بينا الحدث فيما مضى قبل بشواهد ، وما قال أهل العلم فيه .

وقوله (إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) يقول : كأنهم إلى علم قد نُصب لهم يستبقون . وأجمعت قراء الأمصار على فتح النون من قوله (نَصْبٍ) غير الحسن البصري ، فإنه ذكر عنه أنه كان يضمها مع الصاد ، وكأن من فتحها يوجه النصب إلى أنه مصدر من قول القائل : نصبت الشيء أنصبه نصبا . وكان تأويله عندهم كأنهم إلى صنم منصوب يسرعون سعيا ، وأما من ضمها مع الصاد فإنه يوجهه إلى أنه واحد الأنصاب ، وهي آلهتهم التي كانوا يعبدونها .

= ومن هاتين الروايتين يعلم أن شاهد المؤلف متهور بحرف . قلت : والذي قاله ابن عباس في تفسير طلوع الشمس كل سنة في ٣٦٠ كوة . . . الخ صحيح من ناحية العلم . أما تفسير بيت أمية بأن الملائكة تدفعها حتى تطلع فتأبى فتجلد ، فهو تخييل وتمثيل وزجر لمن يعبدون الشمس .

وأما قوله (يُوفِضُونَ) فإن الإيفاض : هو الإسراع ؛ ومنه قول الشاعر :
لَا نُنْعَسَنَّ نَعَامَةً مِيفَاضًا خَرَجَاءَ تَغْدُو تَطْلُبُ الْإِضَاضًا ١
يقول : تطلب : ملجأ تلجأ إليه ؛ والإيفاض : السرعة ؛ وقال رؤبة :
تَمْشِي بِنَا الْجِدِّ عَلَى أَوْفَاضٍ ٢
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن أبي العالية ، أنه قال في هذه الآية (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علامات يستبقون .
حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علم يسعون .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُوفِضُونَ) قال : يستبقون .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علم يسعون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علم يوفضون ، قال : يسعون .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت أبا عمر يقول : سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى غاية يستبقون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) إلى علم ينطلقون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علم يستبقون .

(١) البيتان في (اللسان : وفض) ولم ينسهما . استشهد المؤلف عند قوله تعالى «كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ» على أن معنى : الإيفاض الإسراع . ومنه نعمة ميفاض ، وناقة ميفاض : أي سرعة . والخرجاء : التي في لونها سواد وبياض . ظالم أخرج ، ونعمة خرجاء . وقال الليث : ظلم أخرج ، وهو الذي لون سواده أكثر من بياضه . والإيضاض : بكسر الهمزة : الملجأ . (عن هاشم اللسان : وفض) . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : يوفضون يسرعون ، قال رؤبة :

تَمْشِي بِنَا الْجِدِّ عَلَى أَوْفَاضٍ

(ديوانه ٨١) . والبيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٤٢) قال : وقوله «إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ» : الإيفاض : الإسراع . وقال الشاعر : «وَلَا نَعَنَّ . . .» البيت . وفي روايته : ظلمت في موضع «تغدو» . قال الخرجاء : في اللون ، فإذا رقع للقيص الأبيض برقة حراء ، فهو أخرج . «تطلب الإيضاض» : أي تطلب موضعا تدخل فيه ، وتلجأ إليه . اهـ .

(٢) البيت لرؤبة (اللسان : وفض) . وقال قبله : ويقال لقيته على أوفاض : على عجلة ، مثل أوفاز . وجاء على وفض ووفض (بتسكين الفاء وفتحها) : أي على عجل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : النصب : حجارة كانوا يعبدونها ، حجارة طوال يقال لها نصب . وفي قوله (يوفضون) قال : يُسرعون إليه كما يُسرعون إلى نصب يوفضون ؛ قال ابن زيد : والأنصاب التي كان أهل الجاهلية يعبدونها ويأتونها ويعظمونها ، كان أحدهم يحملها معه ، فإذا رأى أحسن منه أخذها ، وألقى هذا ، فقال له : (كَلَّ عَلَى مَوْلَاهُ ، أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَابَاتٍ بِخَيْرٍ ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مرة ، عن الحسن ، في قوله (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : يبتدرون إلى نصبهم أيهم يستلمه أول .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرّة ، عن الحسن ، مثله .
وقوله (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) يقول : خاضعة أبصارهم للذي هم فيه من الخزي والهوان (تَرَاهُمْ ذِلَّةً) يقول : تغشاهم ذلة (ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) يقول عز وجل : هذا اليوم الذي وصفت صفته ، وهو يوم القيامة الذي كان مشركو قريش يوعدون في الدنيا أنهم لا قوه في الآخرة ، كانوا يكذبون به .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ الْيَوْمُ) يوم القيامة (الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) .

آخر تفسير سورة سأل سائل

(٧١) سُورَةُ نُوْحٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبِئَانَهَا ثَكَاثُ وَغَيْرُهُنَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۖ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَخْفَرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ۖ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝

❖ يقول تعالى ذكره : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا) وهو نوح بن لمك (إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : أرسلناه إليهم بأن أنذر قومك ، فأن في موضع نصب في قول بعض أهل العربية ، وفي موضع خفض في قول بعضهم . وقد بينت العلال لكل فريق منهم ، والصواب عندنا من القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وهي في قراءة عبد الله ١

(١) هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، مقرئ القرآن ومعلم أهل الكوفة .

فيما ذكر : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْذِرْ قَوْمَكَ) بغير « أن » ، وجزاز ذلك لأن الإرسال بمعنى القول ، فكأنه قيل : قلنا لنوح : أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم ، وذلك العذاب الأليم هو الطوفان الذي غرقهم الله به .

وقوله (قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه : يا قوم إني لكم نذير مبين ، أنذركم عذاب الله فاحذروه أن ينزل بكم على كفركم به ، مبين : يقول : قد أبنت لكم إنذارى إياكم . وقوله (أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه (إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بأن اعبدوا الله ، يقول : إني لكم نذير أنذركم ، وأمركم بعبادة الله (وَاتَّقُوهُ) يقول : واتقوا عقابه بالإيمان به ، والعمل بطاعته (وَأَطِيعُوا) يقول : وانتهوا إلى ما أمركم به ، واقبلوا نصيحتي لكم .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا) قال : أرسل الله المرسلين بأن يعبدوا الله وحده ، وأن تتقوا محارمه ، وأن يطاع أمره . وقوله (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول : يغفر لكم ذنوبكم .

** فإن قال قائل : أو ليست « من » دالة على البعض ؟ قيل : إن لها معنيين وموضعين ، فأما أحد الموضعين فهو الموضع الذي لا يصلح فيه غيرها . وإذا كان ذلك كذلك لم تدل إلا على البعض ، وذلك كقولك : اشترت من ممالكك ، فلا يصلح في هذا الموضع غيرها ، ومعناها : البعض ، اشترت بعض ممالكك ، ومن ممالكك مملوكا . والموضع الآخر : هو الذي يصلح فيه مكانها عن فإذا ، صلحت مكانها « عن » دلت على الجميع ، وذلك كقولك : وجع بطني من طعام طعمته ، فإن معنى ذلك : أوجع بطني طعام طعمته ، وتصلح مكان « من » عن ، وذلك أنك تضع موضعها « عن » ، فيصلح الكلام فتقول : وجع بطني عن طعام طعمته ، ومن طعام طعمته ، فكذلك قوله (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) إنما هو : ويصفح لكم ، ويعفو لكم عنها ، وقد يحتمل أن يكون معناها يغفر لكم من ذنوبكم ما قد وعدكم العقوبة عليه . فأما ما لم يعدكم العقوبة عليه فقد تقدم عفوه لكم عنها .

وقوله (وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : ويؤخر في آجالكم فلا يهاكم بالعذاب ، لا يغرق ولا غيره (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول إلى حين كتب أنه يبقاكم إليه ، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه ، في أم الكتاب . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) قال : ما قد خط من الأجل ، فإذا جاء أجل الله لا يؤخر .

وقوله (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : إن أجل الله

الذى قد كتبه على خلقه فى أم الكتاب إذا جاء عنده لا يؤخر عن ميقاته ، فينظر بعده لو كنتم تعلمون ،
يقول : لو علمتم أن ذلك كذلك ، لأنتم إلى طاعة ربكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ
جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٣﴾

* يقول تعالى ذكره : قال نوح لما بلغ قومه رسالة ربه ، أُنذَرهم ما أمره به أن ينذرهموه فعصوه ،
وردوا عليه ما أتاهم به من عنده (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا) إلى توحيدك وعبادتك ،
وحذرتهم بأسك وسطوتك ، (فَاسْمُ يَزِيدُهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) يقول : فلم يزدني دعائي إياهم إلى
ما دعوتهم إليه من الحق الذي أرسلتني به لهم (إِلَّا فِرَارًا) يقول : إلا إدباراً عنه وهرباً منه وإعراضاً عنه .
وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَمْ
يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) قال : بلغنا أنهم كانوا يذهب الرجل بابنه إلى نوح ، فيقول لابنه : احذر
هذا لا يغويك ، فأراني قد ذهب بى أبى إليه وأنا مثلك ، فحذرنى كما حذرك .
وقوله (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) يقول جل وعز :
وإني كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدايتك ، والعمل بطاعتك ، والبراءة من عبادة كل ما سواك ، لتغفر
لهم إذا هم فعلوا ذلك جعلوا أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا دعائى إياهم إلى ذلك (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ)
يقول : وتغشوا فى ثيابهم ، وتغطوا بها لئلا يسمعوا دعائى .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي
آذَانِهِمْ) لئلا يسمعوا كلام نوح عليه السلام .
وقوله (وَأَصْرُوا) يقول : وثبتوا على ما هم عليه من الكفر وأقاموا عليه .
وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَصْرُوا) قال : الإصرار
إقامتهم على الشر والكفر .

وقوله (وَاسْتَكَبَرُوا اسْتِكْبَارًا) يقول : وتكبروا فتعاضموا عن الإذعان للحق ، وقبول مادعوتهم إليه من النصيحة .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۖ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ

❖ يقول : (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ) إلى ما أمرني أن أدعوهم إليه (جِهَارًا) ظاهرا في غير خفاء .
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) قال : الجهار الكلام المعلن به .
وقوله (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) يقول : صرخت لهم ، وصحت بالذي أمرني به من الإنذار .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَعْلَنْتُ لَهُمْ) قال : صحت .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (أَعْلَنْتُ لَهُمْ) يقول : صحت بهم .
وقوله (وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) يقول : وأسررت لهم ذلك فيما بيني وبينهم في خفاء .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) قال : فيما بيني وبينهم .

وقوله (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) يقول : فقلت لهم : سلوا ربكم غُفْران ذنوبكم ، وتوبوا إليه من كفركم ، وعبادة ما سواه من الآلهة ووحده ، وأخلصوا له العبادة ، يغفر لكم ، إنه كان غفارا للذنوب من أناب إليه ، وتاب إليه من ذنوبه .

وقوله (يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) يقول : يسقيكم ربكم إن تبتم ووحدهم وأخلصتم له العبادة الغيث ، فيرسل به السماء عليكم مدرارا متابعا .

وقد حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن مطرف ، عن الشعبي ، قال : خرج عمر بن الخطاب يستسقي ، فزاد على الاستغفار ، ثم رجع فقالوا : يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت ،

فقال : لقد طلبت المطر بمجاديع السماء التي يستنزل بها المطر ، ثم قرأ (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) ، وقرأ الآية التي في سورة هود حتى بلغ ((وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ)) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيجعل لكم جَنَّاتٍ وَيجعل لكم أَنْهَارًا ﴿١٧﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٨﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٩﴾

* وقوله (وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) يقول : ويعطكم مع ذلك ربكم أموالاً وبنين ، فيكثرها عندكم ويزيد فيها عندكم منها (وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ) يقول : يرزقكم بساتين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) تسقون منها جناتكم ومزارعكم ، وقال ذلك لهم نوح ، لأنهم كانوا فيما ذكر قوم يحبون الأموال والأولاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ لَاقَى دَعْوَتَهُمْ جِهَارًا) . . . إلى قوله (وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) قال : رأى نوح قوما تجزعت أعناقهم حرصاً على الدنيا ، فقال : هلموا إلى طاعة الله ، فإن فيها درك الدنيا والآخرة .

وقوله (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ما لكم لا ترون لله عظمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) يقول : عظمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قال : لا ترون لله عظمة .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح وقيس ، عن مجاهد ، في قوله (لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قال : لا تبالون لله عظمة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن منصور ، عن مجاهد (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قال : كانوا لا يبالون عظمة الله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) يقول : عظمة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَتَقَارَأُ) قال : لا تبالون عظمة ربكم ؛ قال : والرجاء : الطمع والمخافة .
وقال آخرون : معنى ذلك : لا تعظمون الله حق عظمته .
ذكر من قال ذلك

حدثني سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَتَقَارَأُ) قال : مَالِكُمْ لَا تَعْظُمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ .
وقال آخرون : ما لكم لا تعلمون الله عظمة .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَتَقَارَأُ) يقول : مَالِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ اللَّهَ عَظَمَةَ .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ عَاقِبَةً .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَتَقَارَأُ) أي عاقبة .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَتَقَارَأُ) قال : لا ترجون الله عاقبة .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ طَاعَةً .
ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَتَقَارَأُ) قال : الوقار : الطاعة .
❦ وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : معنى ذلك : مَالِكُمْ لَا تَخَافُونَ اللَّهَ عَظَمَةَ ، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف ، كما قال أبو ذؤيب :
إِذَا لَسَعَنَتُهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبِ عَوَاسِلِ
يعني بقوله : « لم يرج » : لم يخف .
وقوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) يقول : وقد خالقكم حالا بعد حال ، طوراً نطفة ، وطوراً علقة ، وطوراً مضغة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) يقول : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة .

(١) سبق استشهاد المؤلف بالبيت في الجزئين (٥ : ٢٦٤ ، ١١ : ٨٧) وشرحناه فيهما شرحاً مستوفى ، فراجعه فيهما .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقه ، ثم ما ذكر حتى يتم خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) طورا نطفة ، وطورا علقه ، وطورا عظاما ، ثم كسا العظام لحما ، ثم أنشأ خلقا آخر ، أنبت به الشعر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : نطفة ، ثم علقه ، ثم خلقا طورا بعد طور .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضمحاك يقول في قوله : (خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) يقول : من نطفة ، ثم من علقه ، ثم من مضغة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : طورا النطفة ، ثم طورا أمشاجا حين يمشج النطفة الدم ، ثم يغلب الدم على النطفة ، فتكون عاقه ، ثم تكون مضغة ، ثم تكون عظاما ، ثم تكسى العظام لحما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : نطفة ، ثم علقه ، شيئا بعد شيء .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۖ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۖ

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح صاوات الله وسلامه عليه ، لقومه المشركين بربهم ، محتجا عليهم بحجج الله في وحدانيته (أَلَمْ تَرَوْا) أيها القوم فتعبروا (كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض ، والطباق : مصدر من قولهم : طبقت مطابقة وطباقا . وإنما عني بذلك : كيف خالق الله سبع سموات ، سماء فوق سماء مطابقة .

وقوله (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) يقول وجعل القمر في السموات السبع نورا (وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا) فيهن (سراجا) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ

اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا (ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول : إن ضوء الشمس والقمر نورهما في السماء ، اقرعوا إن شئتم) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن الشمس والقمر وجوههما قبيل السموات ، وأقفيتهما قبيل الأرض ، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ، وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) يقول : خالق القمر يوم خلق سبع سموات .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إنما قيل (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) على المجاز ، كما يقال : أتيت بني تميم ، وإنما أتى بعضهم (والله أنبتكم من الأرض نباتًا) يقول : والله أنشأكم من تراب الأرض ، فخلقكم منه إنشاء (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) يقول : ثم يعيدكم في الأرض كما كنتم ترابا فيصيركم كما كنتم من قبل أن يخلقكم (وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) يقول ويخرجكم منها إذا شاء أحياء كما كنتم بشرا من قبل أن يعيدكم فيها ، فيصيركم ترابا لإخراجا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا ۖ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۖ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدَّهُمْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ۖ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كِبَارًا ۖ

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل نوح لقومه ، مذكرهم نعيم ربه (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا) تستقرون عليها وتمهدونها .

وقوله (لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) يقول : اتسلكوا منها طرقا صعبا متفرقة ، والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) قال : طرقا وأعلاما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) قال طرقا .

التي أحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين في هذا الموضع كثير من الناس فنُسِب الضلال إذ قُبل بها عابوها إلى أنها المضيلة .

وقوله (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) يقول : ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم بآياتنا إلا ضلالا إلا طبعا على قلبه ، حتى لا يهتدى للحق .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۖ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۖ﴾

* يعني تعالى ذكره بقوله (مِمَّا خَطَبْتَهُمْ) من خطبائهم (أُغْرِقُوا) والعرب تجعل « ما » صلة فيما نوى به مذهب الحزاء ، كما يقال : أينما تكن أكن ، وحيثما تجلس أجلس ، ومعنى الكلام : من خطبائهم أُغْرِقُوا .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مِمَّا خَطَبْتَهُمْ) قال فخطبائهم (أُغْرِقُوا) فأدخلوا نارا ، وكانت الباء هاهنا فصلا في كلام العرب . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا) قال : بخطبائهم أُغْرِقُوا .

واختلفت القراء في قراءة قوله (مِمَّا خَطَبْتَهُمْ) فقراءته عامة قراء الأمصار غير أبي عمرو (مِمَّا خَطَبْتَهُمْ) بالهمز والتاء ، وقرأ ذلك أبو عمرو (مِمَّا خَطَبَاهُمْ) بالالف بغير همز . * والقول عندنا أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب .

وقوله (فَأَدْخَلُوا نَارًا) جهنم (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا) نقص لهم ممن فعل ذلك بهم ، ولا تحول بينهم وبين ما فعل بهم .

وقوله (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) ويعني بالديار من يدور في الأرض ، فيذهب ويحیی فيها وهو في حال من الدوران ديوارا ، اجتمعت الباء والواو ، فسبقت الباء الواو وهي ساكنة ، وأدغمت الواو فيها ، وصيرت ياء مشددة ، كما قيل : الحى القيام من قمت ، وإنما هو قيوام . والعرب تقول ما بها ديار ولا حريب ، ولا دوى ، ولا صافر ، ولا نافخ ضربة ، يعني بذلك كله : ما بها أحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۖ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۖ﴾

** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح في دعائه إياه على قومه : إنك يا رب إن تذر الكافرين أحياء على الأرض ، ولم تهلكهم بعذاب من عندك (يُضِلُّوا عِبَادَكَ) الذين قد آمنوا بك ، فيصدّوهم عن سبيلك ، (وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا) في دينك (كَفَّارًا) لنعمتك .

وذكر أن قيل نوح هذا القول ودعائه هذا الدعاء ، كان بعد أن أوحى إليه ربه (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (رَبِّ لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) أما والله ما دعا عليهم حتى أتاه الوحي من السماء (أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ) فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح فقال : (رَبِّ لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) ثم دعاه دعوة عامة فقال (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) . . . إلى قوله (تَبَارًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) ثم ذكر نحوه .
وقوله (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) يقول : ربّ اعف عني ، واستر عليّ ذنوبي وعلى والديّ (وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا) يقول : وإن دخل مسجدي ومصلاي مصليًا مؤمنًا ، يقول : مصدقًا بواجب فرضك عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن الضحاک (وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا) قال : مسجدي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن أبي سلمة ، عن أبي سنان سعيد ، عن الضحاک مثله .

وقوله (وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) يقول : وللمصدقين بتوحيديك والمصدقات .

وقوله (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) يقول : ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم إلا خسارًا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِلَّا تَبَارًا) قال : خسارًا .

وقد بينت معنى قول القائل : تبرت ، فيما مضى بشواهد ، وذكرت أقوال أهل التأويل فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كانوا يضربون نوحا حتى يَغشَى عليه ، فإذا أفاق قال : رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .
آخر تفسير سورة نوح صلى الله عليه وسلم

(٧٢) سُوْرَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا مَكِّيَّةٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن
نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد أوحى الله إلى (أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) هذا القرآن (فَقَالُوا) لقومهم لما سمعوه (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) يقول : يدل على الحق وسبيل الصواب (فَآمَنَّا بِهِ) يقول : فصدقناه (وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) من خلقه . وكان سبب استماع هؤلاء النفر من الجن القرآن ، كما حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو هشام ، يعني المخزومي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، قال : وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأُرسلت علينا الشهب ، فقالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، قال : فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حدث ، قال : فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، يتبعون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، قال : فانطلق النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، قال : فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقاموا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، قال : فهناك حين رجعوا إلى قومهم ، فقالوا : يا قومنا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) قال : فأنزل

الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) وإنما أوحى إليه قول الجن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن ورقاء ، قال : قدم رهط زوبعة وأصحابه مكة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم انصرفوا ، فذلك قوله (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا) قال : كانوا تسعة فيهم زوبعة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) هو قول الله (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ) لم تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد ؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرس السماء الدنيا ، ورُميت الشياطين بالشهب فقال إبليس : لقد حدث في الأرض حدث ، فأمر الجن فتفرقت في الأرض لتأنيه بخبر ما حدث . وكان أول من بُعث نذر من أهل نصيبين وهى أرض باليمن ، وهم أشراف الجن وسادتهم ، فبعثهم إلى تهامة ومايلي اليمن ، فمضى أولئك النفر ، فأتوا على الوادى وادى نخلة ، وهو من الوادى مسيرة ليلتين ، فوجدوا به نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة فسمعوه يتلو القرآن ؛ فلما حضروه ، قالوا أنصتوا ، فلما قضى ، يعنى فرغ من الصلاة ، وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، يعنى مؤمنين لم يعلم بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشعر أنه صُرف إليه ، حتى أنزل الله عليه (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) .

وقوله (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) اختلاف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فآمننا به وإن نشرك بربنا أحدا ، وآمننا بأنه تعالى أمر ربنا وسلطانه وقدرته .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) يقول : فعله وأمره وقدرته .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) يقول : تعالى أمر ربنا .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة في هذه الآية (تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) قال : أمر ربنا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدي (تعالى جدُّ رَبِّنَا) قال : أمر ربنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) ما اتَّخَذَ صَاحِبِيَّةً وَلَا وَلَدًا) قال : تعالى أمره أن يتخذ ولا يكون الذي قالوا : صاحبة ولولدا ، وقرأ (قُلْ هُوَ

اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) قال لا يكون ذلك منه .
وقال آخرون : عني بذلك جلال ربنا وذكره .

ذكر من قال ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال عكرمة ، في قوله (جَدُّ رَبَّنَا) قال : جلال ربنا .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا خالد بن يزيد ، قال : ثنا أبو إسرائيل ، عن فضيل ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا) قال : جلال ربنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن سليمان التيمي قال : قال عكرمة (تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا) : جلال ربنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا) : أي تعالى جلاله وعظمته وأمره .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله تعالى (جَدُّ رَبَّنَا) قال : تعالى : أمر ربنا تعالت عظمته .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تعالى غني ربنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : قال الحسن ، في قوله تعالى (جَدُّ رَبَّنَا) قال : غني ربنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن الحسن (تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا) قال : غني ربنا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا) قال : غني ربنا .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا هشيم ، عن سليمان التيمي ، عن الحسن وعكرمة ، في قول الله (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا) قال أحدهما : غناه ، وقال الآخر : عظمته .

وقال آخرون : عني بذلك الجَدُّ الذي هو أبو الأب ، قالوا ذلك كان من كلام جهلة الجن .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبي سارة ، عن أبيه ، عن أبي جعفر (تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا) قال : كان كلاما من جهلة الجن .

وقال آخرون : عني بذلك : ذكره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا) قال : ذكره .
 * وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : عُنِيَ بذلك : تعالت عظمة ربنا وقدرته وسطانه وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن الجَدَّ في كلام العرب معنيين : أحدهما الجَدُّ الذي هو أبو الأب ، أو أبو الأم ، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، وذلك أنهم قد قالوا : (فآمنا به وإن نشرك بربنا أحدا) ومن وصف الله بأن له ولدا أو جدًّا هو أبواب أو أبو أم ، فلا شك أنه من المشركين . والمعنى الآخر : الجَدُّ الذي بمعنى الحظّ ؛ يقال : فلان ذو جدٍّ في هذا الأمر : إذا كان له حظٌّ فيه ، وهو الذي يُقال له بالفارسية البَحْثُ ، وهذا المعنى الذي قصده هؤلاء النفر من الجنّ بقليلهم (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا) إن شاء الله . وإنما عَنَتُوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية ، فلا يكون له صاحبة ولا ولد ، لأن صاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها ، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد ، فقال النفر من الجنّ : علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطروهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة ، أو وقاع شيء يكون منه ولد .
 وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم إنما نَزَّهُوا الله عن اتخاذ صاحبة والولد بقوله (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) يقال منه : رجل جدّي وجديد ومجدود : أي ذو حظّ فيما هو فيه ؛ ومنه قول حاتم الطائي :

أَغْزَوْا بَنِي ثُعَلٍ فَالْغَزْوُ جَدُّكُمْ
عُدُّوا الرِّوَابِيَّ وَلَا تَبْكُوا بَنِي قُنَيْلَا

وقال آخر :

يُرْفَعُ جَدُّكَ إِنِّي أَمْرُو سَقَتْنِي إِلَيْكَ الْأَعَادِي سِجَالًا

وقوله (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً) يعني زوجة (وَلَا وَلَدًا) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَأَنَّهُ تَعَالَى) فقرأه أبو جعفر القاري وستة أحرف آخر بالفتح ، منها :

(١) البيت لحاتم الطائي (شعراء النصرانية ١٢٨) وفيه : حظكم « في موضع » جدكم « وما معنى . قال شارحه : والروابي : الأشراف ، أو الأصل والشرف . وفي (اللسان : جدد) : وفي التنزيل العزيز « وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا » : قيل : جده عظمته ، وقيل : ذناه . وقال مجاهد : جد ربنا : جلال ربنا . وقال بعضهم : عظمة ربنا ، وما قريبان من السواء . اهـ . وهذه التأويلات : صالحة لتأويل قول حاتم ، فالنزود عز العرب وعظمتهم وسبب هيبتهم وجلالهم في أعين أعدائهم . وشجاعتهم في الحرب والنزال : هي حظهم الذي عرفوا به في الدنيا ، يأبون الضيم ، ويأفنون من استذل المالك والجباة لهم .

(٢) هذا البيت لم ينسبه المؤلف . وهو أشبه بقول الخطبة في لاميته المنصوبة إلى مخاطب بها سيدنا عمر بن الخطاب ، معذرا عن هجائه الزبرقان بن بدر التميمي ، ومطامها : « نأثك أمانة إلا على الأ » ، ولم أجده في ديوان الخطبة المطبوع ، ولا في جبهة أشعار العرب (١٥١ - ١٥٤) . وقوله : يرفع جدك . يبدو له بأن يرفع الله حظه وذكره . والسجال : جمع سجل ، وهو الدلو معذرا إليه بما دسه عليه الوشاة .

(أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ - وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ - وَأَنَّهُ كَانَ يَتَقُولُ سَفِيهًا - وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ - وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ - وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) وكان نافع يكسرها إلا ثلاثة أحرف : أحدها (قُلْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ) والثانية (وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا) ، والثالثة (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) . وأما قراء الكوفة غير عاصم ، فإنهم يفتحون جميع ما في آخر سورة النجم وأول سورة الجن إلا قوله (فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا) ، وقوله (قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) وما بعده إلى آخر السورة ، وأنهم يكسرون ذلك غير قوله (لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتَلَعُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ) وأما عاصم فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) فإنه كان يفتحها ، وأما أبو عمرو ، فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله (وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) فإنه كان يفتح هذه وما بعدها ، فأما الذين فتحوا جميعها إلا في موضع القول ، كقوله (فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا) وقوله (قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) ونحو ذلك ، فإنهم عطفوا أن في كل السورة على قوله فآمنوا به ، وآمنوا بكل ذلك ، ففتحوها بوقوع الإيمان عليها . وكان القراء يقول : لا يمنعك أن تجد الإيمان يقبح في بعض ذلك من الفتح ، وأن الذي يقبح مع ظهور الإيمان قد يحسن فيه فعل مضارع للإيمان ، فوجب فتح أن كما قالت العرب :

إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعِيُونَا ١

فنصب العيون لاتباعها الحواجب ، وهي لاتزجج ، وإنما تكحل ، فأضمر لها الكحل ، كذلك يضم في الموضع الذي لا يحسن فيه آمنة صدقنا وآمنة وشهدنا . قال : ويقول النصب قوله (وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) فينبغي أن كسر أن يحذف « أن » من « لو » لأن « أن » إذا خففت لم تكن حكاية . ألا ترى أنك تقول : أقول لو فعلت لفعلت ، ولا تدخل « أن » ، وأما الذين كسروها كلهم وهم في ذلك يقولون (وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا) فكأنهم أضمروا يميننا مع « لو » وقطعوها عن النسق على أول الكلام ، فقالوا : والله أن لو استقاموا ، قال : والعرب تدخل « أن » في هذا الموضع مع اليمين وتحذفها ، قال الشاعر :

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا ٢

قالوا : وأنشدنا آخر :

أَمَّا وَاللَّهِ أَن لَوْ كُنْتَ حَرًا وَمَا بِالْحُرِّ أَنْتَ وَلَا الْعَتِيقُ ٣

وأدخل « أن » من كسرها كلها ، ونصب (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) فإنه خص ذلك بالوحي ، وجعل

(١) سبق الاستشهاد بالبيت في الجزء (٢٧ : ١٧٦) وشرحناه هناك شرحا مبسوطا ، فارجع إليه .

(٢) البيت لامرئ القيس ، وقد سبق الاستشهاد به في الجزأين (١٢ : ١٨ ، ١٣ : ١٥٢) فارجع إليه فيها ، فقد

شرحناه مطولا .

(٣) البيت من شواهد النحويين على أن المخففة من الثقيلة قيل تعمل وقيل لا تعمل (الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري طبعة القاهرة ١ : ١٢٦ ولم ينسبه) . وقال القراء في معاني القرآن ، واستشهد بالبيت (الورقة ٣٤٤) : والعرب تدخل أن في هذا الموضع مع اليمين ، وتحذفها . قال الشاعر : « فأقسم لو شئ . . . البيت » . وأنشدني آخر : « أما والله أن . . . البيت » . وقد نقل المؤلف كلام القراء جميعه في فتح هزة أن وكسرها في آيات سورة الجن ، فلا تطول الكلام بنقله ، ونكتفي بهذه الإشارة .

(وَأَنْ لَّوْ) مضمره فيها اليمين على ما وصفت وأما نافع فإن ما فتح من ذلك فإنه رده على قوله (أَوْحَى إِلَى) وما كسره فإنه جعله من قول الجن ، وأحب ذلك إلى أن أقرأ به الفتح فيما كان وحياً ، والكسر فيما كان من قول الجن ، لأن ذلك أفصحها في العربية ، وأبينها في المعنى ، وإن كان للقراءات الأخرى وجه غير مدفوعة صحتها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۖ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۖ

* يقول عز وجل مخبراً عن قبل النفر من الجن الذين استمعوا القرآن (أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) وهو إبليس .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) وهو إبليس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل من المكيين ، عن مجاهد (سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) قال إبليس : ثم قال سفيان : سمعت أن الرجل إذا سجد جالس إبليس يبكي يقول : يا ويله أمر بالسجود فعصيت ، فله النار ، وأمر ابن آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) . وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) فقال : عصاه والله سفيه الجن ، كما عصاه سفيه الإنس .

وأما الشَّطَطُ من القول ، فإنه ما كان تعدياً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) قال : ظلماً .

وقوله (وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) يقول : قالوا : وأنا حسبنا أن لن نقول بنو آدم والجن على الله كذباً من القول ، والظان هاهنا بمعنى الشك ، وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجن أن تكون علمت أن أحداً يجترئ على الكذب على الله لما سمعت القرآن ، لأنهم قبل أن يسمعه وقبل أن يعلموا تكذيب الله الزاعمين أن الله صاحبة ولداً ، وغير ذلك من معاني الكفر كانوا يحسبون أن إبليس

صَادِقٌ فِيمَا يَدْعُو بَنِي آدَمَ إِلَيْهِ مِنْ صُنُوفِ الْكُفْرِ ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ أُيْقِنُوا أَنَّهُ كَانَ كَاذِبًا فِي كُلِّ ذَلِكَ ، فَلَذَلِكَ قَالُوا (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) فَسَمَوْهُ سَفِيهَا .

وَقَوْلُهُ (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَخْبَرًا عَنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ ؛ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَسْتَجِيرُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فِي أَصْفَارِهِمْ إِذَا نَزَلُوا مَنَازِلَهُمْ . وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِمْ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا ، كَالَّذِي حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنِي عَمِّي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) قَالَ : كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَبِيتُ أَحَدُهُمْ بِالْوَادِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَيَقُولُ : أَعُوذُ بِعَزِيزِ هَذَا الْوَادِي ، فَرَأَاهُمْ ذَلِكَ لَثَمًا .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ ، قَالَ : ثَنَا هَشِيمٌ ، عَنْ عَوْفٍ ، عَنْ الْحَسَنِ ، فِي قَوْلِهِ (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا نَزَلَ الْوَادِي فَبَاتَ بِهِ ، قَالَ : أَعُوذُ بِعَزِيزِ هَذَا الْوَادِي مِنْ شَرِّ سَفَهَاءِ قَوْمِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا مَهْرَانٌ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) كَانُوا إِذَا نَزَلُوا الْوَادِي قَالُوا : نَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ ، فَتَقُولُ الْجِنُّ : مَا نَمْلِكُ لَكُمْ وَلَا لَأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا .

قَالَ : ثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، فِي قَوْلِهِ (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) قَالَ : كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا نَزَلُوا بِالْوَادِي قَالُوا : نَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي ، فَيَقُولُ الْجَنُّونُ : نَتَعُوذُونَ بِنَا وَلَا نَمْلِكُ لَأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا !

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ عَجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ (يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) قَالَ : كَانُوا يَقُولُونَ إِذَا هَبَطُوا وَادِيًا : نَعُوذُ بِعِظَمَاءِ هَذَا الْوَادِي .

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا إِذَا نَزَلُوا بِوَادٍ قَالُوا : نَعُوذُ بِأَعَزِّ أَهْلِ هَذَا الْمَكَانِ ، قَالَ اللَّهُ (فَزَادُوا وَهُمْ رَهَقًا) : أَيُّ لَثَمًا ، وَازْدَادَتْ الْجِنُّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ جَرَاةٌ .

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ (يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا نَزَلُوا مِنْزَلًا يَقُولُونَ : نَعُوذُ بِأَعَزِّ أَهْلِ هَذَا الْمَكَانِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا مَهْرَانٌ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ أَنَسٍ (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) قَالَ : كَانُوا يَقُولُونَ فَلَانٌ مِنَ الْجِنِّ رَبُّ هَذَا الْوَادِي ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا دَخَلَ الْوَادِي يَعُوذُ بِرَبِّ الْوَادِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ : فَيَزِيدُهُ بِذَلِكَ رَهَقًا ، وَهُوَ الْفَرَقُ .

حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ

الإنسِرِ يَتَعَوَّذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا نَزَلَ بِوَادٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ قَالَ : إِنِّي أَعُوذُ بِكَبِيرِ هَذَا الْوَادِي ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ عَاذُوا بِاللَّهِ وَتَرَكَوهُمْ . وَقَوْلُهُ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى ذَلِكَ : فَزَادَ الْإِنْسُ بِالْجِنِّ بِاسْتِعَاذَتِهِمْ بِعَزِيزِهِمْ ، جَرَاءَ عَلَيْهِمْ ، وَازْدَادُوا بِذَلِكَ إِثْمًا . ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنِي عَمِّي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) فَزَادَهُمْ ذَلِكَ إِثْمًا . حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : قَالَ اللَّهُ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) : أَيْ إِثْمًا ، وَازْدَادَتْ الْجِنُّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ جَرَاءً . حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) يَقُولُ : خَطِيئَةٌ . حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا مِهْرَانٌ ، قَالَ : ثَنَا سَفْيَانٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قَالَ : فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ جَرَاءً . قَالَ : ثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قَالَ : اَزْدَادُوا عَلَيْهِمْ جَرَاءً . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ زَادُوا بِذَلِكَ طَغْيَانًا .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عِيسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قَالَ : زَادَ الْكُفَّارَ طَغْيَانًا . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ عُنِيَ بِذَلِكَ فَزَادُوهُمْ فَرَقًا .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا مِهْرَانٌ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قَالَ : فَيَزِيدُهُمْ ذَلِكَ رَهَقًا ، وَهُوَ الْفَرَقُ .

حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قَالَ : زَادَهُمُ الْجِنُّ خَوْفًا .

❦ وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ : فَزَادَ الْإِنْسُ الْجِنُّ بِفَعْلِهِمْ ذَلِكَ إِثْمًا ، وَذَلِكَ زَادُوهُمْ بِهِ اسْتِحْلَالَ الْحَارِمِ لِلَّهِ . وَالرَّهَقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : الْإِثْمُ وَغَشْيَانُ الْحَارِمِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشِيِّ :

لَا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَيْهَا هَلْ يَشْتَفِي وَآمِقٌ مَا لَمْ يُصِيبْ رَهَقًا يَقُولُ : مَا لَمْ يَغْشَ مَحْرَمًا .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٣٩٥ من القصيدة المرقومة ٨٠) . وفي اللسان: (رهق) قال: والرهق غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه . قال ابن بري: وكذلك فسر الهمق في غسر الأعشى ، بأنه غشيان المحارم وما لا خير فيه في قول لا شيء ينفعني . . . البيت ه قلت: وتفسير ابن بري لا يعجبني ، لأن الأعشى لم يكن يعرف المحرمات ، وإنما يحسن تفسيره كما قاله

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۖ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا فِيهَا مِثْلَ حَرِّ سَائِدِيدٍ ۚ وَشُهَبًا ۚ

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل هؤلاء النفر من الجن (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) يعنى أن الرجال من الجن ظنوا كما ظن الإنس أن لن يبعث الله أحدا رسولا إلى خلقه ، يدعوهم إلى توحيده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن الكلبي (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ) ظن كفار الجن كما ظن كفرة الإنس أن لن يبعث الله رسولا .

وقوله (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) يقول عز وجل مخبرا عن قبل هؤلاء النفر : وأنا طلبنا السماء وأردناها ، (فَوَجَدْنَا فِيهَا مِثْلَ حَرِّ سَائِدِيدٍ) يقول : فوجدناها ملئت (حرسا شديدا) يعنى حفظة (وشهبًا) ، وهى جمع شهاب ، وهى النجوم التى كانت تُرجم بها الشياطين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جبير ، قال : كانت الجن تستمع ، فلما رجعوا قالوا : إن هذا الذى حدث فى السماء لشيء حدث فى الأرض ؛ قال : فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبي صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر ، فذهبوا إلى قومهم مننربن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمِ ۖ فَمَنْ يَسْمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۖ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمْنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۖ

يقول عز وجل : وإنا كنا نقعد من السماء مقاعد لنسمع ما يحدث ، وما يكون فيها ، (فَمَنْ يَسْمِعُ الْآنَ) فيها منا (يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا) يعنى : شهاب نار قد رصد له به .

— شارح الديوان : إن الرهق : الدنو من المهبوب والقرب منه ، والتمتع بما ينوله ، فأما إذا كان بعيدا عنه فلا شفاء ولا قرار . وفى (البيان : رهق) : من الأراجاج ، فزادهم رهقا : أى ذلة وضعفا . وقيل : سفها وطفيانا . وقيل فى تفسيره : الظلم . وقيل الفساد . . . الخ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) . . . إلى قوله (فَنُيَسْتَمِيعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا) كانت الجن تسمع سمع السماء ؛ فلما بعث الله نبيه ، حُرست السماء ، ومنعوا ذلك ، فتفقدت الجن ذلك من أنفسها .

وذكر لنا أن أشراف الجن كانوا بنصبيين ، فطلبوا ذلك ، وضربوا له حتى سقطوا على نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بأصحابه عامدا إلى عكاظ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاها مُأَيَّتَ حَرَسًا وشُهْبًا) . . . حتى بلغ (فَنُيَسْتَمِيعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا) فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس ، فقالوا : منع منا السمع ، فقال لهم : إن السماء لم تحرس قط إلا على أحد أمرين : إما لعذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغتة ، وإما نبي مرشد مصلح ، قال : فذلك قول الله (وَأَنَّا لَآنْدَرِي أَشْرًا أُريدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)

وقوله (وَأَنَّا لَآنْدَرِي أَشْرًا أُريدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) يقول عز وجل مخبرا عن قبل هؤلاء نفر من الجن : وأنا لآندري أعذابا أراد الله أن ينزله بأهل الأرض ، بمنعه إيانا السمع من السماء ورجه من استمع منا فيها بالشهب (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) يقول : أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ الْهَلْىَ بَأَن يبعث منهم رسولا مرشدا يرشدهم إلى الحق وهذا التأويل على التأويل الذي ذكرناه عن ابن زيد قبل . وذكر عن الكلبي في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، عن الكلبي في قوله (وَأَنَّا لَآنْدَرِي أَشْرًا أُريدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) أن يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم أو يعصوه فيهلكهم . وإنما قلنا القول الأول لأن قوله (وَأَنَّا لَآنْدَرِي أَشْرًا أُريدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ) عقيب قوله (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) . الآية ، فكان ذلك بأن يكون من تمام قصة ما وليه ، وقرب منه أولى بأن يكون من تمام خبر ما بعد عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۖ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۖ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْحَدَىٰ ؕ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۖ

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيهم (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) وهم المسلمون العاملون بطاعة الله (وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) يقول : ومنا دون الصالحين (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) يقول : وأنا كنا أهواء مختلفة ، وفريقا

شئى ، منا المؤمن والكافر . والطرائق : جمع طريقة ، وهى طريقة الرجل ومذهبه . والقيد : جمع قدة ، وهى الضروب والأجناس المختلفة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد الرازى ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (طَرَائِقَ قِدَادًا) يقول : أهواء مختلفة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا) يقول : أهواء شتى ، منا المسلم ، ومنا المشرك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا) كان القوم على أهواء شتى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (طَرَائِقَ قِدَادًا) قال : أهواء . حدثنى ابن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا) قال : مسلمين وكافرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا) قال : شتى ، مؤمن وكافر . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا) قال صالح وكافر ، وقرأ قول الله (وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) .

وقوله (وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ) يقول : وأنا علمنا أن لن نعجز الله فى الأرض إن أراد بنا سوءا (وَلَئِنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) إن طلبنا فتوته . وإنما وصفوا الله بالقُدرة عليهم حيث كانوا (وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ آمَنَّا بِهِ) يقول : قالوا : وأنا لما سمعنا القرآن الذى يهدى إلى الطريق المستقيم آمنا به ، يقول : صدقنا به ، وأقررنا أنه حق من عند الله ، فمن يؤمن بربه (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) يقول : فمن يصدق بربه فلا يخاف بخرسا : يقول : لا يخاف أن ينقص من حسناته ، فلا يجازى عليها ، ولا رَهَقًا : ولا إنما يحمل عليه من سيئات غيره ، أو سيئة يعملها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى حلى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن حلى ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) يقول : لا يخاف نقصا من حسناته ، ولا زيادة فى سيئاته .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَا يَخَافُ بُخْسًا وَلَا رَهَقًا) يقول : ولا يخاف أن يبخس من عمله شيء .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا يَخَافُ بُخْسًا) : أي ظلماً ، أن يظلم من حسناته فينقص منها شيئاً ، أو يحمل عليه ذنب غيره (وَلَا رَهَقًا) ولا مأثماً .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَا يَخَافُ بُخْسًا وَلَا رَهَقًا) قال : لا يخاف أن يبخس من أجره شيئاً ولا رهقاً ، فيظلم ولا يعطى شيئاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۖ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

* يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل النفر من الجن (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ) الذين قد خضعوا لله بالطاعة (وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) وهم الجاثرون عن الإسلام وقصد السبيل .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) قال : العادلون عن الحق .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْقَاسِطُونَ) قال : الظالمون .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (الْقَاسِطُونَ) الجاثرون .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (الْقَاسِطُونَ) قال : الجاثرون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المقسط : العادل ، والقاسط : الجاثرون .
وذكر بيت شعر :

قَسَطْنَا عَلَى الْأَمْثَلِ فِي عَهْدِ تَبَعٍ وَمِنْ قَبْلِ مَا أُدْرِى النَّفُوسَ عِقَابَهَا ۝
وقال : وهذا مثل الترب والمترب ؛ قال : والترب : المسكين ، وقرأ (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال :
والمترب : الغنى .

(١) البيت استشهد به ابن زيد المحدث على أن القاسطين معناه الجاثرون . قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٤٤) وقوله « ومننا القاسطون » : وهم الجاثرون الكفار . والمقسطون : العادلون المسلمون .

وقوله (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) يقول: فمن أسلم وخضع لله بالطاعة ، فأولئك تعملوا وترجعوا رشداً في دينهم . وأما القاسطون يقول الجاثرون عن الإسلام ، فكانوا يلجأهم حطبا)
توقد ۳۳ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَلَّا اسْقَبُوهَا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۖ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي سَلْكُهُ عَذَابًا
صَعَدًا ۖ

** يقول تعالى ذكره : وأن لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحق والاستقامة (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا) يقول : لو سعننا عليهم في الرزق ، وبسطناهم في الدنيا لنفتنهم فيه ، يقول لنختبرهم فيه .
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا) يعني بالاستقامة : الطاعة . فأما الغدق فالماء الطاهر الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنبتليهم به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن مجاهد (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) طريقه الإسلام (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا) قال : نافعا كثيرا ، لأعطيناهم مالا كثيرا (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) حتى يرجعوا لما كتب عليهم من الشقاء .

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابي ، قال : ثنا الفريابي ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن مجاهد

مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن مجاهد (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) قال : طريقة الحق (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا) يقول مالا كثيرا (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم به حتى يرجعوا إلى ما كتب عليهم من الشقاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن مجاهد ، عن أبيه ، مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن مجاهد (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) قال : الإسلام (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا) قال الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم به .

قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان ، عن غير واحد ، عن مجاهد (مَاءً غَدَقًا) قال الماء . والغدق : الكثير

(لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) حتى يرجعوا إلى علمي فيهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : لأعطيناهم ما لا كثيرا ، قوله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن بعض أصحابه ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير في قوله (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) قال : الدين (لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : ما لا كثيرا (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنبتليهم به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا قال الله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنبتليهم بها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : لو اتقوا لوسع عليهم في الرزق (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (مَاءً غَدَقًا) قال : عيشا رغدا . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : الغدق الكثير : مال كثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنختبرهم فيه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا المطالب بن زياد ، عن التيمي ، قال : قال عمر رضي الله عنه في قوله (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا) قال : أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأن لو استقاموا على الضلالة لأعطيناهم سعة من الرزق لنستدرجهم بها

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران بن حدير ، عن أبي جهم ، قال : وأن لو استقاموا على طريقة الضلالة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأن لو استقاموا على طريقة الحق وآمنوا لوسعنا عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) قال : هذا مثل ضربه الله كقوله (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) وقوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) والماء الغدق يعني : الماء الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنبتليهم فيه .

وقوله (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْنَاهُ عَذَابًا صَعَدًا) يقول عز وجل : ومن يعرض عن ذكر ربه الذي ذكره به ، وهو هذا القرآن ، ومعناه : ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله ، يسلكه

الله عذاباً صعباً : يقول : يسلكه الله عذاباً شديداً شاقاً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا) يقول : مشقة من العذاب يصعد فيها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثني أبو عاصم ، قال : ثني عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَذَاباً صَعَدًا) قال : مشقة من العذاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (عَذَاباً صَعَدًا) قال : جبل في جهنم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا) عذاباً لراحة فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَذَاباً صَعَدًا) قال : صعوداً من عذاب الله لراحة فيه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا) قال : الصعد : العذاب المنصب .

واختلفت القراء في قراءة قوله (يَسْلُكْهُ) فقرأه بعض قراء مكة والبصرة (نَسْلُكْهُ) بالنون اعتباراً بقوله (لِنَفْسِنَهُمْ) أنها بالنون . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء ، بمعنى : يسلكه الله رداً على الرب في قوله (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۖ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا ۝

•• يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) (وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا) أيها الناس (مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) ولا تشركوا به فيها شيئاً ، ولكن أفردوا له التوحيد ، وأخلصوا له العبادة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن محمود، عن سعيد ابن جبير (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) قال: قالت الجن لنبي الله كيف لنا نأتي المسجد، ونحن ناعون عنك، وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناعون عنك؟ فنزلت (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا). حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن خصاصيف، عن عكرمة (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) قال: المساجد كلها.

وقوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول: وأنه لما قام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله يقول: «لا إله إلا الله» (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول: كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض، واحدها لبدة، وفيها لغتان: كسر اللام لبدة، ومن كسرهما جمعها لبَد، وضم اللام لبدة، ومن ضمهما جمعها لبَد بضم اللام، أو لا بَد، ومن جمع لا بَد قال لبَدًا مثل راعٍ وركعًا، وقراء الأمصار على كسر اللام من لبَد، غير ابن محيصن فإنه كان يضمها، وهما بمعنى واحد، غير أن القراءة التي عليها قرأ الأمصار أحب إلى، والعرب تدعو الجراد الكثير الذي قد ركب بعضه بعضًا لبَدَّةً؛ ومنه قول عبد مناف بن ربيع الهذلي:

صَابُوا بِسِتَةِ أَبْيَاتٍ وَأَرْبَعَةٍ حَتَّى كَأَنَّ عَلَيْهِمْ جَابِيَا لِبَدًا^١

والجابي: الجراد الذي يجي كل شيء يأكله.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) فقال بعضهم: عنى بذلك الجن أنهم كادوا يركبون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا القرآن.

(١) البيت في (ديوان الهذليين ٢: ٤٠) في شعر عبد مناف بن ربيع الهذلي، يذكر يوم أنف عاذ. وفي (اللسان: صاب): وقول الهذلي «صابوا... البيت» صابوا بهم: أوقعوا بهم. والجابي (بالياء): الجراد والبلد (بضم اللام) الكثير. وقال: في (جبا) «والجابي الجراد، يهزم ولا يهزم». وجبا الجراد: هجم على البلد. قال الهذلي: صابوا... جابيا لبدا «يهزم جابي». قال: وكل طالع فجأة جابي. وقال في (لبد) وما لبَد (بالضم): كثير لا يخاف فتاؤه، كأنه التبد بضمه على بعض. وفي التثنية: يقول أهلكت مالا لبدا: أي جما. قال الفراء: اللبد: الكثير. وقال بعضهم: واحدة: لبدة، ولبد: جماع. قال: وجعله بعضهم على جهة قَم و حطام، واحدا، وهو في الوجهين جميعا: الكثير. اهـ.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول : لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول ، فجعل يقرئه (قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) كادوا يركبونه حرصا على ما سمعوا منه من القرآن . . .
* قال أبو جعفر : ومن قال هذا القول جعل قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) مما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فيكون معناه : قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه .
وقال آخرون : بل هذا من قول النفر من الجن لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له ، وإتمامهم به في الركوع والسجود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو مسلم ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قول الجن لقومهم (لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، قال : عجبوا من طوعية أصحابه له ، قال : فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه ، كادوا يكونون عليه لبدا .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : كان أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يأتون به ، فيركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ومن قال هذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس وسعيد فتح الألف من قوله « وأنه » عطف بها على قوله (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) مفتوحة ، وجاز له كسرها على الابتداء .

وقال آخرون : بل ذلك من خبر الله الذي أوحاه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم لعلمه أن الإنس والجن تظاهروا عليه ، ليُبطلوا الحق الذي جاءهم به ، فأبى الله إلا إتمامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ، ويظهره على من ناواه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لِبَدًا) قال : لما قام النبي صلى الله عليه وسلم تلبدت الجن والإنس ، فحرصوا على أن يطفئوا هذا النور الذي أنزله الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (كادوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : تظاهروا عليه بعضهم على بعض ، تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قال هذا القول فتح الألف من قوله « وأنه » .

* وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لما قام يدعوهم كادت العرب تكون عليه جميعا في إطفاء نور الله .

ولمّا قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب لأن قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) عقيب قوله (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) وذلك من خبر الله فكذلك قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) وأخرى أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لى المأمور بأن لا يدعو مع الله أحدا في ذلك ، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) قال : لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا إله إلا الله » ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تكون عليه جميعا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير في قوله (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : تراكبوا عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد بن جبير (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : بعضهم على بعض .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول : أعوانا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال جميعا . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : جميعا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) واللبد : الشيء الذي بعضه فوق بعض .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۖ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۖ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ

اختلفت القراء في قراءة قوله (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين

على وجه الخبر قال بالألف ؛ ومن قرأ ذلك كذلك ، جعله خبراً من الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال ، فيكون معنى الكلام : وأنه لما قام عبد الله يدعوه تلبدوا عليه ، قال لهم : إنما أدعوا ربى ، ولا أشرك به أحداً . وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قراء الكوفة على وجه الأمر من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للناس الذين كادوا يكونون عليك لبداً ، إنما أدعوا ربى ولا أشرك به أحداً .

❖ والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارىء فصيب .
وقوله (قُلْ إِنِّى لَأَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَأَشَدُّ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركى العرب الذين ردوا عليك ما جئتهم به من النصيحة : إني لأملك لكم ضرراً في دينكم ولا في دنياكم ، ولا رشداً أرشدكم ، لأن الذى يملك ذلك ، الله الذى له ملك كل شىء .
وقوله (قُلْ إِنِّى لَأَنبِئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ اللَّهِ أَحَدٌ) من خلقه إن أرادنى أمراً ، ولا ينصرفنى منه ناصر .
وذكر أن هذه الآية أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن بعض الجن قال : أنا أجيره .
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمي أنه ذكر له أن جنياً من الجن من أشرافهم ذاتبع ، قال : إنما يريد محمد أن نجيره وأنا أجيره فأنزل الله (قُلْ إِنِّى لَأَنبِئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ اللَّهِ أَحَدٌ) .

وقوله (وَلَئِنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : وإن أجِدَ من دون الله ملجئاً أُلجأ إليه .
كما حدثنا مهران ، عن سفيان (وَلَئِنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : وإن أجِدَ من دون الله ملجئاً أُلجأ إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَلَئِنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) : أى ملجئاً ونصيراً .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُلْتَحَدًا) قال : ملجئاً .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلَئِنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : ناصر .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً ۖ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ۖ

حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا ۖ وَقَلَّ عَدَدًا ۖ

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لمشركى العرب : إني لأملك لكم ضرراً ولا رشداً (إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً) يقول : إلا أن أبلغكم من الله ما أمرنى بتبليغكم إياه ، وإلا رسالاته التى أرسلنى بها إليكم ، فأما الرشد والخذلان ، فبيد الله ، هو مالكة دون سائر خلقه يهدى من يشاء ويخذل من أراد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ)

فذلك الذي أملك بلاغا من الله ورسالاته .

وقد يحتمل ذلك معنى آخر ، وهو أن تكون « إلا » حرفين ، وتكون « لا » منقطعة من « إن » فيكون معنى الكلام : « قل إني لن يجيرني من الله أحد » إن لم أبلغ رسالاته ، ويكون نصب البلاغ من إضمار فعل من الجزاء كتمول القائل : إن لاقبما فمعودا ، وإن لا إعطاء فردا جميلا ، بمعنى : إن لا تفعل الإعطاء فردا جميلا . وقوله (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) يقول تعالى ذكره : ومن يعص الله فيما أمره ونهاه ، ويكذب به ورسوله ، فجحده رسالاته ، فإن له نار جهنم يصلاها (خالدين فيها أبداً) يقول : ما كثر فيها أبداً إلى غير نهاية .

وقوله (حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ) يقول تعالى ذكره : إذا عاينوا ما يعدهم ربهم من العذاب وقيام الساعة (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا) أجند الله الذي أشركوا به ، أم هؤلاء المشركون به .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنِّي أَدْرِيْ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّيْ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَيُمْنُ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدَ بَلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : ما أدري أقرب ما يعدكم ربكم من العذاب وقيام الساعة (أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا) يعني : غاية معاومة تطول مدتها . وقوله (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) يعني بعالم الغيب : عالم ما غاب عن أبصار خلقه ، فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحدا ، فيعلمه أو يريه إياه إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يظهره على ما شاء من ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه ، وما يحكم الله ، فإنه لا يعلم ذلك غيره .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) فإنه يصطفيهم ، ويطلعهم على ما يشاء من الغيب .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) فإنه يظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) قال : ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيب القرآن ، قال : وحدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة .
وقوله (فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) يقول : فإنه يرسل من أمامه ومن خلفه حرسا وحفظة يحفظونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن الضحاك (إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث معه ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه ، أن يتشبه الشيطان على صورة الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن منصور ، عن إبراهيم (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : ملائكة يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن طلحة ، يعني ابن مصرف ، عن إبراهيم ، في قوله (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : الملائكة رصد من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من الجن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يتبين الذي أرسل به إليهم ، وذلك حين يقول : ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : الملائكة .

وقوله (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ) اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله (لِيَعْلَمَ) فقال بعضهم : عني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : معنى الكلام : ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد أبلغت الرسل قبله عن ربها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ) ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل قباه قد أبلغت عن ربها وحفظت .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ) قال : ليعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل قد أبلغت عن الله ، وأن الله حفظها ، ودفع عنها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليعلم المشركون أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ) قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليعلم محمد أن قد بلغت الملائكة رسالات ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل (لِيَعْلَمَ) محمد (أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ) ، وأحاط بما لديهم ، وأحصى كل شيء عداً قال : وما نزل جبريل عليه السلام بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة حفظة .

** قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب ، قول من قال : ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم ، وذلك أن قوله (لِيَعْلَمَ) من سبب قوله (فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) وذلك خبر عن الرسول ، فعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبراً عنه .
وقوله (وَأَحَاطَ بِمَا لَهُمْ) يقول : وعلم بكل ما عندهم (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) يقول : علم عدد الأشياء كلها ، فلم يخف عليه منها شيء .

وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية (إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) . . . إلى قوله (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) قال : ليعلم الرسل أن ربهم أحاط بهم ، فبلغوا رسالاتهم .

آخر تفسير سورة الجن

(٧٣) سُورَةُ الْمِزْمَلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ﴿١﴾ قُلِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ أَنْ تَتَيَلَّلَا ﴿٤﴾

* * * يعنى بقوله (يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ) هو الملتف بشيابه . وإنما عني بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم .
واخفاف أهل التأويل في المعنى الذى وصف الله به نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية من التزمّل ،
فقال بعضهم : وصفه بأنه مُتَزَمِّلٌ في ثيابه ، متأهب للصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ) : أى المتزمل في ثيابه .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ) هو الذى تزمّل
بشيابه .

وقال آخرون : وصفه بأنه متزمل النبوة والرسالة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، في قوله (يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ)
قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (قال : زُملت هذا الأمر فقم به .
* * * قال أبو جعفر : والذى هو أولى القواين بتأويل ذلك ، ما قاله قتادة ، لأنه قد عقبه بقوله (قُمِ اللَّيْلَ)
فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمّل بالثياب للصلاة ، وأن ذلك هو أظهر معنييه .

وقوله (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم «قم الليل» يا محمد كله «إلا قليلا» منه
(نِصْفَهُ) يقول : قم نصف الليل (أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْزِدْ عَلَيْهِ) يقول : أوزد عليه ،
خسره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أى ذلك شاء فعل ، فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل ، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خفف
ذلك عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، قال : ثنا سماك الحنفي ، قال : سمعت ابن عباس
يقول : لما نزل أول المزمّل ، كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في رمضان ، وكان بين أولها وآخرها قريب
من سنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعدة ، قال : ثنا سماك ، أنه سمع ابن عباس يقول ،
فذكر نحوه . ، إلا أنه قال نحواً من قيامهم في شهر رمضان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن موسى بن عبيدة ، قال : ثنا محمد بن طحلاء مولى
أمّ سامة ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قال : كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حصيراً يصلي عليه من الليل ، فتسمع به الناس ، فاجتمعوا ، فخرج كالغضب ، وكان بهم رحماً ، فخشي
أن يكتب عليهم قيام الليل ، فقال : «يا أيُّها النَّاسُ اكْتَلَفُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ
مِنَ الثَّوَابِ حَتَّى تَمَلُّوا مِنَ الْعَمَلِ وَخَسِرُ الْأَعْمَالِ مَا دُمْتُمْ عَلَيْهِ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ (يَا أَيُّهَا
الْمُزْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ
يَرْبُطُ الْحَبْلَ وَيَتَعَلَّقُ ، فَكَثَرُوا بِذَلِكَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، فَرَأَى اللَّهُ مَا يَبْتَغُونَ مِنْ رِضْوَانِهِ فَرَحَّمَهُمْ فَردَّهم إِلَى الْفَرِيضَةِ
وَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيدة الحميري ، عن محمد بن طحلاء ، عن
أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : «كنت أشتري لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً ، فكان
يقوم عليه من أول الليل ، فتسمع الناس بصلاته ، فاجتمعت جماعة من الناس ؛ فلما رأى اجتماعهم كره
ذلك ، فخشي أن يكتب عليهم ، فدخل البيت كالغضب ، فجعلوا يتنحنحون ويتسعلون حتى خرج إليهم ،
فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا - يَعْنِي مِنَ الثَّوَابِ - فَاكْتَلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ
فَإِنَّ خَيْرَ الْعَمَلِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً) السُّورَةُ
قَالَ : فَكَتَبْتُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْزَلْتُ بِمَنْزِلَةِ الْفَرِيضَةِ حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لِيَرْبُطَ الْحَبْلَ فَيَتَعَلَّقُ بِهِ ؛ فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ
مَا يَكْلِفُونَ مِمَّا يَبْتَغُونَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَرِضَاهُ ، وَضَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، فَقَالَ : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ
أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِّ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ) . . . إِلَى (عَلِيمٌ أَنْ لَنْ تُخْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ) فَردَّهم إِلَى
الْفَرِيضَةِ ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ النَّافِلَةَ ، إِلَّا مَا تَطَوَّعُوا بِهِ » .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (قُمْ
اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) فَأَمَرَ
اللَّهُ نَبِيَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِقِيَامِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ خَفَّفَ عَنْهُمْ فَرحَّمَهُمْ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ
هَذَا (عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (فَاقْرَأُوا
مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) فَوَسَّعَ اللَّهُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَلَمْ يَضِيقْ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : «لما أنزل الله على نبيه (يَا أَيُّهَا
الْمُزْمَلُ) قَالَ : مَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذَا الْحَالِ عَشْرَ سِنِينَ يَقُومُ اللَّيْلَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَكَانَتْ
طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُومُونَ مَعَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَ عَشْرَ سِنِينَ (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى

مِنْ ثُلُثَيْ اللَّيْلِ وَيُصَفِّهُ وَثُلُثُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ . . . إِلَى قَوْلِهِ (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ عَشْرَ سَنِينَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن ، قالوا : قال في سورة المزمل (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) نسخها الآية التي فيها (عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُّخْصُوهُ فِتَابَ عَلَيْكُمْ ، فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) قاموا حولاً أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم ، فأنزل الله تخفيفاً بعد في آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : لما نزلت (يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ) قاموا بها حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) فاستراح الناس .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جرير بن باع الملاء عن الحسن ، قال : الحمد لله تطوع بعد فريضة . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال لما نزلت (يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ) . . . الآية ، قام المسلمون حولاً ، فمنهم من أطاقه ، ومنهم من لم يطقه ، حتى نزلت الرخصة .

قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما نزل أول المزمّل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان ، وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة . وقوله (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) يقول جلّ وعزّ : وبين القرآن إذا قرأته تبيننا ، وترسل فيه ترسلنا ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علبه ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) قال : اقرأه قراءة بيّنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) فقال : بعضه على أثر بعض .

حدثنا محمد بن عبد الله الخزمي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) فقال : بعضه على أثر بعض . على تؤدة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) ، قال : ترسل فيه ترسلنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) فقال : بعضه على أثر بعض .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج ، عن عطاء (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) قال : الترتيل النّبذ : الطّرح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) قال بينه بيانا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن ميسم ، عن ابن عباس (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) قال : بينه بيانا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) قال : بعضه على أثر بعض .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۖ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ۖ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۖ ﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) فقال بعضهم : عني به إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا العمل به .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) قال : العمل به ، قال : إن الرجل لسيهد السورة ، ولكن العمل به ثقل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) ثقل والله فرائضه وحدوده .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (ثَقِيلًا) قال : ثقل والله فرائضه وحدوده .

وقال آخرون : بل عني بذلك أن القول عينه ثقل محمله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرائها ، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسري عنه » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) قال : هو والله ثقل مبارك القرآن ، كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة .

(١) الهد : سرعة القراءة . وهو يهذ القرآن هذا : إذا أسرع فيه وتابه . وهذا الحديث : سرده ، (التاج) .

❦ وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال : إن الله وصفه بأنه قول ثقيل ، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه .

وقوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) يعني جلّ وعزّ بقوله : إن ناشئة الليل : إن ساعات الليل ، وكلّ ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل . وقد اختلف أهل التأويل في ذلك :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : قلت لعبد الله بن أبي مليكة : ألا تحدثني أيّ الليل ناشئة ؟ قال : على الثبت سقطت ، سألت عنها ابن عباس ، فزعم أن الليل كله ناشئة ، وسألت عنها ابن الزبير ، فأخبرني مثل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل ، قالوا : نشأ . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) نشأ : قام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي ميسرة (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : نشأ : قام .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، قال : إذا قام الرجل من الليل ، فهو ناشئة الليل .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : هو الليل كله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : إذا قمت من الليل فهو ناشئة .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : كلّ شيء بعد العشاء فهو ناشئة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : قيام الليل ؛ قال : وأيّ ساعة من الليل قام فقد نشأ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أيّ الليل قمت فهو ناشئة .

قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة ، عن ابن أبي مليكة ، قال : سألت ابن عباس وابن الزبير عن ناشئة الليل فقالا : كلّ الليل ناشئة ، فإذا نشأت قائما فتلك ناشئة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : أى ساعة تهجد فيها متهجد من الليل .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) يعنى الليل كله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي عامر الخزاز ، ونافع عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : الليل كله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الليل كله إذا قام يصلى فهو ناشئة . وقال آخرون : بل ذلك ما كان بعد العشاء ، فأما ما كان قبل العشاء فليس بناشئة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ، في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : ما بعد العشاء ناشئة .

قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : ما بعد العشاء الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : ناشئة الليل : ما كان بعد العشاء فهو ناشئة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : قال قتادة في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : كل شيء بعد العشاء فهو ناشئة .

وقوله (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) اختلفت قراء الأمصار في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والكوفة (أَشَدُّ وَطْئًا) بفتح الواو وسكون الطاء وقرأ ذلك بعض قراء البصرة ومكة والشام (وَطَاء) بكسر الواو ومدّ الألف على أنه مصدر من قول القائل : واطأ اللسان القلب مواطأة ووطاء .

* والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

ويعنى بقوله (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) ناشئة الليل أشدّ ثباتا من النهار وأثبت في القلب ، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار . وحكى عن العرب وَطِئْنَا اللَّيْلَ وَطَاءً : إذا ساروا فيه .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال من أهل التأويل من قرأه بفتح الواو وسكون الطاء ، وإن اختلفت عباراتهم في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) : أى أثبت في الخير ، وأحفظ في الحفظ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) قال : القيام بالليل أشدّ وَطْئًا : يقول : أثبت في الخير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) يقول : ناشئة الليل كانت صلاتهم أول الليل (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) يقول : هو أجدر أن تَحْصُوا ما فرض الله عليكم من القيام ، وذلك أن الإنسان إذا نلّم لم يدر متى يستيقظ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) قال : إن مصلي الليل القائم بالليل أشدّ وطئاً : طمأنينة أفرغ له قلباً ، وذلك أنه لا يعترض له حوائج ولا شيء .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) يقول : قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار ، وأشدّ مواطأة بالليل منه بالنهار . وأما الذين قرءوا (وِطَاءً) بكسر الواو ومدّ الألف ، فقد ذكرت الذي عتدوا بقراءتهم ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَشَدُّ وَطْئًا) قال : أن تَوَاطَى قلبك وسمعتك وبصرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) قال : تَوَاطَى سمعتك وبصرك وقلبك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَشَدُّ وَطْئًا) قال : مُوَاطَأة للقول ، وفراغاً للقلب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ، وَأَقْوَمُ قِيلاً) قال : أجدر أن تَوَاطَى لك سمعتك ، أن تَوَاطَى لك بصرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَشَدُّ وَطْئًا) قال : أجدر أن تَوَاطَى سمعتك وقلبك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) قال : يَوَاطَى سمعتك وبصرك وقلبك بعضه بعضاً .

وقوله (وَأَقْوَمُ قِيلاً) يقول : وأصوب قراءة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، قال : قرأ أنس هذه الآية (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً)

ناشئة اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَصُوبٌ قِيلاً) فقال له بعض القوم : يا أبا حمزة إنما هي (أَقْوَمُ قِيلاً) قال : أقوم وأصوب وأهياً واحداً .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن الأعمش قال : قرأ أنس (وَأَقْوَمُ قِيلاً) وأصوب قِيلاً ؛ قيل له يا أبا حمزة إنما هي (وَأَقْوَمُ) قال أنس : أصوب وأقوم وأهياً واحداً .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَقْوَمُ قِيلاً) يقول : أدنى من أن تفقهوا القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَقْوَمُ قِيلاً) : أحفظ للقراءة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَقْوَمُ قِيلاً) قال : أقوم قراءة لفراغه من الدنيا .

قوله (إِنَّكَ لَفِي النَّهَارِ سَبَّحًا طَوِيلًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن لك يا محمد في النهار فراغاً طويلاً تنسج به ، وتتقلب فيه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (سَبَّحًا طَوِيلًا) فراغاً طويلاً ، يعني النوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّكَ لَفِي النَّهَارِ سَبَّحًا طَوِيلًا) قال : متاعاً طويلاً .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (سَبَّحًا طَوِيلًا) قال : فراغاً طويلاً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّكَ لَفِي النَّهَارِ سَبَّحًا

طَوِيلًا) قال : لحوائجك ، فافرغ لدينك الليل ، قالوا : وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ، ثم إن الله

منّ على العباد فخففها ووضعها ، وقرأ (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) . . . إلى آخر الآية ، ثم قال ، (إِنَّ

رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ) حتى بلغ قوله (فاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ)

الليل نصفه أو ثلثه ، ثم جاء أمر أوسع وأفسح ، وضع الفريضة عنه وعن أمته ، فقال : (وَمِنَ اللَّيْلِ

فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ، عَمِيَ أَنْ يَبْسُطَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول في قوله (إِنَّكَ لَفِي النَّهَارِ سَبَّحًا طَوِيلًا) فراغاً

طويلاً . وكان يحيى بن عمر يقرأ ذلك بالخاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن غالب الليثي ، عن يحيى بن يعمر « من جذيلة قيس » أنه كان يقرأ (سَبَّحَا طَوِيلًا) قال : وهو النوم .
 * قال أبو جعفر : والتسبيح : توسيع القطن والصوف وتنفيذه ، يقال للمرأة : سبّخي قطنك : أي نفثيه ووسعيه ؛ ومنه قول الأخطل :
 فَأَرْسَلُوهُنَّ يُذَرِّبْنَ التَّرَابَ كَمَا يُذَرِّي سَبَائِخَ قُطْنٍ نَدْفُ أُوْتَارُ
 وإنما عني بقوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) : إن لك في النهار سعة لقضاء حوائجك وقومك والسبح والتسبيح قريبا المعنى في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾

* يقول تعالى ذكره : (وَاذْكُرْ) يا محمد (اسْمَ رَبِّكَ) فادعه به (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) يقول : وانقطع إليه انقطاعا لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره ، وهو من قولهم : تبتلتُ هذا الأمر ؛ ومنه قيل لأمّ عيسى بن مريم البتول ، لانقطاعها إلى الله ، ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله : قد تبتل ؛ ومنه الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه نهى عن التبتل » .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) قال : أخلص له إخلاصا .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) قال : أخلص له إخلاصا .
 حدثنا بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) قال : أخلص له إخلاصا .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

(۱) البيت للأخطل يذكر الكلاب (اللسان : سبخ) قال : التسبيح : التخفيف . ويقال « اللهم سبخ عني الحمى » أي خففها ومهلها ؛ ولهذا قيل لقطع القطن إذا ندف سبائخ ، ومنه قول الأخطل يذكر الكلاب (فأرسلوهن . . .) البيت . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٤٦) : وقوله « إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا » يقول : لك في النهار ما تقضى حوائجك . وقد قرأ بعضهم : سبخا ، بالخاء ، والتسبيح : توسعة الصوف والقطن وما أشبهه ، يقال : سبّخي قطنك . قال أبو العباس (ثعلب) سمعت أبا عبد الله (ابن الأعرابي) يقول : حضر أبو زياد الكلابي مجلس الفراء في هذا اليوم ، فسأله الفراء عن هذا الحرف ، فقال : أهل باديتنا يقولون : اللهم سبخ عنه المريض والملسوع ونحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : أَخْلَصَ إِلَيْهِ .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أَخْلَصَ
إِلَيْهِ إِخْلَاصًا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي يحيى المكي ، في قوله (وَتَبَتَّلْ
إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أَخْلَصَ إِلَيْهِ إِخْلَاصًا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أَخْلَصَ
إِلَيْهِ الْمَسْئَلَةَ وَالِدْعَاءَ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن أشعث ، عن الحسن ، في قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ
تَبْتِيلاً) قال : بَتَّلَ نَفْسَكَ وَاجْتَهَدَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) يقول :
أَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ وَالِدْعَاةَ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله
(وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أَخْلَصَ إِلَيْهِ إِخْلَاصًا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً)
قال : أَيْ تَفَرَّغَ لِعِبَادَتِهِ ، قال : تبتل فحبذا التبتل إلى الله ، وقرأ قول الله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ) قال :
إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْجِهَادِ فَانصَبْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) .

وقوله (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة بالرفع على
الابتداء ، إذ كان ابتداء آية بعد أخرى تامة . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالخفض على وجه النعت ، والرد
على الهاء التي في قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ) .

** والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ،
فبأيهما قرأ القارئ فصيب . ومعنى الكلام : رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَالَمِ .

وقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يقول : لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ إِلَهٌ سِوَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .
وقوله (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) فيما يأمرك وفوض إليه أسبابك .

وقوله (وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم : اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك ، وعلى أذاهم ، واهجرهم في الله هجرا جميلا
واهجر الجميل : هو الهجر في ذات الله ، كما قال عز وجل (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا
فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) . الآية ، وقيل : إن ذلك نسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا) براءة نسخت ما هاهنا، أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا يقبل منهم غيرها.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۖ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۚ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝

* يعنى تعالى ذكره بقوله (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ) فدعنى يا محمد والمكذبين بآياتى (أُولِيَ النَّعْمَةِ) يعنى أهل النعم فى الدنيا (وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا) يقول: وأخرهم بالعذاب الذى بسطته لهم قليلاً حتى يبلغ الكتاب أجله.

وذكر أن الذى كان بين نزول هذه الآية وبين بدر يسير.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن محمد بن إسحاق، عن ابن عباد، عن أبيه، عن عباد: عن عبد الله بن الزبير، عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا) . إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا) . الآية، قال: لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا) يقول: إن الله فيهم طليبة وحاجة.

وقوله (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا) يقول تعالى ذكره: إن عندنا لهؤلاء المكذبين بآياتنا أنكالا، يعنى قيوداً، واحداً: نِكْل.

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن أبي عمرو، عن عكرمة، أن الآية التى قال: (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا) إنها قيود.

حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد، قال ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن أبي عمرو، عن عكرمة (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا) قال: قيوداً.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو عمرو ، عن عكرمة (أَنْكَالًا) قال : قيودا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي عمرو ، عن عكرمة (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا) قال : قيودا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : وبلغني عن مجاهد قال : الأنكال : القيود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن حماد ، قال : الأنكال : القيود .

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن حماد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت حمادا يقول : الأنكال القيود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا) : أي قيودا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن سفيان ، عن أبي عمرو بن العاص ، عن عكرمة (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا) قال : قيودا .

حدثنا أبو عبيد الوصافي محمد بن حفص ، قال : ثنا ابن حمير ، قال : ثنا الثوري ، عن حماد ، في قوله (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيًا) قال : الأنكال : القيود .

حدثنا سعيد بن عنبسة الرازي ، قال : مررت بابن السماك ، وهو يَقْصُصُ وهو يقول : سمعت الثوري يقول : سمعت حمادا يقول في قول الله (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا) قال : قيودا سوداء من نار جهنم .

وقوله (وَجَحِيًا) يقول : ونارا تسعر (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) يقول : وطعاما يَغْصُصُ به آكله ، فلا هو نازل عن حلقه ، ولا هو خارج منه .

كما حدثني إسحاق بن وهب وابن سنان القزاز قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) قال : شوك يأخذ بالخلق ، فلا يدخل ولا يخرج .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) قال : شجرة الزقوم .

وقوله (وَعَذَابًا أَلِيمًا) يقول : وعذابا مؤلما موجعا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن حمزة الزيات ، عن حمران بن أعين « أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) فصعق صلى الله عليه وسلم » .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾

❦ يقول تعالى ذكره : إن لدينا لهؤلاء المشركين من قريش الذين يؤذونك يا محمد العقوبات التي وصفها في يوم ترجف الأرض والجبال ؛ وَرُجْفَانِ ذَلِكَ : اضطرابه بمن عليه ، وذلك يوم القيامة .

وقوله (وكانت الجبال كشيبياء مهيلاً) يقول : وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثراً . والمهيل : مفعول من قول القائل : هلت الرمل فأنا أهيله ، وذلك إذا حرك أسفله ، فانهال عليه من أعلاه ؛ وللعرب في ذلك لغتان ، تقول : مهيل ومهيول ، ومكيل ومكيول ؛ ومنه قول الشاعر :
 قد كان قومك يحسبونك سيّداً وإخال أنك سيّد مغبون^١
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وكانت الجبال كشيبياء مهيلاً) يقول : الرمل السائل .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وكانت الجبال كشيبياء مهيلاً) قال : الكتيب المهيل : الين الذي إذا مسسته تتابع .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كشيبياء مهيلاً) قال : ينهال .
 القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ۝

* يقول تعالى ذكره (إنا أرسلنا إليك رسولاً شاهداً عليك) أيها الناس (رسولاً شاهداً عليك) بإجابة من أجاب منكم دعوتي ، وامتناع من امتنع منكم من الإجابة ، يوم تلقوني في القيامة (كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً) يقول : مثل إرسالنا من قبلكم إلى فرعون . صر رسولاً بدعائه إلى الحق ، (فعصى فرعون الرسول) الذي أرسلناه إليه (فأخذناه) أخذاً وببلاً) يقول : فأخذناه أخذاً شديداً ، فأهلكناه ومن معه جميعاً ، وهو من قولهم : كلاً مستوبل ، إذا كان لا يستمر ، وكذلك الطعام .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمي (شرح شواهد شافية ابن الحاجب لعبد القادر البندادي طبع القاهرة ٣٨٩) . قال البندادي : «فَيُون» ، بالعين المعجمة : اسم مفعول من قولهم : غين على قلبه : أي غطى عليه . وفي الحديث : «إنه ليغان على قلبي» ولكن الناس يشدونه بالياء ، وهو تصحيف ، وقد روى بالعين غير المعجمة أي مصاب بالعين . والأول هو الوجه . وكلاهما لما جاء فيه التصحيح وإن كان الاعتلال فيه أكثر ، كقولهم : طعام مزيوت ، وبرمكيول ، وثوب مخيوط ، والقيان : مفين ، ومزيت ، ومكيل ، ومخيوط ، حملا على غين ، وزيت ، ومكيل ، ومخيوط . قال أبو علي : ولو جاء التصحيح فيما كان من الواو لم ينكر ، وقد صححوا أحرفاً من ذات الواو ؛ قالوا : مسك مدوون ، وثوب مصووف ، وفرس مقوود . قال : وإنما صح اسم المفعول من هذا التركيب فخالف بذلك اسم الفاعل ؛ لأن اسم المفعول غير جار على فعله في حركاته وسكونه ، كما تجري أسماء الفاعلين على أفعالها ؛ فلما خالف اسم المفعول فعله فيما ذكرناه ، خالفه في إعلاله . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال : ثنا أبو صالح، قال : ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (أَخَذًا وَبِيلاً) قال : شديداً .
حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (أَخَذًا وَبِيلاً) قال : شديداً .
حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة قوله (فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلاً) أي شديداً .
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (أَخَذًا وَبِيلاً) قال : شديداً .
حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله (فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلاً) قال : الويل : الشر، والعرب تقول إن تتابع عليه الشر : لقد أويل عليه، وتقول : أويلت على شرك، قال : ولم يرض الله بأن غرق وعذب حتى أقر في عذاب مستقر حتى يبعث إلى النار يوم القيامة، يريد فرعون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۖ السَّمَاءُ مِنْفِطْرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾

* يقول تعالى ذكره للمشركين به : فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله، ولم تصدقوا به . وذكر أن ذلك كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) يقول : كيف تتقون يوما وأنتم قد كفرتم به ولا تصدقون به .
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) قال : والله لا يتقى من كفر بالله ذلك اليوم .

وقوله (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) يعني يوم القيامة، وإنما تشيب الولدان من شدة هوله وكرهه .
كما حدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) كان ابن مسعود يقول : «إذا كان يوم القيامة دعا ربنا المليك آدم، فيقول : يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول آدم : أي رب لا علم لي إلا ما علمتني، فيقول الله له : أخرج من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين، فيساقون إلى النار سودا مقرتين، زرقا كالخين، فيشيب هنالك كل وليد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) قال : تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم .
وقوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) يقول تعالى ذكره : السماء مثقلة بذلك اليوم متصدعة متشققة .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) يعني : تشقق السماء حين ينزل الرحمن جل وعز .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مثقلة به .
حدثنا أبو حفص الحيري ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا أبو مودود ، عن الحسن ، في قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مثقلة محزونة يوم القيامة .
حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا أبو مودود بحر بن موسى ، قال : سمعت ابن أبي علي يقول في هذه الآية ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مثقلة به .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : موقرة مثقلة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) يقول : مثقل به ذلك اليوم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : هذا يوم القيامة ، فجعل الولدان شيبا ، ويوم تنفطر السماء ، وقرأ (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) وقال : هذا كله يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : ممثلة به بلسان الحبشة .
حدثنا مهرا ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة ، ولم يسمعه عن ابن عباس (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : ممثلة به .

وذكرت السماء في هذا الموضع لأن العرب تذكرونها وتؤنثها ، فمن ذكرها وجهها إلى السقف ، كما يقال : هذا سماء البيت : لسقفه . وقد يجوز أن يكون تذكيرهم إياها لأنها من الأسماء التي لا فصل فيها بين مؤنثها ومذكرها ، ومن التذكير قول الشاعر :

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْمًا لَخَفْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ ۖ
 وقوله (كَانَ وَعْدَهُ مَفْعُولًا) يقول تعالى ذكره : كَانَ ما وعد الله من أمر أن يفعله مفعولا ،
 لأنه لا يخلف وعده ، وما وعد أن يفعله تكوينه يوم تكون ولدان شيئا يقول : فاحذروا ذلك اليوم أيها
 الناس ، فإنه كائن لا محالة .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١١﴾ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ
 وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ ۚ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا
 تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقِيلُونَ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا
 لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

* يعني تعالى ذكره بقوله : إن هذه الآيات التي ذكر فيها أمر القيامة وأحوالها ، وما هو فاعل فيها بأهل
 الكفر تذكرة : يقول : عبرة وعظة لمن اعتبر بها واتعظ (فَمِنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) يقول :
 فمن شاء من الخلق اتخذ إلى ربه طريقا بالإيمان به ، والعمل بطاعته .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) يعني القرآن
 (فَمِنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) بطاعة الله .
 وقوله (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ) يقول لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
 إن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم أقرب من ثلثي الليل مصليا ، ونصفه وثلثه .
 اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بالخفض ، ونصفه وثلثه بمعنى : وأدنى
 من نصفه وثلثه ، إنكم لم تطيقوا العمل بما افترض عليكم من قيام الليل ، فقوموا أدنى من ثلثي الليل ومن

(١) البيت من شواهد القراء في معاني القرآن (الورقة ٣٤٦) قال : وقوله « السماء منفطر به » : بذلك اليوم . والسماء تذكر
 وتؤنث ، فهي هاهنا في وجه التذكير ؛ قال الشاعر : « ولو زفع السماء . . . البيت » . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة
 ١٨١) « السماء منفطر به » : قال أبو عمرو : ألقى الهاء ، لأن مجازها السقف ، تقول : هذا سماء البيت . وقال قوم قد تلقى الرب
 من المؤنث الهاءات استغناء عنها ، يقال مهرة ضامر ، وامرأة طالق ، والمعنى : منفطرة .

نصفه وثلثه . وقرأ ذلك بعض قرآء مكة وعامة قرآء الكوفة بالنصب ، بمعنى : إنك تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه .

❖ والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب وقوله (وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) يعنى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا مؤمنين بالله حين فرض عليهم قيام الليل .

وقوله (وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) بالساعات والأوقات .

وقوله (عَلِيمٌ أَن لَّنْ نُّحْصُوهُ) يقول : علم ربكم أيها القوم الذين فرض عليهم قيام الليل أن لن تطيقوا قيامه (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) إذ عجزتم وضعفتم عنه ، ورجع بكم إلى التخفيف عنكم .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (أَن لَّنْ نُّحْصُوهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن (عَلِيمٌ أَن لَّنْ نُّحْصُوهُ) أن لن تطيقوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرني به عباد بن راشد ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله (أَن لَّنْ نُّحْصُوهُ) قال : لن تطيقوه .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (عَلِيمٌ أَن لَّنْ نُّحْصُوهُ) يقول : أن لن تطيقوه .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (عَلِيمٌ أَن لَّنْ نُّحْصُوهُ) قال : أن لن تطيقوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلَتَانِ لَا يُحْصِيهُمَا رَجُلٌ مُّسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ، وَهُمَا يَسِيرٌ ، وَمَنْ يَعْمَلْ بِهِمَا قَلِيلٌ ، يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُيُورِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا ، وَيُحْمَدُهُ عَشْرًا ، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا ؛ قَالَ : فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ ، قَالَ : فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٌ بِاللِّسَانِ ، وَالْأَلْفُ وَخَمْسُ مِئَةٍ فِي الْمِيزَانِ ؛ وَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ سَبَّحَ وَحَمَدَ وَكَبَّرَ مِئَةً ؛ قَالَ : فَتِلْكَ مِئَةٌ بِاللِّسَانِ ، وَالْأَلْفُ فِي الْمِيزَانِ ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِئَةٍ سَيِّئَةٍ ، قَالُوا : فَكَيْفَ لَانْحَصِيهِمَا ؟ قَالَ : يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ فَيَقُولُ : اذْكُرْ كَذَا ، اذْكُرْ كَذَا حَتَّى يَنْفَتِلَ ، وَلَعَلَّهُ لَا يَعْقِلُ ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ فَلَا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلِيمٌ أَنْ لَنْ تُخْصُوهُ) قيام الليل كتب عليكم (فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) .

وقوله (فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) يقول : فاقْرَءُوا من الليل ما تيسر لكم من القرآن في صلاتكم وهذا تخفيف من الله عز وجل عن عباده فرضه الذي كان فرض عليهم بقوله (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء محمد ، قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ، فلا يقوم به ، إنما يصلي المكتوبة ، قال : يتوسد القرآن ، لعن الله ذلك ؛ قال الله للعبد الصالح : (وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلَيْهِمْ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ ، وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ) قلت : يا أبا سعيد قال الله (فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) قال : نعم ، ولو خسين آية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن عثمان الهمداني ، عن السدي ، في قوله (فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) قال : مئة آية .

قال : ثنا وكيع ، عن ربيع ، عن الحسن ، قال : من قرأ مئة آية في ليلة لم يحاجه القرآن .
قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : من قرأ في ليلة مئة آية كتب من العابدين .

وقوله (عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : علم ربكم أيها المؤمنون أن سيكون منكم أهل مرض قد أضعفه المرض عن قيام الليل (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) في سفر (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) في تجارة قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم ، فأضعفهم أيضا عن قيام الليل (وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) يقول : وآخرون أيضا منكم يجاهدون العدو فيقاتلونهم في نصرة دين الله ، فرحمكم الله فخفف عنكم ، ووضع عنكم فرض قيام الليل (فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) يقول : فاقْرَءُوا الآن إذ خفف ذلك عنكم من الليل في صلاتكم ما تيسر من القرآن . والهاء في قوله « منه » من ذكر القرآن .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثم أنبأ بخصال المؤمنين ، فقال : (عَلِيمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) قال : افترض الله القيام في أول هذه السورة ، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم ، وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهرا في السماء ، ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)

يقول : وأقيموا المفروضة وهى الصلوات الخمس فى اليوم والليالة (وآتُوا الزَّكَاةَ) يقول : وأعطوا الزكاة المفروضة فى أموالكم أهلها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأقيموا الصَّلَاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ) فهما فريضتان واجبتان ، لارخصة لأحد فيهما ، فآدوهما إلى الله تعالى ذكره .

وقوله (وأقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) يقول : وأنفقوا فى سبيل الله من أموالكم .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وأقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) قال : القرض : النوافل سوى الزكاة .

قوله (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا) يقول : وما تقدموا أيها المؤمنون لأنفسكم فى دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها فى سبيل الله ، أو غير ذلك من نفقة فى وجوه الخير ، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج ، أو غير ذلك من أعمال الخير فى طلب ما عند الله ، تجدوه عند الله يوم القيامة فى معادكم ، هو خيرا لكم مما قدتم فى الدنيا ، وأعظم منه ثوابا : أى ثوابه أعظم من ذلك الذى قدتموه لولم تكونوا قدتموه (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) يقول تعالى ذكره : وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله ذو مغفرة لذنوب من تاب من عباده من ذنوبه ، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها .

آخر تفسير سورة المزمل

(٧٤) سُوْرَةُ الْمَدَّثَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْمَدَّثَرُ الْخَسِيسُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ ۖ قُمْ فَأَنْذِرْ ۚ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۚ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۚ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۚ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۚ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۚ

** يقول جل ثناؤه (يا أيُّها المدثر) : يا أيُّها المدثر بشيابه عند نومه .

وذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذلك ، وهو متدثر بقطيفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) قال : كان متدثراً في قطيفة .

وذكر أن هذه الآية أول شيء نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه قيل له : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي : « بَيْنَمَا أَنَا آمُشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِوَاءِ جَالِسٍ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا ، وَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ زَمَلُونِي زَمَلُونِي فَدَثَرُونِي » فَأَنْزَلَ اللَّهُ (يا أيُّها المُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكَسْبِرْ) . . . إلى قوله (وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ) قال : ثم تتابع الوحي .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا الأوزاعي ، قال : ثنا يحيى بن أبي كثير ، قال : سألت أبا سلمة : أي القرآن أنزل أول ، فقال : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) فقلت : يقولون (اقرأ باسم ربك الَّذِي خَلَقَ) ، فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) ، فقلت يقولون : (اقرأ باسم ربك الَّذِي خَلَقَ) فقال : لا أخبرك إلا ما حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : جاورت في حواء ؛ فلما قضيت جوارى هبطت ، فاستبطنت الوادي ، فنوديت ، فنظرت عن يميني وعن شمالي وخلقى وقد أوى ، فلم أر شيئاً ، فنظرت فوق رأسي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض ، فخشيت منه ، هكذا قال عثمان بن عمرو ، إنما هو : فجئته منه ، ولقيت خديجة ، فقلت دثروني ، فدثروني ، وصبوا علي ماءً ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ (يا أيُّها المُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن علي بن مبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن ، قال : نزلت (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) أول ؛ قال : قلت : إنهم يقولون (اقرأ باسم ربك الَّذِي خَلَقَ) ، فقال : سألت جابر بن عبد الله ، فقال : لأحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جاورت بحراء ؛ فلما قضيت جوارى هبطت ، فسمعت صوتاً ، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة ، فقُلْتُ : دَثَرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا ، فَنَزَلَتْ (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) . -

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ، فحزن حزناً ، فجعل يعدو إلى شواهق رعوس الجبال ليردّي منها ، فكلما أوفى بذرورة جبل تبدّى له جبريل عليه السلام فيقول : إنك نبي الله ، فيسكن جأشه ، وتسكن نفسه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك ، قال : « بَيْنَمَا أَنَا آمُشِي يَوْماً إِذْ رَأَيْتُ الْمَلَكَ الَّذِي كَانَ بِأُتَيْبِي

(١) جئته منه بالبناء المجهول : فزعت ونخفت .

بِحِرَاءَ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجَسَّثْتُ مِنْهُ رُعبًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى خَدِّ يَحْيَى فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي ، فزَمَّلْنَاهُ : أَيْ قَدَثْنَاهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قَالَ الزَّهْرِيُّ : فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَنْزَلَ عَلَيْهِ : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) ... حَتَّى بَلَغَ (مَا لَمْ يَعْلَمْ) .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى ذَلِكَ : يَا أَيُّهَا النَّائِمُ فِي ثِيَابِهِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنِي عَمِّي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّائِمُ .

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) يَقُولُ : الْمُدَّثِّرُ

فِي ثِيَابِهِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ النَّبِيُّ وَأَتَقَالُهَا .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى ، قَالَ : وَسُئِلَ دَاوُدُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) فَحَدَّثَنَا عَنْ عِكْرَمَةَ أَنَّهُ قَالَ : دَثَّرْتُ هَذَا الْأَمْرَ فَقَمَّ بِهِ .

وَقَوْلُهُ (قُمْ فَأَنْذِرْ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُمْ مِنْ نَوْمِكَ فَأَنْذِرْ عَذَابَ اللَّهِ قَوْمَكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ .

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشَرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ (قُمْ فَأَنْذِرْ) : أَيْ أَنْذِرْ عَذَابَ اللَّهِ وَوَقَائِعَهُ فِي الْأُمَمِ ، وَشِدَّةَ نَقْمَتِهِ .

وَقَوْلُهُ (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ فَعَظِّمْ بَعَادَتَهُ ، وَالرَّغْبَةَ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِكَ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ .

وَقَوْلُهُ (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى ذَلِكَ : لَا تَابَسْ ثِيَابَكَ عَلَى مَعْصِيَةٍ ، وَلَا عَلَى غَدْرَةٍ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنِي عَمِّي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ :

وَلَا تَنِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤَبِّ فَاجِرٍ لَبِيسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ^١
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مُصَنَّبُ بْنُ سَلَامٍ ، عَنْ الْأَجْلَحِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ :
 أَنَاهُ رَجُلٌ وَأَنَا جَالِسٌ فَقَالَ : أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قَالَ : لَا تَلْبِسُهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَا عَلَى
 غَدْرَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ غِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ :

وَلَا تَنِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤَبِّ فَاجِرٍ لَبِيسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ
 حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عَنْ الْأَجْلَحِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، قَوْلُهُ (وَثِيَابَكَ
 فَطَهِّرْ) قَالَ : لَا تَلْبِسُهَا عَلَى غَدْرَةٍ ، وَلَا عَلَى فِجْرَةٍ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِشَعْرِ غِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ هَذَا .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عَنْ الْأَجْلَحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيِّ ، عَنْ عِكْرِمَةَ
 (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قَالَ : لَا تَلْبِسُ ثِيَابَكَ عَلَى مَعْصِيَةٍ ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ غِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ :

وَلَا تَنِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤَبِّ فَاجِرٍ لَبِيسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ
 حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ ، أَنَّهُ سَمِعَ
 ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قَالَ : دَنِ الْإِثْمِ ، ثُمَّ قَالَ : نَقَى الثِّيَابَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ .
 حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا حفص بن غياث القمّاضى ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ
 عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قَالَ : فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : نَقَى الثِّيَابَ .
 حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ مَغِيرَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)
 قَالَ : مِنَ الذُّنُوبِ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَثِيَابَكَ
 فَطَهِّرْ) قَالَ : مِنَ الذُّنُوبِ .
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قَالَ : هِيَ
 كَلِمَةٌ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُهَا : طَهَّرْ ثِيَابَكَ : أَيْ مِنَ الذُّنُوبِ .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) يَقُولُ : طَهَّرْهَا
 مِنَ الْمَعَاصِي ، فَكَانَتْ الْعَرَبُ تَسْمِي الرِّجْلَ إِذَا نَكَثَ وَلَمْ يَفْ بَعْدَهُ أَنَّهُ دَنَسَ الثِّيَابَ ، وَإِذَا وَفَى وَأَصْلَحَ
 قَالُوا : مَطَهَّرَ الثِّيَابَ .

(١) البيت لغيلان بن سلمة الثقفي كما قال المؤلف ، أنشده عند قوله تعالى « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » قال الفراء في معاني القرآن (الورقة
 ٢٤٦) وقوله « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » يقول : لَا تَكُنْ غَادِرًا ، فَتَدْنُسُ ثِيَابَكَ ، فَإِنَّ الْغَادِرَ دَنَسَ الثِّيَابَ . وَيُقَالُ : وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ : وَعَمَلَكَ
 فَأَصْلَحَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » : فَقَصِّرْ فَإِنَّ تَقْصِيرَ الثِّيَابِ طَهْرٌ . اهـ . وَفِي (اللسان : ثوب) : وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَثِيَابَكَ
 فَطَهِّرْ » قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَقُولُ : لَا تَلْبِسُ ثِيَابَكَ عَلَى مَعْصِيَةٍ ، وَلَا عَلَى فِجْورٍ كَسَفَرٍ ؛ وَاحْتِجَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ : « إِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تُؤَبِّ
 . . . الْبَيْتِ » . وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ (ثعلب) الثِّيَابُ : الثَّيَابُ . وَيُقَالُ لِلْقَلْبِ . اهـ . قَالَ : وَقِيلَ نَفْسُكَ فَطَهِّرْ ، وَالْعَرَبُ تَكْنِي بِالثِّيَابِ
 عَنِ النَّفْسِ . وَفَلَانٌ دَنَسَ الثِّيَابَ : إِذَا كَانَ خَبِيثَ الْفِعْلِ وَالْمَذْهَبِ ، خَبِيثَ الْعَرَضِ . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ بَيِضُ الْمَسَافِرِ غُرَّانُ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس :
(وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال : من الإثم .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال : من الإثم .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله
(وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) يقول : لا تلبس ثيابك على معصية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس
(وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال : من الإثم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : من الإثم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأجلح ، سمع عكرمة قال : لا تلبس ثيابك على معصية .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر وعطاء قالا : من الخطايا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال : لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب ، ويقال : لا تلبس ثيابك على
معصية .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أصلح عملك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله
(وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال : عملك فأصلح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي رزين في قوله (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال :
عملك فأصلحه ، وكان الرجل إذا كان خبيث العمل ، قالوا : فلان خبيث الثياب ، وإذا كان حسن العمل
قالوا : فلان طاهر الثياب .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث
قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال :
لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض عما قالوا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : اغسلها بالماء ، وطهرها من النجاسة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا علي بن عبد الله بن جعفر ، عن أحمد بن موسى بن أبي مریم
صاحب اللؤلؤ ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال : اغسلها بالماء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتِيَابُكَ فَطَهَّرْ) قال : كان المشركون لا يتطهرون ، فأمره أن يتطهر ، ويظهر ثيابه .

وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه ، والذي قاله ابن عباس وعكرمة وابن زكريا قول عليه أكثر الساف من أنه عني به : جسمك فطهر من الذنوب ، والله أعلم بمراده من ذلك .
(وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة : (وَالرُّجْزَ) بكسر الراء ، وقرأه بعض المكيين والمدنيين (وَالرُّجْزَ) بضم الراء ، فمن ضم الراء وجهه إلى الأوثان ، وقال : معنى الكلام : والأوثان فاهجر عبادتها ، واترك خدمتها ، ومن كسر الراء وجهه إلى العذاب ، وقال : معناه : والعذاب فاهجر ، أي ما أوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر .
* والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، والضم والكسر في ذلك لغتان بمعنى واحد ، ولم نجد أحداً من متقدمي أهل التأويل فرّق بين تأويل ذلك ، وإنما فرّق بين ذلك فيما بلغنا الكسائي .

واختلف أهل التأويل في معنى (الرُّجْزَ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو الأصنام .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) يقول : السخط وهو الأصنام .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) قال : الأوثان .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل « قال أبو جعفر » : أخسبه أنا عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) قال : الأوثان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) : إساف ونائلة ، وهما صلمان كانا عند البيت يمسح وجوههما من أتى عليهما ، فأمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يجتنبهما ويعتزلهما .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) قال : هي الأوثان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) قال : الرجز : آلتهم التي كانوا يعبدون ، أمره أن يهجرها ، فلا يأتيها ، ولا يقربها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والمعصية والإثم فاهجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) قال الإثم .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله

(وَالرُّجْزَ فَاهُجُرْ) يقول : اهجر المعصية . وقد بيّنا معنى الرجز فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع .

وقوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) اختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولا تعط يا محمد عطية لتعطى أكثر منها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط عطية تلتبس بها أفضل منها .

حدثنا أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة ، قال : ثني أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي ، قال : ثني أرطاة عن ضمرة بن حبيب وأبي الأحوص في قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا ، لتعطى أكثر منه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن عكرمة ، في قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتعطى أكثر منه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني من سمع عكرمة يقول : (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط العطية لتريد أن تأخذ أكثر منها .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط كذا تزداد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتأخذ أكثر منه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة ، عن الضحاك (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط لتعطى أكثر منه .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط لتعطى أكثر منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتزداد .

حدثنا أبو كريب قال : ثنا وكيع ، عن ابن أبي رواد ، عن الضحاك ، قال : هو الربا الحلال ، كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي حنيفة ، عن الضحاك ، هما ربوان : حلال ، وحرام ؛ فأما الحلال : فالهدايا ، والحرام : فالربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) يقول : لاتعط شيئا ، إنما بك مجازاة الدنيا ومعارضها ٧ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لشاب أفضل منه ، وقاله أيضا طاوس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : تعطى . إلا مصانعة رجاء أفضل منه من الثواب في الدنيا .

حدثنا ابن حديد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : لاتعط لتعطى أكثر منه . قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط لزداد . قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك بن مزاحم (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : هي للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وللناس عامة مؤسّع عليهم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا تمنن عملك على ربك تستكثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سفيان بن حسين ، عن الحسن ، في قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتمنن عملك تستكثره على ربك .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتمنن تستكثر عملك .

حدثنا ابن حديد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن نافع أبو غانم ، عن أبي سهل ، كثير ابن زياد ، عن الحسن (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) يقول : لاتمنن تستكثر عملك الصالح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لا يكثر عملك في عينك ، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتضعف أن تستكثر من الخير . ووجهها معنى قوله (وَلَا تَمْنُنْ) أي لاتضعف ، من قولهم : حبل منين : إذا كان ضعيفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو حميد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا عبد الله بن عمرو ، قال : ثنا محمد بن سلمة ، عن خصيف عن مجاهد ، في قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتضعف أن تستكثر من الخير ، قال : تمنن في كلام العرب : تضعف .

وقال آخرون في ذلك : لاتمنن بالنبوة على الناس ، تأخذ عليه منهم أجر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا بن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ)

قال : لاتمنن بالنبوة والقرآن الذي أرسلناك به تستكثرهم به ، تأخذ عليه عوضا من الدنيا .

❦ وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب فى ذلك قول من قال : معنى ذلك : ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح .

ولما قلت ذلك أولى بالصواب ، لأن ذلك فى سياق آيات تقدم فيها أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالجد فى الدعاء إليه ، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه ، فهذه بأن تكون من أنواع تلك ، أشبه منها بأن تكون من غيرها . وذكر عن عبد الله بن مسعود أن ذلك فى قراءته (وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكَثِرُ) .

وقوله (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) يقول تعالى ذكره : ولربك فاصبر على ما لقيت فيه من المكروه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل على اختلاف فيه بين أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) قال : على ما أوتيت . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) قال : حل أمراً عظيماً محاربة العرب ، ثم العجم من بعد العرب فى الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولربك فاصبر على عطيتك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) قال : اصبر على عطيتك .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : اصبر على عطيتك لله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) قال : عطيتك اصبر عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ۖ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۖ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا

۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝

❦ يعنى جل ثناؤه بقوله (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) . فذلك يومئذ يوم شديد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل وأسيباط ، عن مطرف ، عن عطية العوفى ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقَرْنُ وَحَتَّى جَبَّهَتَهُ يَسْتَمِيعُ مَتَى يُؤْمَرُ يَنْفُخُ فِيهِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ نَقُولُ ؟ فَقَالَ : تَقُولُونَ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن عكرمة ، في قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : إذا نفخ في الصور .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن عكرمة ، في قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : إذا نفخ في الصور .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : في الصور ، قال : هو شيء كهية البوق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : هو يوم ينفخ في الصور الذي ينفخ فيه ؛ قال ابن عباس : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أصحابه ، فقال : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقَرْنُ ، وَحَتَّى جَبَّهَتَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِأُذُنَيْهِ يَسْتَمِيعُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالصِّيْحَةِ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) يقول : الصور .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال الحسن (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : إذا نفخ في الصور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) والناقور : الصور ، والصور : الخلق .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) يعني : الصور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : الناقور : الصور .

حدثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَإِذَا نُفِخَ فِي النَّاقُورِ)
قال : الصور .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : قوله (فَذَلِكَ
يَوْمَ مَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) يقول : شديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله تعالى ذكره (فَذَلِكَ يَوْمَ مَئِذٍ
يَوْمٌ عَسِيرٌ) فبين الله على من يقع (على الكافرين غير يسير) .

وقوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : كليل يا محمد
أمر الذي خلقته في بطن أمه وحيداً ، لا شيء له من مال ولا ولد إلى .

وذكر أنه عني بذلك : الوليد بن المغيرة المخزومي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سفيان ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد
مولى زيد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله في الوليد بن المغيرة قوله :
(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) وقوله (فَذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) . . . إلى آخرها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) قال : خلقته وحده
ليس معه مال ولا ولد .

حدثنا أبو كريب . قال : ثنا وكيع ، عن محمد بن شريك ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ذَرْنِي
وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) قال : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وكذلك الخلق كلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)
وهو الوليد بن المغيرة ، أخرجه الله من بطن أمه وحيداً لا مال له ولا ولد ، فرزقه الله المال والولد ،
والثروة والنماء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ
وَحِيدًا) . . . إلى قوله (إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) . . . حتى بلغ (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) قال : هذه الآية
أنزلت في الوليد بن المغيرة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله
(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يعني الوليد بن المغيرة (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) .

اختلف أهل التأويل في هذا المال الذي ذكره الله ، وأخبر أنه جعله للوحيد ما هو ، وما مبلغه ؟ فقال بعضهم : كان ذلك دنائير ، ومبلغها ألف دينار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن مجاهد (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) قال : كان ماله ألف دينار .

حدثنا صالح بن مسمار المروزي ، قال : ثنا الحارث بن عمران الكوفي ، قال : ثنا محمد بن سوقة ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) قال : ألف دينار . وقال آخرون : كان ماله أربعة آلاف دينار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) قال : بلغني أنه أربعة آلاف دينار .

وقال آخرون : كان ماله أرضا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المنفي ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، في قوله (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) قال : الأرض .

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم مثله . وقال آخرون : كان ذلك غلة شهر بشهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حلبس إمام مسجد ابن علي ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عمر رضي الله عنه ، في قوله (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) قال : غلة شهر بشهر .

حدثني أبو جفص الحيري ، قال : ثنا حلبس الضبعي ، عن ابن جريج ، عن عطاء مثله ، ولم يقل عن عمر .

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا غالب بن حلبس ، قال : ثنا أبي ، عن ابن جريج ، عن عطاء مثله ، ولم يقل عن عمر .

حدثنا أحمد بن الوليد ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا حلبس بن محمد العجلي ، عن ابن جريج عن عطاء ، عن عمر مثله .

*** والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله : (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَبَيْنَ شُهَدَا ۖ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۚ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُ صُعُودًا ۝

❦ يقول تعالى ذكره : وجعلت له بنين شهودا ، ذكر أنهم كانوا عشرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن مجاهد (وَبَيْنَ شُهَدَا) قال : كان بنوه عشرة .

وقوله (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) يقول تعالى ذكره : وبسطت له في العيش بسطا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) قال : بسط له .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) قال : من المال والولد .

وقوله (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ) يقول تعالى ذكره : ثم يأمل ويرجو أن أزیده من المال والولد على

ما أعطيته (كَلَّا) يقول : ليس ذلك كما يأمل ويرجو من أن أزیده مالا وولدا ، وتمهيدا في الدنيا (إِنَّهُ

كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) يقول : إن هذا الذي خلقته وتمهيدا كان لآياتنا ، وهي حجج الله على خلقه من

الكتب والرسل عنيدا ، يعني معاندا للحق بجانبنا له ، كالبعير العنود ؛ ومنه قول القائل :

إِذَا نَزَلْتُ فَاجْعَلْنِي وَسَطًا لِّأَنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَ ۝

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ كَانَ

لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) قال : جحودا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيتان من شواهد أبي عبيدة ، قال عند قوله تعالى « إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا » : معاندا ، كالبعير العنود . وقال الحادي :

« إِذَا نَزَلْتُ . . . الْبَيْتَيْنِ » . وفي (اللسان عند) العنيد : الجائر عن القصد ، الباغى ، الذي يرد الحق مع العلم به . وتعاوند الحصان

تجادلا . وعند عن الشيء والطريق يعند ويعند (كينصر ويفرب) عنودا فهو عنود . وفاقه عنود : لا تحالط الإبل ، تباعد عن الإبل ،

فترعى ناحية أبدا . والجمع : عند وعائد وعائدة ، وجمعهما جميعا عوائد وعند . قال « إِذَا رَحَلْتُ . . . الْبَيْتِ » يقال : هو يمشي

وسطا لا عندا . وهذان البيتان من مشطور الرجز ، وفيهما عيب نه عليه صاحب اللسان ، وهو الإكفاء ، لأن قافية البيت الأول

طاء ، وقافية الثاني دال . وقد سبق الاستشهاد بالبيت الثاني في الجزء (١٢ : ٦٢) فارجع إليه .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ كَانَ لَا يَأْتِنَا عَنِيدًا) قال محمد بن عمرو : معاندا لها . وقال الحارث : معاندا عنها ، بجانبها لها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، قوله (عَنِيدًا) قال : معاندا للحق بجانبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ كَانَ لَا يَأْتِنَا عَنِيدًا) كفورا بآيات الله جمحودا بها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لَا يَأْتِنَا عَنِيدًا) قال : مشاقا ، وقيل : عنيدا ، وهو من عاند معاندة فهو معاند ، كما قيل : علم قابل ، وإنما هو مقبل .

وقوله (سَأُزْهِقُهُ صَعُودًا) يقول تعالى ذكره : سأكلفه مشقة من العذاب لراحة له منها .

وقيل : إن الصعود جبل في النار يكلف أهل النار صعوده .

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا محمد بن سعيد بن زائدة ، قال : ثنا شريك ، عن عمار ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (سَأُزْهِقُهُ صَعُودًا) قال : هو جبل في النار من نار ، يكلون أن يصعدوه ، فإذا وضع يده ذابت ، فإذا رفعها عادت ، فإذا وضع رجله كذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ يَهْوَى كَذَلِكَ مِنْهُ أَبَدًا » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَأُزْهِقُهُ صَعُودًا) قال : مشقة من العذاب .

حدثني الحارث ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَأُزْهِقُهُ صَعُودًا) : أي عذابا لراحة منه .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا سليمان قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (سَأُزْهِقُهُ صَعُودًا) قال : مشقة من العذاب .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَأُزْهِقُهُ صَعُودًا) قال :

تعبا من العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ

فَقَالَ إِنَّ هَذَا لَا سِحْرُ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾

* يقول تعالى ذكره : إن هذا الذي خلقته وحيدا ، فكَّرَ فيما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم . من القرآن ، وقد رَفِياً يقول فيه (فَصْتَلْ كَيْفَ قَدَّرَ) يقول : ثم لعن كيف قدَّرَ النازل فيه (ثُمَّ نَظَرَ) يقول : ثم رَوَى في ذلك (ثُمَّ عَبَسَ) يقول : ثم قبض ما بين عينيه (وَبَسَرَ) يقول : كلح وجهه ؛ ومنه قول توبة بن الحُمَيسِر :

وَقَدْ رَأَيْتَنِي مِنْهَا صُدُودٌ رَأَيْتُهُ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت الأخبار عن الوحيد أنه فعل .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن عباد بن منصور ، عن عكرمة ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فقال : أي عمَّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لم ؟ قال : يعطونكك فإنك أتيت محمدا تَعْرِضُ لِمَا قَبِيحًا ؛ قال : قد علمت قريش أني أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يعلم قومك أنك مُنْكَرٌ لما قال ، وأنتك كاره له ؛ قال : فما أقول فيه ، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه مني ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله لحلاوة ، وإنه لبحط ما تحته ، وإنه ليعاو ولا يعلى ؛ قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر فيه ؛ فلما فكَّرَ قال : هذا سحر يأثره عن غيره ، فنزلت (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيدا ، فنزلت هذه الآية حتى بلغ تسعة عشر .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) . . . إلى (ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قُحَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله ، عن القرآن ؛ فلما أخبره خرج على قريش فقال : يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة ، فوالله ما هو بشعر ، ولا بسحر ، ولا بهذي من الجنون ، وإن قوله مان كلام الله ؛ فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا : والله لئن صبا الوليد لتصبأن قريش ، فلما سمع بذلك أبو جهل قال أنا والله أكفكم شأنه ؛ فانطلق حتى دخل عليه بيته ، فقال للوليد : ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة

(١) أنشد المؤلف البيت شاهدا عند قوله تعالى « ثم عبس وبسر » . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) : عبس وبسر : كره وجهه . وقال توبة (ابن الحمير صاحب ليل الأخيالية) : « وقد رايتني . . . البيت » . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣٤٧) وقد ذكر موقف الوليد بن المغيرة المخزومي من الإسلام ورسوله : وقوله « ثم نظر ، ثم عبس وبسر » : ذكروا أنه مر على طائفة من المسلمين في المسجد الحرام ، فقالوا : هل لك إلى الإسلام يا أبا المغيرة فقال : ما صاحبكم إلا ساحر ، وما قوله إلا السحر ، تلمه من مسيلمة « الكذاب » ومن سحرة بابل ، ثم قال : ولي عنهم مستكبرا ، وقد عبس وجهه وبسر ، وكلح مستكبرا عن الإيمان . فذلك قوله « إن هذا لا سحر يؤثر » عن أهل بابل ، قال الله « بأصله سقر » ، وهو اسم من أسماء جهنم ، فلذلك لم يحز (يعرف) وكذلك لظني .

قال : أَلَسْتُ أَكْثَرَهُمْ مَالًا وَوَلَدًا ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَدْخُلُ عَلَى ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ لِتَصِيبَ مِنْ طَعَامِهِ ، قَالَ الْوَلِيدُ أَقْدَ تَحَدَّثْتَ بِهِ عَشِيرَتِي ، فَلَا يَقْصِرُ عَنْ سَائِرِ بَنِي قُصَيٍّ ، لَا أَقْرَبُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ وَلَا ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ ، وَمَا قَوْلُهُ إِلَّا سِحْرٌ يُوَثِّرُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) . . . إِلَى (لَا تُبْسِقِي وَلَا تَذَرِي) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (إِنَّهُ فَكَّرَ) وَقَدَّرَ ، زَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَظَرْتُ فِيهَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ لَهُ بَشَرٌ ، وَإِنْ لَهُ لِحْلَاوَةٌ ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يَعْلَى ، وَمَا أَشْكَّ أَنَّهُ سِحْرٌ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ (فَتَقْتِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ) . . . الْآيَةَ (ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) : قَبْضُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَكَلْحٌ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عِيسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ (فَكَّرَ وَقَدَّرَ) قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ يَوْمَ دَارِ النَّدْوَةِ .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضُّحَاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يَعْنِي الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ دَعَاهُ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : حَتَّى أَنْظُرَ ، فَفَكَّرَ (ثُمَّ تَنَظَّرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ) فَقَالَ : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ) فَمَجَّلَ اللَّهُ لَهُ سَقَرًا .

حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) . . . إِلَى قَوْلِهِ (إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ) قَالَ : هَذَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ قَالَ : سَأَبْتَارُ لَكُمْ هَذَا الرَّجُلُ اللَّيَالَةَ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدَهُ قَائِمًا يَصَلِّي وَيَقْرَأُ ، وَأَتَاهُمُ فَقَالُوا : مَهْ ، قَالَ : سَمِعْتُ قَوْلًا لِحُلَاوَةٍ أَخْضَرَ مِثْمَرًا يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ ، فَقَالُوا : هُوَ شَعْرٌ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ ، لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِالشَّعْرِ مِنِّي ، أَلَيْسَ قَدْ عَرَضْتُ عَلَى الشَّعْرَاءِ شَعْرَهُمْ نَابِغَةً وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ؟ قَالُوا : فَهُوَ كَاهِنٌ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ ، قَدْ عَرَضْتُ عَلَى الْكُهَّانَةِ ، قَالُوا : فَهَذَا سِحْرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهُ ، قَالَ : لَا أَدْرِي إِنْ كَانَ شَيْئًا فَعَسَى هُوَ إِذَا سِحْرٌ يُوَثِّرُ ، فَقَرَأَ (فَتَقْتِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ) قَالَ : قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ حِينَ قَالَ : لَيْسَ بِكَهَّانَةٍ وَقَوْلُهُ (ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ثُمَّ وَلِيَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ ، وَاسْتَكْبَرَ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْحَقِّ (فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ) قَالَ : بِأَثَرِهِ عَنْ غَيْرِهِ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثَنَا مِهْرَانٌ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَمِيعٍ ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ (إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ) قَالَ : بِأَخْذِهِ عَنْ غَيْرِهِ .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي رزين (إن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ) قال : يَأْتِرُهُ عَنْ غَيْرِهِ .

وقوله (إن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الوحيد في القرآن (إن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) ما هذا الذي يتلوه محمد إلا قول البشر ، يقول : ما هو إلا كلام ابن آدم ، وما هو بكلام الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٥﴾ وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَقَرُ ﴿٦﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٧﴾ لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ﴿٨﴾ عَلَيْهِ نِصَعةٌ عَشْرُ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِكُم مِّنَ امْتِلَافٍ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ خُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿١٠﴾

* يعني تعالى ذكره بقوله (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) سأورده بابا من أبواب جهنم اسمه سقر ، ولم يُجَرَّ سقر لأنه اسم من أسماء جهنم (وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ) يقول تعالى ذكره : وأى شيء أدراك يا محمد ، أى شيء سقر . ثم بين الله تعالى ذكره ما سقر ، فقال : هى نار (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) من فيها حيا (وَلَا تَذَرُ) من فيها ميتا ، ولكنها تحرقهم كلما جدد خلقهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) قال : لا تميت ولا تحيي .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن مرثد ، فى قوله (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) قال : لا تبقى منهم شيئا أن تأكلهم ؛ فإذا خلقوا لها لا تنذرهم حتى تأخذهم فتأكلهم .

وقوله (لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ) يعنى جل ثناؤه مغيرة لبشر أهلها ، واللواحة من نعت سقر ، وبالرد عليها

رُفِعَتْ ، وحسن الرفع فيها ، وهى نكرة ، وسقر معرفة ، لما فيها من معنى المدح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) قال : الجلد .
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي رزين (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) قال : تلفح الجلد لفحة ، فتدعه أشد سوادا من الليل .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، قال : قال زيد بن أسلم (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) : أي تلوح أجسادهم عليها .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) أي حراقة للجلد .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يقول : تحرق بشرة الإنسان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) قال : تغير البشر ، تحرق البشر ، يقال : قد لاحه استقباله السماء ، ثم قال : النار تغير ألوانهم .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) غيرت جلودهم فاسودت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين مثله .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضمحاك يقول في قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يعني بشر الإنسان ، يقول : تحرق بشره .
وروي عن ابن عباس في ذلك ، ما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يقول : معرضة ، وأخشى أن يكون خبر علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس هذا غلطا ، وأن يكون موضع معرضة مغيرة ، لكن صحف فيه .
وقوله (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) يقول تعالى ذكره : على سقر تسعة عشر من الحزنة .

وذكر أن ذلك لما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو جهل ما حدثني به محمد بن سعد قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) . . .
إلى قوله (وَيَزُودَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) فلما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الداهم ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم ؟ فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي أبا جهل ، فيأخذ بيده في بطحاء مكة فيقول له (أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ، ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ) فلما فعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل والله لا تفعل أنت وربك شيئا ، فأنزله الله يوم بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) ذكر لنا أن

أبو جهل حين أنزلت هذه الآية قال يا معشر قريش ما يستطيع كل عشرة منكم أن يغلّبوا واحداً من خزنة النار وأنتم الدّاهم ؟ فصاحبكم يحدثكم أن عليها تسعة عشر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال أبو جهل : يخبركم محمد أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدّاهم ليجتمع كل عشرة على واحد .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) قال : خزنها تسعة عشر .

وقوله (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) يقول تعالى ذكره : وما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة يقول لأبي جهل في قوله لقريش : أما يستطيع كل عشرة منكم أن تغلب منها واحداً ؟ فمن ذا يغلب خزنة النار وهم الملائكة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) قال : ما جعلناهم رجلاً ، فيأخذ كل رجل رجلاً كما قال هذا .
وقوله (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : وما جعلنا عدّة هؤلاء الخزنة إلا لفتنة للذين كفروا بالله من مشركي قريش .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) : إلا بلاء .
وإنما جعل الله الخبز عن عدّة خزنة جهنم فتنة للذين كفروا ، لتكذيبهم بذلك ، وقول بعضهم لأصحابه : أنا أكفيكموهم .

ذكر الخبر عن قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تِسْعَةَ عَشَرَ) قال : جعلوا فتنة ، قال أبو الأشدّ بن الحمحمي : لا يبلغون رتوق حتى أجهضهم عن جهنم .
وقوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) يقول تعالى ذكره : ليستيقن أهل التوراة والإنجيل حقيقة ما في كتبهم من الخبر عن عدّة خزنة جهنم ، إذ وافق ذلك ما أنزل الله في كتابه على محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) في النهاية لابن الأثير وذكر الآية : اللهم ، بفتح الدال : العدد الكثير .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) قال : وإنما في التوراة والإنجيل تسعة عشر ، فأراد الله أن يستيقن أهل الكتاب ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) قال : يجدونه مكتوباً عندهم عدة خزنة أهل النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) يصدق القرآن الكتب التي كانت قبله فيها كلها ، التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسعة عشر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) قال : ليستيقن أدل الكتاب حين وافق عدة خزنة النار ما في كتبهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت أنصحاك يقول في قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) قال : عدة خزنة جهنم تسعة عشر في التوراة والإنجيل .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أنك رسول الله .

وقوله (وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) يقول تعالى ذكره : ويزداد الذين آمنوا بالله تصديقاً إلى تصديقهم بالله وبرسوله بتصديقهم بعدة خزنة جهنم .

وقوله (وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) يقول : ولا يشك أهل التوراة والإنجيل في حقيقة ذلك والمؤمنون بالله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وليقول الذين في قلوبهم مرض النفاق ، والكافرون بالله من مشركي قريش (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أي نفاق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ ماذا أراد الله بهذا مثلاً) يقول : حتى يخوننا هؤلاء التسعة عشر .

وقوله (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) يقول تعالى ذكره : كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين في خبر الله عن عدة خزنة جهنم : أي شيء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوننا بذكر عدتهم ، ويهدي به المؤمنون ، فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيماناً (كَذَلِكَ يُضِلُّ

اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ) فيخلقه عن إصابته الحق (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) منهم ، فيوفقه لإصابة الصواب (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) من كثرتهم (إِلَّا هُوَ) : يعني الله .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) أي من كثرتهم .

وقوله (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) يقول تعالى ذكره : وما النار التي وصفها إلا تذكرة ذكرها البشر ، وهم بنو آدم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) يعني النار .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال :
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) قال : النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَلَّا وَالْقَمَرَ ۖ وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ ۖ وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ۖ إِنَّهَا إِلَّا حَذَى الْكَبِيرِ ۖ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۖ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۖ

* يعني تعالى ذكره بقوله (كَلَّا) ليس القول كما يقول من زعم أنه يكنى أصحابه المشركين خزنة جهنم حتى يجهضهم عنها ، ثم أقسم ربنا تعالى فقال : (وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ) يقول : والليل إذ ولي ذاهبا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ) : إذ ولي .
وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عبي ، قال : ثني أبي ؛
عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ) دبره : إظلامه .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (إذَا دَبَّرَ) ، وبعض قراء مكة والكوفة (إذَا دَبَّرَ) .

* والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب .
وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب في ذلك ، فقال بعض الكوفيين : هما لغتان ، يقال : دبر النهار وأدبر ، ودبر الصيف وأدبر ؛ قال : وكذلك قبل وأقبل ؛ فإذا قالوا : أقبل الراكب وأدبر لم يقلوه إلا بالالف . وقال بعض البصريين : (وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ) يعني : إذا دبر النهار وكان في آخره ؛ قال :
ونقال : دبرني : إذا جاء خلني ، وأدبر : إذا ولي .

* والصبوب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان بمعنى ، وذلك أنه محكى عن العرب : قبح الله ما قَبِيلَ منه وما دبر . وأخرى أن أهل التفسير لم يميزوا في تفسيرهم بين القراءتين ، وذلك دليل على أنهم فعلوا ذلك كذلك ، لأنهما بمعنى واحد .

وقوله (والصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ) يقول تعالى ذكره : والصبح إذا أضاء . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ) إذا أضاء وأقبل (إِنَّا إِلَاحْدَى الْكُتَبِ) يقول تعالى ذكره : إن جهنم لإحدى الكبر ، يعني الأمور العظام . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِنَّا إِلَاحْدَى الْكُتَبِ) يعني : جهنم . حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبي رزين (إِنَّا إِلَاحْدَى الْكُتَبِ) قال : جهنم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّا إِلَاحْدَى الْكُتَبِ) قال : هذه النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّا إِلَاحْدَى الْكُتَبِ) قال : هي النلو .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (إِنَّا إِلَاحْدَى الْكُتَبِ) يعني : جهنم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنَّا إِلَاحْدَى الْكُتَبِ) يعني : جهنم .

وقوله (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) يقول تعالى ذكره : إن النار لإحدى الكبر ، نذيرا لبني آدم . واختلف أهل التأويل في معنى قوله (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) ، وما الموصوف بذلك ، فقال بعضهم : عني بذلك النار ، وقالوا : هي صفة للهاء التي في قوله « إِنَّا » وقالوا : هي النذير ، فعلى قول هؤلاء النذير نصب على القطع من إحدى الكبر ، لأن إحدى الكبر معرفة ، وقوله (نَذِيرًا) نكرة ، والكلام قد يحسن الوقوف عليه دونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : والله ما أُنذر الناسُ بشيءٍ أدهى منها ، أو بداهية هي أدهى منها .

وقال آخرون : بل ذلك من صفة الله تعالى ، وهو خبر من الله عن نفسه ، أنه نذير مخلقه ، وعلى هذا القول يجب أن يكون نصب قوله (نَذِيرًا) على الخروج من جملة الكلام المتقدم ، فيكون معنى الكلام :

وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيرا للبشر ؛ يعنى : إنذارا لهم ؛ فيكون قوله (نَذِيرًا) بمعنى إنذارا لهم ؛ كما قال : (فَكَشِفَ كَانَ نَذِيرٍ) ؛ يعنى إنذارى ؛ ويكون أيضا بمعنى : إنها لإحدى الكُبر ؛ صيرنا ذلك كذلك نذيرا ، فيكون قوله (إِنَّا إِحْدَى الْكُبرِ) مؤديا عن معنى صيرنا ذلك كذلك ، وهذا المعنى قصد من قال ذلك إن شاء الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبي رزين (إِنَّا إِحْدَى الْكُبرِ) قال : جهنم (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) يقول الله : أنا لكم نذير فاتقوها . وقال آخرون : بل ذلك من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : نصب نذيرا على الحال مما في قوله « قم » ، وقالوا : معنى الكلام : قم نذيرا للبشر فأنذر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) قال : الخلق ، قال بنو آدم : البشر ، فقبل له محمد النذير ، قال : نعم ينذرهم . وقوله (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) يقول تعالى ذكره : نذيرا للبشر لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم في طاعة الله ، أو يتأخر في معصية الله . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) قال : من شاء اتبع طاعة الله ، ومن شاء تأخر عنها . حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) : يتقدم في طاعة الله ، أو يتأخر في معصيته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ عَنِ الْخَيْرِ ۖ مِمَّنْ مَّا سَلَكُوكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ قَالُوا لِمَنْكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ وَلَمَنْكَ تُطْعَمُ الْمُسْكِينِ ۖ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۖ

* يقول تعالى ذكره : كل نفس مأمورة منية بما عملت من معصية الله فى الدنيا ، رهينة فى جهنم (إلا أصحاب اليمين) فإنهم غير مرتين ، ولكنهم (فى جنات يتساءلون) عن المحرمين ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :
(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) يقول : مأخوذة بعملها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : لا يحاسبون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) أصحاب اليمين لا يرتهنون بذنوبهم ، ولكن يغفرها الله لهم ، وقرأ قول الله : (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) قال : لا يؤاخذهم الله بسوء أعمالهم ، ولكن يغفرها الله لهم ، ويتجاوز عنهم كما وعدهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) قال : كل نفس سبقت له كلمة العذاب يرتهنه الله في النار ، لا يرتهن الله أحدا من أهل الجنة ، ألم تسمع أنه قال : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) يقول : ليسوا رهينة (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : إن كان أحدهم سبقت له كلمة العذاب جعل منزله في النار يكون فيها رهنا وليس يرتهن أحد من أهل الجنة هم في جنات يتساءلون .

واختلف أهل التأويل في أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هم أطفال المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن عثمان ، عن زاذان ، عن علي رضي الله عنه في هذه الآية (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : هم الولدان .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان أبي اليقظان ، عن زاذان أبي عمر عن علي رضي الله عنه في قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : أطفال المسلمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان ، عن زاذان أبي عمر ، عن علي رضي الله عنه (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : أولاد المسلمين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي اليقظان ، عن زاذان ، عن علي رضي الله عنه (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : هم الولدان .

وقال آخرون : هم الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : هم الملائكة ، وإنما قال من قال : أصحاب اليمين في هذا الموضع : هم الولدان وأطفال المسلمين ؛ ومن قال : هم الملائكة ، لأن هؤلاء لم يكن لهم ذنوب ، وقالوا : لم يكونوا ليسألوا المجرمين (ما سألكم في سقر) إلا أنهم لم يقترفوا في الدنيا مآثم ، ولو كانوا اقترفوها وعرفوها لم يكونوا ليسألوهم عما سألهم في سقر ، لأن كل من دخل من بني آدم ممن بلغ حد التكليف ، ولزمه فرض الأمر والنهي ، قد علم أن أحدا لا يعاقب إلا على المعصية .

وقوله (في جنات ينساء لكون عن المجرمين ما سألكم في سقر) يقول : أصحاب اليمين في بساتين ينساء لكون عن المجرمين الذين سلكوا في سقر ، أي شيء سلككم في سقر ؟ (قالوا لم نك من المصلين) يقول : قال المجرمون لهم : لم نك في الدنيا من المصلين لله (ولم نك نطعم المسكين) بخلا بما خولهم الله ، ومنعنا له من حقه .

(وكنا نخوض مع الخائضين) يقول : وكنا نخوض في الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكنا نخوض مع الخائضين) قال : كلما غوى غاو غوى معه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وكنا نخوض مع الخائضين) قال : يقولون : كلما غوى غاو غوينا معه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ۚ حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ ۚ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۚ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ۚ

وقوله (وكنا نكذب يوم الدين) يقول تعالى ذكره : قالوا : وكنا نكذب يوم المجازاة والثواب والعذاب ، ولا نصدق بثواب ولا عقاب ولا حساب (حتى أتانا اليقين) يقول : قالوا : حتى أتانا الموت الموقن به (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) يقول : فما يشفع لهم الذين شفّعهم الله في أهل الذنوب من أهل التوحيد ، فتفنعهم شفاعتهم ، وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ذكره مشفع بعض خلقه في بعض .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله في قصة ذكرها في الشفاعة ، قال : ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون ، ويشفعهم الله فيقول : أنا أرحم الراحمين ، فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق من النار ؛ ثم يقول : أنا أرحم الراحمين ؛ ثم قرأ عبد الله يا أيها الكفار (ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا تَخَوِّضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) وعقد بيده أربعاً ، ثم قال : هل ترون في هؤلاء من خير ، ألا ما يترك فيها أحد فيه خير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عمي وإسماعيل بن أبي خالد ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء ، قال : قال عبد الله : لا يبقى في النار إلا أربعة ، أو ذو الأربعة « الشك من أبي جعفر الطبري » ، ثم يتلو (ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا تَخَوِّضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَمَّا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) تعلمن أن الله يشفع المؤمنين يوم القيامة . ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّ مِنْ أُمَّتِي رَجُلًا يَدْخُلُ اللَّهُ بِشَفَاعَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ » .

قال الحسن : أكثر من ربيعة ومضر ، كنا نحدث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور عن معمر ، عن قتادة (فَأَمَّا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) قال : تعلمن أن الله يشفع بعضهم في بعض .

قال : ثنا أبو ثور ، قال معمر : وأخبرني من سمع أنس بن مالك يقول : إن الرجل ليشفع لارجلين والثلاثة والرجل .

قال : ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، قال : يدخل الله بشفاعة رجل من هذه الأمة الجنة مثل بني تميم ، أو قال : أكثر من بني تميم ، وقال الحسن : مثل ربيعة ومضر .

وقوله (فَأَمَّا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِيرَةِ مُعْرِضِينَ) يقول : فما هؤلاء المشركين عن تذكرة الله إياهم بهذا القرآن معرضين ، لا يستمعون لها فيتعظوا ويعتبروا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَمَّا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِيرَةِ مُعْرِضِينَ) أي عن هذا القرآن :

القول في تأويل قوله تعالى :

كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۖ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ ۖ
كَلَّا ۚ بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۖ

* يقول تعالى ذكره : فإلهؤلاء المشركين بالله عن التذكيرة معرضين ، مولّين عنها تولية الحُمُرِ
المستنفرة (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (مُسْتَنْفِرَةٌ) ، فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة بكسر الفاء ، وفي
قراءة بعض المكين أيضا بمعنى نافرة ١ .

* والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ

فصيب . وكان الفراء يقول : الفتح والكسر في ذلك كثيران في كلام العرب ؛ وأنشد :

أَمْسِكَ حَمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ فِي لَأْثَرِ أَحْمِرَةٍ عَمْدَنَ لِيْغُرْبَ ٢

وقوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) اختلف أهل التأويل في معنى القسورة ، فقال بعضهم : هم الرماة .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن حمّاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله

(فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : الرماة .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع عن سفيان ،

عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن أبي موسى (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : الرماة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ)

قال : هي الرماة .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) أي وقراء المكين بالفتح ، بمعنى منفرة مذعورة .

(٢) البيت في (اللسان : نفر) غير منسوب : قال : الاستنفار : النفور . وأنشد ابن الأعرابي : « اربط حمارك إنه مستنفر
... البيت » . وثرثب اسم موضع . وفي معجم البكري : (٩٩٤) غرب : موضع تلقاء الشتاء . وقال الرياشي : موضع دون الشام

إلى العراق . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٤٨) : وقوله « كأنهم حمير مستنفرة » قرأها عاصم والأعمش : مستنفرة ، بالكسر
وقرأها أهل الحجاز : مستنفرة ، بفتح الفاء . وهما جميعا كثيرتان في كلام العرب ، قال الشاعر : « أمسك حمارك ... البيت » .
وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) : حمير مستنفرة : مذعورة ، ومستنفرة : نافرة . هـ .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (قَسُورَةٌ) قال : عَصَبَةُ قَنَاصٍ مِنَ الرَّمَاةِ . زاد الحارث في حديثه . قال : وقال بعضهم في القسورة : هو الأسد ، وبعضهم : الرماة .

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك ، عن عكرمة ، في قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : القسورة : الرماة ، فقال رجل لعكرمة : هو الأسد بلسان الحبشة ، فقال عكرمة : اسم الأسد بلسان الحبشة عنيسة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن عكرمة ، في قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : الرماة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن عبد الله السلولي ، عن ابن عباس ، قال : هي الرماة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) وهم الرماة القناص .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : قسورة النبل .

وقال آخرون : هم القناص .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) يعني : رجال القناص .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : هم القناص .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن أبي بسر ، عن سعيد بن جبير قال : هم القناص .

وقال آخرون : هم جماعة الرجال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سألت ابن عباس عن القسورة ، فقال : ما أعلمه بلغة أحد من العرب : الأسد ، هي عصب الرجال .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ما أعلمه بلغة أحد من العرب الأسد هي عصب الرجال .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : سمعت أبي يحدث ، قال : ثنا داود ، قال : ثني عباس بن عبد الرحمن مولى بني هاشم ، قال : سئل ابن عباس عن القسورة ، قال : جمع الرجال ، ألم تسمع ما قالت فلانة في الجاهلية :

يَا بِنْتَ لُؤَيٍّ خَسِيرَةٍ لَخَسِيرَةٍ أَحْوَالُهَا فِي الْحَيِّ مِثْلُ الْقَسُورَةِ ۝

وقال آخرون : هي أصوات الرجال

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : ركز الناس أصواتهم .

قال أبو كريب ، قال سفيان : (هَلْ تَحِيْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) .
وقال آخرون : بل هو الأسد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : هو الأسد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن سيلان ، أن أبا هريرة كان يقول في قول الله : (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : هو الأسد .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا هشام ، عن زيد بن أسلم ، في قول الله (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : الأسد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني داود بن قيس عن زيد بن أسلم ، في قول الله (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : هو الأسد .

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ، قال ثني سلم بن قتيبة ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) قال : هو بالعربية : الأسد ، وبالفارسية : شار ، وبالنبطية : أريا ، وبالحبشية : قسورة .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ) يقول : الأسد .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي هريرة قال : الأسد .

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لم أعثر عليهما ولا على قائلهما . أنشدها المؤلف عند قوله تعالى « فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ » . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٤٨) : والقسورة يقال إنها الرماة . وقال الكلبي بإسناده : هو الأسد . وقال ثعلب بإسناده إلى عكرمة مولى ابن عباس قال : قيل له : القسورة : الأسد بلسان الحبشة . فقال : القسورة الرماة ، والأسد بلسان الحبشة : عبيسة . اهـ وفي (اللسان : قسر) : والقصور : الصياد ، والقصور : الأسد ، والجمع قسورة . وفي التنزيل العزيز « فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ » : قال ابن سيده : هذا قول أهل اللغة . وتحريره : أن القصور والقسورة : اسمان للأسد ، أنشوه كما قالوا : أسامة . إلا أن أسامة معرفة . وقيل في قوله : « فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ » : قيل هم الرماة من الصيادين . قال الأزهرى : أخطأ الليث في قوله القصور : الصياد خطأ ، إنما القسورة : اسم جامع للرماة ، ولا واحد له من لفظه . وقال ابن الأعرابي القسورة : الرماة ، والقسورة الأسد ، والقسورة الشجاع ، والقسورة : آخر الليل ، والقسورة : ضرب من الشجر . اهـ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال :

القسورة : الأسد .

وقوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشَّرَةً) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين في إعراضهم عن هذا القرآن أنهم لا يعلمون أنه من عند الله ، ولكن كل رجل منهم يريد أن يؤتى كتابا من السماء ينزل عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشَّرَةً) قال : قد قال قائلون من الناس : يا محمد إن سرك أن تتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان ، نوثر فيه باتباعك ، قال قتادة : يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشَّرَةً) قال : إلى فلان من رب العالمين .

وقوله (كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يزعمون من أنهم لو أوتوا صحفا منشرة صدقوا ، بل لا يخافون الآخرة ، يقول : لكنهم لا يخافون عقاب الله ، ولا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب فذلك الذي دعاهم إلى الإعراض عن تذكرة الله ، وهون عليهم ترك الاستماع لوجيه وتنزيله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) إنما أفسدهم أنهم كانوا لا يصدقون بالآخرة ، ولا يخافونها ، هو الذي أفسدهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ۖ فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۖ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ ۖ

* يعني جل ثناؤه بقوله (كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ) ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنه سحر يؤثر ، وأنه قول البشر ، ولكنه تذكرة من الله الخلقه ، ذكرهم به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ) أي القرآن .

وقوله (فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ) يقول تعالى ذكره : فمن شاء من عباد الله الذين ذكرهم الله بهذا القرآن ذكره ، فاتعظ فاستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه (وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) يقول تعالى ذكره : وما يذكرون هذا القرآن فيتعظون به ، ويستعملون ما فيه ، إلا أن يشاء الله أن يذكروه ، لأنه لا أحد يقدر على شيء إلا بأن يشاء الله يقدره عليه ، ويعطيه القدرة عليه .

وقوله (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) يقول تعالى ذكره : الله أهل أن يتقى عباده: عقابه على معصيتهم إياه ، فيجتنبوا معاصيه ، ويسارعوا إلى طاعته ، وأهل المغفرة : يقول : هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك ، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) ربنا محقق أن تتقى محارمه ، وهو أهل المغفرة يغفر الذنوب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) قال : أهل أن تتقى محارمه ، وأهل المغفرة : أهل أن يغفر الذنوب .

آخر تفسير سورة الم نشر

(۷۵) سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْعَ عِظَامَهُ ۖ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ
بَنَانُهُ ۖ

اختلفت القراء في قراءة قوله (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار (لَا أُقْسِمُ) [لا ۱ مفصلة من أقسم ، سوى الحسن والأعرج ، فإنه ذكر عنهما أنهما كانا يقرآن ذلك (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) بمعنى : أقسم بيوم القيامة ، ثم أدخلت عليها لام القسم ،

** والقراءة التي لا أستجيز غيرها في هذا الموضع « لا » مفصلة ، أقسم مبتدأة على ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقد اختلف الذين قرءوا ذلك على الوجه الذي اخترنا قراءته في تأويله ، فقال بعضهم « لا » صلة ، وإنما معنى الكلام : أقسم بيوم القيامة .

(۱) (لا) : زيادة يقتضيها المعنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ابن يناق ، عن سعيد بن جبير (لا أقسمُ بيوم القيامة) قال : أقسم بيوم القيامة .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير (لا أقسمُ) قال : أقسم .
وقال آخرون منهم : بل دخلت « لا » توكيدا للكلام .

ذكر من قال ذلك

سمعت أبا هشام الرفاعي يقول : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : قوله (لا أقسمُ) توكيد للقسم كقوله لا والله . وقال بعض نحوي الكوفة ، لارد لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ، ثم ابتدئ القسم ، فقل : أقسم بيوم القيامة ، وكان يقول : كل يمين قبلها رد لكلام ، فلا بد من تقديم « لا » قبلها ، ليفرق بذلك بين اليمين التي تكون جمدا ، واليمين التي تستأنف ، ويقول : ألا ترى أنك تقول مبتدئا : والله إن الرسول لحق ، وإذا قلت : لا والله إن الرسول لحق ، فكأنك أكذبت قوما أنكروه .
واختلفوا أيضا في ذلك ، هل هو قسم أم لا ؟ فقال بعضهم : هو قسم أقسم ربنا بيوم القيامة ، وبالنفس اللوامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي الخير بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لي ابن عباس : ممن أنت ؟ فقلت : من أهل العراق ، فقال : أيهم ؟ فقلت : من بني أسد ، فقال : من حريهم ، أو ممن أنعم الله عليهم ؟ فقلت : لا بل ممن أنعم الله عليهم ، فقال لي : سل ، فقلت : لا أقسم بيوم القيامة ، فقال : يقسم ربك بما شاء من خلقه .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا أقسمُ بيوم القيامة) ، ولا أقسمُ بالنفس اللوامة) قال : أقسم بهما جميعا .
وقال آخرون : بل أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوامة . وقال : معنى قوله (ولا أقسمُ بالنفس اللوامة) ولست أقسم بالنفس اللوامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوامة .
* وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : إن الله أقسم بيوم القيامة ، وبالنفس اللوامة ، وجعل « لا » ردًا لكلام قد كان تقدمه من قوم ، وجوابا لهم .

(١) لعل المراد بالحريب هنا : الفقير المحروب ، أي الذي ذهب ماله .

❦ وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم إذا قال أحدهم : لا والله ، لافعلت كذا ، أنه يقصد بلارد الكلام ، ويقول : والله ، ابتداء يمين ، وكذلك قولهم : لا أقسم بالله لافعلت كذا ، فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا ، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جاريا مجراه ، ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له . وبعد : فإن الجميع من الحجة مجمعون على أن قوله (لا أقسمُ بيومِ القيامةِ) قسم فكذلك قوله (ولا أقسمُ بالنفسِ اللوامةِ) إلا أن تأتي حجة تدل على أن أحدهما قسم والآخر خبر . وقد دللنا على أن قراءة من قرأ الحرف الأول لأقسم بوصل اللام بأقسم قراءة غير جائزة بخلافها ما عليه الحجة مجمعة ، فتأويل الكلام إذا : لا ما الأمر كما تقولون أيها الناس من أن الله لا يبعث عباده بعد مماتهم أحياء ، أقسم بيوم القيامة ، وكانت جماعة تقول : قيامة كل نفس موتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ومسعر ، عن زياد بن علاقة ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : يقولون : القيامة القيامة ، وإنما قيامة أحدهم : موته .
قال : ثنا وكيع ، عن مسعر وسفيان ، عن أبي قبيس ، قال : شهدت جنازة فيها علقمة ، فلما دفن قال : أما هذا فقد قامت قيامته .

وقوله (ولا أقسمُ بالنفسِ اللوامةِ) اختاف أهل التأويل في تأويل قوله (اللوامةِ) فقال بعضهم : معناه : ولا أقسم بالنفس التي تلوم على الخير والشر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (ولا أقسمُ بالنفسِ اللوامةِ) قال : تلوم على الخير والشر .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سفيان ، عن عكرمة (ولا أقسمُ بالنفسِ اللوامةِ) قال : تلوم على الخير والشر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي الخير بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس (ولا أقسمُ بالنفسِ اللوامةِ) قال : هي النفس اللوامة .
وقال آخرون : بل معنى ذلك أنها تلوم على ما فات وتندم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بالنفسِ اللوامةِ) قال : تندم على ما فات وتلوم عليه .

وقال آخرون : بل اللوامة : الفاجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) : أى الفاجرة .

وقال آخرون : بل هى المذمومة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) يقول : المذمومة .

وهذه الأقوال التى ذكرناها عن ذكرناها عنه وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها ، فتقارب المعانى ، وأشبه القول فى ذلك بظاهر التنزيل أنها تاوم صاحبها على الخير والشر ، وتندم على ما فات ، والقراء كلهم مجمعون على قراءة هذه بفصل « لا » من أقسم .

وقوله (أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) يقول تعالى ذكره : أيعظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها ، بلى قادرين على أعظم من ذلك ، أن نسوى بنانه ، وهى أصابع يديه ورجليه ، فنجعلها شيئاً واحداً كخف البعير ، أو حافر الحمار ، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم ، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها ، ويتناول ويقبض إذا شاء ويهبط ، فحسن خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي الخير بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى ابن عباس : سل ، فقلت : (أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه) قال : لو شاء لجعله خفاً أو حافراً .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) قال : أنا قادر على أن أجعل كفه مجمرة مثل خف البعير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن مغيرة ، عن حدثه ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (قادرين على أن نسوى بنانه) قال : نجعله خفاً أو حافراً .

قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرمة (على أن نسوى بنانه) قال : على أن نجعله مثل خف البعير ، أو حافر الحمار .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) قال : جعلها يداً ، وجعلها أصابع يقبضهن ويبسطهن ، ولو شاء لجمعهن ، فأنقيت الأرض بفيك ، ولكن مواء خلقاً حسناً . قال أبو رجاء : وسئل عكرمة فقال : لو شاء لجعلها كخف البعير . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على أن نسوي بنانه) رجليه ، قال : كخف البعير فلا يعمل بهما شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة ، أو كخف البعير ، ولو شاء لجعله كذلك ، وإنما ينقى طعامه بفيه . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (على أن نسوي بنانه) قال : لو شاء جعل بنانه مثل خف البعير ، أو حافر الدابة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (على أن نسوي بنانه) قال : البنان : الأصابع ، يقول : نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خف البعير . واختلاف أهل العربية في وجه نصب (قادرين) فقال بعضهم : نصب لأنه واقع موقع نفع ، فلما رد إلى فاعل نصب ، وقالوا : معنى الكلام : أيجب الإنسان أن لن نجعل عظامه بلى نقدر على أن نسوي بنانه ؛ ثم صرف نقدر إلى قادرين . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : نصب على الخروج من نجمع ، كأنه قيل في الكلام : أيجب أن لن نقوى عليه ؟ بلى قادرين على أقوى منك . يريد : بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا . وقال : قول الناس بلى نقدر ، فلما صرفت إلى قادرين نصبت خطأ ، لأن الفعل لا ينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل . ألا ترى أنك تقول : أتقوم إلينا ، فإن حولتها إلى فاعل قلت : أقام ، وكان خطأ أن تقول قائما ؛ قال : وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق :

على قسم لا أشتم الدهر مسلما ولا خارجا من في زور كلام

فقالوا : إنما أراد : لا أشتم ولا يخرج ، فلما صرفها إلى خارج نصبتها ، وإنما نصب لأنه أراد : عاهدت ربي لا شاتما أحدا ، ولا خارجا من في زور كلام ؛ وقوله : لا أشتم ، في موضع نصب . وكان بعض نحوي البصرة يقول : نصب على تجمع : أي بل نجمعها قادرين على أن نسوي بنانه ، وهذا القول الثاني أشبه بالصحة على مذهب أهل العربية .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۚ فَإِذَا بَرَأَ الْبَصَرُ ۚ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۚ وَجُمِعَ الشَّمْسُ

(١) البيت للفرزدق (ديوانه ٧٦٩ طبع الصاوي) من قصيدة قالها في المريد : ويروي « على حلفة » في موضع « على قسم » . وقد أنشده الفراء في معاني القرآن (٣٤٩) عند قوله تعالى « بلى قادرين » قال وقوله « بلى قادرون » : نصبت على الخروج من نجمع ، كأنك قلت في الكلام : أتحسب أن لن نقوى عليك ، بلى قادرين على إقوامك يريد : بلى نقوى قادرين ، بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا . قال : ولو كانت رفعا على الاستئناف ، كأنه قال : بلى نحن قادرين على أكثر من ذا . كان صوابا ، وقول الناس : بلى نقدر ، فلما صرفت إلى قادرين نصبت خطأ لأن الفعل لا ينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل ألا ترى أنك تقول : أتقوم إلينا ، فإن حولتها إلى فاعل ، قلت : أقام إلينا ؟ وكان خطأ أن تقول : أقام إلينا ؟ وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق : « على قسم ... » البيت « فقالوا : إنما أراد : لا أشتم ولا يخرج ، فلما صرفها إلى يخرج نصبتها وإنما نصب لأنه أراد : عاهدت ربي لا شاتما أحدا ، ولا خارجا من في زور كلام . اهـ .

وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَرْقَ ۖ كَلَّا لَا وَزَرَ ۖ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ

* يقول تعالى ذكره : ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه ، ولكنه يريد أن يمضي أمامه قُدُماً معاصي الله ، لا يثنيه عنها شيء ، ولا يتوب منها أبداً ، ويسوف التوبة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي الخير بن تميم الضبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَّ أَمَامَهُ) قال : يمضي قُدُماً .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَّ أَمَامَهُ) يعني الأمل ، يقول الإنسان : أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال : هو الكفر بالحق بين يدي القيامة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَفْجُرَّ أَمَامَهُ) قال : يمضي أمامه راكباً رأسه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَّ أَمَامَهُ) قال : قال الحسن : لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدُماً قُدُماً ، إلا من قد عصم الله .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، في قوله (لِيَفْجُرَّ أَمَامَهُ) قال : قُدُماً في المعاصي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عمرو ، عن إسماعيل السدي (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَّ أَمَامَهُ) قال : قُدُماً .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرمة (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَّ أَمَامَهُ) قال : قدما لا ينزع عن فجور .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير (لِيَفْجُرَّ أَمَامَهُ) قال : سوف أتوب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يركب رأسه في طاب الدنيا دائباً ولا يذكر الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحالك يقول في قوله :

(بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) هو الأمل يؤمل الإنسان ، أعيش وأصيب من الدنيا كذا ، وأصيب كذا ، ولا يذكر الموت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل يريد الإنسان الكافر ليكذب بيوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) يقول : الكافر يكذب بالحساب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) قال : يكذب بما أمّاه يوم القيامة والحساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي القيامة ، والماء على هذا القول في قوله (أَمَامَهُ) من ذكر القيامة ، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل .

قوله (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : يسأل ابن آدم السائر دأباً في معصية الله قدماً : متى يوم القيامة ، تسويفاً منه للتوبة ، فبين الله له ذلك فقال : (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) . . . الآية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن قتادة ، قوله (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) يقول : متى يوم القيامة ؛ قال : وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من سئل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) متى يكون ذلك ، فقرأ (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) قال : فذلك يكون يوم القيامة .

وقوله (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه أبو جعفر القاري ونافع وابن أبي إسحاق (فَإِذَا بَرِقَ) بفتح الراء ، بمعنى شخص وفتيح عند الموت ؛ وقرأ ذلك شيبة وأبو عمرو وعامة قراء الكوفة (بَرِقَ) بكسر الراء ، بمعنى : فزع وشق .

وقد حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن هارون ، قال : سألت أبا عمرو ابن العلاء عنها ، فقال (بَرِقَ) بالكسر بمعنى حار . قال : وسألت عنها عبد الله بن أبي إسحاق فقال : (بَرِقَ) بالفتح ، إنما برق الحيطل والنار والبرق . وأما البصر فبرق عند الموت . قال : وأخبرت بذلك ابن

(١) من معاني الحيطل في اللسان : السنود ، والكلاب .

أبي إسحاق ، فقال : أخذت قراءتي عن الأشياخ نصر بن عاصم وأصحابه ، فذكرت لأبي عمرو ، فقال : لكن لا آخذ عن نصر ولا عن أصحابه ، فكأنه يقول : آخذ عن أهل الحجاز .

* وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء (فإذا بَرَقَ) بمعنى : فزع فشُقَّ وفتُشِح من هول القيامة وفزع الموت . وبذلك جاءت أشعار العرب . أنشدني بعض الرواة عن أبي عبيدة الكلابي :

لَمَّا أَتَانِي ابْنُ صُبَيْحٍ رَاغِبًا أَعْطَيْتُهُ عَيْسَاءَ مِنْهَا فَبَرَقَ^١

وحدثت عن أبي زكريا الفراء قال : أنشدني بعض العرب :

نَعَانِي حَنَانَةً طُوبَالَةً تَسْفُ يَبْيِيسَا مِنَ الْعَشْرِ
فَنَفْسُكَ فَانَعَ وَلَا تَنْعَسِي وَدَاوِ الذُّكُلُومَ وَلَا تَبْرُقِ^٢

بفتح الراء ، وفسره أنه يقول : لا تنزع من هول الجراح التي بك ؛ قال : وكذلك يبرُق البصر يوم القيامة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فإذا بَرَقَ الْبَصَرُ) يعني : يبرق البصر : الموت ، وبروق البصر : هي الساعة .

(١) الرجز من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) عند قوله تعالى : « فإذا برق البصر » . وأنشده أبو زكريا التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق (طبع القاهرة ٧٥) قال : البرق (بالتحريك) أن يبرق البصر ، وهو أن يتحير فلا يعترف ، قال الأعور ابن براء الكلابي : كلاب مرة : « لما أتاني ابن صبيح . . . البيت » ومعه بيت آخر ، وهو :

أَعْطَيْتُهُ مَبْنِيَّةً دَائِبَاتُهُمَا مَائِرَةٌ الضَّبْعَيْنِ سَطِطَعَاءَ الْعُنُتِ

قال : صبيح : من هلال بن عامر ، وكان الأعور خاله ، فسأل ابن صبيح الأعور ، فأعطاه ناقة من إبله ، فذهب بها الهلالي ، وهما الأعور فقال :

أَعْطَيْتَنِي سَاقِطَةً أَضْرَأْسُهُمَا لَوْ تَعَجَّجُمُ الْبَيْضُ إِذَنْ لَمْ يَنْفَلِكِ

مع أبيات غيرها فأجابه الأعور بقصيدة فيها البيتان المتقدمان . والدأيات : فقار الظهر ، الواحدة دأية . والضبعان : المضدان . ومائرة الضبعين : أي سريرة . والسطاء : الطويلة العنق . اهـ .

وفي (اللسان برق) : وبرق بصره برقا (كفرج فرحا) وبرق يبرق بروقا (كقعد يقعد قموذا) الأخيرة عن اللحيان - : دهش فلم يبعثر . وقيل : تحير فلم يعترف . وفي التزويل : « فإذا برق البصر وبرق (من باب فرح وقعد) قرى هسا جميعا . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٤٩) وقوله « فإذا برق البصر » : قرأها الأعمش وعاصم والحسن وبعض أهل المدينة : برق ، بكسر الراء . وقرأها نافع المدني : برق البصر ، بفتح الراء ، من البريق : لمن فتح عينيه : أي شخص . وقوله برق (بالكسر) : أي فزع . اهـ .

(٢) البيتان في ديوان طرفة طبعة « أدرفه - ك » سنة ١٩٠٩ ص ١٥ قال : وقال في شأن إبل أخيه ، وكان بشبكة امرئ القيس ، مؤتب حنانة الحاجب ليضربه ، فانتزع طرفة سيفه . فقال في ذلك ، ولم يروها الشنتمري . وفي (اللسان : حن) وحنانة : اسم راع في قول طرفة « نعانى حنانة . . . البيت » . قال ابن بري : رواه ابن القطاع : بنان حنانة ، بالباء والعين المعجمة . والصحيح بالنون : والعين غير المعجمة كما وقع في الأصول ، بدليل قوله بعد هذا البيت : « فنفسك فانع . . . البيت » وفي (اللسان : طبل) الطوبالة النجمة . اهـ . ونصبها على الظم له كأنه قال أعنى طوبالة . وتسف : تأكل . والعشيق : نبت معروف عندهم . وقوله : « لا تبرق » فسر اللسان بقوله : لا تنزع من هول الجراح التي بك ، وفسره شارح الديوان السابق الذكر : أي لا تهددني . وفسره الفراء في معاني القرآن (٣٤٩) فقال وقوله « برق » : فزع ، أنشدني بعض العرب « نعانى حنانة . . . البيتين » . ففتح الراء أي لا تنزع من هول الجراح التي بك . اهـ .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (بَرِّقَ الْبَصَرُ) قال : عند الموت .
حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَإِذَا بَرِّقَ الْبَصَرُ) شخص البصر .
وقوله (وَحَسَفَ الْقَمَرُ) يقول : ذهب ضوء القمر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَحَسَفَ الْقَمَرُ) : ذهب ضوءه فلا ضوء له .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن (وَحَسَفَ الْقَمَرُ) هو ضوءه، يقول : ذهب ضوءه .

وقوله (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) يقول تعالى ذكره : وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر لي (وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ) وقيل : إنهما يجمعان ثم يكوران، كما قال جل ثناؤه (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) ، وإنما قيل : (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) لما ذكرت من أن معناه جمع بينهما . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : إنما قيل : وُجِعَ على مذهب وجمع النوران، كأنه قيل : وجمع الضياعان، وهذا قول الكسائي .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) قال : كوراً يوم القيامة .
حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) قال : جُمعا فرُمي بهما في الأرض .

وقوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : كورت في الأرض والقمر معها .

قال : أخبرنا ابن وهب، قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن أبي شيبه الكوفي، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية يوما (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) قال : يجمعان يوم القيامة، ثم يقدفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى .

وقوله (يَتَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ) بفتح الفاء، قرأ ذلك قرأه الأمصار، لأن العين في الفعل منه مكسورة، وإذا كانت العين من يفعل مكسورة، فإن العرب تفتحها في المصدر منه إذا نطقت به على متفعل، فتقول : فرّ بفرّ مفرّاً، يعني فرّاً، كما قال الشاعر :

يَا لَبَكْرٍ اَنْشِرُوا لِي كَلْبِيَّيَا يَا لَبَكْرٍ اَيْنَ اَيْنَ الْفِرَارُ^١

إذا أريد هذا المعنى من مفعول قالوا : أين المفرّ بفتح الفاء ، وكذلك المذهب من دبّ يدبّ ، كما قال بعضهم :

كَأَنَّ بَقَايَا الْأَثَرِ فَوْقَ مُتُونِهِ مَدَبُ الدَّبِّيِّ فَوْقَ النَّقَا وَهُوَ سَارِحٌ^٢

وقد يُنشد بكسر الدال ، والفتح فيها أكثر ، وقد تنطق العرب بذلك ، وهو مصدر بكسر العين . وزعم القراء

أنهما لغتان ، وأنه يُسمع : جاء على مَدَبٍ السيل ، ومَدَبُ السيل ، وما في فيضه مَصْبَحٌ ومَصْبَحٌ . فأما

البصريون فإنهم في المصدر يفتحون العين من مَفْعَلٍ إذا كان الفعل على يَفْعِيلٍ ، وإنما يُجيزون كسرهما إذا أريد

بالمفعول المكان الذي يفرّ إليه ، وكذلك المضرب : المكان الذي يضرب فيه إذا كُسرت الراء . ورؤي عن

ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك بكسر الفاء ، ويقول : إنما المفرّ : مفر الدابة حيث تفرّ .

*** والقراءة التي لأستجيز غيرها الفتح في الفاء من المفرّ ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وأنها اللغة

المعروفة في العرب إذا أريد بها الفرار ، وهو في هذا الموضع الفرار . وتأويل الكلام : يقول الإنسان يوم يعاين

أهوال يوم القيامة : أين المفرّ من هول هذا الذي قد نزل ، ولا فرار .

يقول تعالى ذكره (كَلَّا لَا وَزَرَ) يقول جلّ ثناؤه : ليس هناك فرار ينفع صاحبه ، لأنه لا ينجيه

فراره ، ولا شيء ياجأ إليه من حصن ولا جبل ولا معقل ، من أمر الله الذي قد حضر ، وهو الوزر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَلَّا لَا

لَا وَزَرَ) يقول : لا حرز .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (كَلَّا لَا وَزَرَ) يعني : لا حصن ، ولا ملجأ .

(١) البيت لمهلل بن ربيعة يرث أخاه كليب بن ربيعة (المقد الفريد : في يوم الذنائب) . وقافيته مختلفة عن رواية المؤلف ،

وبعده :

تِلْكَ شَيْبَانُ تَقُولُ لِبَكْرٍ صَرَّحَ السَّرُّ وَبَنَى السَّرَارُ

وَبَنُو عَجَلٍ تَقُولُ لِقَيْسٍ وَلَيْتَ لَيْمِ اللَّابِتِ سِيرُوا فَمَسَارُوا

وفي (اللسان : فر) : وقوله تعالى : « أين المفر ؟ » : أين الفرار ؟ وقرئ : أين المفر ؟ (بكسر الفاء) أي أين موضع الفرار ؟

عن الزجاج . وفي معاني القرآن للفراء (٣٤٩) وقوله « أين المفر » بفتح الفاء . وبإسناد ثعلب إلى ابن عباس أنه قرأ : « أين « المفر »

(أي بكسر الفاء) وقال : إنما المفر (أي بالفتح) . بفتح الدابة : حيث تفرّ . وهما لغتان : المفر والمفر ، والمذب والمذب (أي بفتح

الفاء والدال ، وبكسرهما) . اهـ .

(٢) وهذا البيت أيضًا من شواهد الفراء (٣٥٠) وكلامه فيه متمم لكلامه في الشاهد الذي قبله ، قال : وما كان « يفعل »

(المضارع) فيه مكسورا (مكسور العين) مثل يدب ويفر ويصح ، تقول : مفر ومفر ، ومصح ومصح ، ومذب ومذب (أي

بفتح العين وكسرهما) . وأنشدني بعضهم « كأن بقايا الأثر . . . البيت » . ينشدونه مذب (لعله بفتح الدال) وهو أكثر من مذب .

ويقال : جاء على مذب السيل ومذب السيل ؛ وما في قميصه مصح ولا مصح . اهـ . والأثر ، بفتح الهزرة وكسرهما وبضمين) على فعل

هو واحد ليس بجمع : فرند السيف ورونقه . والجمع : أثور (اللسان : أثر) . اهـ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا إبراهيم بن طريف ، قال : سمعت مُطَرِّفَ بن الشَّخِير يَقْرَأُ (لَا أُقْسِمُ بِبَيْتِهِمِ الْقِيَامَةِ) فلما أتى على (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : هو الجبل ، إن الناس إذا فروا قالوا عليك بالوَزَر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن أدهم ، قال : سمعت مُطَرِّفًا يقول : (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : كلا لا جبيل .

حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي ، قال : ثنا أبي ، عن خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : لا جبيل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : كانت العرب تخيف بعضها بعضا ، قال : كان الرجلان يكونان في ماشيتهما ، فلا يشعران بشيء حتى تأتيهما الخيل ، فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان الوَزَر الوَزَر ، الجبيل الجبيل .

حدثني أبو حفص الخيري ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا أبو مودود ، عن الحسن ، في قوله (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : لا جبيل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي مودود ، قال : سمعت الحسن فذكر نحوه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا وَزَرَ) لا ملجأ ولا جبيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَلَّا لَا وَزَرَ) لا جبيل ولا حيرز ولا منجى قال الحسن : كانت العرب في الجاهلية إذا خشوا عدوا قالوا : عليكم الوزر : أي عليكم الجبيل .

حدثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان عن سليمان التيمي ، عن شبيب ، عن أبي قلابة في قوله (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : لا حصن .

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن شبيب ، عن أبي قلابة بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن شبيب ، عن أبي قلابة بمثله . قال ١ : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا مسلم بن طهمان ، عن قتادة ، في قوله (لَا وَزَرَ) يقول : لا حصن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَا وَزَرَ) قال : لا جبيل . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن مولى الحسن ، عن سعيد بن جبير (لَا وَزَرَ) : لا حصن .

قال : ثنا وكيع ، عن أبي حجير ، عن الضحاك ، لا حصن .

(١) لعله قد أسقط صدر السند من هذا الحديث ، لأنه كالتلوي قبله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : (كَلَّا لَا وَزَرَ) يعني : الجبل بلغة حمير .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَلَّا لَا وَزَرَ) قال : لا مُتَغَيَّبٌ يُتَغَيَّبُ فيه من ذلك الأمر ، لا منجى له منه .

وقوله (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) يقول تعالى ذكره : إلى ربك أيها الإنسان يومئذ الاستقرار ، وهو الذي يقرّ جميع خلقه مقرّهم .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) قال : استقرّ أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار . وقرأ قول الله (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

وقال آخرون : عني بذلك إلى ربك المنتهى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) : أي المنتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۚ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ ۚ

** يقول تعالى ذكره : يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يومئذ ، يعني يوم يجتمع الشمس والقمر فيكوران بما قدّم وأخّر . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : بما قدّم من عمل خير ، أو شرّ أمامه ، مما عمله في الدنيا قبل مماته ، وما أخّر بعد مماته من سيئة وحسنة ، أو سيئة يعمل بها من بعده .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) يقول : ما عمل قبل موته ، وما سنّ فعُمِلَ به بعد موته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن زياد بن أبي مريم عن ابن مسعود قال (بِمَا قَدَّمَ) من عمله (وَأَخَّرَ) من سنة عمل بها من بعده من خير أو شرّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يُنَبِّأُ الإنسان بما قدم من المعصية ، وأخر من الطاعة .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُنَبِّأُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) يقول : بما قدم من المعصية ، وأخر من الطاعة ، فينبأ بذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ينبأ بأول عمله وآخره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور عن مجاهد (يُنَبِّأُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) قال : بأول عمله وآخره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (بِمَا قَدَّمَ) من طاعة (وَأَخَّرَ) من حقوق الله التي ضيعها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُنَبِّأُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ) من طاعة الله (وَأَخَّرَ) مما ضيع من حق الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) قال : بما قدم من طاعته ، وأخر من حقوق الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بما قدم من خير أو شر مما عمله ، وما أخر مما ترك عمله من طاعة الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني بونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يُنَبِّأُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) قال : ما أخر ما ترك من العمل لم يعمل به ، ما ترك من طاعة الله لم يعمل به ، وما قدم : ما عمل من خير أو شر .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبأ بكل ما قدم أمامه مما عمل من خير أو شر في حياته ، وأخر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قدم وأخر ، كذلك ما قدم من عمل عمله من خير أو شر ، وأخر بعده من عمل كان عليه فضيعة ، فلم يعمل مما قدم وأخر ، ولم يخص الله من ذلك بعضاً دون بعض ، فكل ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة .

وقوله (بَلِ الإنسانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ) يقول تعالى ذكره : بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله ، ويشهدون عليه به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) يقول : سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه ، والبصيرة على هذا التأويل ما ذكره ابن عباس من جوارح ابن آدم وهي مرفوعة بقوله (عَلَى نَفْسِهِ) ، والإنسان مرفوع بالعائد من ذكره في قوله : نفسه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل الإنسان شاهد على نفسه وحده ، ومن قال هذا القول جعل البصيرة خبراً للإنسان ، ورفع الإنسان بها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) يقول : الإنسان شاهد على نفسه وحده .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) قال : شاهد عاينها بعملها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) إذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم ، غافلا عن ذنوبه ، قال : وكان يقال : إن في الإنجيل مكتوبا : يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك ، ولا تبصر الخدع المعترض في عينك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) قال : هو شاهد على نفسه ، وقرأ (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) ومن قال هذه المقالة يقول : أدخلت الهاء في قوله (بَصِيرَةٌ) وهي خبر للإنسان ، كما يقال للرجل : أنت حجة على نفسك ، وهذا قول بعض نحوي البصرة . وكان بعضهم يقول : أدخلت هذه الهاء في بصيرة وهي صفة للذكر ، كما أدخلت في رواية وعلامة .

وقوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) اختلف أهل الرواية في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : بل للإنسان على نفسه شهود من نفسه ، ولو اعتذر بالقول مما قد أتى من المآثم ، وركب من المعاصي ، وجادل الباطل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) يعني الاعتذار ، ألم تسمع أنه قال (لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ) ، وقال الله : « وَالْقُرْآنُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّامِعِ » ، ما كنا نعمل من سوء ^١ وقولهم (وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) .

(١) في سورة النحل « فَأَلْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا » الخ . وفي آية أخرى منها « وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ » . . . الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (بَلِّ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ) قال : شاهد على نفسه ولو اعتذر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) ولو جادل عنها ، فهو بصيرة عليها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عمران بن حدير ، قال : سألت عكرمة ، عن قتله (بَلِّ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) قال : فسكت ، فقلت له : إن الحسن يقول : ابن آدم عمك أولى بك ، قال : صدق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) قال معاذيرهم التي يعتذرون بها يوم القيامة فلا ينتفعون بها ، قال : «يوم لا يؤذن لهم فيعتذرون» ويوم يؤذن لهم فيعتذرون فلا تنفعهم ، ويعتذرون بالكذب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل للإنسان على نفسه من نفسه بصيرة ولو تجرد .

ذكر من قال ذلك

حدثني نصر بن علي الجهضمي ، قال : ثنا أبي ، عن خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) قال : لو تجرد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا رواد ، عن أبي حمزة ، عن السدي ، في قوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) ولو أرخى الستور ، وأغلق الأبواب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) لم تقبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا أبي ، عن خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن الحسن (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) لم تقبل معاذيره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) قال :

ولو اعتذر .

❖ وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : معناه : ولو اعتذر لأن ذلك أشبه المعاني بظاهر

التنزيل ، وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن الإنسان أن عليه شاهداً من نفسه بقوله (بَلِّ الْإِنْسَانُ عَلَى

نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ) فكان الذي هو أولى أن يتبع ذلك ، ولو جادل عنها بالباطل ، واعتذر بغير الحق ،

فشهادة نفسه عليه به أحق وأولى من اعتذاره بالباطل .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَلَّ بِهٖ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَّعَ قُرْءَانُهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝

* يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تحرك يا محمد بالقرآن لسانك لتعجل به . واختلاف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل له (لا تحرك به لسانك لتعجل به) فقال بعضهم : قيل له ذلك ، لأنه كان إذا نزل عليه منه شيء عجل به ، يريد حفظه من حبه إياه ، فقيل له : لا تعجل به فإننا سنحفظه عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجل يريد حفظه ، فقال الله تعالى ذكره : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ، إن علينا جمعه وقرآنه) وقال ابن عباس : هكذا وحرك شفثيه . حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري ويونس قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجل به يريد حفظه ، وقال يونس : يحرك شفثيه ليحفظه فأنزل الله : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ، إن علينا جمعه وقرآنه .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي عائشة ، سمع سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله ، وقال (لا تحرك به لسانك) قال : هكذا ، وحرك سفيان فاه .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالوحي ، كان يحرك به لسانه وشفثيه ، فيشتد عليه ، فكان يعرف ذلك فيه ، فأنزل الله هذه الآية في « لأقسم بيوم القيامة » (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ، إن علينا جمعه وقرآنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن ، حرك شفثيه ، فيعرف بذلك ، فحاكاه سعيد ، فقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال : لتعجل بأخذه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) . قال : كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن ، فيحرك به لسانه ، يستعجل به ، فقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ربيع بن علي ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي في هذه الآية (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال : كان إذا نزل عليه الوحي عجل يتكلم به من حبه إياه ، فنزل (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ، إن علينا جمعه وقرآنه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ) قال : لا تكلم بالذي أوحينا إليك حتى يقضى إليك وحيه ، فإذا قضينا إليك وحيه ، فتكلم به .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ) قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي من القرآن حرّك به لسانه مخافة أن ينساه .

وقال آخرون : بل السبب الذي من أجله قيل له ذلك ، أنه كان يكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه ، فقيل له : (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ) إن علينا أن نجتمع لك ، ونقرئك فلا تنسى .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ) قال : كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه ، فقال الله (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ) إن علينا أن نجتمع لك ، (وقرآنه) : أن نقرئك فلا تنسى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ) قال : كان يستذكر القرآن مخافة النسيان ، فقال له : كفيناك يا محمد .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك به لسانه ليستذكره ، فقال الله : (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ) إنا سنحفظه عليك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ) كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يحرك به لسانه مخافة النسيان ، فأنزل الله ما تسمع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ، فيكثر مخافة أن ينسى .

❖ وأشبه القولين بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، القول الذي ذكر عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، وذلك أن قوله (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) يذنب أنه إنما نسي عن تحريك اللسان به متعجلا فيه قبل جمعه ، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبي صلى الله عليه وسلم من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك .

وقوله (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) يقول تعالى ذكره : إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبت فيه (وَقُرْآنَهُ) يقول : وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعه في صدرك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ**) قال : في صدرك (**وَقُرْآنَهُ**) قال : تقرأه بعد .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**) أن نجمعه لك ، وقرآنه : أن نقرأك فلا تنسى .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**) يقول : إن علينا أن نجمعه لك حتى نثبتته في قلبك .
وكان آخرون يتأولون قوله (**وَقُرْآنَهُ**) وتأليفه . وكان معنى الكلام عندهم : إن علينا جمعه في قلبك حتى تحفظه ، وتأليفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**) يقول حفظه وتأليفه .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (**جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**) قال : حفظه وتأليفه . وكان قتادة وجهه معنى القرآن إلى أنه مصدر من قول القائل : قد قرأت هذه الناقة في بطنها جنينا ، إذا ضمت رحمها على ولد ، كما قال عمرو بن كلثوم :
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بَيْكُرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا
يعني بقوله : « لم تقرأ » : لم تضم رحما على ولد . وأما ابن عباس والضحاک فإنما وجهها ذلك إلى أنه مصدر من قول القائل : قرأت أقرأ قرآنا وقراءة .
وقوله (**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**) اختلاف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : تأويله : فإذا أنزلناه إليك فاستمع قرآنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور وابن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ**) : فإذا أنزلناه إليك (**فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**) قال : فاستمع قرآنه .

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة (انظروا في شرحي الزوزني والتبريزي على المعلقات) وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) « فإذا قرأناه » : جننا ، وهو من قول العرب : ما قرأت هذه المرأة نسلا قط ؛ قال عمرو بن كلثوم : « لم تقرأ جنينا » . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٥٠) « إن علينا جمعه وقرآنه » : جمعه في قلبك ، وقرآنه : قراءته . أي أن جبريل سيعيد عليك . وقوله : « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » : إذا قرأه عليك جبريل . والقراءة والقرآن : مصدران ، كما تقول : راجع بين الرجحان والرجوح ، والمعرفة والعرفان ، والطواف والظوفان (بتحريك الطاء والواو) . اهـ . وفي شرح الزوزني : الميطل : الطويلة العنق من النوق . والأدماء : البيضاء منها والأدمة : البيضاء في الإبل . والبكر : الناقة التي حلت بطنها واحدا ، ويروى بفتح الباء ، وهو الفتي من الإبل ، وكسر الباء أعلى الروايتين . والمجان الأبيض الخالص البياض . يستوى فيه الواحد والثنية والجمع ، وينعت به الإبل والرجال وغيرهما . ولم تقرأ جنينا : أي لم تضم في رحمها ولدا . اهـ .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) : فإذا أنزلناه إليك فاستمع له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا تلى عليك فاتبع ما فيه من الشرائع والأحكام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : إذا تلى عليك فاتبع ما فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : اتبع حلاله ، واجتنب حرامه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : فاتبع حلاله ، واجتنب حرامه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : اتبع ما فيه .

وقال آخرون : بل معناه : فإذا بينا فاعمل به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) يقول : اعمل به .

❦ وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : فإذا تلى عليك فاعمل به من الأمر والنهي ، واتبع ما أمرت به فيه ، لأنه قيل له (إن علينا جمعه) في صدرك (وقرآنه) ودلنا على أن معنى قوله (وقرآنه) : وقراءته ، فقد بين ذلك عن معنى قوله (فإذا قرأناه فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) يقول تعالى ذكره : ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَ مَا فِيهِ مِنْ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَأَحْكَامِهِ لَكَ مَفْصَلَةٌ .

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) يقول : حلاله وحرامه ، فذلك بيانه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) بيان حلاله ، واجتناب حرامه ، ومعصيته وطاعته .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا تَبْيَانَهُ بِلسانك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (^{٢١} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) قال : تبيينه بإسانك .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ^(٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ^(٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ^(٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ ^(٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ^(٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ^(٢٥)

❦ يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة . ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم ، ولا تجازون بأعمالكم ، لكن الذي دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة ، وإيثاركم شهواتها على آجل الآخرة ونعيمها ، فأنتم تؤمنون بالعاجلة ، وتكذبون بالآجلة . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) اختار أكثر الناس العاجلة ، إلا من رحم الله وعصم .

وقوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ) يقول تعالى ذكره : وجوه يومئذ ، يعنى يوم القيامة ناصرة : يقول حسنة جميلة من النعيم ؛ يقال من ذلك : نَصُرَ وجه فلان : إذا حَسُنَ من النعمة ، ونَصَرَ الله وجهه : إذا حَسَنَهُ كذلك .

واختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم بالذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن إسماعيل البخاري ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا المبارك ، عن الحسن (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ) قال : حسنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ) قال : نَصْرَةُ الوجوه : حُسْنُهَا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ) قال : الناصرة : الناعمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ) قال : الوجوه الحسنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ) قال : من السرور والنعيم والغبطة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنها مسرورة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) قال : مسرورة (إلى ربها ناظرة) .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنها تنظر إلى ربها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، وإبراهيم بن سعيد الجوهري قالا : ثنا علي بن الحسن بن شقيق ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) إلى ربها ناظرة (قال : تنظر إلى ربها نظرا .

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي يقول : أخبرني الحسين بن واقد في قوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) من النعيم (إلى ربها ناظرة) قال : أخبرني يزيد النحوي ، عن عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد ، وأشياخ من أهل الكوفة ، قال : تنظر إلى ربها نظرا .

حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا المبارك ، عن الحسن ، في قوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) قال : حسنة (إلى ربها ناظرة) قال : تنظر إلى الخالق ، وحق لها أن تنصروهي تنظر إلى الخالق .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عرفة ، عن عطية العوفي ، في قوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) إلى ربها ناظرة (قال : هم ينظرون إلى الله لا يحيط أبصارهم به من عظمتهم ، وبصره محيط بهم ، فذلك قوله (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنها تنتظر الثواب من ربها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن منصور ، عن مجاهد (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) إلى ربها ناظرة (قال : تنتظر منه الثواب .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال : تنتظر الثواب من ربها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال : تنتظر الثواب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال : تنتظر الثواب من ربها ، لا يراه من خلقه شيء .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) قال : نضرة من النعيم (إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) قال : تنتظر رزقه وفضله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان أناس يقولون في حديث ، « فيرون ربهم » فقلت لمجاهد : إن ناسا يقولون إنه يرى ، قال : يرى ولا يراه شيء .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) قال : تنتظر من ربها ما أمرها . حدثني أبو الخطاب الحساني ، قال : ثنا مالك ، عن سفيان ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) ، إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) قال : تنتظر الثواب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى ملكه وسرره وخدمه مسيرة ألف سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أرفع أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجه الله بكرة وعشية » .

قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أشجع ، عن أبي الصهباء الموصلي ، قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة ، من يرى سرره وخدمه وملكه في مسيرة ألف سنة ، فيرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أفضلهم منزلة ، من ينظر إلى وجه الله خدوة وعشية » .

❖ وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة ، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثني علي بن الحسين بن أبيجر ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا إسرائيل بن يونس ، عن ثوير ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة ، لمن ينظر في ملكه ألفي سنة ؛ وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله كل يوم مرتين ؛ قال : ثم تلا (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) . إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) قال : بالبياض والصفاء ، قال : (إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) قال : تنظر كل يوم في وجه الله عز وجل » .

وقوله (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) يقول تعالى ذكره : ووجوه يومئذ متغيرة الألوان ، مسودة كالحلّة ، يقال : بسرت وجهه أبسره بسراً : إذا فعلت ذلك ، وبسر وجهه فهو باسر بين البسور . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَاسِرَةٌ) قال : كاشرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) : أي كالحة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بَاسِرَةٌ) قال : عابسة . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بَاسِرَةٌ) قال : عابسة .

وقوله (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) يقول تعالى ذكره: تعلم أنه يفعل بها داهية، والفاقرة: الداهية وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) قال: داهية. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) أي شر. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) قال: تظن أنها ستدخل النار، قال: تلك الفاقة، وأصل الفاقة: الوسم الذي يفقر به على الأنف

القول في تأويل قوله تعالى

كَلَّا إِذَا بَلَغَ الْتِرَاقِي ۖ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۖ وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۖ إِلَىٰ رَيْكٍ ۖ يَوْمَئِذٍ السَّاقُ ۖ

* يقول تعالى ذكره: ليس الأمر كما يظن هؤلاء المشركون من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربهم بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها. وقال ابن زيد في قول الله: (كَلَّا إِذَا بَلَغَ الْتِرَاقِي) قال: التراقي: نغمه. حدثني بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) يقول تعالى ذكره: وقال أهله: من ذا يرقه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئا.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (مَنْ رَاقٍ) فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام، قالا: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال: هل من راق يرق. حدثنا أبو كريب وأبو هشام، قالا: ثنا وكيع، عن سفيان، عن سليمان التيمي، عن شبيب، عن أبي قلابة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال: هل من طبيب شاف. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران عن سفيان، عن سليمان التيمي، عن شبيب، عن أبي قلابة، مثله. حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن أبي بسطام، عن الضحاك بن مزاحم في قول الله تعالى ذكره: (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال: هو الطبيب. حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن جويهر، عن الضحاك في (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال: هل من مداو.

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) : أي التمسوا له الأطباء فلم يُخَفُّوا عنه من قضاء الله شيئا .

حدثنا يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن يزيد في قوله (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : أين الأطباء، والرقاة : من يرقيه من الموت .

وقال آخرون : بل هذا من قول الملائكة بعضهم لبعض، يقول بعضهم لبعض : من يرقى بنفسه فيصعد بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام، قال : ثنا معاذ بن هشام، قال : ثنى أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : إذا بلغت نفسه يرقى ربه، قالت الملائكة : من يصعد بها، ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا المعتمر، عن أبيه، في قوله (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : بلغني عن أبي قلابة قال : هل من طبيب ؟ قال : وبلغني عن أبي الجوزاء أنه قال : قالت الملائكة بعضهم لبعض : من يرقى : ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب ؟

وقوله (وَوَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ) يقول تعالى ذكره : وأيقن الذي قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال والولد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَوَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ) : أي استيقن أنه الفراق .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله (وَوَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ) قال : ليس أحد من خلق الله يدفع الموت، ولا ينكره، ولكن لا يدري يموت من ذلك المرض أو من غيره ؟ فالظن كما هاهنا هذا .

وقوله (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم : معنى ذلك : والتفت شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال : ثنا معاذ بن هشام، قال : ثنى أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : الدنيا بالآخرة شدة .

حدثني علي، قال : ثنا أبو صالح، قال : ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَالْتَفَتِ

السَّاقُ بالسَّاقِ) يقول : آخر يوم من الدنيا ، وأول يوم من الآخرة ، فتلتقي الشدة بالشدة ، إلا من رحم الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) يقول : والتفت الدنيا بالآخرة ، وذلك ساق الدنيا والآخرة ، ألم تسمع أنه يقول : (إلى ربك يومئذ المساق) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : التف أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : آخر يوم من الدنيا ، وأول يوم من الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : قال الحسن : ساق الدنيا بالآخرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن مجاهد ، قال : هو أمر الدنيا والآخرة عند الموت .

حدثني علي بن الحسين ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبي سنان الشيباني ، عن ثابت ، عن الضحاك في قوله (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : أهل الدنيا يجهزون الجسد ، وأهل الآخرة يجهزون الروح .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، مثله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك ، قال : اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : ساق الدنيا بساق الآخرة . حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، مثله ؛ وزاد : ويقال : التفافهما عند الموت .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية قال : الدنيا والآخرة .

قال : ثنا ابن يمان ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، قال : أمر الدنيا بأمر الآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : أمر الدنيا بأمر الآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْتَفَتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : الشدة بالشدة ، ساق الدنيا بساق الآخرة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سألت إسماعيل بن أبي خالد ، فقال : عمل الدنيا بعمل الآخرة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : هما الدنيا والآخرة .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالتَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ)
قال العلماء يقولون فيه قولين : منهم من يقول : ساق الآخرة بساق الدنيا . وقال آخرون : قل ميت يموت
إلا التفت إحدى ساقيه بالأخرى . قال ابن زيد : غير أننا لانشك أنها ساق الآخرة ، وقرأ (إلى ربك
يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) قال : لما التفت الآخرة بالدنيا ، كان المساق إلى الله ، قال : وهو أكثر قول من
يقول ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : التفت ساقا الميت إذا لفتا في الكفن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا بشير بن المهاجر ، عن الحسن ، في قوله (وَالتَّفَتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال : لفهما في الكفن .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع وابن اليمان ، عن بشير بن المهاجر ، عن الحسن ، قال : هما ساقاك
إذا لفتا في الكفن .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع عن بشير بن المهاجر ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : التفاف ساق الميت عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر (وَالتَّفَتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ) قال : ساقا الميت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب وعبد الأعلى ، قالوا : ثنا داود ، عن عامر ، قال : التفت
ساقاه عند الموت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، مثله .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، بنحوه .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالوا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حصين عن أبي مالك (وَالتَّفَتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ) قال : عند الموت .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : التفت
ساقاك عند الموت .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَالتَّفَتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ) : لفهما أمر الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر قال : قال الحسن : ساقا ابن آدم عند الموت .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي مالك (وَالتَّفَتِ السَّاقُ)
حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبه ، عن قتادة (وَالتَّفَتِ السَّاقُ)
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالتَّفَتِ السَّاقُ) : ماتت رجلاه
فلا يحملانه إلى شيء ، فقد كان عليهما جوارا .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك (وَالتَّفَتِ السَّاقُ)
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالتَّفَتِ السَّاقُ) : ماتت رجلاه

وقال آخرون : عُنِيَ بذلك يبسهما عند الموت :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك (وَالتَّفَتِ السَّاقُ)
حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، مثله .
وقال آخرون : معنى ذلك : والتفت أمر بأمر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا : ثنا وكيع ، قال : ثنا ابن أبي خالدة ، عن أبي عيسى (وَالتَّفَتِ السَّاقُ)
وقال آخرون : بل عني بذلك : والتفت بلاء بلاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، قال : بلاء بلاء .
* وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال : معنى ذلك : والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة ،
وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلاع ، والذي يدل على أن ذلك تأويله ، قوله (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)
والعرب تقول لكل أمر اشتد : قد شمر عن ساقه ، وكشف عن ساقه ؛ ومنه قول الشاعر :
إِذَا شَمَّرْتَ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَبَرْنَهَا رَبِّيَعُ وَلَا تَسْأَمُ

(۱) لم أقف على قائل البيت ، وقد جاءت فيه كلمة « فرنها » هكذا في المخطوطة والمطبوعة ، ولم نهتد إلى تصويبها . وقد أنشده المؤلف عند تفسير قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق » . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (۱۸۳) « والتفت الساق بالساق » مثل : شمرت عن ساقها . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن (۲۵۰) : أثناء أول شدة أمر الآخرة ، وأشد آخر أمر الدنيا . ويقال : التفت ساقاه كما يقال للمرأة إذا التصقت فخذاهما : لفاء .

عنى بقوله (التَّتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) : التصقت إحدى الشدتين بالأخرى ، كما يقال للمرأة إذا التصقت إحدى فخذيهما بالأخرى : لفء .

وقوله (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) يقول : إلى ربك يا محمد يوم التفاف الساق بالساق مساقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ۖ وَلَٰكِنْ كَذَّبَ ۖ وَتَوَلَّىٰ ۖ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَسِّطِي ۖ ۞ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ ۖ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ ۖ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۖ ۞

* يقول تعالى ذكره : فلم يصدق بكتاب الله ، ولم يصل له صلاة ، ولكنه كذب بكتاب الله ، وتولى * فأدبر عن طاعة الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى) لا صدق بكتاب الله ، ولا صلى الله ، (وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) كذب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله .
وقوله (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَسِّطِي) يقول تعالى ذكره : ثم مضى إلى أهله منصرفا إليهم ، يتبختر فى مشيته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَسِّطِي) : أى يتبختر .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن ميسرة بن عبيد ، عن زيد بن أسلم ، فى قوله (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَسِّطِي) قال : يتبختر ، قال : هى مشية بنى مخزوم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن إسماعيل بن أمية ، عن مجاهد (ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَسِّطِي) قال : رأى رجلا من قريش يمشى ، فقال : هكذا كان يمشى كما يمشى هذا ، كان يتبختر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَمْتَسِّطِي) قال : يتبختر وهو أبو جهل بن هشام ، كانت مشيته .

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى أبى جهل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَتَمَطَّى) قال أبو جهل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) قال : هذا في أبي جهل متبخرا .

ولما عني بقوله (يَتَمَطَّى) يلوى مطاه تبخرا ، والمطا : هو الظهر ، ومنه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاءَ » وذلك أن يلقى الرجل بيديه ويتكفأ .

وقوله (أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى . ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) هذا وعيد من الله على وعيد لأبي جهل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى . ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) وعيد على وعيد ، كما تسمعون ، زعم أن هذا أنزل في عدو الله أبي جهل : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمجامع ثيابه فقال : (أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى . ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) فقال عدو الله أبو جهل : أيوعدني محمد ، والله ما تستطيع لي أنت ولا ربك شيئا ، والله لأنا أعز من مشي بين جبليها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده ، يعني بيد أبي جهل ، فقال : (أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى . ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) فقال : يا محمد ما تستطيع أنت وربك في شيئا ، إني لأعز من مشي بين جبليها ؛ فلما كان يوم بدر أشرف عليهم فقال : لا يعبد الله بعد هذا اليوم ، وضرب الله عنقه ، وقتله شر قتلة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى . ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) قال : قال أبو جهل : إن محمدا ليوعدني ، وأنا أعز أهل مكة والبطحاء ، وقرأ : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تَتَّخِذُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، قال : قلت لسعيد بن جبیر أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبيل نفسه ، أم أمر أمره الله به ؟ قال : بل قاله من قبيل نفسه ، ثم أنزل الله : (أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى . ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) .

وقوله (أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) يقول تعالى ذكره : أبظن هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك ههنا ، أن لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يتعبد بعبادة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله (أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) يقول : ههنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)
قال : لا يُؤمر ، ولا يُنهي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) قال السدي : الذي لا يفترض عليه عمل ولا يعمل .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّن مَّنِيَّيْكَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢٨﴾ فَجَعَلْ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٢٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٣٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ألم يك هذا المنكر قدرة الله على إحيائه من بعد مماته ، وإيجاده من بعد فناءه (نَظْفَةً)
يعنى : ماء قليلا في صلب الرجل من منى .

واختلفت القراء في قراءة قوله (يُمَسِّي) فقراء عامة قراء المدينة والكوفة (تُمَسِّي) بالتاء بمعنى : تسمى
النطفة ، وقرأ ذلك بعض قراء مكة والبصرة (يُمَسِّي) بالياء ، بمعنى : يمسى .

❖ والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فهو صيب .

وقوله (ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً) يقول تعالى ذكره : ثم كان دما من بعد ما كان نطفة ، ثم علقه ، ثم سواه
بشرا سويا ، ناطقا سميعا بصيرا (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) يقول تعالى ذكره : فجعل
من هذا الإنسان بعد ما سواه خلقا سويا أولاداً له ، ذكورا وإناثا (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَىٰ)
يقول تعالى ذكره : أليس الذي فعل ذلك فخلق هذا الإنسان من نطفة ، ثم علقه حتى صيره إنسانا
سويا ، له أولاد ذكور وإناث ، بقادر على أن يُخْجِيَ الموتى من مماتهم ، فوجودهم كما كانوا من قبل مماتهم .
يقول : معلوم أن الذي قدّر على خالق الإنسان من نطفة من منى يمسى ، حتى صيره بشرا سويا ، لا يستعجزه
إحياء ميت من بعد مماته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ذلك قال : بلى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَىٰ)
ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال : سبحانك وبلى .

آخر تفسير سورة القيامة .

(٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَدَنِيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا الْإِنْسَانُ يَتْلُو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝

** يعنى جل ثناؤه بقوله (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ) قد أتى على الإنسان ، وهل فى هذا الموضع خبر لاجمحد ، وذلك كقول القائل لآخر يقرره ؛ هل أكرمتك؟ وقد أكرمه ؛ أو هل زرتك؟ وقد زاره ، وقد تكون جمحدا فى غير هذا الموضع ، وذلك كقول القائل لآخر : هل يفعل مثل هذا أحد؟ بمعنى : أنه لا يفعل ذلك أحد . والإنسان الذى قال جل ثناؤه فى هذا الموضع (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) : هو آدم صلى الله عليه وسلم كذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ) آدم أتى عليه (حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) إنما خالق الإنسان هاهنا حديثا ، ما يعلم من خلقه الله كانت بعد الإنسان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) قال : كان آدم صلى الله عليه وسلم آخر ما خلق من الخلق . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) قال : آدم .

وقوله (حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) اختلاف أهل التأويل فى قدر هذا الحين الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو أربعون سنة ؛ وقالوا : مكثت طينة آدم مصورة لا تنفخ فيها الروح أربعين عاما ، فذلك قدر الحين الذى ذكره الله فى هذا الموضع ؛ قالوا : ولذلك قيل : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) لأنه أتى عليه وهو جسم مصور لم تنفخ فيه الروح أربعين عاما ، فكان شيئا ، غير أنه لم يكن شيئا مذكورا ؛ قالوا : ومعنى قوله (لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) : لم يكن شيئا له نباهة ولا رفعة ، ولا شرف ، إنما كان طينا لازبا وحما مسنونا .

وقال آخرون : لاحد للحين فى هذا الموضع ، وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر ، وغير مفهوم فى الكلام أن يقال : أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد ، وقبل أن يكون شيئا ، وإذا أريد ذلك قيل : أتى حين قبل أن يُخلق ، ولم يقل أتى عليه . وأما الدهر فى هذا الموضع ، فلا حد له يوقف عليه .

وقوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتًا يَهِ) يقول تعالى ذكره : إنا خلقنا ذرية آدم من نطفة ، يعنى : من ماء الرجل وماء المرأة ، والنطفة : كل ماء قليل في وعاء كان ذلك ركية أو قرية ، أو غير ذلك ، كما قال عبد الله بن رواحة :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ ١

وقوله (أَمْشَاجٍ) يعنى : أخلاط ، واحدها : مشج ومشيج ، مثل خلدن وخدين ؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج :

يَطْرَحُنْ كُلَّ مُعْجَلٍ نَشَاجٍ لَمْ يُكْسَ جِلْدًا فِي دَمٍ أَمْشَاجٍ ٢

يقال منه : مشجت هذا بهذا : إذا خلطته به ، وهو ممشوج به ومشيج : أى مخلوط به ، كمال قال أبو ذؤيب كأنَّ الرِّيشَ والفُوقَيْنِ مِنْهُ خِلَالَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيجٌ ٣ واختلف أهل التأويل في معنى الأمشاج الذى عني بها في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرقاعى قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهاني ، عن عكرمة (أَمْشَاجٍ نَبْتًا يَهِ) قال : ماء الرجل وماء المرأة يمشج أحدهما بالآخر .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهاني ، عن عكرمة قال : ماء الرجل وماء المرأة يختلطان .

(١) البيت من مشطور الرجز لسيدنا عبد الله بن رواحة الأنصاري ، من أبيات قالها في غزوة مؤتة من أرض الشام (سيرة ابن هشام : طبعة الحلبي الأولى ٤ : ٢١) والنطفة : الماء القليل الصافي . والشنة السقاء البالي . ومعناه : فيوشك أن تهراق النطفة ، أو ينخرق السقاء ، ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده .

(٢) البيتان لرؤبة بن العجاج (ديوانه ٣٢) . وقبله : حتى مسيناهن بالإخداج « يقذفن كل معجل نشاج ، والنون : راجعة إلى التياق ومسیناهن ومعوناهن : أى أدخلنا أيدينا في حياتهن لإخراج الأجنة من بطونهن ، من كل ولد ذى صوت ، ولكنه لم يكس جلدًا بعد ، نخرجهن مع دم مختلط بغيره ، مما يتجمع في الرحم والمشيمة . قال في (اللسان : مشج) وفي التزويل العزيز : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج » : قال الفراء : الأمشاج : هى الأخلاط : ماء الرجل وماء المرأة ، والدم والعلقة ؛ ويقال للثىء من هذا إذا خلط : مشيج ، كقولك : خلط ، ومشوج : كقولك مخلوط ، مشجت بدم وذلك الدم دم الحيض . وقال أبو إسحاق (الزجاج) أمشاج : أخلاط من منى ودم . ثم ينقل من حال إلى حال . ويقال : نطفة أمشاج : ماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها . اهـ .

(٣) البيت في (اللسان : مشج) ونسبه ازهير بن حرام الهذلي ، وهو الملقب بالداخل . (وانظروا في شرح السكري لأشعار الهذليين طبعة لندن ٢٦٩) . ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن (١٨٣) إلى أبي ذؤيب ، وعنه نقل المؤلف . ونسب في الكامل للمبرد (طبعة الحلبي ٨٣٨) إلى الشماخ ، وليس بصحيح . أما رواية البيت فتختلف ألفاظها في المراجع ، وأجودها رواية الكامل ، (لسان العرب شرح) وهى :

كَأَنَّ الْمَسْتَنَ وَالشَّرْحَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيجٌ

قال المبرد : يريد سهما رمى به ، فأنفذ الرمية ، وقد اتصل به دمه . والمستن من السهم . وشرح كل شئ حده . فأراد شرحى الفوق وهما حرفاه . والمشيج : اختلاط الدم بالنطفة . هذا أصله . وفي (اللسان : شرح) : وشرح كل شئ : حرفة الناقه ، كالسهم ونحوه . وشرحا الفوق : حرفاه المشرفان اللذان يقع بينهما الوتر . اهـ .

قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا زكريا ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : ماء المرأة وماء الرجل يمشجان .
قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن السدي ، عن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : ماء
المرأة وماء الرجل يختلطان .

قال : ثنا عبد الله ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : إذا اجتمع ماء الرجل وماء
المرأة فهو أمشاج .

قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا المبارك ، عن الحسن ، قال : مُشَج ماء المرأة مع ماء الرجل .
قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : خلق الله الولد من ماء الرجل
وماء المرأة ، وقد قال الله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) .
قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، قال : خلق من تارات ماء
الرجل وماء المرأة .

وقال آخرون : إنما عُنِيَ بذلك : إنا خلقنا الإنسان من نطفة ألوان ينتقل إليها ، يكون نطفة ، ثم بصير
علقة ، ثم مضغة ، ثم عظما ، ثم كسى لحما .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ) الأمشاج : خلق من ألوان ، خاق من تراب ،
ثم من ماء الفرج والرحم ، وهى النطفة ، ثم علقه ، ثم مضغة ، ثم عظما ، ثم أنشأه خلقا آخر فهو ذلك .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى هذه الآية
(أمشاج) قال : نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغة ، ثم عظما .

حدثنا الرفاعى ، قال : ثنا وهب بن جرير ويعقوب الحضرمي ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ،
قال : نطفة ، ثم علقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ
أَمْشَاجٍ) أطوار الخاق ، وطورا نطفة ، وطورا علقه ، وطورا مضغة ، وطورا عظما ، ثم كسى الله العظام
لحما ، ثم أنشأه خلقا آخر ، أنبت له الشعر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أمشاجٍ نَبْتَلِيهِ) قال :
الأمشاج : اختلط الماء والدم ، ثم كان علقه ، ثم كان مضغة .
وقال آخرون : عُنِيَ بذلك اختلاف ألوان النطفة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (أمشاجٍ
نَبْتَلِيهِ) يقول : مختلفة الألوان .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : ألوان النطفة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أى الماءين سبق أشبه عليه أعمامه وأخواله . قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أمشاج نَبْتَلِيهِ) قال : ألوان النطفة ، نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، و نطفة المرأة حمراء وخضراء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . وقال آخرون : بل هي العروق التي تكون في النطفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا المسعودي ، عن عبد الله بن المخارق ، عن أبيه ، عن عبد الله ، قال : أمشاجها : عروقها .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا أسامة بن زيد ، عن أبيه ، قال : هي العروق التي تكون في النطفة .

** وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى ذلك (مِنْ نُطْفَةٍ أمشاج) نطفة الرجل ونطفة المرأة ، لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج ، وهي إذا انتقلت فصارت علقة ، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجا وهي علقة ؟ وأما الذين قالوا : إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سمراء على لون واحد ، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة ، وإذا كانت لونا واحدا لم تكن ألوانا مختلفة ، وأحسب أن الذين قالوا : هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إنما خلق الإنسان من الشيء القليل من النطفة . ألا ترى أن الولد إذا أسكت ترى له مثل الرير ؟ وإنما خلق ابن آدم من مثل ذلك من النطفة أمشاج نبتليه .

وقوله (نَبْتَلِيهِ) نختبره . وكان بعض أهل العربية يقول : المعنى : جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، فهي مقدمة معناها التأخير ، إنما المعنى خلقناه وجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، ولا وجه عندى لما قال يصح ، وذلك أن الابتلاء إنما هو بصحة الآلات وسلامة العقل من الآفات ، وإن عدم السمع والبصر ، وأما إخباره إيانا أنه جعل لنا أسماعا وأبصارا في هذه الآية ، فتذكير منه لنا بنعمه ، وتنبيه على موضع الشكر ؛ فأما الابتلاء فبالخلق مع صحة الفطرة ، وسلامة العقل من الآفة ، كما قال : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وقوله (فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : فجعلناه ذا سمع يسمع به ، وذا بصر يبصر به ، إنعاما من الله على عباده بذلك ، ورافة منه لهم ، وحجة له عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿١﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٢﴾

* * * يعنى جل ثناؤه بقوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) إنا بيدنا له طريق الجنة ، وعرفناه سبيله ، إن شكر ، أو كفر . وإذا وُجِّهَ الكلام إلى هذا المعنى ، كانت إما وإما في معنى الجزاء . وقد يجوز أن تكون إما وإما بمعنى واحد ، كما قال (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) فيكون قوله (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) حالا من الهاء التي في هديناه ، فيكون معنى الكلام إذا وُجِّهَ ذلك إلى هذا التأويل : إنا هديناه السبيل ، إما شقيا وإما سعيدا . وكان بعض نحوي البصرة يقول ذلك كما قال « إما العذاب وإما الساعة » كأنك لم تذكر إما ؛ قال : وإن شئت ابتدأت ما بعدها فرفعته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) قال : الشقوة والسعادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا لِلنَّعْمِ (وَإِمَّا كَفُورًا) . لها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مِن نُّطْفَةٍ أُمُشِجَ نَبْتَلِيهِ) . . . إلى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) قال : ننظر أى شئ يصنع ، أى الطريقين يسلك ، وأى الأمرين يأخذ ، قال : وهذا الاختبار .

وقوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا) يقول تعالى ذكره : إنا أعتدنا لمن كفر نعمتنا ونخالف أمرنا سلاسل يُسْتَوْتَقُّ بها منهم شدة في الجحيم (وأغلالا) يقول : وتشد بالأغلال فيها أيديهم إلى أعناقهم . وقوله (وَسَعِيرًا) يقول : ونارا تسعير عليهم فتوقد .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿١﴾ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٢﴾

* * * يقول تعالى ذكره : إن الذين برّوا بطاعتهم ربهم في أداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، يشربون من كأس ، وهو كل إناء كان فيه شراب (كَانَ مِزَاجُهَا) يقول : كان مزاج ما فيها من الشراب (كَافُورًا)

يعنى : فى طيب رائحتها كالكافور . وقد قيل : إن الكافور اسم لعين ماء فى الجنة ، فمن قال ذلك ، جعل نصب العين على الرد على الكافور ، تبياناً عنه ، ومن جعل الكافور صفة للشراب نصبها ، أعنى العين عن الحال ، وجعل خبر كان قوله (كافوراً) ، وقد يجوز نصب العين من وجه ثالث ، وهو نصبها بإعمال يشربون فيها فيكون معنى الكلام : إن الأبرار يشربون عينا يشرب بها عباد الله ، من كأس كان مزاجها كافوراً . وقد يجوز أيضاً نصبها على المدح ، فأما عامة أهل التأويل فإنهم قالوا : الكافور صفة للشراب على ما ذكرت . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِزَاجُهَا كَافُورًا) قال : تمزج . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) قال : قوم تمزج لهم بالكافور ، وتخم لهم بالمسك .

وقوله (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : كان مزاج الكأس التى يشرب بها هؤلاء الأبرار كالكافور فى طيب رائحتها من عين يشرب بها عباد الله الذين يدخلهم الجنة ، والعين على هذا التأويل نصب على الحال من الهاء التى فى « مزاجها » ويعنى بقوله (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) يَرَوَى بِهَا وَيُنْتَقِعُ . وقيل : يشرب بها ويشربها بمعنى واحد . وذكر الفراء أن بعضهم أنشده :

شَرِبْنِ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجُ خُضْرِ لَهْنٍ نَتِيجُ

وعنى بقوله : « متى بلج » من ، ومثله : إنه يتكلم بكلام حسن ، ويتكلم كلاماً حسناً .

وقوله (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يقول تعالى ذكره : يفجرون تلك العين التى يشربون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيراً ، ويعنى بالتفجير : الإسالة والإجراء . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن

(١) البيت : من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥١) قال : وقوله « يشرب بها » ويشربها سواء فى المعنى . وكأنه يشرب بها : يروى بها وينتفع . وأما يشربونها فبين . وقد أنشدني بعضهم : « شرِبْنِ بِمَاءِ » ومثله : إنه ليتكلم بكلام حسن ، ويتكلم كلاماً حسناً . وفى خزائن الأدب للبغدادى ٣ : ١٩٣ - ١٩٥) استشهد به على أن (متى) عند هذيل حرف جر ؛ بمعنى « من » أو « فى » : أو اسم بمعنى « وسط » والباء فى قوله « بماء البحر » قيل على بابها ، وشرِبْنِ مضمّن معنى « روين » . وقيل هى للتبويض . وقيل زائدة : كقول الفراء ، قال ابن جنى فى سر الصناعة : الباء فيه زائدة ، إنما معناه : شرِبْنِ ماء البحر . هذا هو الظاهر من الحال . والمدول عنه تصف . اد . قلت : هذه هى الرواية المشهورة فى كتب اللغويين والنحاة . وفى شعر أبي ذؤيب (ديوان الهذليين ١ : ٥١) :

سَقَى أُمَّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرٍ لَيْلَةً حَنَاتِمُ سُودٌ مَاؤُهُنَّ تَجِيحُ
تَرَوَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ عَسَلَى حَبَشِيَّاتٍ لَهْنٌ نَتِيجُ

شبه السحاب الأسود بالحناتم ، ويقال للسحاب إذا كان ريان : « أسود كأنه الحنتم » . يقول : إن تلك الحناتم وهى الجرار ، قد تروت من ماء البحر ، ثم ارتفعت على سحاب سود لهن نتيج : أى مر سريع مع صوت .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : يعدّلونها حيث شاءوا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : يقودونها حيث شاءوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : مستقيد ماؤها لم يفجرونها حيث شاءوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : يصرفونها حيث شاءوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ الطَّامِعَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝

يقول تعالى ذكره : إن الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، برّوا بوفائهم لله بالنذور التي كانوا يندرونها في طاعة الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : إذا نذروا في حق الله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : كانوا يندرون طاعة الله من الصلاة والزكاة ، والحج والعمرة ، وما افترض عليهم ، فسماهم الله بذلك الأبرار ، فقال (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : بطاعة الله ، وبالصلاة ، وبالحج ، وبالعمرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : في غير معصية ، وفي الكلام محذوف اجتزى بدلالة الكلام عليه منه ، وهو كان ذلك . وذلك أن معنى الكلام : إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، كانوا يوفون بالنذر ، فترك ذكر كانوا لدلالة الكلام عليها ، والنذر : هو كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من فعل ؛ ومنه قول عنتره :

الشَّائِئُ نَمَى عِرْضِي وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمْ أَلْقَهُمَا دَمِي ۱

(۱) البيت لعنتره في معلقته المشهورة يهجو حصينا وهرما ابني ضمضم وقد ذكرهما في البيت قبله ، وهو :
ولقد خَشِيتُ بَأْنَ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةً عَلَى ابْنَتِي ضَمْضَمِ

وقوله (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) يقول تعالى ذكره : ويخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا الله من برّ في يوم كان شره مستطيرا ، ممتدا طويلا فاشيا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) استطاروا الله شرّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، وأما رجل يقول عليه نذر أن لا يصل رحما ، ولا يتصدق ، ولا يصنع خيرا ، فإنه لا ينبغي أن يكفر عنه ، ويأتى ذلك ، ومنه قولهم : استطار الصدع في الزجاجة واستطال : إذا امتد ، ولا يقال ذلك في الحائط ، ومنه قول الأعشى :
فَبَانَتْ وَقَدْ أَثَارَتْ فِي الْفُؤَا دِ صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرًا^١

يعنى : ممتدا فاشيا .

وقوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا) يقول تعالى ذكره : كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه ، وشهوتهم له .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) قال : وهم يشتهونه .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو العريان ، قال : سألت سامان بن قيس أبا مقاتل بن سليمان ، عن قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا) قال : على حبهم الطعام .
وقوله (مِسْكِينًا) يعنى جل ثناؤه بقوله مسكينا : ذوى الحاجة الذين قد أذلّتهم الحاجة ، (وَيَتِيمًا) : وهو الطفل الذى قد مات أبوه ولا شيء له (وَأَسِيرًا) : وهو الحرّ من أهل دار الحرب يؤخذ قهرا بالغلبة ، أو من أهل القبلة يؤخذ فيحبس بحق ، فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم هؤلاء تقرّبا بذلك إلى الله وطلب رضاه ، ورحمة منهم لهم .

واختلف أهل العلم في الأسير الذى ذكره الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) قال : لقد أمر الله بالأُسراء أن يحسن إليهم ، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك .

= يقول : اللذان يشتمان عرضي ولم أشتهما أنا ، والموجبان على أنفسهما سفك دمي إذا لم أرها . يريد أنهما يتوعدانه حال غيبته ، فأما في المحصور فلا يتجاسران عليه .

(١) البيت للأعشى (ديوانه ٩٣) والرواية فيه : « أوثرت » في موضع « أثارت » ويظهر أن رواية المؤلف محرفة عن « أسارت » بالسين ، لا بالشاء ، لأنه لا معنى للإثارة هنا . والصدع : الشق . والمستطير كما في اللسان : المنتشر . وفي مجاز القرآن عند قوله تعالى : « كان شره مستطيرا » : أى فاشيا . وفي معاني القرآن للفراء (٣٥١) « ويخافون يوما كان شره مستطيرا » ممتد البلاء ، والعرب تقول : استطار الصدع في القارورة وشبهها ، واستطال . اهـ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَسِيرًا) قال : كان أسراهم يومئذ المشرك ، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه .

قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبي عمرو أن عكرمة قال في قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) زعم أنه قال : كان الأسرى في ذلك الزمان المشرك :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا أشعث ، عن الحسن (وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) قال : ما كان أسراهم إلا المشركين .

وقال آخرون : عني بذلك : المسجون من أهل القبلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الأسير : المسجون .

حدثني أبو شيبه بن أبي شيبة ، قال : ثنا عمر بن حفص ، قال : ثنا أبي عن حماد ، قال : ثنا عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير في قول الله (مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) من أهل القبلة وغيرهم ، فسألت عطاء ، فقال مثل ذلك .

حدثني علي بن سهل الرملي ، قال : ثنا يحيى يعني ابن عيسى ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَسِيرًا) قال : الأسير : هو المحبوس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :
* والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير ، والأسير الذي قد وصفت صفته ، واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين ، وقد عم الخبر عنهم أنهم يطعمونهم فالخبر على عمومته حتى يخصه ما يجب التسليم له . وأما قول من قال : لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك ، فإن ذلك وإن كان كذلك ، فلم يخص بالخبر الموفون بالنذر يومئذ ، وإنما هو خبر من الله عن كل من كانت هذه صفته يومئذ وبعده إلى يوم القيامة ، وكذلك الأسير معنى به أسير المشركين والمسلمين يومئذ ، وبعد ذلك إلى قيام الساعة .

وقوله (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : يقولون : إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم لوجه الله ، يعنون طلب رضا الله ، والقربة إليه (لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) يقولون للذين يطعمونهم ذلك الطعام : لانريد منكم أيها الناس على إطعامناكم ثوابا ولا شكورا .

وفي قوله (وَلَا شُكُورًا) وجهان من المعنى : أحدهما أن يكون جمع الشكر كما الفلوس جمع فلس ، والكفور جمع كفور ، والآخر : أن يكون مصدرًا واحدًا في معنى جمع ، كما يقال : قعد قعودا ، وخرج خروجًا .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سالم ، عن مجاهد (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ

لِيُوجِبَهُ اللَّهُ لِأَنْ تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) قال : أما إنهم ما تكلموا به ، ولكن علمه الله من قلوبهم ، فأثني به عليهم ليرغب في ذلك راغب .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا وهب بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِيُوجِبَهُ اللَّهُ ، لِأَنْ تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) قال : أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علمه الله من قلوبهم ، فأثني عليهم ليرغب في ذلك راغب .
القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٨٣﴾ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١٨٤﴾

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم أنهم يقولون إن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة : ما نطعمكم طعاما نطالب منكم عوضا على إطعامناكم جزاء ولا شكورا ، ولكننا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد هولاه ، عظيم أمره ، تعيس فيه الوجوه من شدة مكارهه ، ويطول بلاء أهله ، ويشدت . والقَمْطَرِيرُ : هو الشديد ، يقال : هو يوم قمطرير ، أو يوم قماطر ، ويوم عصيب ، وعصيب ، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطارا ، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ، ومنه قول بعضهم :

بني عَمَّنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بِلَاءَنَا عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قُمْطَرِيرٌ
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة عن معناه ، فقال بعضهم : هو أن يعبس أحدهم ، فيقبض بين عينيه حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن سلام التميمي ، عن سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) قال : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران .
حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن هارون بن عثرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) قال : القمطرير : المُقْبَضُ بين عينيه .

(١) البيت في (اللسان : قمطر) ولم ينسبه . قال : ويوم مقمطر ، وقماطر ، وقمطرير : مقبض ما بين العينين لشدة . وقيل إذا كان شديدا غليظا ، قال الشاعر : وقماطر : بغم القاف ، واقمطريومنا : اشتد . وفي التذييل العزيز : إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا : جاء في التفسير أنه يعبس الوجه ، فيجمع ما بين العينين وهذا شائع في اللغة . اهـ . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١٨٣) العبوس ، والمقطر ، والقماطر ، والعصيب : أشد ما يكون من الأيام ، وأطولها في البلاء . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٥١) وقوله عبوسا قمطريرا : والقمطرير : الشديد . يقال : يوم قمطرير ، ويوم قماطر . أنشدني بعضهم : « بني عمنّا . . . البيت » . اهـ .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس ، عن قوله (قَمَطَرِيرًا) قال : يُقَبِّضُ ما بين العينين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن هارون بن عثرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطَرِيرًا) قال : يقبض ما بين العينين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطَرِيرًا) قال : يوم يقبض فيه الرجل ما بين عينيه ووجهه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطَرِيرًا) عبست فيه الوجوه ، وقبضت ما بين أعينها كراهية ذلك اليوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَمَطَرِيرًا) قال : تُقَبِّضُ فيه الجباه ، وقوم يقولون : القمطيرير : الشديد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن هارون بن عثرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : المقبض ما بين العينين .

قال : ثنا وكيع ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد ، قال : هو المقبض ما بين عينيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبي عمرو ، عن عكرمة ، قال : القمطيرير : ما يخرج من جباههم مثل القطران ، فيسيل على وجوههم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَمَطَرِيرًا) قال : يُقَبِّضُ الوجه بالبسور ، وقال آخرون : العبوس : الضيق ، والقمطيرير : الطويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (عَبَّوسًا) يقول : ضيقا . وقوله (قَمَطَرِيرًا) يقول : طويلا .

وقال آخرون : القمطيرير : الشديد .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطَرِيرًا) قال : العبوس : الشر ، والقَمَطَرِير : الشديد .

وقوله (فَتَوَقَّاهُمْ) الله شر ذلك اليوم ، وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) يقول جل ثناؤه : فدفع الله عنهم ما كانوا في الدنيا يحذرون من شر اليوم العبوس القمطيرير بما كانوا في الدنيا يعملون مما يرضى عنهم ربهم ، لقَّاهم نضرة في وجوههم ، وسرورا في قلوبهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) قال : نَضْرَةً في الوجوه ، وسُرُورًا في القلوب
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)
نضرة في وجوههم ، وسرورا في قلوبهم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)
قال : نعمة وسرورا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

* يقول تعالى ذكره : وأثابهم الله بما صبروا في الدنيا على طاعته ، والعمل بما يرضيه عنهم جنة وحريرا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا)
يقول : وجزاهم بما صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن معصيته ومحارمه ، جنة وحريرا .
وقوله (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) يقول : متكئين في الجنة على السُرر في الحجال ، وهي الأرائك
واحدها أريكة . وقد بينا ذلك بشواهد ، وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن إعادته ،
غير أننا نذكر في هذا الموضع من الرواية بعض ما لم نذكره إن شاء الله تعالى قبل .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) يعني : الحجال .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) كنا
نحدث أنها الحجال فيها الأسرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن مجاهد (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى
الْأَرَائِكِ) قال : السُرر في الحجال ، ونصب (مُتَّكِئِينَ) فيها على الحال من الهاء والميم .
وقوله (لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) يقول تعالى ذكره : لا يروُن فيها شمساً فيؤذيهم حرّها ،
ولا زمهريرا ، وهو البرد الشديد ، فيؤذيهم بردها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا زياد بن عبد الله الحسائي ، قال : ثنا مالك بن سعيبر ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : الزمهرير : البرد المفظع .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) يعلم أن شدة الحر تؤذي ، وشدة القر تؤذي ، فوقاهم الله أذاهما .
 حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي ، عن مرة بن عبد الله ، قال في الزمهرير : إنه لون من العذاب ، قال الله : (لا يَبْدُو قُوتٌ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا) .
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ رَبِّ أَكُلَ بَعْضِي بَعْضًا ، فَتَنَفَّسْنِي ، فَأَذِنَ لَهَا فِي كُلِّ عامٍ بِنَفْسَيْنِ ، فَأَشَدَّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ وَأَشَدَّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالٌ وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾

* يعنى تعالى ذكره بقوله (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالٌ) وقربت منهم ظلال أشجارها .
 ولنصب دانية أوجه : أحدها : العطف به على قوله (مُتَكَيِّئِينَ فِيهَا) . والثاني : العطف به على موضع قوله (لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا) لأن موضعه نصب ، وذلك أن معناه : متكئين فيها على الأرائك ، غير راثنين فيها شمساً . والثالث : نصبه على المدح ، كأنه قيل : متكئين فيها على الأرائك ، ودانية بعد عليهم ظلالها ، كما يقال : عند فلان جارية جميلة ، وشابة بعد طرية ، تضرع مع هذه الواو فعلا ناصبا للشابة ، إذا أريد به المدح ، ولم يرد به التذليل ، وأُنشئت دانية لأن الظلال جمع . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بالتذكير (وَدَانِيَا عَلَيْهِمْ ظِلَالٌ) وإنما ذكر لأنه فعل متقدم ، وهى في قراءة فيها باغنى (وَدَانٍ) رفع على الاستئناف .

وقوله (وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) يقول : وذلل لهم اجتناء ثمر شجرها ، كيف شاءوا فعودا وقياماً ومتكئين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) قال : إذا قام ارتفعت بقدره ، وإن قعد تدلّت حتى ينالها ، وإن اضطجع تدلّت حتى ينالها ، فذلك تذليلها .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) قال : لا يردُّ أبدانهم عنها بعد ولا شوك .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) قال : الدانية : التي قد دنت عليهم ثمارها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) قال : يتناولها كيف شاء جالساً ومتكئاً .

وقوله (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا) يقول تعالى ذكره : وَيُطَافُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ بِآيَةٍ مِنَ الْأَوَانِي الَّتِي يَشْرَبُونَ فِيهَا شَرَابُهُمْ ، هِيَ مِنْ فِضَّةٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ، فجمعها فضة ، وهي في صفاء القوارير ، فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج .
 وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا) يقول : آية من فضة ، وصفائها وهيؤها كصفاء القوارير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد من فضة ، قال فيها رقة القوارير في صفاء الفضة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ) قال : صفاء القوارير وهي من فضة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ) أي صفاء القوارير في بياض الفضة .

وقوله (وَأَكْوَابٍ) يقول : وَيُطَافُ مع الْأَوَانِي بِجَرَارِ ضِخَامٍ فِيهَا الشَّرَابُ ، وكلّ جرّة ضخمة لاعروة لها فهي كوب .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَأَكْوَابٍ) قال : ليس لها آذان .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان بهذا الحديث بهذا الإسناد عن مجاهد ، فقال : الْأَكْوَابُ : الْأَقْدَاحُ .

وقوله (كَانَتْ قَوَارِيرَ) يقول : كانت هذه الأواني والأكواب قوارير ، فحوّلتها الله فضة . وقيل : إنما قيل : ويطاف عليهم بآنية من فضة ، ليدلّ بذلك على أن أرض الجنة فضة ، لأن كل آنية تُتَّخَذُ ، فإنما تُتَّخَذُ من تُرْبَةِ الأرض التي فيها ، فدلّ ثناؤه بوصفه الآنية متى يطاف بها على أهل الجنة أنها من فضة ، ليعلم عباده أن تربة أرض الجنة فضة .

واختلفت القراء في قراءة قوله « قوارير » وسلاسل ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة غير حمزة سلاسل ، وقواريرا (قَوَارِيرًا) بإثبات الألف والتنوين وكذلك هي في مصاحفهم ، وكان حمزة يُسْقِطُ الألفات من ذلك كله ، ولا يجري شيئا منه ؛ وكان أبو عمرو يُثَبِّتُ الألف في الأولى من قوارير ، ولا يثبتها في الثانية ، وكلّ ذلك عندنا صواب ، غير أن الذي ذكرته عن أبي عمرو أعجبها إلى ، وذلك أن الأول من القوارير رأس آية ، والتوفيق بين ذلك وبين سائر رموس آيات السورة أعجب إلى إذ كان ذلك بإثبات الألفات في أكثرها .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١١﴾ وَبُسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٢﴾ غِيَا فِيهَا نَسِيمٌ سَلَسِيلًا ﴿١٣﴾

* يقول تعالى ذكره (قَوَارِيرَ) في صفاء الصفاء من فضة الفضة من البياض ^١ .

كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : قال الحسن ، في قوله (كَانَتْ قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : صفاء القوارير في بياض الفضة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن كثير ، قال : ثنا شعبه ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قول الله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : بياض الفضة في صفاء القوارير .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا ابن أبي خالدة ، عن أبي صالح ، في قوله (كَانَتْ قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : كان ترابها من فضة .

وقوله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : صفاء الزجاج في بياض الفضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، في قوله (قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : لو احتاج أهل الباطل ^٢ أن يعموا وإناء من فضة يرى ما فيه من خلفه ، كما يرى ما في القوارير ما قدروا عليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : هي من فضة ، وصفائوها : صفاء القوارير في بياض الفضة .

(١) لعله قوارير في الصفاء من فضة : كالفضة في البياض . (٢) في الدر المنثور : أهل الدنيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : علي صفاء القوارير ، وبياض الفضة .
وقوله (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) يقول : قدِّروا تلك الآنية التي يُطاف عليهم بها تقديرًا على قَدَّرَ رَبُّهُمْ لا تزيد ولا تنقص عن ذلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) قال : قَدَّرْتُ لِرَى القوم .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) قال : قدر ربُّهُمْ .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا قال : لا تنقص ولا تفيض .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) قال : لا تسترع فتُهراق ، ولا ينقصون من ماؤها فتتنقص فهي ملاءى .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) لِرَبِّهِمْ .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) قدرت على رَى القوم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) قال : قدَّرُوهَا لِرَبِّهِمْ على قدر شربهم أهل الجنة .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) قال : ممثلة لا تُهراق ، وليست بناقصة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قدَّرُوهَا على قدر الكف .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) قال : قدرت للكف .
واختلفت القراء في قراءة قوله (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) ، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (قَدَّرُوهَا) بفتح القاف ، بمعنى : قدَّرُوهَا لهم السُّقاة الذين يطوفون بها عليهم : وروى عن الشعبي وغيره من المتقدمين أنهم قرءوا ذلك بضم القاف ، بمعنى : قَدَّرْتُ عليهم ، فلا زيادة فيها ولا نقصان .
* * * والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها فتح القاف ، لإجماع الحجة من القراء عليه :

وقوله (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) يقول تعالى ذكره: وَيُسْقَوْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الْأَبْرَارُ فِي الْجَنَّةِ كَأْسًا ، وهى كلّ إناء كان فيه شراب ، فإذا كان فارغاً من الخمر لم يقل له كأس ، وإنما يقال له إناء ، كما يقال للطبق الذى تهدى فيه الهدية المهدى مقصوراً مادامت عاينه الهدية فإذا فرغ مما عليه كان طبقاً أو خيواناً ، ولم يكن مهدي (كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) يقول : كان مزاج شراب الكأس التى يَسْقَوْنَ منها زَنْجَبِيلًا .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يمزج لهم شرابهم بالزنجبيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) قال : تُمَزَّج بالزنجبيل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) قال : يَأْتُرُ لَهُمْ مَا كَانُوا يَشْرَبُونَ فِي الدُّنْيَا ، زَادَ الْحَارِثُ فِي حَدِيثِهِ : فَيَحْبِسُ بِهِ إِلَيْهِمْ . وقال بعضهم : الزنجبيل : اسم للعين التى منها مزاج شراب الأبرار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا . عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) رقيقة يشربها المقربون صِرْفًا ، وتمزج لسائر أهل الجنة . وقوله (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) يقول تعالى ذكره : عينا فى الجنة تسمى سلسبيلًا . قيل : عني بقوله سلسبيلًا : سلسلة مُنْقَادًا مَأْوَاهَا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) : عينا سلسلة مستقيدا مأوها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) قال : سلسلة يصفونها حيث شاعوا .

وقال آخرون : عني بذلك أنها شديدة الحيرية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) قال : حديدة الحيرية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : سلسلة الجزية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) حديدة البحرية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
واختلف أهل العربية في معنى السلسيل وفي إعرابه ، فقال بعض نحوي البصرة ، قال بعضهم : إن سلسيل صفة للعين بالتسلسل . وقال بعضهم : إنما أراد عينا تسمى سلسيلا : أي تسمى من طيها السلسيل : أي تو صف للناس كما تقول : الأعوجي والأرحي والمهري من الإبل ، وكما تنسب الخيل إذا وصفت إلى الخيل المعروفة المنسوبة كذلك تنسب العين إلى أنها تسمى ، لأن القرآن نزل على كلام العرب ، قال : وأنشدني يونس :

صَفْرَاءُ مِّنْ نَّبْعٍ يُسَمَّى سَهْمًا مِّنْ طُولٍ مَا صَرَغَ الصِّيُودَ الصَّيْبُ^١
فرغ الصَّيْبُ لأنه لم يرد أن يسمى بالصَّيْب ، إنما الصَّيْب من صفة الإسم والسهم ، وقوله : « يسمى سهمها » أي يذكر سهمها . قال : وقال بعضهم : لا ، بل هو اسم العين ، وهو معرفة ، ولكنه لما كان رأس آية ، وكان مفتوحا ، زيدت فيه الألف ، كما قال : كانت قواريرا . وقال بعض نحوي الكوفة : السلسيل : نعت أراد به سلس في الحلق ، فلذلك حرى أن تسمى بسلاستها .

وقال آخر منهم : ذكروا أن السلسيل اسم للعين ، وذكروا أنه صفة للماء لسلسه وعذوبته ؛ قال : ونرى أنه لو كان اسما للعين لكان ترك الإجراء فيه أكثر ، ولم نر أحدا ترك إجرائها وهو جائز في العربية ، لأن العرب تجرى ما لا يجرى في الشعر ، كما قال متمم بن نويرة :

فَمَا وَجَدُ أَظَارَ ثَلَاثِ رَوَائِمٍ رَأَيْتُ نَخْرًا مِّنْ حُورٍ وَمَصْرَعًا^٢
فأجري روائم ، وهي مما لا يجري .

(١) هذا بيت رواء يونس النحوي ولم يذكر قائله يصف قوسا من شجر النيم . والشاهد عند المؤلف في البيت أن « الصيب مرفوع لأنه صفة للسهم وأنه ليس كقوله تعالى : يسمى سلسيلا . يريد أن هذه القوس ينعى سهمها الصيب ويوصف ، لكثرة ما أصاب به الصيود وهي جمع صيد . هذا معنى كلامه . وقال الفراء في معاني القرآن (٣٥٢) وقوله « يسمى سلسيلا : ذكروا أن السلسيل اسم العين ، وذكر أنه صفة للماء لسلسه وعذوبته . ونرى أنه لو كان اسما للعين لكان ترك الإجراء (الصرف) فيه أكثر ، ولم نر أحدا من القراء ترك إجرائها وهو جائز في العربية ، كما كان في قراءة عبد الله (ابن مسعود) : ولا تذرني ودا ولا سواها ويفوثا ويعوقا بالألف . وكما قال : سلاسا وقواريرا ، بالألف ، فأجروا ما لا يجري ، وليس بخطأ لأن العرب تجرى ما لا يجري في الشعر ، فلو كان خطأ ما أدخلوه في أشعارهم . قال متمم بن نويرة :

فَمَا وَجَدُ أَظَارَ ثَلَاثِ رَوَائِمٍ رَأَيْتُ نَخْرًا مِّنْ حُورٍ وَمَصْرَعًا
فأجري روائم وهي مما لا يجري ، فيما لا أحصيه من أشعارهم . اهـ .

(٢) البيت لمتمم بن نويرة كما قال القراء (تقدم في الشاهد قبله) وهو في (اللسان : ظار) قال : تقول (ظنرت) الناقة مبني للمجهول ، على ولد غيرها أو على بو (فأظارت) بالظاء ، فهي ظنور ومظنورة وجمع « الظنور » أظار وظوار ، قال متمم : « فا وجد أظار . . . البيت » . والروائيم : جمع رائم ، يقال : رئمت الناقة ولدها ترائمه رأما ورأمانا : عطف عليه ولزمت وفي التهذيب : رئمانا : أحبته ونحرا : مصدر ميمي بمعنى الخروار أي السقوط على الأرض ، وقد يكون معناه الموت ، من خروا يخر : إذا مات . ومصرعا : أي مهلكا ، وهو مصدر ميمي بمعنى الصرع . وأما موضع الشاهد في البيت فهو صرف « روائم » لضرورة الشعر ، وهو مما لا يصرف كما قال الفراء في الشاهد قبله .

❖ والصواب من القول في ذلك عندى أن قوله (تُسَمَّى سَلَسَبِيلًا) صفة للعين ، وصفت بالسلاسة في الخلق ، وفي حال الجري ، وانقيادها لأهل الجنة يصرفونها حيث شاءوا ، كما قال مجاهد وقتادة . وإنما غنى بقوله (تُسَمَّى) : توصف .

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لإجماع أهل التأويل على أن قوله (سَلَسَبِيلًا) صفة لا اسم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ۖ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا ۝

❖ يقول تعالى ذكره : ويطوف على هؤلاء الأبرار وِلْدَانٌ ، وهم الوصفاء ، مُّخَلَّدُونَ .

اختلف أهل التأويل في معنى (مُخَلَّدُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : أنهم لا يموتون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) : أى لا يموتون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : عني بذلك (وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) : مُسَوَّرُونَ .

وقال آخرون : بل عني به أنهم مقرطون . وقيل : عني به أنهم دائم شبابهم ، لا يتغيرون عن تلك السن

وذكر عن العرب أنها تقول للرجل إذا كبر وثبت سواد شعره : إنه لمُخَلَّدٌ ؛ وكذلك إذا كبر وثبتت

أضراسه وأسنانه قيل : إنه لمُخَلَّدٌ ، يراد به أنه ثابت الحال ، وهذا تصحيح لما قال قتادة من أن معناه :

لا يموتون ، لأنهم إذا ثبتوا على حال واحدة فلم يتغيروا بهرم ولا شيب ولا موت ، فهم مُخَلَّدُونَ . وقيل :

إن معنى قوله (مُخَلَّدُونَ) مُسَوَّرُونَ بلغة حمير ؛ ويشهد لبعض شعرائهم :

وَمُخَلَّدَاتٌ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا أَعْجَازُهُنَّ أَقَاوِزُ الْكُثْبَانِ ۝

وقوله (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا) يقول تعالى ذكره : إذا رأيت يا محمد هؤلاء

الولدان مجتمعين أو مفترقين ، تحسبهم في حُسْنِهِمْ ، ونقاء بياض وجوههم ، وكثرتهم ، لُؤْلُؤًا مَبْدَا ، أو

مَجْتَمِعًا مَصْبُوبًا .

(۱) هذا البيت لا أعرف قائله ، أنشده المؤلف عند قوله تعالى : « ولدان مُخَلَّدُونَ » قال في (اللسان : خلد) : وقوله تعالى :

« يطوف عليهم ولدان مُخَلَّدُونَ » : قال الزجاجي : محاون وقال أبو عبيدة مسورون يمانية وأنشد : « ومُخَلَّدَاتٌ بِاللُّجَيْنِ » . ولم أجد

قول أبي عبيدة هذا في المخطوطة التي بين يدي منه ، ولعل العبارة والشاهد اسقطا من بعض أصول الكتاب . اهـ . وقال الفراء في معاني القرآن

(الورقة ۳۵۲) وقوله «مُخَلَّدُونَ» : يقول محلون مسورون (بأساور) ويقال : مقرطون . ويقال : مُخَلَّدُونَ دائم شبابهم لا يتغيرون

من تلك السن ، وهو أشبهها بالصواب والله أعلم . وذلك أن العرب إذا كبر الرجل ، وثبت سواد شعره ، قيل : إنه لمُخَلَّدٌ . وكذلك

يقال إذا كبر وثبتت له أسنانه وأضراسه قيل : أنه لمُخَلَّدٌ ؛ ثابت الحال ، كذلك الولدان ثابتة أسنانهم . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَوْلُؤَا مَنَشُورًا) قال : من كثرتهم

وحُسْنِيَّتِهِمْ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ) من حسنهم وكثرتهم (لَوْلُؤَا مَنَشُورًا) وقال قتادة عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو ، قال ما من أهل الجنة من أحد إلا ويسعى عليه ألف غلام ، كل غلام على عمل ما عليه صاحبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : (حَسِبْتَهُمْ لَوْلُؤَا مَنَشُورًا) قال :

في كثرة اللؤلؤ ولبياص اللؤلؤ :

وقوله (إِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا نظرت ببصرك يا محمد ، ورميت بطرفك فيما أعطيت هؤلاء الأبرار في الجنة من الكرامة . وعني بقوله (ثُمَّ) الجنة (رَأَيْتَ نَعِيمًا) ، وذلك أن أدناهم منزلة من ينظر في ملكه فيما قيل في مسيرة ألفي عام ، يرى أقصاه ، كما يرى أدناه .

وقد اختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله لم يذكر مفعول رأيت الأول ، فقال بعض نحوي البصرة : إنما فعل ذلك لأنه يريد رؤية لا تتعدى ، كما تقول : ظننت في الدار ، أخبر بمكان ظنه ، فأخبر بمكان رؤيته . وقال بعض نحوي الكوفة : إنما فعل ذلك لأن معناه : وإذا رأيت ما ثم رأيت نعيمًا ؛ قال : وصالح إضمار ما كما قيل : لقد تقطع بينكم ، يريد : ما بينكم ؛ قال : ويقال : إذا رأيت ثم يريد : إذا نظرت ثم ، أي إذا رميت ببصرك هناك رأيت نعيمًا .

وقوله (مُلْكًا كَبِيرًا) يقول : ورأيت مع النعيم الذي ترى لهم ثم مُلْكًا كبيرًا : وقيل : إن ذلك الملك الكبير : تسليم الملائكة عليهم ، واستئذانهم عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى من سمع مجاهدًا يقول : (وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) قال : تسليم الملائكة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : سمعت سفيان يقول في قوله (مُلْكًا كَبِيرًا) قال : بلغنا أنه تسليم الملائكة

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، في قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا)

قال : فسرها سفيان قال : تستأذن الملائكة عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) قال

استئذان الملائكة عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾

* يقول تعالى ذكره : فوقهم ، يعني فوق هؤلاء الأبرار ثياب سندس . وكان بعض أهل التأويل يتأول قوله (عَلَيْهِمْ) فوق حِجَالِهِم المثبتة عليهم (ثِيَابٌ سُنْدُسٌ) وليس ذلك بالقول المدفوع ، لأن ذلك إذا كان فوق حِجَالِهِم فيها ، فقد علاهم فهو عليهم .

وقد اختلف أهل القراءة في قراءة ذلك فقراءته عامة قراء المدينة والكوفة وبعض قراء مكة (عَلَيْهِمْ) بتسكين الياء . وكان عاصم وأبو عمرو وابن كثير يقرءونه بفتح الياء ، فن فتحها جعل قوله (عَلَيْهِمْ) اسما مرافعا للثياب ، مثل قول القائل : ظاهرهم ثياب سندس .

* والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وقوله (ثِيَابٌ سُنْدُسٌ) يعني : ثياب ديباج رقيق حسن ، والسندس : هو مارق من الديباج . وقوله (خُضْرٌ) اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه أبو جعفر القارئ وأبو عمرو برفع (خُضْرٌ) على أنها نعت للثياب ، وخفض (إِسْتَبْرَقٌ) عطفًا به على السندس ، بمعنى : وثياب إستبرق . وقرأ ذلك عاصم وابن كثير (خُضْرٌ) خفضًا (وَإِسْتَبْرَقٌ) رفعًا ، عطفًا بالاستبرق على الثياب ، بمعنى : عليهم إستبرق وتصغيرًا للخضر نعتًا للسندس . وقرأ نافع ذلك (خُضْرٌ) رفعًا على أنها نعت للثياب (وَإِسْتَبْرَقٌ) رفعًا عطفًا به على الثياب . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة : (خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) خفضًا كلاهما . وقرأ ذلك ابن محيصن بترك إجراء الاستبرق (وَإِسْتَبْرَقٌ) بالفتح بمعنى : وثياب إستبرق ، وفتح ذلك لأنه وجه إلى أنه اسم أعجمي . ولكل هذه القراءات التي ذكرناها وجه ومذهب غير الذي سبق ذكرنا عن ابن محيصن فلما بعيدة من معروف كلام العرب ، وذلك أن الإستبرق نكرة ، والعرب تجري الأسماء النكرة وإن كانت أعجمية ، والإستبرق : هو ما غلظ من الديباج . وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في ذلك فيما مضى قبل . فأغنى ذلك عن إعادته ها هنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الإستبرق : الديباج الغليظ .

وقوله (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) يقول : وحلّاهم أساور ، وهي جمع أسورة من فضة .

وقوله (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) يقول تعالى ذكره : وسقى هؤلاء الأبرار ربُّهم شرابًا

طهورا ، ومن طهره أنه لا يصير بولا نجسا ، ولكنه يصير رشحا من أبدانهم كرشح المسك

كالذي حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ،

عن إبراهيم التيمي (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) قال : عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن منصور ، عن إبراهيم التيمي ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم التيمي ، قال : إن الرجل من أهل الجنة يقسم له شهوة مئة رجل من أهل الدنيا ، وأكلهم وهمتهم ، فإذا أكل سقى شراباً طهوراً ، فيصير رشحاً يخرج من جلده أطيب ريحاً من المسك الأذفر ، ثم تعود شهوته .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شَرَاباً طَهُوراً) قال : ما ذكر الله من الأشرطة . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبان ، عن أبي قلابة : إن أهل الجنة إذا أكلوا وشربوا ما شاءوا دَعَوْا بالشراب الطهور فيشربونه ، فتطهر بذلك بطونهم ويكون ما أكلوا وشربوا رَشْحاً وريح مسك ، فتضمر لذلك بطونهم .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحي ، عن أبي هريرة أو غيره « شك أبو جعفر الرازي » قال : صعد جبرائيل بالنبي صلى الله عليه وسلم ليله أُسرى به إلى السماء السابعة ، فاستفتح ، فقيل له : من هذا ؟ فقال : جبرائيل ؛ قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أُرسِلَ إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ؛ قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس على كرسي عند باب الجنة ، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء ، فقام الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهرًا فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلت من ألوانهم شيء ، فقام الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهرًا آخر فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلت ألوانهم ، فصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم ، فقال : يا جبريل من هذا الأشمط ، ومن هؤلاء البيض الوجوه ، ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، وما هذه الأنهار التي اغتسلوا فيها ، فجاءوا وقد صفت ألوانهم ، قال : هذا أبوك إبراهيم ، أول من شيط على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه ، فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم . وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتابوا ، فتاب الله عليهم . وأما الأنهار ، فأولها رحمة الله ، والثاني نعمة الله ، والثالث سقامهم ربهم شراباً طهوراً .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿١٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كَفُورًا ﴿١٤﴾

* يقول تعالى ذكره : يقال لهؤلاء الأبرار حينئذ : إن هذا الذي أعطيناكم من الكرامة كان لكم ثواباً على ما كنتم في الدنيا تعملون من الصالحات (وكان سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) يقول : كان عملكم فيها مشكوراً ، حمدكم عليه ربكم ، ورضيه لكم ، فثابكم بما أثابكم به من الكرامة عليه .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ، وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) غفر لهم الذنب ، وشكر لهم الحسن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تلا قتادة (وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) قال : لقد شكر الله سعيًا قليلاً .

وقوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا نحن نزلنا عليك يا محمد هذا القرآن تنزيلاً ، ابتلاء منا واختباراً (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) يقول : اصبر لما امتحنك به ربك من فرائضه ، وتبليغ رسالاته ، والقيام بما ألزمتك القيام به في تنزيله الذي أوحاه إليك (وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا) يقول : ولا تطع في معصية الله من مشركي قومك آثماً يريد بركوبه معاصيه ، أو كفوراً : يعنى جموداً لنعمه عنده ، وآلائه قبلته ، فهو يكفر به ، ويعبد غيره .

وقيل : إن الذى عنى بهذا القول أبو جهل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا) قال : نزلت في عدو الله أبي جهل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمداً يصلى لأطأن عنقه ، فأنزل الله : (وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا) قال : الآثم : المذنب الظالم والكفور ، هذا كله واحد . وقيل : (أَوْ كَفُورًا) والمعنى : ولا كفوراً . قال الفراء : « أو » هاهنا بمنزلة الواو ، وفي الجحد والاستفهام والجزاء تكون بمعنى « لا » ، فهذا من ذلك مع الجحد ، ومنه قول الشاعر :

لَا وَجْدُ ثُكَلَى كَمَا وَجِدَتْ وَلَا وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبْعُ

أَوْ وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ يَوْمَ تَوَافَى الْحَمَجِيجُ فَاثْدَقَعُوا

أراد : ولا وجد شيخ ، قال : وقد يكون في العربية : لا تطيعن منهم من أثم أو كفر ، فيكون المعنى في أو قريباً من معنى الواو ، كقولك للرجل : لأعطيتك سألت أو سكت ، معناه : لأعطيتك على كل حال .

(۱) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن قال (۳۵۲ - ۳۵۳) : عند قوله تعالى : « وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا » : أو هاهنا : بمنزلة « لا » . وأو في الجحد والاستفهام والجزاء تكون في معنى « لا » ، فهذا من ذلك وقال الشاعر : « لا وجد ثكلى » . البيت . قال : وقد يكون في العربية لا تطيعن منهم من أثم أو كفر ، فيكون المعنى في « أو » قريباً من معنى الواو ، كقولك للرجل : لأعطيتك سكت أو سألت ؛ معناه : لأعطيتك على كل حال . اهـ . والثكلى التى فقدت ولدها أو أخاها أو زوجها . والوجد : الحزن (السان : صجل) . اهـ . والربع : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج والجمع : ربع وأربع . والوجد : عجل وعجائل ومعاجيل . وأضلها : فقدته وذهب عنها ، لا تدرى أين أخذ . وأضل ناقته : يقال : أضل البعير والفرس : ذهب عنه . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : (وَاذْكُرْ) يا محمد (اسْمَ رَبِّكَ) فادعه به بكرة في صلاة الصبح ، وعشيا في صلاة الظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) يقول : ومن الليل فاسجد له في صلاتك ، فسبحه ليلا طويلا ، يعني : أكثر الليل ، كما قال جل ثناؤه (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) ، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) يعني : الصلاة والتسبيح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) قال : بكرة : صلاة الصبح وأصيلا صلاة الظهر الأصيل .

وقوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) قال : كان هذا أول شيء فريضة . وقرأ (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ) ، ثم قال : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِّ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) . . . إلى قوله (فَاقْرَأْهُ) أما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) . . . إلى آخر الآية ، ثم قال : محيى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الناس ، وجعله نافلة فقال : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَسْجُدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ) قال : فجعلها نافلة .

وقوله (إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المشركين بالله يحبون العاجلة ، يعني الدنيا ، يقول : يحبون البقاء فيها وتعجبهم زينتها (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) يقول : يبدعون خلف ظهورهم العمل للآخرة ، وما لهم فيه النجاة من عذاب الله يومئذ ، وقد تأولوا بعضهم بمعنى : ويذرون أمامهم يوما ثقيلا ، وليس ذلك قولا مدفوعا ، غير أن الذي قلناه أشبه بمعنى الكلمة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) قال : الآخرة .

ولآخر :

فَأَصْبَحْنَ لَا يَسْأَلُنَّهُ عَنْ بَيْتٍ بِهِ
بتكرير الباء ، وإنما الكلام لا يسألنه عما به :

آخر تفسير سورة الإنسان

(٧٧) سُوْرَةُ الْمُرْسَلَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبِئَانَهَا خَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْغَصَقَاتِ كَصَفَاتٍ ۝ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝ فَالْفَرْقَاتِ فَرَقًا ۝ فَالْبَاقِيَاتِ زَكْرًا ۝

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝

اختلف أهل التأويل في معنى قول الله (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) فقال بعضهم : معنى ذلك : والرياح المرسلات يتبع بعضها بعضا ، قالوا : والمرسلات : هي الرياح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب قال : ثنا المحاربي ، عن المسعودي ، عن سَلَمَةَ بْنِ كَهِيلٍ ، عن أبي العبيد بن أنس قال : ابن مسعود فقال (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) قال : الريح .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودي ، عن سَلَمَةَ بْنِ كَهِيلٍ ، عن أبي العبيد بن أنس قال : ثنا عبد الله بن مسعود ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن أبي العبيد بن أنس ، قال : سألت عبد الله بن مسعود ، فذكر نحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) يعني الريح .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثني أبي ، عن شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح صاحب الكلابي في قوله (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) قال : هي الرياح .

- فكرر اللام في «الظالمين» وفي «لم» وربما فعلت العرب ذلك ، أنشدني بعضهم : «أقول لها إذا سألت . . . البيت» وأنشدني بعضهم «فأصبحن لا يسألنه عن بما به . . . البيت» . فكرر الباء مرتين ، ولو قال : «يسألنه عما به» كان أبين ، وأجود ، ولكن الشاعر ربما زاد أو نقص ، ليكمل الشعر . اهـ .

(١) البيت من شواهد النحويين وقد ذكره الفراء في معاني القرآن (كما بيناه في الشاهد قبله) . وذكر البيت صاحب الخزانة ، وذكر أنه لم يقف على قائله ، ولا تنبئه ، يريد الأبيات التي هو منها . وقال : إنه شاهد على أنه من الغريب زيادة الباء في المجرور ، فإنها زائدة مع ما المجرورة بهن . وقال ابن جني في سر الصناعة : إنه من غريب مواضعها . ثم ذكر كلام الفراء الذي ذكرناه في الشاهد قبله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا)

قال : الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين ، قال :

سألت عبد الله عن (المُرْسَلَاتِ عُرْفًا) قال : الريح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) قال : هي الريح

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والملائكة التي ترسل بالعرف .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، قال : كان مسروق يقول في

المرسلات : هي الملائكة .

حدثنا إسرائيل بن أبي إسرائيل ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان ، قال :

سمعت أبا الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله في قوله (والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) قال : الملائكة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ووكيع عن إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله (والمُرْسَلَاتِ

عُرْفًا) قال : هي الرسل ترسل بالعرف .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح

عن قوله (والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) قال : هي الرسل ترسل بالمعروف ؛ قالوا : فتأويل الكلام والملائكة التي

أرسلت بأمر الله ونهيه ، وذلك هو العرف .

وقال بعضهم : عني بقوله (عُرْفًا) : متابعًا كعرف الفرس ، كما قالت العرب : الناس إلى فلان عرف

واحد ، إذا توجهوا إليه فأكثروا .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن داود بن الزبرقان ، عن صالح بن بريدة ، في قوله (عُرْفًا) قال : يتبع بعضها بعضها .

❖ والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفًا ، وقد ترسل

عُرْفًا الملائكة ، وترسل كذلك الرياح ، ولا دلالة تدل على أن المعنى بذلك أحد الحيزين دون الآخر ، وقد

عمّ جل ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف ، فكل من كان صفته كذلك ، فداخل في قسمه ذلك

ملكًا أو ريحًا أو رسولًا من بني آدم مرسلًا .

وقوله (فالعاصِفَاتِ عَصْفًا) يقول جل ذكره : فالرياح العاصفات عصفًا ، يعني الشديديات الهبوب

السريعات الممر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد ، عن عُرْعرة أن رجلاً قام إلى علي رضي الله عنه ، فقال : ما العاصفات عصفاً ؟ قال : الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي ، عن المسعودي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيد بن أسلم ، عن عبد الله بن مسعود ، فقال : ما العاصفات عصفاً ؟ قال : الريح .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيد بن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيد بن قال : سألت عبد الله بن مسعود ، فذكر مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيد بن ، قال : سألت عبد الله ، فذكر مثله .

حدثني محمد بن سعد . قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : (فالتعاصفات عصفاً) قال : الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح (فالتعاصفات عصفاً) قال : هي الرياح .

حدثنا عبد الحميد بن بَيَّان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل قال : سألت أبا صالح عن قوله (فالتعاصفات عصفاً) قال : هي الرياح .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثني أبي ، عن شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح صاحب الكلبي ، في قوله (فالتعاصفات عصفاً) قال : هي الرياح .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير وسعيد بن محمد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (فالتعاصفات عصفاً) قال : هي الرياح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، مثله .

قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعرة ، عن علي رضي الله عنه (فالتعاصفات عصفاً) قال : الريح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالتعاصفات عصفاً) قال : الرياح .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (والنَّاشِرَاتِ نَشْراً) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عني بالناشرات نَشْراً : الريح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي ، عن المسعودي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيد بن أنه سأل ابن مسعود عن (النَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : الريح .
حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيد بن ، عن ابن مسعود ، مثله .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن أبي العبيد بن ، قال : سألت عبد الله بن مسعود ، فذكر مثله .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيد بن ، قال : سألت عبد الله ، فذكر مثله .
قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : الريح .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح صاحب الكلب ، في قوله (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : هي الرياح .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : الرياح وقال آخرون : هي المطر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح ، عن قوله (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) : قال المطر .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : هي المطر .
قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، مثله :
وقال آخرون : بل هي الملائكة التي تنشر الكتب :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي صالح (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : الملائكة تنشر الكتب .

** وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرًا ، ولم يخص شيئًا من ذلك دون شيء ، فالريح تنشر السحاب ، والمطر ينشر الأرض ، والملائكة تنشر الكتب ، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض ، فذلك على كل ما كان ناشرًا .

وقوله (فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا) اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : عُنِيَ بذلك : الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح (فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا) قال : الملائكة :

قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح (فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا) قال : الملائكة .

قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، مثله :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا) قال : الملائكة :

وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا) يعني القرآن ما فرق الله فيه بين الحق والباطل .

* والصواب من القول في ذلك أن يقال : أقسم ربنا جل ثناؤه بالفارقات ، وهي الفاصلات بين الحق والباطل ، ولم يخص بذلك منهن بعضاً دون بعض ، فذلك قَسَمٌ بكل فارقة بين الحق والباطل ، ملكاً كان أو قرآناً ، أو غير ذلك .

وقوله (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) يقول : فالمبلغات وحى الله رسله ، وهي الملائكة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) يعني : الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) قال : هي الملائكة

تلقي الذكر على الرسل وتبلغه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) قال : الملائكة

تلقي القرآن .

حدثنا ابن حبان ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) قال : الملائكة .

وقوله (عُنْدَرًا أَوْ نُذَرًا) يقول تعالى ذكره : فالملقيات ذكراً إلى الرسل إعداراً من الله إلى خاتمه ،

وإنذاراً منه لهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عُدْرًا أَوْ نُذْرًا) قال : غدرًا : من الله ، ونُذْرًا منه إلى خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عُدْرًا أَوْ نُذْرًا) : عذرا لله على خلقه ، ونذرا للمؤمنين ينتفعون به ، ويأخذون به .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عُدْرًا أَوْ نُذْرًا) يعني : الملائكة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض المكيين وبعض الكوفيين : (عُدْرًا) بالتخفيف ، أو نُذْرًا بالثقل . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض البصريين بتخفيفهما ، وقرأه آخرون من أهل البصرة بثقليهما والتخفيف فيهما أعجب إلى وإن لم أدفع صحة الثقل لأنهما مصدران بمعنى الإعذار والإنذار .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۖ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۖ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۖ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ يُجْعَلُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۖ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ۖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ

❦ يقول تعالى ذكره : والمرسلات عرفا ، إن الذي توعدون أيها الناس من الأمور لواقع ، وهو كائن لا محالة ، يعني بذلك يوم القيامة ، وما ذكر الله أنه أعدّ لخلق يومئذ من الثواب والعذاب .

وقوله (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) يقول : فإذا النجوم ذهب ضياؤها ، فلم يكن لها نور ولا ضوء (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) يقول : وإذا السماء شققت وصدعت (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) يقول : وإذا الجبال نسفت من أصلها ، فكانت هباء منبثا (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا الرسل أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ) يقول : جمعت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (أُقِيتَتْ) قال : أُجِلَّتْ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ) قال : أجلت
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران جميعا ، عن سفيان ، عن منصور
عن إبراهيم (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ) قال : أُوْعِدَت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ)
قال : أقيت ليوم القيامة ، وقرأ (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) قال : والأجل : الميقات ، وقرأ (يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) ، وقرأ (إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْنُومٍ) قال : إلى يوم
القيامة ، قال : لهم أجل إلى ذلك اليوم حتى يبلغوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ)
قال : وعدت .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة غير أبي جعفر ، وعامة قراء الكوفة (أُقِيتَتْ)
بالألف وتشديد القاف ، وقرأه بعض قراء البصرة بالواو وتشديد القاف (وُقِيتَتْ) وقرأه أبو جعفر (وُقِيتَتْ)
بالواو وتخفيف القاف .

* والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن كل ذلك قراءات معروفة ولغات مشهورات بمعنى واحد ،
فبأيها قرأ القارئ فصيب ، وإنما هو فُعِلَتْ من الوقت ، غير أن من العرب من يستثقل ضمة الواو ، كما
يستثقل كسرة الياء في أول الحرف فيهمزها ، فيقول : هذه أجوه حسان بالهمزة ، وينشد بعضهم :

يَحُلُّ أَحِيدَهُ وَيُقَالُ بَعْلٌ وَمِثْلُ تَمُولٍ مِنْهُ اِفْتِقَارُ

وقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمُ أُجِّلَتْ) يقول تعالى ذكره مُعَجِّبًا عباده من هول ذلك اليوم وشدة لآئيه يوم
أُجِّلَتْ الرسل ووقَّتت ، ما أعظمه وأهوله ؛ ثم بين ذلك : وأى يوم هو ؟ فقال أجلت (لِيَوْمِ الْفَصْلِ)
يقول : ليوم يفصل الله فيه بين خلقه القضاء ، فيأخذ للمظلوم من الظالم ، ويجزي المحسن بإحسانه ،
والمسيء بإساءته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمُ أُجِّلَتْ ، لِيَوْمِ الْفَصْلِ)
يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة وإلى النار .

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (٣٥٣) والكلمة الأولى منه في الخط «يجل» باء وجيم ولام، وهي غامضة . قال
وقوله : «وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ» : اجتمع القراء على همزها ، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود «وقئت» بالواو . وقرأها أبو جعفر
المدني «وقئت» خفيفة . وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزت . من ذلك «صلى القوم أحدانا» . وأشدني
بعضهم : «يجل وحيد» . . . البيت . ويقولون : هذه أجوه حسان ، بالهمز ، لأن ضمة الواو ثقيلة ، كما كان كسر الياء
ثقيلا . اهـ . وموضع الشاهد في البيت أن همزة «أحيدة» مقلوبة عن واو ، وأصله «وحيدة» . كما قلبت في «أجدانا» وأصلها :
«وسدانا» . قلت : وفي (اللسان : واحد) : الوحيد : موضع بعينه ، ونبي من أنباء الدماء . (في بعل) : البعل : كل شجر أو زرع
لا يسقى . ومن النخل : ما شرب بعروقه من غير سقى . والأرض المرتفعة لا يضيئها مطر إلا مرة واحدة في السنة . اهـ .

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأى شيء أدراك يا محمد ما يوم الفصل ، معظما بذلك أمره ، وشدة هوله .

كما حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) تعظيما لذلك اليوم :

وقوله (وَيَبْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : الوادى الذى يسيل فى جهنم من صديد أهلها للمكذِّبين يوم الفصل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَبْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) وبلى والله طوبى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ نَبْعَثُهمُ الْآخِرِينَ ﴿١٢﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ وَيَبْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾

* يقول تعالى ذكره : ألم نهلك الأمم الماضين الذين كذبوا رسلى ، وجمحدوا آبائى من قوم نوح وعاد وثمود ، ثم نبعثهم الآخرين بعدهم ، ممن سلك سبيلهم فى الكفر بى ورسولى ، كقوم إبراهيم وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، فهلكهم كما أهلكنا الأولين قبلهم ، (كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) يقول كما أهلكنا هؤلاء بكفرهم بى ، وتكذيبهم برسلى ، كذلك سنتى فى أمثالهم من الأمم الكافرة ، فهلك المجرمين بإجرامهم إذا طغوا وبغوا (وَيَبْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بأخبار الله التى ذكرناها فى هذه الآية ، الجاحدين قُدرته على ما يشاء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿١٥﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٦﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٧﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿١٨﴾ وَيَبْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

* يقول تعالى ذكره : (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ) أيها الناس (مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ) يعنى من نطفة ضعيفة . كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ) يعنى بالمهين : الضعيف . وقوله (فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) يقول : فجعلنا الماء المدهين فى رحمٍ استقرَّ فيها فتمكن . وبهجو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) قال : الرحم . وقوله (إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ) يقول : إلى وقت معلوم لخروجه من الرحم عند الله ، (فَتَقَدَّرْنَا فَتَنْعِمَ الْقَادِرُونَ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة (فَتَقَدَّرْنَا) بالتشديد . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة بالتخفيف .

❖ والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، وإن كنت أوتر التخفيف لقوله (فَتَنْعِمَ الْقَادِرُونَ) ، إذ كانت العرب قد تجمع بين اللغتين ، كما قال : (فَتَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُويْدًا) فجمع بين التشديد والتخفيف ، كما قال الأعشى :

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ مِّنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا

وقد يجوز أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا . فإنه محكى عن العرب ، قد ر عليه الموت ، وقد ر - بالتخفيف والتشديد .

وعنى بقوله (فَتَقَدَّرْنَا فَتَنْعِمَ الْقَادِرُونَ) ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن المبارك عن جوير ، عن الضحاك (فَتَقَدَّرْنَا فَتَنْعِمَ الْقَادِرُونَ) قال : فملكنا فنعم المالكون . وقوله (وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول جل ثناؤه : ويل يومئذ للمكذبين بأن الله خلقهم من ماء مهين .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۖ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشً شَمْخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ۖ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ۖ

❖ يقول تعالى ذكره منها عباده على نعمه عليهم (أَلَمْ نَجْعَلِ) أيها الناس (الْأَرْضَ) لكم (كِفَاتًا) يقول : وعاء ، تقول : هذا كفت هذا وكفيته ، إذا كان وعاءه . وإنما معنى الكلام : ألم نجعل الأرض كِفَاتٍ أحياءكم وأمواتكم ، تكفيت أحياءكم في المساكن والمنازل ، فتضمنهم فيها وتجمعهم ، وأمواتكم في بطونهم في القبور ، فيُدفنون فيها .

(١) هذا البيت في (ديوان الأعشى ، طبعة القاهرة ١٠١) من قصيدة يمدح بها هوزة بن علي الحنق ، ملك اليمامة . وأنشد الفراء في معاني القرآن (٣٥٤) قال : وقوله « فقدرنا فنعم القادرون » : ذكر عن علي بن أبي طالب ، وعن أبي عبد الرحمن السلمي ، أنهما شجدا ؛ وخففها الأعشى وعاصم ولا تبعدا أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا ؛ لأن العرب قد تقول : قدر عليه الموت ، وقدر عليه الموت ، وقدر عليه رزقه ، وقدر عليه ، بالتخفيف والتشديد . وقد احتج الذين خففوا ، فقالوا : لو كان كذلك لكانت « فنعم المقادرون » ؛ وقد تجمع العرب بين اللغتين قال الله تعالى : « فهل الكافرين أمهلهم رويدا » . وقال الأعشى : « فَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ . . . البيت » . اه . وهذا الشاهد قد سبق استشهاد المؤلف به في الجزء (١٢ : ٧١) .

وجائز أن يكون عني بقوله (كيفاتنا أحياء وأمواتا) تكفت أذاهم في حال حياتهم، وجيفهم بعد مماتهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال : ثنا أبو صالح، قال : ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله (ألم نجعل الأرض كيفاتنا) يقول : كيننا .

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال : أخبرنا خالد، عن مسلم، عن زاذان أبي عمر، عن الربيع بن خيثم، عن عبد الله بن مسعود، أنه وجد قملة في ثوبه، فدفنها في المسجد ثم قال : (ألم نجعل الأرض كيفاتنا أحياء وأمواتا) .

حدثنا أبو كريب، قال : ثنا أبو معاوية، قال : ثنا مسلم الأعور، عن زاذان، عن ربيع بن خيثم، عن عبد الله، مثله .

حدثني يعقوب، قال : ثنا ابن علية، عن ليث، قال : قال مجاهد في الذي يرى القملة في ثوبه وهو في المسجد، ولا أدري قال في صلاة أم لا، إن شئت فألقها، وإن شئت فوارها (ألم نجعل الأرض كيفاتنا أحياء وأمواتا) .

حدثنا أبو كريب، قال : ثنا وكيع، عن شريك، عن بيان، عن الشعبي (ألم نجعل الأرض كيفاتنا أحياء وأمواتا) قال : بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا مهران، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد (ألم نجعل الأرض كيفاتنا) قال : تكفت أذاهم (أحياء) تواريه (أمواتا) يدفنون : تكفتهم .

وقد حدثني به ابن حميد مرة أخرى، فقال : ثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد (ألم نجعل الأرض كيفاتنا) قال : تكفت أذاهم وما يخرج منهم (أحياء وأمواتا) قال : تكفتهم في الأحياء والأموات .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (ألم نجعل الأرض كيفاتنا أحياء وأمواتا) قال : أحياء يكونون فيها، قال محمد بن عمرو : يغيبون فيها ما أرادوا؛ وقال الحارث : يغيبون فيها ما أرادوا . وقوله (أحياء وأمواتا) قال : يدفنون فيها .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ألم نجعل الأرض كيفاتنا أحياء وأمواتا) يسكن فيها حيهم، ويدفن فيها ميتهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (أحياء وأمواتا) قال : أحياء فارقها على ظهرها، وأمواتا يتقبرون فيها .

واختلف أهل العربية في الذي نصب (أحياء وأمواتاً) فقال بعض نحوي البصرة: نصب على الحال . وقال بعض نحوي الكوفة: بل نصب ذلك بوقوع الكفات عليه ، كأنك قلت : ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات ، فإذا نوت نصبت كما يقرأ من يقرأ (أو إطعام في يوم ذي مسغبة ، يتتيا ذاً مقربة) وهذا القول أشبه عندى بالصواب .

وقوله (وجعلنا فيها رواسي شامخات) يقول تعالى ذكره : وجعلنا في الأرض جبالا ثابتات فيها ، بأذن شامخات شاهقات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وجعلنا فيها رواسي شامخات) يعني الجبال .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (رواسي شامخات) يقول : جبالا مشرفات .

وقوله (وأسقيناكم ماءً فراتاً) يقول : وأسقيناكم ماء عذبا .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وأسقيناكم ماءً فراتاً) يقول : عذبا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثني أبو عاصم ، قال : ثني عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ماءً فراتاً) قال : عذبا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأسقيناكم ماءً فراتاً) : أي ماء عذبا

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس :

(وأسقيناكم ماءً فراتاً) قال : من أربعة أنهار : سيحان ، وجيحان ، والنيل ، والفرات ، وكل ماء

يشربه ابن آدم ، فهو من هذه الأنهار ، وهي تخرج من تحت صخرة من عند بيت المقدس . وأما سيحان فهو

ببلخ ، وأما جيحان فدجلة ، وأما الفرات ففرات الكوفة ، وأما النيل فهو بمصر .

وقوله (ويبل يومئذ للمكذبين) يقول : ويل يومئذ للمكذبين بهذه النعم التي أنعمتها عليكم من

خلق الكافرين بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٠﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تِلْكَ شَعْبٍ ﴿١١﴾

لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٦﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٧﴾ كَأَنَّهُ جِمْلَتٌ صُفْرٌ ﴿٨﴾ وَإِلَّاءَ يَوْمٍ ذُو مَعَادٍ ﴿٩﴾

* يقول تعالى ذكره هؤلاء المكذبين بهذه النعم والجمجج التي احتج بها عليهم يوم القيامة : (انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ) في الدنيا (تَكْذِبُونَ) من عذاب الله لأهل الكفر به (انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) يعني تعالى ذكره : إلى ظلِّ دخان ذي ثلاث شعب (لا ظَلِيلٍ) ، وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان فيما ذكر ، فإذا تصاعد تفرق شعبا ثلاثا ، فذلك قوله (ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) قال : دخان جهنم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) قال : هو كقوله (نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) قال : والسرادق : دخان النار ، فأحاط بهم سرادقها ، ثم تفرق ، فكان ثلاث شعب ، فقال : انطلقوا إلى ظلِّ ذي ثلاث شعب : شعبة هاهنا ، وشعبة هاهنا ، وشعبة هاهنا (لا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) .

وقوله (لا ظَلِيلٍ) يقول : لا هو يظلمهم من حرها (وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ) ولا يكفيهم من طيها . وقوله (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) يقول تعالى ذكره : إن جهنم ترمي بشرر كالقصر ، فقرأ ذلك قراء الأمصار (كَالْقَصْرِ) بجزم الصاد .

واختلاف الذين قرءوا ذلك كذلك في معناه ، فقال بعضهم : هو واحد القصور .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) يقول : كالقصر العظيم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : ذكر القصر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يزيد بن يونس ، عن أبي صخر في قول الله (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : كان القرطبي يقول : إن على جهنم سورا ، فما خرج من وراء السور مما يرجع فيها في عظم القصر ، ولون القار .

وقال آخرون : بل هو الغليظ من الخشب ، كأصول النخل وما أشبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عبد الرحمن بن عباس ، قال : سألت ابن عباس عن قوله : (إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : القصر : خشب كنا نندخره للشتاء ثلاث أذرع ، وفوق ذلك ، ودون ذلك كنا نسميه القصر .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت عبد الرحمن بن عباس ، قال : سمعت ابن عباس يقول في قوله : (إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : القصر : خشب كان يُقْطَع في الجاهلية ذراعا وأقل أو أكثر ، يُعَمَد به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الرحمن بن عباس ، قال : سمعت ابن عباس يقول في قوله : (إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : كنا في الجاهلية نقصر ذراعين أو ثلاث أذرع ، وفوق ذلك ودون ذلك نسميه القصر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال القصر : الشجر المقطع ، ويقال : القصر : النخل المقطوع .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : (كَالْقَصْرِ) قال : حزم الشجر ، يعني الحزمة .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية : (إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : مثل قصر النخلة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) أصول الشجر ، وأصول النخل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : كأصل الشجر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : (بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) القصر : أصول الشجر العظام ، كأنها أجواز الإبل الصفر وسط كل شيء جوزة ، وهي الأجواز .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : قرأها الحسن : (كَالْقَصْرِ) وقال : هو الجزل من الخشب قال : واحده : قصرة وقصر : مثله : جرة وجر ، ونمرة ونمر .

وذكر عن ابن عباس أنه قرأ ذلك (كَالْقَصْرِ) بتحريك الصاد .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرني حسين المعلم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قرأها (كَالْقَصْرِ) بفتح القاف والصاد .
قال : وقال هارون : أخبرني أبو عمرو أن ابن عباس قرأها (كَالْقَصْرِ) وقال : قصر النخل ، يعني الأعناق .
* وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار ، وهو سكون الصاد . وأولى التأويلات به

أنه القصر من القصور ، وذلك لدلالة قوله (كأنه جِمالٌ صُفْرٌ) على صحته ، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية ، كما قال الأخطل في صفة ناقة :

كأنها بُرْجٌ رُومِيٌّ يَشْتَسِيْدُهُ لُزٌّ يَجْصُ وَآجِرٌ وَأَحْجَارٌ

وقيل (بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) ولم يقل كَالْقَصُورِ ، والشرر جمع ، كما قيل : سَيِّهَزَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ) ولم يقل الأدبار ، لأن الدبر بمعنى الأدبار ، وفعل ذلك توفيقا بين رموس الآيات ومقاطع الكلام ، لأن العرب تفعل ذلك كذلك ، وبأسانها نزل القرآن . وقيل : كَالْقَصْرِ ، ومعنى الكلام : كعظم القصر ، كما قيل : تلور أعينهم ، كالذي يغشى عليه من الموت ، ولم يقل : كعيون الذي يغشى عليه ، لأن المراد في التشبيه الفعل لا العين .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، أنه سأل الأسود عن هذه الآية (تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) فقال : مثل القصر .

وقوله (جِمالٌ صُفْرٌ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : كأن الشرر الذي ترمى به جهنم كَالْقَصْرِ جِمالٌ سود : أي أبيض سود ؛ وقالوا : الصفرة في هذا الموضع ، بمعنى السود قالوا : وإنما قيل لها صفرة وهي سود ، لأن ألوان الإبل سود تضرب إلى الصفرة ، ولذلك قيل لها صُفْرٌ ، كما سميت الظباء أدما ، لما يعاوها في بياضها من الظلمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عمرو البصري ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبي هند ، عن الحسن (كأنه جِمالٌ صُفْرٌ) قال : الأبنق السود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيده ، عن قتادة (كأنه جِمالٌ صُفْرٌ) كالنوق السود الذي رأيتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (جِمالٌ صُفْرٌ) قال : نوق سود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع جميعا ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (كأنه جِمالٌ صُفْرٌ) قال : هي الإبل .

قال : ثنا مهران ، عن سعيده ، عن قتادة (كأنه جِمالٌ صُفْرٌ) قال : كالنوق السود الذي رأيتم . وقال آخرون : بل عني بذلك : قُلُوس السفن ، شبه بها الشرر .

(١) البيت للأخطل (ديوانه : ١١٣) ولز الشيء بالشيء : شده وألصقه . وقد استشهد به المؤلف على تشبيه الشرر المتطاير من جهنم بالقصر ، وأن الجمال الضخم قد تشبه بالقصور ، أي البيوت العالية ، كما قال الأخطل ، وكما قال طرفة قبله في صفة نائمه :

كَتَفَنَظْرَةَ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا لَتَكُكْتَنَفَنَ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدٍ

وقد سبق استشهد المؤلف بالبيت في الجزء (١٩ : ٣٠) فارجع إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعيد قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس كأنه (جَمَالَاتٌ صُفْرٌ) فالجَمَالَاتُ الصفر : قُلُوسُ السفن التي تجمع فتوثق بها السفن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سعيد ، عن عبد الرحمن بن عباس ، قال : سألت ابن عباس عن قوله (كأنه جَمَالَاتٌ صُفْرٌ) قال : قُلُوسُ سفن البحر يحمل بعضها على بعض ، حتى تكون كأوساط الرجال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الرحمن بن عباس ، قال : سمعت ابن عباس سئل عن (جَمَالَاتٌ صُفْرٌ) فقال : حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت عبد الرحمن بن عباس ، قال : ثنا عبد الملك بن عبد الله ، قال : ثنا هلال بن خباب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (جَمَالَاتٌ صُفْرٌ) قال : قُلُوسُ الجِسر .

حدثني محمد بن حويرة بن محمد المنقري ، قال : ثنا عبد الملك بن عبد الله القطان ، قال : ثنا هلال ابن خَبَّاب ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير (كأنه جَمَالَاتٌ صُفْرٌ) قال : الحبال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سليمان بن عبد الله ، عن ابن عباس (كأنه جَمَالَاتٌ صُفْرٌ) قال : قُلُوسُ سفن البحر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كأنه جَمَالَاتٌ صُفْرٌ) قال : حبال الجسور . وقال آخرون : بل معنى ذلك : كأنه قطع النحاس .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (كأنه جَمَالَاتٌ صُفْرٌ) يقول : قطع النحاس .

*** وأولى الأقوال عندى بالصواب قول من قال : عُنِيَ بالجَمَالَاتُ الصفر : الإبل السود ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وأن الجَمَالَاتُ جمع جمال ، نظير رجال ورجالات ، وبُيُوت وبُيُوتات .

وقد اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (جَمَالَاتٍ) بكسر الجيم والتاء على أنها جمع جمال وقد يجوز أن يكون أريد بها جمع جمالة ، والجمالة جمع جمل كما الحجارة جمع حجر ، والذكار جمع ذكر . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين كأنه (جَمَالَةٌ) بكسر الجيم على أنها جمع جمل

يُجمع على جمالة ، كما ذكرت من جمع حجر حجارة . وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ (جُمالات) بالياء وضم الجيم كأنه جمع جُمالة من الشيء المجمل .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن الحسين المعلم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

❖ والصواب من القول في ذلك ، أن لقارئ ذلك اختيار أي القراءتين شاء من كسر الجيم وقراءتها بالياء وكسر الجيم ، وقراءتها بالهاء التي تصير في الوصل تاء ، لأنهما القراءتان المعروفتان في قراء الأمصار ، فأما ضم الجيم فلا أستجيزه لإجماع الحجة من القراء على خلافه .

وقوله (وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يوم القيامة للمكذبين هذا الوعيد الذي توعده الله به المكذبين من عباده .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ❶ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ❷ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ❸ هَذَا يَوْمٌ أَفْضَلُ جَمْعَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ❹ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ❺ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ❻

❖ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بثواب الله وعقابه (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ) أهل التكذيب بثواب الله وعقابه (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) مما اجتمعوا في الدنيا من الذنوب .

❖ فإن قال قائل : وكيف قيل (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ) وقد علمت بخبر الله عنهم أنهم يقولون (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا) وأنهم يقولون (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) في نظائر ذلك مما أخبر الله ورسوله عنهم أنهم يقولونه . قيل : إن ذلك في بعض الأحوال دون بعض .

وقوله (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ) يخبر عنهم أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم ، لأنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله .

❖ فإن قال : فهل من برهان يعلم به حقيقة ذلك ؟ قيل : نعم ، وذلك إضافة يوم إلى قوله (لَا يَنْطِقُونَ) والعرب لا تُضيف اليوم إلى فعل يفعل ، إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه ، وذلك كقولهم : آتيتك يومَ يقدمُ فلان ، وأتيتك يومَ زارك أخوك ، فاعلم أن معنى ذلك : أتيتك ساعة زارك ، أو آتيتك ساعة يقدم ، وأنه لم يكن إتيانه إياه اليوم كله ، لأن ذلك لو كان أخذ اليوم كله لم يضاف اليوم إلى فعل ويفعل ، ولكن فعل ذلك إذ كان اليوم بمعنى إذ وإذا اللتين يطلبان الأفعال دون الأسماء .

وقوله (فَيَعْتَذِرُونَ) رفعاً عطفاً على قوله (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ) وإنما اختير ذلك على النصب وقبله جملة ، لأنه رأس آية قرن بينه وبين سائر رموس الآيات التي قبلها ، ولو كان جاء نصيباً كان جائزاً ، كما

قال : لا يقضى عليهم فيموتوا ، وكل ذلك جائر فيه ، أعنى الرفع والنصب ، كما قيل : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ) رفعا ونصبا .

وقوله (وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يومئذ للمكذبين بنجر الله عن هؤلاء القوم ، وما هو فاعل بهم يوم القيامة .

وقوله (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَئِينَ) يقول تعالى ذكره هؤلاء المكذبين بالبعث يوم يبعثون : هذا يوم الفصل الذي يفصل الله فيه بالحق بين عباده (جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَئِينَ) يقول : جمعناكم فيه لموعدكم الذي كنا نعدكم في الدنيا الجمع فيه بينكم وبين سائر من كان قبلكم من الأمم المهلكة . فقاما وفينا لكم بذلك (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا) يقول والله منجز لكم ما وعدكم في الدنيا من العقاب على تكذيبكم إياه بأنكم مبعوثون لهذا اليوم إن كانت لكم حيلة تحتالونها في التخلص من عقابه اليوم فاحتالوا .

وقوله (وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول : ويل يومئذ للمكذبين بهذا الخبر .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ ﴿٤٥﴾

* يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه في الدنيا ، واجتناب معاصيه (فِي ظِلَالٍ) ظليلة ، وكن كَنِينٍ ، لا يصيبهم أذى حر ولا قر ، إذ كان الكافرون بالله في ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب (وَعُيُونٍ) أنهار تجري خلال أشجار جناتهم (وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ) يأكلون منها كلما اشتهوا لا يخافون ضررها ، ولا عاقبة مكر وهما .

وقوله (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : كلوا أيها القوم من هذه الفواكه ، واشربوا من هذه العيون كلما اشتيتم هنيئا : يقول : لا نكدير عليكم ، ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه ، ولكنه لكم دائم ، لا يزول وامرئ لا يورثكم أذى في أبدانكم .

وقوله (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول جل ثناؤه يقال لهم : هذا جزاء بما كنتم في الدنيا تعملون من طاعة الله ، وتجهدون فيما يقربكم منه .

وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول : إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا في الدنيا ، كذلك نجزي ونثيب أهل الإحسان في طاعتهم إيانا ، وعبادتهم لنا في الدنيا على إحسانهم لانضيق في الآخرة أجرهم .

وقوله (وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول : ويل للذين يكذبون بنجر الله عما أخبرهم به من تكريمه هؤلاء المتقين بما أكرمهم به يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلَّيْكُمْ يَوْمَئِذٍ الْمَكِيدِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلَّيْكُمْ

يَوْمَئِذٍ الْمَكِيدِينَ ﴿٤٩﴾

• يقول تعالى ذكره تهددا ووعيدا منه للمكذابين بالبعث : كلوا في بقية آجالكم ، وتمتعوا ببقية أعماركم (إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) مَسْنُونٌ بكم سنة من قبلكم من مجرمي الأمم الخالية التي تمتع بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها ، ثم انتقم الله منها بكفرها ، وتكذيبها رسالها .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) قال : عني به أهل الكفر .
وقوله (وَيَلَّيْكُمْ يَوْمَئِذٍ الْمَكِيدِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يومئذ للمكذابين الذين كذبوا خبر الله الذي أخبرهم به عما هو فاعل بهم في هذه الآية .
وقوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المجرمين المكذابين بوعيد الله أهل التكذيب به : اركعوا ، لا يركعون .
واختلاف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه ، فقال بعضهم : يقال ذلك في الآخرة حين يُدْعَوْنَ إلى السجود فلا يستطيعون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) يقول : يُدْعَوْنَ يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا .
وقال آخرون : بل قيل ذلك لهم في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) عليكم بحسن الركوع ، فإن الصلاة من الله بمكان . وقال قتادة عن ابن مسعود ، أنه رأى رجلا يصلي ولا يركع ، وآخر يجر إزاره ، فضحك ، قالوا : ما يضحكك ؟ قال : أضحكني رجلان ، أما أحدهما فلا يقبل الله صلاته ، وأما الآخر فلا ينظر الله إليه .
وقيل : عني بالركوع في هذا الموضع الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) قال : صَلُّوا .

❦ وأولى الأقوال في ذلك أن يقال : إن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم المجرمين أنهم كانوا له مخالفين في أمره ونهيه ، لا يأتون بأمره ، ولا ينتهون عما نهاهم عنه .
وقوله (وَيَلْبِسُونَ بُرُودًا لِلْمُكِيدِينَ) يقول : ويل للذين كذبوا رسل الله ، فردوا عليهم ما بلغوا من أمر الله إياهم ، ونهيه لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره : فبأي حديث بعد هذا القرآن ، أي أنتم أيها القوم كذبتُم به مع وضوح برهانه ، وصحة دلائله ، أنه حق من عند الله تؤمنون : يقول : تصدقون .

ولما أعلمهم تعالى ذكره أنهم إن لم يصدقوا بهذه الأخبار التي أخبرهم بها في هذا القرآن مع صحة حججه على حقيقته لم يمكنهم الإقرار بحقيقة شيء من الأخبار التي لم يشاهدوا الخبر عنه ، ولم يعارضوه ، وإنهم إن صدقوا بشيء مما غاب عنهم لدليل قام عليه لزمهم مثل ذلك في أخبار هذا القرآن ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة المرسلات

تم الجزء التاسع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الثلاثون

وأوله : تفسير سورة النبأ

